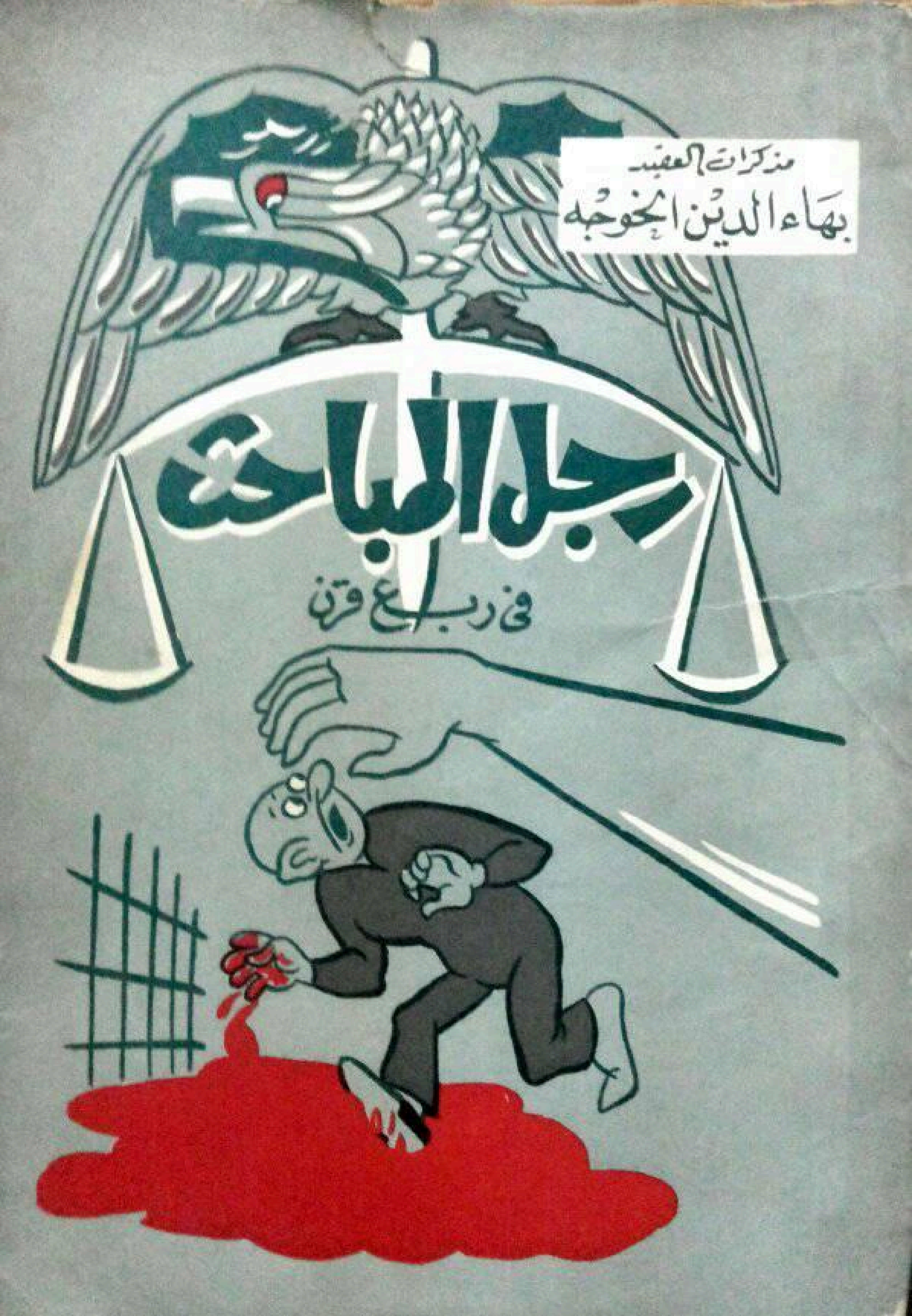

مذكرات العقيد
بهاء الدين الخوجه
رجل المباحث
في ربع قرن

مذكرات

العقيد بهاء الدين الخوجه
مدير الادارة الجنائية

رجل المباحث في ربع قرن

ولكم في القصاص حياة

الجزء الأول

* * *

نشر هذا الكتاب بناء على موافقة قيادة قوى الأمن الداخلي المبينة في الكتاب رقم ١١٦٧/٥٦٢٤ / ٨ صه المؤرخ في ١٦/١٢/١٩٦٣ وبعد عرضه على وزارة الاعلام واخذ موافقتها للنشر بتاريخ في ١/٢/ ١٩٦٤ .

قدم الرسوم الكاريكاتورية الفنان عبد اللطيف مارديني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۞ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۞

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيم

الاهداء

الى الشعب العربي العظيم

ليس بدعاً أن يشرفني الله باتاحة الفرصة امامي لأهدي حصيلة جهاد ربع قرن للشعب العربي العريق العظيم . الذي عشت زهرة العمر وريعان الشباب في تحمل ما يخصني من المسؤولية في الدفاع عن مقدساته وحرماته ، وفي السهر على أمنه وراحته ، وفي الاشتراك مع اولي الأمر في احقاق الحق ، وتنفيذ القانون ورفع راية العدالة .

هذا الشعب الأصيل الدوحة الذي انا منه واليه والذي وصفه الله في محكم آياته انه خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

فاليه اقدم نتاجي بكل تواضع راجيا أن يغفر لي زلاتي وهفواتي فالكمال لله وحده . وحسبي ايمانا واعتزازا اعتقادي بأني لبنة صامدة راسخة في كيان مجتمعنا العربي الزاخر بألوان البطولة والرجولة والحق والعدل والانسانية التي قوامها الروح والمثل العليا .

الى الشعب العربي من الخليج الثائر الى المحيط الهادر اقدم مذكرات رجل الأمن في ربع قرن التي هي دليل على تعاون الشعب مع حراسه . . . تقدمة محبة واحترام ووفاء .

العقيد بهاء الدين الخوجه

مدير الادارة الجنائية

الى السيد العقيد بهاء الدين الخوجه

طالعت كتابك ، رجل المباحث في ربع قرن ، وقد سرني أن أجد خبرة ثلاثين عاماً من النضال باسم الواجب والقانون ضد الجريمة والمجرمين ، مطروحة بأمانة بين يدي المجتمع بالاضافة الى سعة البحث العلمي في مجال تاريخ الشرطة وعلاقاتها العامة على ضوء تطورات النظم الدولية الحديثة ، مع التبسط في بحث الجريمة بأشكالها واسبابها وأسلوب مكافحتها ، مما يعتبر مرجعاً ضرورياً للعاملين في حقل منع الجريمة وقمعها .

إنني إذ أثني على جهودكم آمل أن تستمروا على نشاطكم جميعاً في العمل من أجل حماية المجتمع من آفات المجرمين والمنحرفين ، وتهيئة أسباب تدعيم الأمن والنظام في ظل ثورتنا ... ثورة آذار الهادفة لتطوير مجتمعنا العربي ، وتحريره من الحرمان ومن رواسب التخلف الاجتماعي .

فالى جميع العاملين في مكافحة الجريمة وصيانة الأخلاق العامة واحقاق الحق .. تقديري مع تمنياتي بالتوفيق .

الفريق أركان حرب محمد أمين الحافظ

رئيس مجلس الرئاسة

القائد العام للجيش والقوات المسلحة

محمد امين الحافظ



الفريق أركان حرب محمد أمين الحافظ رئيس مجلس الرئاسة
في الجمهورية العربية السورية

الى مدير الادارة الجنائية

السيد العقيد بهاء الدين الخوجه

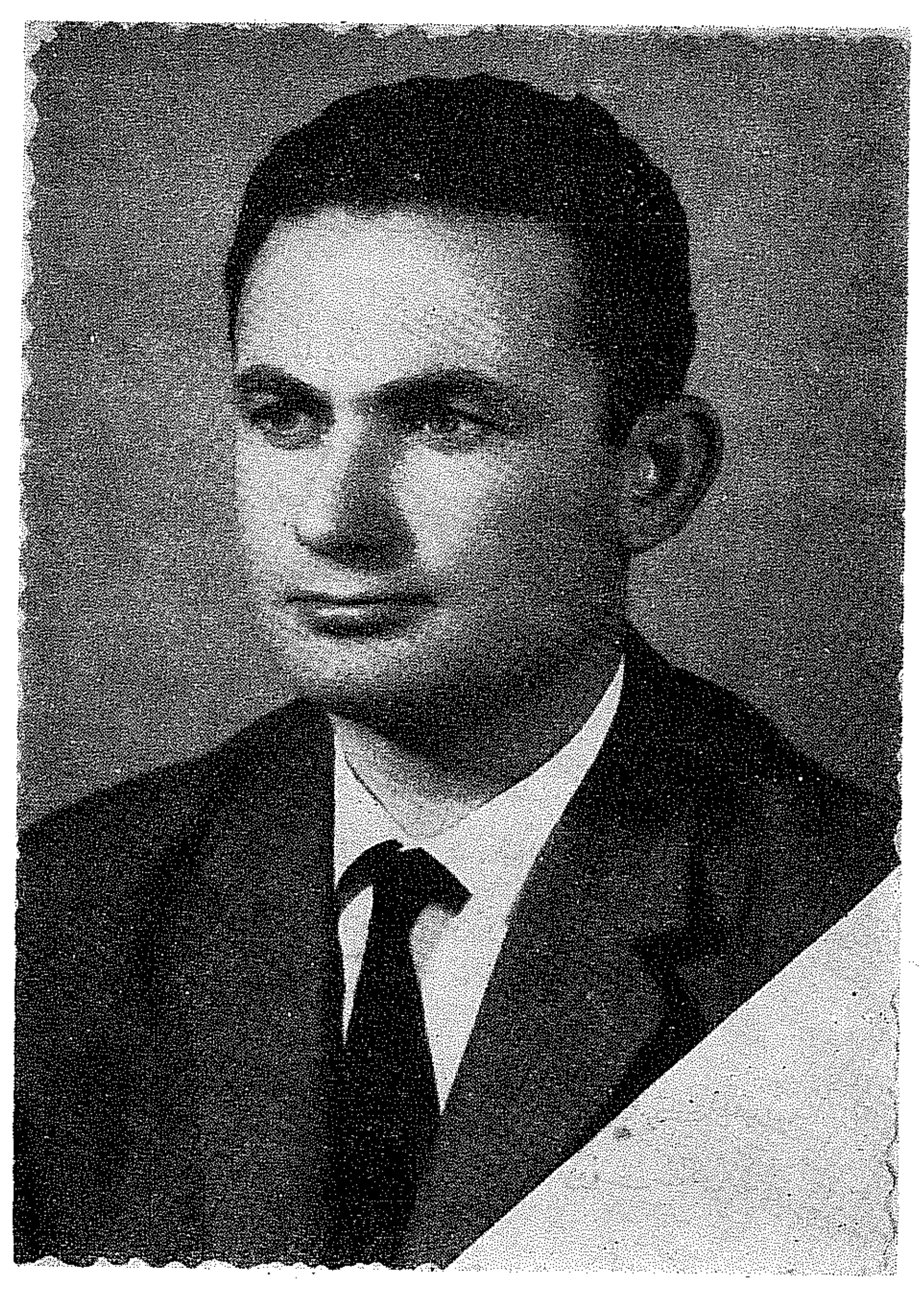
يسر وزارة الداخلية في الجمهورية العربية السورية - بعد الاطلاع على كتابكم - أن تبارك العرض والتحليل والبحث العلمي الرائع ، الذي جاء انعكاسًا لنضال رجل الباحث في ربع قرن - فكان صورة صادقة معبرة ، تترجم الافعال الى دروس وعبر ، وتصور بريشة الفنان ، وبمداد القانوني الخبير المجرب . موضوع : الجريمة والعقاب : منذ غابر الزمن الى أن تأقلمت في ظلال الفقه الاسلامي ، ثم انصقلت بالتفاعل مع الحضارات والمفاهيم القانونية في عصرنا التقدمي الزاهر . بالاضافة الى الدور الرائد الذي لعب ووجب ان يمارسه رجل الأمن .

لكم شكر وثناء وزارة الداخلية ، وتشجيعها العملي المؤدي الى المزيد من البحث العلمي المبدع ، خدمة للحق والعدالة ، ووحيًا من رسالتنا الكبرى في عالمنا العربي رسالة الوحدة والحرية والاشتراكية .

فهمي العاشوري

وزير الداخلية

[توقيع]



وزير الداخلية الاستاذ فهمي العاشوري

إلى السيد العقيد بهاء الدين الخوجه

عندما عرضت علي فكرة نشر مذكراتك ، بادرتك إلى التشجيع والموافقة واستنهضت فيك الهمة ، لا من أجل أن يقرأ الناس قصص « البوليس السري » ويعجبون للبراعة والأسلوب ، ولكن من أجل أن يستفيد رجال الأمن قاطبة من خبرة الرجل المؤمن الذي حالفه التوفيق في كل مرحلة من مراحل حياته ، لأنه وهب نفسه بإخلاص وصدق للمثل العليا

ولقد سرني أن يأتي بعدي قادة كرام يشعرون شعوري ، فيباركون جهدك ونشاطك متوخين ما سبق أن رغبنا في الحصول عليه .

إنها ثورة آذار ، ثورة الرسالة الخالدة ، ثورة الوحدة والحرية والاشتراكية التي عبدت الطريق أمام الإمكانات المبدعة ، فتابع أيها السيد العقيد نضالك تحت لوائها فالنصر لهذه الأمة العظيمة وللمجد والعدل ، والخلود لثورتنا المظفرة ، ثورة الجيل العربي من خليجه إلى محيطه من أجل الأمة العربية الواحدة .

العميد أركان حرب
يوسف شكور



العميد يوسف شكور

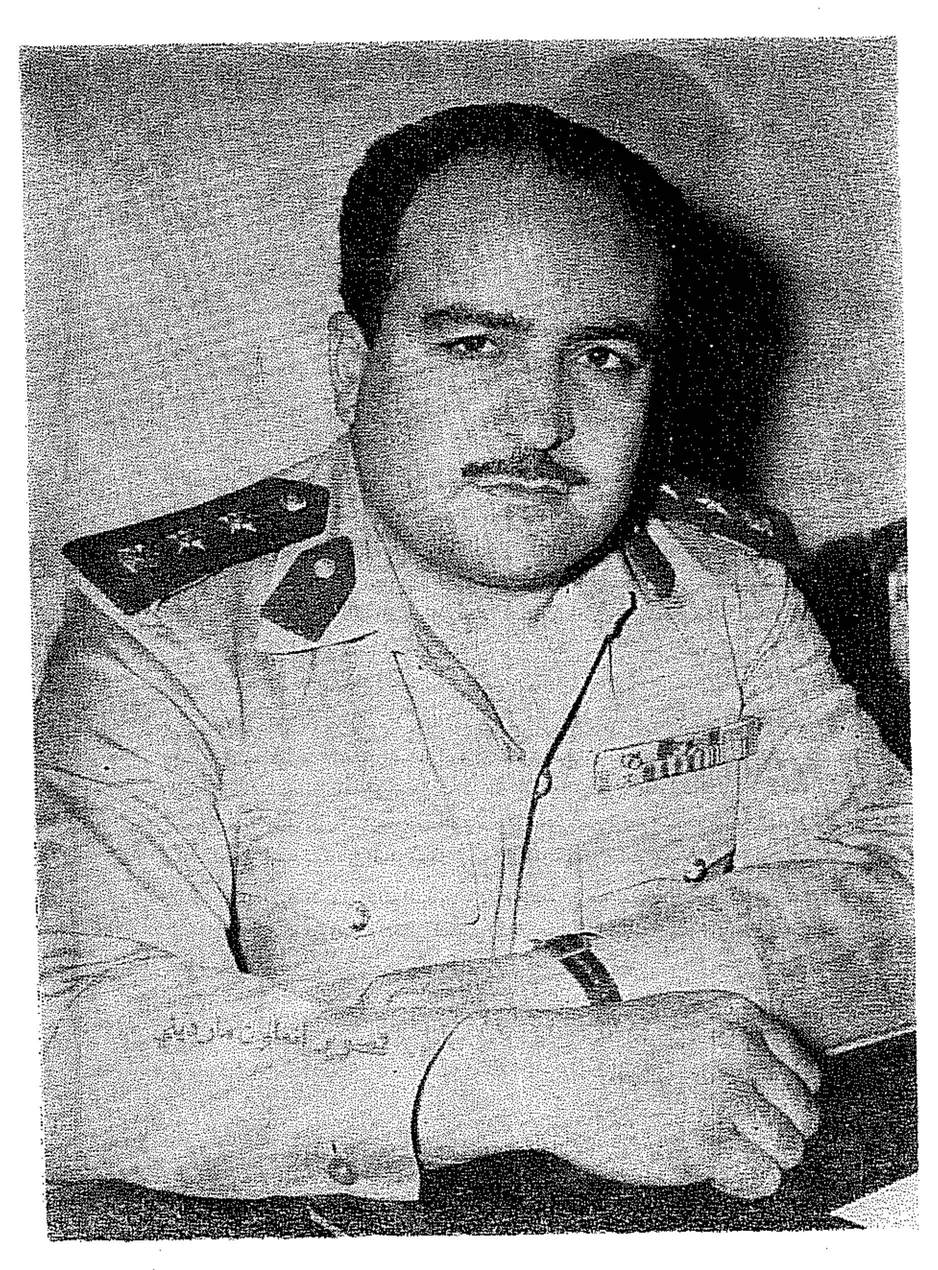
أخي السيد العقيد بهاء الدين الخوجه

من دواعي الغبطة والاعتزاز أن أجد في ضباط قوى الأمن الداخلي من يقرن النضال العملي بالجهد الفكري ، ليستوي القول والعمل على صعيد خدمة أمن المواطنين في هذا البلد العربي الخير المعطاء ، فالكتاب الذي يقدمه العقيد بهاء الدين الخوجه ، هو ثمرة جهاد رجل الباحث في ربع قرن ، لمكافحة الجريمة والقضاء على أصولها وفروعها ، مع دراسات مستفيضة : للجريمة والعقاب : على ضوء منظور القانون والفقه الإسلامي في مختلف العصور . وحسبي أن أشيد بالسعي الضخم المبذول الذي استنزف الزهو من الشباب والهنيء من السعادة حتى طرح الحصيلة صافية واضحة تحت مجهر الرأي العام ليكون فيها الدرس والعبرة .

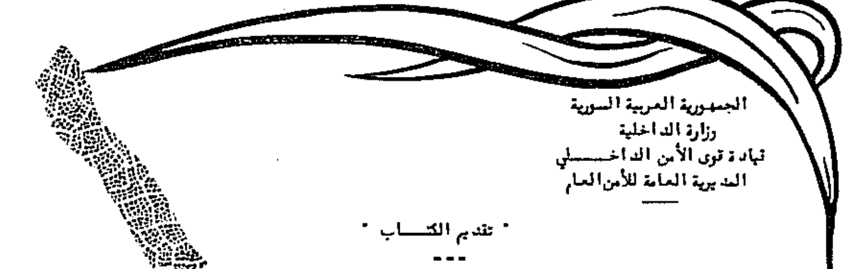
فللسيد العقيد بهاء الدين الخوجه شكر وثناء قيادة قوى الأمن الداخلي وتشجيعها المستمر لكل ما يحقق الطمأنينة والأمن في بلدنا الكبير العظيم .

العقيد مزيد الهنيدي

قائد قوى الأمن الداخلي



العقيد مزيد الهنيدي قائد قوى الأمن الداخلي



الجمهورية العربية السورية
وزارة الداخلية
قيادة قوى الأمن الداخلي
المديرية العامة للأمن العام

" تقديم الكتاب "

اخي السيد العقيد بهاء الدين الخوجه

قرأت كتابك "رجل المباحث في ربع قرن " قبل أن تصل به يد النقد . وقد ساهمت بالموافقة على نشره . لاعتقادي بأنك تقدم "لقوى الأمن الداخلي "ثمرة جهاد ثلاثين عاما من الخبرة المخلصة ، والنضال الدائب المستمر من أجل اعلاء كلمة الحق ، وتحقيق سيادة القانون ، وتأمين الأمن الطمأنينة ، ومكافحة الشقاوة والاجرام . استهدافا لحياة مثلى يحياها مواطنو هذا الجيل العربي ، الذى يتطلع لمستقبل زاهر ، يصل الغابر العظيم الخالد ، بالمستقبل الذى ترسمه وتخطط له الطلائع الثورية ، التي اكتشفت أمتها في قرارات نفوسها ، واعطتها الصور الصادقة الجميلة لرسم التاريخ الأكيد ، لتأخذ بعنف وزخم ثوري مكانها اللائق تحت الشمس .

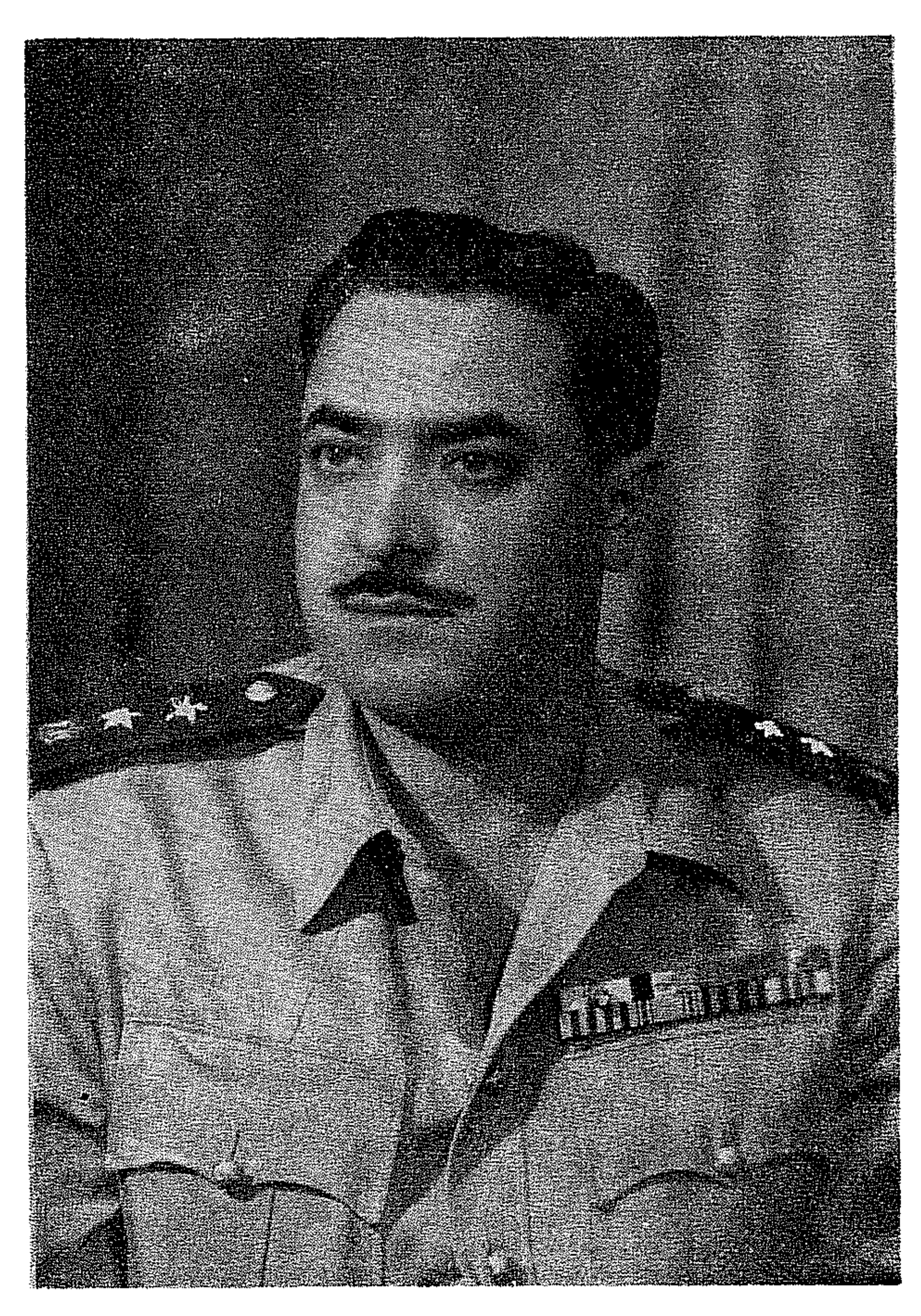
لقد حوى الكتاب دراسة تاريخية للأدوار التي مر بها كيان الشرطة ، منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا ، فكانت نوعا من التحقيق السند المعزز بالصورة والوثيقة والمرجع التاريخي ، كما تضمن سلسلة من الدراسات العلمية المستوحاة من منطق القانون ، والبحث العلمي ، وكلها تدور في فلك القضاء على الجريمة ، والحؤول دون اسبابها ومسبباتها ، وكذلك وسع بين دفتيه امثلة مختلفة عن الجرائم واشكالها بقالب قصصي لعب فيها دور البطولة رجل الأمن اليقظ الساهر .

انني أبارك الجهد الرائع المبذول ، واراه فاتحة لما هو اكبر واعظم ، وأجد نفسي مندفعا باسم الواجب ، وباسم توسيع البحث العلمي لتشجيع انتشار هذا الكتاب والثناء على اليراع الذى قدمه بأدب وتواضع للأجيال .



العقيد : عثمان كنعان

م . قائد قوى الأمن الداخلي
المدير العام للأمن العام



العقيد عثمان كنعان المدير العام للأمن العام

بسم الله الرحمن الرحيم

ولكم في القصاص حياة يا اولي الألباب لعلكم تتقون

صدق الله العظيم

من وحي هذه الآية القرآنية الكريمة « **كافحت الجريمة والمجرمين** » وغبرت نيفاً وثلاثين عاما وانا اناضل بصمت وصبر ، وهدفي طي «**الجريمة بأنواعها**» جذرا ، واصلا، وموضوعا . لأني آمنت بحق امتي وبلادي في الحياة الحرة الكريمة ، الآمنة الوادعة ، المطمئنة الهانئة ... التي تيسر لهذا الشعب المعطاء الخير ، سبل التقدم والازدهار ، واللحاق بموكب الحضارة . ونور العلم ... بعيدا عن « **مرض الجريمة ووبائها** » وسوأة الاجرام ومشاكله ... وكلنا أمل ورجاء ان نحقق قوله تعالى فينا نحن العرب :

« **كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** »

وعندما كنت اخط كلمات الآية السماوية ... التي وصفت للناس رأي السماء في « **الجريمة وعقابها** » وقع نظري على قول عربي مأثور ، نسب للجاهلية ... ليقول : اخصام التشريع الاسلامي ، انها سبقت « **حكم السماء** » في تقدير عقاب المجرم ... فقالت :

« **القتــل انفى للقتــل** »

ولقد استهواني هذا القول الموجز البليغ ... وهممت ان اجعله ، بداية كلامي ، او عنوان المقدمة التي اكتبها ، لولا ان هاتفاً وجدانياً . رن طويلا في مسمعي وضميري . والهمني الفارق بين حكم « **من استوى على العرش ودبر الكون بحكمته** » وحكم انســـان اعوزته التجارب والاحاطة .

ومن ناحية ثانية ...

أدركت أن الرأي الجاهلي ... هو حكم جاهلي نسفه نور الاســـلام ، وتشريع القرآن ... لا يصح الاعتماد عليه . لانه استمرار للجريمة ... كقول أبي تمام ...

« **وأخافكم كي تغمدوا أسيافكــم ان الدم المغبر يحرسه الدم** » .

فلا يجوز في منطـق القانون ... ولا يستوي في عرف النضال من أجــل سيادة


ولكم في القصاص حياة
القانون

العدالة ان يكون (**القتل أنفى للقتل**) أو أن نعتمد مبدأ (**الدم يحرسه الـــدم**) • لان الاسترسال في هذا المفهوم ، يوحي لنا بدهيا قول من يقول : :

« **ان قتلت خصمـــك لم يقتلك** » •

وبذلك ينقطع التعامل بلغة القانون ••• وتسود لغة قاطع طريق عارم ، يتوثب على الحلال والحرام ، لا يخرج الا مقررا في نفسه انه اما قاتل أو مقتول •

لذلك ••• عدت أدراجي ••• الى حكمة الله ، في قوله (ولكم في القصاص حياة) • لأجد نفسي في جو قوانين العصر التقدمي الانساني الذي نعيشه ، بعيدا عن لغة الغريزة البشرية •

وحسبي ••• أن أسجد خشوعا لجلال حكم العادل الازلي • لانه قدر فوعى ، فأنزل التنزيل نورا وهدى •

★ ★ ★

وبعد •••

ليس كمثلي يكتب للتاريخ ••• فأنا ممن اعتاد أن يتنحى لاصحاب الحق الشرعي •

وليس كمثلي ••• أو هو من حقي أن أجري المقارنات الحقوقية على صعيد الفكر والقانون في موضوع (**الجريمة والمجرمين**) ••• ولكنها رسالة مقدسة ، فرضهـــا علي الواجب ، ان أضع أمام الاجيال حصيلة تجارب طويلة ، ونتيجة صراع عنيف ، لألقي بالدروس والعبر ••• عسى أن أسهم في بناء مجتمع أفضل ، وأشارك في نهضة أمة طالما تطلعت لمجدها الزاهي تحت الشمس •

★ ★ ★

بكل جرأة وفخر وايمان ••• أروي للاجيال صورا واقعية • من كفاحي (**ضـد الجريمة**) وصراعي الطويل المستمر مع (**المجرمين**) ••• لا أقصد منها تصويرا لبطولات شخصية ، ولا أرمي من ورائها الوصول الى ما تتمناه الدوافع الانانيـــة ، ولن أسمح لنفسي ان تركب طرق التشهير ••• فحاشا لله أن أنزلق الى مهـــاوي الطعن بالكرامات أو التجريح بمن عصفت بهم تيارات الجريمة ••• فرمت بهم في مطاوي اللحود ، أو ظلمات السجون • ولكني سأترك الصور طبيعية مجلوة واضحة ، لابتعد عن الخيال ، في سلوكي سبل الحقيقة ، والصدق والصواب • وكلي أمل ورجاء أن توفقني العناية الالهية لتأدية الفرض كاملا ، ولاصابة القلب من الهدف • وقبل أن أضـــع بين يـــدي الاجيال — **حصيلة كفاحي** ضد الجريمة والمجرمين — لابد لي من توضيح الجهد الدولي ، المبذول على صعيد الامم المتحدة ، في مضمار مكافحة الجريمة • على أساس البحث العلمي ، — والتعاون الدولي المشترك • فمن مآثر هذا العصر الذي نحياه ••• أو من مآسيه — انه يؤمن بالانسان ، وبقدرته على ادراك الحقيقة وبلوغ الخير والسعادة والسلام في هـذه

العالم • هذا الايمان القوي ، المبدع ، العتيد ، جعل العقل ينكب على ذاته يسبر أغوارها، ويكتشف أسرارها ، وعلى الطبيعة يستخرج كنوزهـــا ، ويتقرى قوانينهـــا ويستعيد أخطارها ، ويحقق في الحالين هذه المكاسب العلمية ، والعملية الرائعة ، التي تؤلف تراث الانسانية الحضاري في العصر الحديث •

* * *

وبدافع من هذا الايمان ، وحافز من هذه الانتصارات ، ازداد اهتمـــــام المحافل والمؤسسات الحديثة ، من دولية وقومية ، في دعـــم البحث العلمي ، وفي بذل الوسائل الوافرة لتعزيزه ، وفي السعي لعقد اللقاءات الكبرى على الصعيد العلمي ، بـــين أرباب الاختصاص ، على اختلاف الالوان ، والاجناس ، والطبقـــات ، والمذاهب والنزعـــات : يضيفون خبرة الى خبرة ، وتجربة الى تجربة ، وفكرا حرا مولدا بحاثا : الى فكر حر مولد بحـــــاث •

★ ★ ★

الجريمة مشكلة دوليـــة :

والاجرام بلوى انسانية عامة ، ومشكلة اجتماعية خطيرة ، حفي بها الناس قديما وحديثا ، ولطالما كان موضوع مكافحة الجريمة ، ومعاملة المجرمين ـ وما يزال ـ ميدانا رحبا نزلت على قراه أنماط شتى من التجارب • وقـــد حدا ذلك بالامم المتحـــدة ، ان تستقطب حركة النضال ضد هذا الوباء العالمي المشترك ، وان تضطلع بمهمة الاشراف على أوجه النشاط الدولي في هذا الصدد ، وان توجه منذ نشأتها قدرا وافرا من عنايتها، وقسطا كبيرا من اهتمامها الى مشكلة الاجرام ، ومعالجته ، تحقيقا للاغراض الاجتماعية التي انطوى عليها ميثاق **(سان فرانسيسكو)** •

* * *

وقد ورثت الامم المتحدة ، أعباء اللجنة الدولية للقانون الجزائي والسجون ، التي كانت تتخذ من برن عاصمة الاتحاد السويسري مركزا لاعمالها •

* * *

وحددت مهام الامم المتحدة ، واختصاصاتها في هذا الميدان ، في عدد من القرارات ، لعل أهمها القراران اللذان أصدرتهما الجمعية العامة **(في الثالث عشر من شهر آب عام ١٩٤٨ برقم ١٥٥/٧ وفي الاول من شهر كانون الاول عام ١٩٥٠ برقم ٤١٥/٥ •)** وقد أقرها المجلس الاقتصادي والاجتماعي وقامت لجنة الشؤون الاجتماعية في صلب هذا المجلس ، باعداد برنامج للعمل ، ورسم خطة تسير عليها الامانة العامة للامم المتحدة في تنفيذ قراراتها الصادرة في هذا الموضوع • وسرعان ما أنشأت الامانة العامة ، شعبة خاصة تتولى ممارسة هذه الاختصاصات ، وتقوم بالمهام الملقاة على عاتقها ••• وقد أطلق عليها اسم « شعبة الدفاع الاجتماعي » •

وغني عن البيان ، أن القاء هذه السلطات ، والمسؤوليات ، علـى الامم المتحدة ، وهيئاتها المختصة ، لا يحرم كل دولة من الدول الاعضاء على حـدة من الحق في تحديد السياسة التي تنتهجها ، لاستتباب النظام والامن في داخـل حدودهـا وفقـا لمبادىء السيادة والاستقلال ٠

ولطالما شعرت الدول بالمصاعب التي تعترض طريقها في حل مشكلة الاجرام ، وهي مشكلة سرمدية عسيرة معقدة ، فرأت ان تضم جهودها بعضها الى بعض،وان تفيد بعضها من تجارب بعض في هذا المضمار ، كما تفعل في عدد من المجالات الاخرى ٠ فرغبت الى الامانة العامة للامم المتحدة ٠

أولا : ان تعمل على جمع المعلومات المجدية في موضوع اتقاء الجريمة ، ومعاملة المجرمين وأن تقوم على تنسيقها وتركيزها ونشرهـا ، وأن تصدر ، بغية تحقيق هذه الاهداف مجلة اسمها « **المجلة الدولية للسياسة الجنائية** » ٠

ثانيا : ان تقوم الامانة العامة للامم المتحدة ، بأبحاث واسعة ، ودراسات مقارنة لبعض الموضوعات المحددة ، في نطـاق التشريعات ، والتجـارب العملية الوطنيـة والاقليمية ٠

ثالثا : ان تنظم الامانة العامة ، أو تساعد على تنظيم اتصالات ولقاءات بين الهيئـات الحكومية المختصة ، أو بين الخبراء في شتى البلدان ٠

رابعا : ان تعمل الامانة العامة على تنظيم مؤتمرات اقليمية ، أو حلقات دراسات محلية في فترات منتظمة ، ودورات متعاقبة ٠ وان تعمد ، بعد عقد هذه المؤتمرات ، والحلقات على الصعيد الاقليمي ، وجمع أعمالها ، وأبحاثهـا ، ومقرراتها ، ودراساتها بعضها الى بعض الى عقد مؤتمر عالمي ، تدعو اليه ، وتشرف عليه الامم المتحدة ، مرة في كل خمس سنوات وتوجه العناية فيـه الى استخلاص المبادىء المشتركة التي تصلح أساسا لرفع التوصيات العامة الى حكومات الدول الاعضاء في هذه المنظمة العالمية ٠



حلقـات الدراسات الاقليمية ٠

وقد وضعت هذه النقاط الاربع موضـع التنفيذ الفعلي ، فعقدت حلقة دراسات للدول الاوربية في مدينة جنيف عام (١٩٥٢) كما عقدت حلقـة اقليمية ثانية لدول أمريكا اللاتينية في البرازيل عام (١٩٥٣) وثالثة لدول آسيا والشرق الاقصى ٠ وعقدت حلقة دراسات الشرق الاوسط في القاهرة في ٥ ــ ١٧ كانون الاول عام(١٩٥٣)وأسهمت في هذه الحلقة جميع الدول العربية ٠

وبعد أن تم عقد الحلقات الدراسية ، في شتى أصقاع المعمورة على الصعيد الاقليمي وأنجزت دراساتها وأبحاثها وانتهت الى مقررات ايجابية ، واقتراحات محددة ، عمدت الامانة العامة للامم المتحدة الى دعوة جميع الدول الاعضاء ، الى عقد مؤتمر دولي ، لدراسة وسائل مكافحة الجريمة ،ومعالجة المجرمين، والخروج من هذه المعضلة بتوصيات علمية، واضحة ، على ضوء تجارب شتى الشعوب والبلدان التطبيقية واختباراتها ٠

★ ★ ★

المؤتمر الدولي الأول

للوقاية من الجريمة ومعاملة المجرمين

وقد عقد فعلا أول مؤتمر عالمي للوقاية من الجريمة ، ومعاملة المجرمين في جنيف ، بدعوة من الامم المتحدة واشرافها ،فبدأ في الثاني والعشرين من شهر آب عام (١٩٥٥) ، حتى الثالث من ايلول عام (١٩٥٥) وقد حالف هذا المؤتمر العالمي الكثـــير من النجاح والتوفيق ، وأسفر عن طائفة من المقررات ، والتوصيات العامة الهامة ، وفي طليعتها :

(مجموعة الحد الادنى من القواعد ، التي يجب مراعاتها في معاملة المسجونين ،وهي بمثابة بيان أو اعلان عالمي لحقوق – الانسان السجين – ٠ ثم مجموعة من المبادىء التي ينبغي العمل بمقتضاها ، لانتقاء القائمين على شؤون المؤسسات العقابية ، واختيار موظفي السجون ، واعدادهم وتدريسهم وتأهيلهم ٠)

وعالج هذا المؤتمر العالمي أيضا تطبيق المؤسسات الجزائية من معاهد اصلاحية ، وسجون مفتوحة ومستعمرات زراعية ، ووضع طائفة كبرى من القواعد ، لتنظيم العمل في السجون ، واتخذ عددا من المقررات الهامة ، في ميدان الوقاية من جرائم الاحداث ، وطرق معالجتها ٠



المؤتمر الدولي الثاني

للوقاية من الجريمة ومعاملة المجرمين

ودار الزمن دورته ، وانقضت سنوات أخرى ، وسارعت الامم المتحدة ، فدعت الى عقد المؤتمر العالمي الثاني للوقاية من الجريمة ، ومعاملة المجرمين ، في لنــدن ، خــلال شهر آب عام ١٩٦٠ ــ دام من الثامن حتى العشرين ، وكان المؤتمر تظاهرة علمية رائعة حشدت فيها المنظمــة جميع امكاناتها ، ووضعت زبــدة خبراتها ، وتجاربها ، وكانت الموضوعات المطروحة ، على بساط البحث ، على جانب عظيم من الاهمية والمتعة وتتلخص في ست مسائل ٠

المســألة الاولى :

جرائم الاحداث في أشكالها الجديدة : منشؤها ، وطرق الوقاية منها ، ووسائل معالجتهــا ٠

★ ★ ★

المســألة الثانية :

الدور الذي يلعبه رجال الضابطة أو الامن ، في الوقاية من جرائم الاحداث ، وتنظيم التعاون بين خدمات الضابطة ، ومصالح الدولة الاخرى في هذا الصدد ٠

★ ★ ★

المســألة الثالثة :

أنواع الجرائم التي تنشأ في التغييرات الاجتماعية ، أو ترافق التقدم الاقتصادي في البلدان المتخلفة اقتصاديا ، ومدى علاقة التحضر بالاجرام ، ونوع الجرائم والمجرمين ، الذين هم نتاج التحضير والتدابير المقترحة لاتقاء الاجرام الناشىء عن التطور الحضاري وأثر البرامج الخاصة ، بمعالجة هذه المشكلة ٠

★ ★ ★

المسألة الرابعــة :

الحبس القصير المدة والانظمة الخاصة بتطبيق هذه العقوبة ، وأنواع المجرمين الذين يحكمون بها ، وجدواها على المحكوم عليهم بها ، والاجزية الاخرى التي يمكن الاستعاضة بها عنهــا ٠

المسألة الخامســـة :

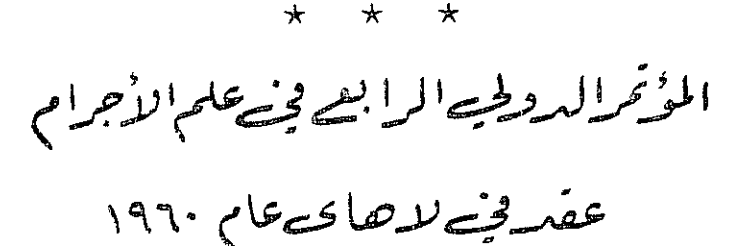
المعاملة الواجب تطبيقها على المسجونين قبيل الافراج عنهـــم ، وتقديم المساعدة لاسرهم أثناء وجودهم في السجن ، ورعايتهم عقيب الافراج عنهـــم ، واصناف المجرمين الذين يجوز اخضاعهم للمعاملة الخاصة قبيل الافراج ، ومدى استخدام وتطبيق هذه المعاملة الخاصة السابقة للافراج عن المحكوم عليهم ، ومدى مساهمة المنظمات الحكومية والشعبية في برامج من هذا القبيل ، ثم برامج المعونة الواجب اسداؤها للسجناء بعـد خروجهم من السجن وأنواع المساعدات التي يمكن تقديمها للاشخاص الذين يعولهـــم المحكوم عليه ، والقواعد التي تمنح بمقتضاها هذه المساعدات أو ترفض ٠



المسألة السادســـة :

ادماج العمل في السجون في الاقتصاد القومي ، وصور هـــذا الادماج ، ومظاهره المختلفة ، وتنظيم برامج العمل في السجون تنظيما يؤول الى منح السجين أكبر فرصة ممكنة ، لايجاد عمل بعد خروجه من السجن ويقضي الى زيادة عدد الاشخاص من ذوي المهارات الفنية الضرورية لتنمية الاقتصاد القومي ٠ ثم الاجر الذي يمنح للسجين لقاء عمله ، ووجوه الافادة من هذا الاجر ٠

* * *



وقد أعقب المؤتمر الدولي الثاني ، الذي عقدته الامم المتحدة في لندن ، للوقاية من الجريمة ، ومعاملة المجرمين ، مؤتمر دولي آخر في العلوم الجنائية ، دعت اليه جمعية (**علم الاجرام الدولية**) وعقدته في لاهاي ، ودام منذ الخامس حتى الحادي عشر من شهر ايلول عام ١٩٦٠ ٠

وجمعية علم الاجرام الدولية ، هي من أعظم المحافل الدولية العلمية المعنية بشؤون الجريمة والمجرمين والافادة في هـــذا المضمار ، فيما وصلت اليـــه علوم الانسان ، من مكتسبات ، ومكتشفات ٠

ولقد كانت موضوعات الابحاث في مؤتمر لاهاي طافحة مليئة ، تتنـــــاول أعوص المشاكل في العلوم الجنائية ومن بينها ، مسألة تطبيق الفحوص ، والاختبارات الطبية ، والنفسية ، والاجتماعية على الجناة ، ومسألة التطورات الحديثة ، في فن التحقيق الجنائي العملي ، وفي الطب الشرعي • ومسألة عوارض المسؤولية الجزائية ، من جنون ، وصرع ، وعته ، وادمان على الخمور والمخدرات ، وعلاقة كل ذلك بالاجرام •

وبحث أنجع السبل ، وأحدثها في معالجة المجرمين الشواذ والوقاية منهم ، وأوجه العلاقة بين الجريمة والسن ، ثم مسألة الجرائم الجنسية ، وجرائم السرقات في المخازن ، وأخيرا أحدث التطورات في العلوم القضائية •



معهد دولي لعلم الأجرام

ولقد توج مؤتمر لاهاي أعماله ، واختتمها بالقرار الذي اتخـــذه ، مجلس ادارة الجمعية الدولية لعلم الاجرام ، والذي يقضي ، باحداث معهد دولي ، لعلم الاجرام في باريس ، يشرف على ادارته (**العالم الايطالي الكبير – دى توليو –**) وقد أدى هذا المعهد ، منذ نشوئه حتى اليوم خدمات جلى للانسانية •



وبالمناسبة ••• فانني أسجل – هنا للتاريخ – الشكر أجزله ، وأوفاه ، للجهود التي تبذلها الامم المتحدة والمؤسسات التابعة لها في مضمار مكافحة الجريمة ، والوقاية منها ، هذه الجهود التي خلقت تعاونا دوليا مثمرا أدى الى نتائج ايجابية واسعة المدى ، نرجو أن يستمر ، ويتعاظم ليؤدي أفضل الخدمات للبشرية جمعاء •





ثم تطورت الاساليب البدائية الى اخرى تماثلها ـ كلمحس آنية محماة بالنار فان اجتازها المتهم بشكل طبيعي ثبتت براءته (ص ١٢)

ولعله أشبه شيء بما تفعله حاليا قبائل (الكاى) في أفريقيا، اذ أنها تضع حشرة في فم القتيل ، فاذا خرجت من فمه وحطت على احد المحيطين به كان هو الفاعل (ص١٢)

نظرات تاريخية

تاريخ البحث عن الجريمة

التطورات التي طرأت على كيان الشرطة عبر التاريخ

يروي لنا تاريخ العصور الانسانية الاولى ، ان الباحثين عن الجريمة والمجرمين ، لم يكونوا بحاجة الى اجراء تحقيق أو سلوك اسلوب علمي ، لمعرفة حقيقة الجريمة ، أو الوصول الى الجاني الفعلي ، لان معرفة الجاني ، وتوقيع العقاب عليـــه ، كان متروكا للآلهة • وكانوا يتصورون ان الجزاء ••• هو الزلزال أو المرض الفتاك ، هذا ماروته لنا الكتب التاريخية القديمة ، وما حفلت به معظم الكتب السماوية المقدسة •

★ ★ ★

ومع تطور الزمن ، ساد مفهوم عام لدى الناس قوامه **(كل امرىء بما كسب رهين)** • وعلى هذا الاساس أخذ الانسان يفكر بطريقة توصله لمعرفة الجاني ، ليلقى الجزاء وحده ، وكانت الوسائل في العصور الاولى بدائية ، لاتخرج عن الوهم الخرافي ••• ولعله أشبه شيء بما تفعله حاليـــا قبائل (**الكاي**) في افريقيا ، (**اذ انها تضع حشرة في فم القتيل فاذا خرجت من فمه وحطت على أحد المحيطين به كان هو الفاعل** (أي القاتل المجرم)**وعلى هذا الاساس كان يدعى لتحقيق هذه المسرحية الخرافية كل أفراد القبيلة ، فاذا ماتخلف أحد منها ، مال اليه الشك ، وحامت حوله الشبهات** •) •

ثم تطورت هذه الاساليب البدائية ، الى أخرى تماثلها ــ**كلحس آنية محماة بالنار**ــ فان اجتازها المتهم بشكل طبيعي تثبت براءته •

وهناك أساليب أخرى ، لا مجال لحصرها أو تعدادها ، لانهـــا أصبحت نوع من التقاليد والعادات ، التي ترافق حياة كل أمة أو قبيلة •

ولقد كانت أسبق الامم ، وأعرقها في مضمار (احقاق الحق ، واقامـــة العدل ، وتوزيع الحقوق والواجبات ، وتطوير المفاهيم الانسانية حيال تحديد المسؤوليات) هي الامة الاسلامية ، التي استنارت بهدي القرآن وسارت على سنن وتشاريع **محمد ــ عليه السـلام ــ** •

لقد وضع العرب ــ المسلمون ــ تشاريع ــ ، واشترعوا قوانين ، أصبحت مع مرور الزمن ، قواعد أساسية لواضعي علوم الحقوق على اختلافها ، بل وغدت المعين ، الذي لا ينضب ، والينبوع الذي لا يجف والذي نهلت منه كافة الامم والدول العظمى المتمدنة في عصرنا الحضاري الحديث ٠

وانه لفخر لا يعادله فخر ، ومجد لا يضارعه مجد ، ان تتخذ الامم المتحدة قرارا اجماعيا في لجانها التشريعية ، يجعل التشريع الاسلامي ، والفقه الاسلامي ، أساسا وقاعدة لكل التشاريع الدولية والاقليمية وخاصة في شؤون الحقوق والمكتسبات ٠

★ ★ ★

لقد كان العرب المسلمون ، أول أمة في التاريخ جعلت **(الشهادة والشهود)** أساسا لتشخيص الجريمة والدلالة على المجرم ٠٠٠ واذا أردنا ان نكون واقعيين ، فاننا نقول ان الامم الغابرة سبقت الاسلام في هذا المضمار كالاشوريين ، والكلدان ، والفراعنة ، والحامورابيين ــ أصحاب شريعة حمورابي ــ الا أن الاسلام أوجد لكل هذه التشاريع قواعد ، وأسس ، ومنطلقات علمية وعقلية ثابتة ٠

لقد اشترط العرب المسلمون ، لصحة الشهادة ، وجود شاهدين ، ممن تقبل شهادتهم ، ومع ذلك ، فقد عجزت الشهادات ، بتعريفها وحدودها ، عن اداء رسالتها في هذا المضمار ، وذلك لتطور العقل الانساني وتنوع العمل الجنائي ، في محاولة الخداع والتضليل ، وارتكاب الجريمة بين طيات الظلام ــ حيث لا شاهد الا الله ــ ٠

★ ★ ★

وعلى هذا الاساس ، اتجه العقل للاخذ بمبدأ الاعتراف حيث التعبير الحقوقي الشهير **(الاعتراف سيد الادلة)** ٠ وكانت أول دولة أخذت به بعد **العرب ــ** هي **(انكلترا)** ٠

ولكن سرعان ما تحول هذا المبدأ عن غاياته ، ومقاصده المثلى السامية ، الى الانزلاق في هوة انتزاع الاعتراف ، بأساليب العنف ، والشدة ، والتعذيب ، والتنكيل ، والارهاب ٠ وبذلك فقد هذا المبدأ أهم غاياته وأهدافه ، وضعفت قيمته الحقوقية أمام **(قوس العدالة)** وفي منطق الرأي العام ٠٠٠ ولقد تجلت هذه الاوضاع الفاسدة في أوروبا أواخر القرن الثامن عشر للميلاد ٠

أما العرب ــ تباركت شرائعهم ولتخلد عاداتهم وتقاليدهم ــ تبارك ميزان العدل والمساواة ، الذي لم يزل ولم يختل في أيديهم ٠٠٠ تباركت أمة العرب التي قال نبيها : **ــ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ــ** وقال فاروقها ــ رضي الله عنه ــ **متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا** ٠

هؤلاء العرب ، الاطهار الاغيار (**عندما كانت أوروبا تغط في ظلمات القرون الوسطى، ومظالم المذابح الوحشية ومحاكم التفتيش العاتية)** كانوا يعيشون في نور المدنية الزاهية، ويركزون من شواطىء الاطلسي ، وأواسط الاندلس ، الى هضاب الهند والسند ، اعلام الحرية ، والعدالة ، والمساواة ، وينشرون ألوية العلم والعرفان ، والتقدم والازدهار • حتى رددت الدنيا بأسرها قول المؤرخين المأثور (**ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب)** •

العرب أول من أدخل البحث العلمي على طرق كشف الجريمة

اذا ذهبنا الى حد (**الجزم والتأكيد**) **بأن** العرب هم أول أمة في التاريخ ، أدخلت البحث العلمي ، والتحقيق العادل النزيه الدقيق على أصول كشف الجريمة ، والتوصل الى هوية الجاني ••• فاننا لن نكون مغالين أو متعصبين لقوميتنا العربية ، ولتراثنا الانساني الخالد ، لاننا نستقرىء التاريخ ، ونأتي بالاحداث من نبعها العلمي الصافي البعيد عن التزييف •

لقد تصفحنا أخبار الامم الغابرة ، والحضارات المندثرة ، فلم نجد للعدل ميزانا استقام الا في ظل العرب ولم ندرك العدل القائم على الرحمة وبعد النظر ، الا من عهد العرب • وحسبنا ان نسرد على سبيل المثال القصص التالية :



عمر بن الخطاب الباحث العلمي

دخلت امرأة على عمر بن الخطاب ، تصرخ وتعول • وتدعي ان شابا من الانصار قد اغتصبها ، والحقيقة هي ان هذه المرأة تهيم حبا في هذا الشاب ، وقد راودته مرارا عن نفسه ، فأبى وتعفف • ولم يسعفها فما كان منها الا اللجوء الى الحيلة ، فقد أخذت بيضة وألقت بصفرتها ، وصبت البياض على ثوبها ، وبين فخذيها فسأل عمر النساء ـ فقلن له ان ببدنها وثوبها أثر « المني » فهم عمر بعقوبة الشاب ••• الذي بدأ يستغيث ويقول :

يا أمير المؤمنين تثبت من أمري ، فوالله ما أتيت فاحشة ، وما هممت بها ، فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت فما كان من عمر الا ان كلف عليا بن أبي طالب بالتحقيق فنظر علي الى الامرأة ، ودعى بماء حار شديد الغليان وصبه على ثوبها ، فجمد البياض ثم أخذه علي فاشتمه وذاقه ، وأدرك الحقيقة ، فطرد المرأة وزجرها •

وبهذه الطريقة الفنية توصل (عمر العربي البدوي) الى معرفة الحقيقة ، واكتشاف غوامض الجريمة ، بل كان أول من أدخل البحث العلمي على أسلوب اكتشاف الجريمة •





ودعى بماء حار شديد الغليان وصبه على ثوبها ، فجمد البياض ثم أخذه فاشتمه وذاقه وأدرك الحقيقة (ص - ١٤)

العرب أول من قرنوا العدل بالرحمة
وأول أمة احترمت نصوص القانون

جيء بسارق الى (الخليفة أبي بكر الصديق) وقد ثبتت عليه جريمته ، فسأله أبو بكر : لماذا سرقت يا اعرابي ... فقال : والله اني جائع ، وقد دفعتني الحاجة لسد الرمق الى السرقة ٠

فقال له أبو بكر ... يااعرابي قل خطفت ، ولا تقل سرقت ...

وكان أبو بكر يريد ان ينفذ القانون ضمن حدود العدل القائم على الرحمة ٠ فالسارق يجزى بقطع يده ... أما الخاطف فله عقاب آخر قد يكون أخف من عقاب السارق ٠

ان أبا بكر أراد تحوير صيغة شكل الجريمة ، لايمانه ان دوافعها ، كانت انسانية شريفة ، ولكنه في كلتا الحالتين أعطى الدليل على احترامه لنصوص الشرع والقانون ٠

* * *

العرب أول أمة أعلنت المساواة ــ وأول أمة نفذت حرفية القانون

روى لنا التاريخ ... ان عبد الله بن عمر بن الخطاب تعاطى الخمر في احدى بيوتات مصر ، عندما كان فيها ٠ وقد وصل أمره الى والي مصر ــ عمرو بن العاص ــ فاستدعاه ، وأنبه ووبخه ، وأشاع أنه أقام عليه الحد ٠ في حين انه لم يفعل ٠ هذه القصة طرقت مسامع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فأسرع الى واليه في مصر يكتب اليه الكتاب التاريخي التالي :

« من خليفة رسول الله عمر بن الخطاب » الى والي مصر عمرو بن العاص

الى العاصي ... ابن العاص ...

« عجبت والله لامرك .. كيف تجرؤ على مخالفة اوامر الله ٠ وتتنكر لشريعة رسوله ٠ تالله اني لعازلك، ولكني لست مصيبا بعزلك ...

ولدي ... عبد من عبيدك ، وداع من رعيانك ... يرتكب الاثم ولا تقيم عليه الحد ٠ ارسله على اول قتب في عباءه ، لينال جزاء ما صنعت يداه ٠ »

ولما وصل الكتاب الى عمرو بن العاص ، ارتاع ، واهتز ، وأرسل ابن عمر ، الى أبيه عمر ، ليقيم عليه « الحد » أمام جمع من الناس في وسط مكة ٠

لقد نفذ عمر بن الخطاب ــ حدود الشرع الاسلامي ــ في ولده وفلذة كبده • فكان فوق العاطفة ، وفوق حنان الابوة ، لانه كان حارسا للقانون ، ومنفذا لارادته ، ومشرعا لسنن ستسير عليها العرب ، لتبلغ مجد الحضارة وقمة التمدن •



« التاريخ العربي زاخر بألوان البطولة »
والعدالة والشهامة واحترام الحق ونكران الباطل

لسنا في مجال السرد التاريخي لقصص العرب ، قصص البطولة الصادقة ، والعدالة الحقة ، قصص احترام الامة العربية للقانون والشرع والنظام • لاننا اذا ما سلكنا هذا الطريق فلسوف نضيع في مجالات رحبة واسعة ضاقت بها آلاف الكتب والمجلدات • وعجز عن استيعابها مئات المؤرخين ، والمؤلفين ، والرواة ، لذلك نكتفي بالامثلة الثـــلاث التي سقناها لندلل على ان العرب أول أمة في التاريخ ، وضعت للجريمة قانونا وعقابا وسلكت طريق العدل في اقامة الحد وتنفيذ نصوص القانون •

وانه لحق يقال ••• ان جميع الدول المتمدنة، اقتبست أساليب العرب في التحقيق الجنائي وطورته باسلوب علمي حديث كالذي نشهده في عصرنا الحاضر •

والذي يرويه لنا التاريخ ، ان العرب أول أمة أسست الشرطة ، وأطلقت عليها اسم (**العسس**) ، وأوجدت فرقا سرية منها ، واجبها ينحصر في جلب الاخبار ، ونقلهـــا الى الحكام ، ليكونوا على بينة صحيحة من حقيقة الشعب ليكون الحكم صورة صادقة عن رغبات الشعب •



لقد برز دور « **العسس** » أو الشرطة في عهد ــ **معاوية بن أبي سفيان** ــ أول خليفة أموي ، ولكن كيان الشرطة وصلاحياتها كانت تندمج مع الجيش ، في عهد الخلفاء الذين تعاقبوا على الخلافة من بعده •

أما في عهد العباسيين ــ **عهد ولاية بغداد للخلافة** ــ فقد كانت الشرطة جزءا من أعمال القضاة أو الولاة أو قادة الجيش • ولم يستقل كيان الشرطة ، ويتبلور بشكل واضح الا في عهود (الدولة الطولونية ، ثم الاخشيدية ، ثم الفاطمية ، ثم الايوبية) •

★ ★ ★



كل اعتراف ينتزع بالعنف والشدة لا قيمة له امام قوس العدالة

تاريخ الشرطة من الدولة الطولونية الى الدولة الأيوبية

سبق أن أوضحنا أوضاع الشرطة في العهدين الاموي والعباسي،وقد مررنا عليهما مرور الكرام ، لعدم وجود صورة تاريخية واضحة لدينا ٠

ولكن هذا لا يمنعنا وقد توفرت لدينا المصادر من أن نروي للاجيال العربية ، تاريخ الشرطة العربية ، في حقبة من حقب التاريخ العربي ، لنوضح صورة الماضي ، وكيف تطورت حتى وصلت الى ما هي عليه في عهدنا الحاضر ٠

مقـــدمة

مرت الشرطة العربية ، في الحقبة التي بدأت بقيام الدولة الطولونية سنة (٢٥٤) هجرية ، وانتهت بسقوط الدولة الايوبية سنة (٦٤٨) هجرية ، بكثير من التجـارب والاحداث ، التي تركت أبلغ الاثر في نظمها واختصاصاتها ٠

★ ★ ★

ففي عصر الدولة الطولونية ، بدأ منصب صاحب الشرطة ، « **أي مدير الشرطة** »، يفقد كثيرا من سلطاته الادارية والسياسية ، التي كان يتمتع بها من قبل ٠ عندما كان ينوب عن الوالي ، حال مرضه أو سفره واستمر الامر كذلك في العصور التالية ٠ أي في عهد الدولة الاخشيدية ، فالفاطمية ، فالايوبية ٠ وندر استعمال كلمة « **الشرطة** » نفسها في ذلك العصر ، فأطلق على القائمين بها « **العسس** » و « **الطواف** » و « **الدرك** » كما أطلق على صاحبها « **الوالي** » ٠

★ ★ ★

وسنتحدث فيما يلي ، عن أبرز التجارب التي مرت بنظام الشرطة في كل عصر من هـــذه العصور ٠

★ ★ ★

عصر الدولة الطولونية

كان اضطراب الامن من أهم المشكلات التي واجهها « **أحمد بن طولون** » عند قدومه الى مصر في سنة (٢٥٤ هـ) وكانت ادارة شؤون البـــلاد ، في أيد متنابذة ، تستمد سلطانها من القوى المتصارعة في عاصمة الخلافة • فنجم عن ذلك، تفكك الاجهزة الادارية، مما أدى الى تفشي الفوضى في البلاد ولقد بادر احمد بن طولون، الى اخضاع السلطات الادارية المختلفة لاشرافه المباشر • وكان من بينها (**الشرطة ، والخراج ، والبريد**) كما وحـــد رئاسة قوات الامن والدفاع ، ومن بينها الفرقة الاجنبية التي أنشأها « **محمد بن المدبر** » صاحب الخراج ، والمنافس الاول ، لابن طولون ــ من مائة جندي لحراسته •



تطور اختصاصات أصحاب الشرطة

ولم يتعرض « ابن طولون » في بادىء الامر للاختصاصات الادارية ، والسياسية ، التي كان يتمتع بها صاحب الشرطة من قبل ، ومنها ان ينوب عن الوالي حال غيابه ، فعندماجاءه كتاب الخليفة العباسي بتسليمه الاعمال الخارجية عن أرض مصر ومنها الاسكندرية، في سنة (٢٥٥ هجرية) خرج اليها في شهر رمضان من تلك السنة بعد ان أناب عنه في الحكم « **طغلج** » صاحب الشرطة العليا •

وكانت هناك وحدتان للشرطة ، تسمى أحدهما « **العليا** » وتسمى الاخرى «**السفلى**» وكانت الاولى بمدينة (**العسكر**) ، والثانية بمدينة **الفسطاط** •

الا ان « **ابن طولون** » لم يلبث ان جرد صاحب الشرطة العليا ، وهو أوسع صاحبي الشرطتين نفوذا ، من اختصاصاته السياسية ، فاقتصر عمله عـــلى حفظ الامن ، وتنفيذ مايصدر اليه ، من أوامر الحكام والقضاة وكانت هـــي اختصاصات صاحب الشرطة في عاصمة الخلافـــة •

ولم يكتف « **ابن طولون** » بذلك بل استأثر أيضا بكثير من الاختصاصات ، الادارية التي كانت لصاحب الشرطة ، فأشرف بنفسه على جهاز الامن ، وحالفه التوفيق في اقرار السكينة والامان ، في ربوع البلاد فكبح جماح الجند الذين كانوا يروعون الناس ، دون رادع أو رقيب ، وفتك بعصابات اللصوص التي كانت تغير على القوى ، وتنهب القوافل ، حتى روى أنه عندما مات ، كـــان في سجونه ، نحو ثمانيــــة عشر ألفـــا من قاطعي الطرق ، والعصاة •



الشرطة السرية أو نظام المباحث

وعني « **ابن طولون** » منذ أن آل اليه حكم البلاد، بتكوين جهاز للشرطة السرية، وكانت له عيون تنبث في كل مكان حتى السجون ، وتأتيه بأخبار المجرمين ، ومعارضي سياسته الاول فالاول .

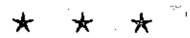
وقد روى لنا « **أبو محمد عبد الله العلوي** » في كتابه « **سيرة احمد بن طولون** » كيف كان يختار ابن طولون رجال شرطته **السرية** ، كما حدثنا عن الاساليب التي كان يتبعها لاخفاء شخصية هؤلاء الرجال ، ومدى نجاحهم في استقصاء الاخبار ، وتسقط الاسرار .

وكثيرا ما كان « ابن طولون » يخرج بنفسه متنكرا ، ويجوس خلالها الطرق ، والاسواق ، وقد بلغ من فراسته انه اكتشف جاسوسا من جواسيس الخليفة « **الموفق** » كان يرتدي ثياب البنائين ، ويعمل معهم في احدى العمائر ، لان رباط سراويله ، لم تكن مما يستعمل في مصر .

كما اكتشف جريمة قتل من ملاحظة عابرة أثناء سيره متنكرا في الفسطاط :

فقد شهد ذات ليلة رجلا يضع على رأسه حملا ويسير به متعثر الخطى ، بادي الاضطراب ، فقال : لو كان هذا الاضطراب . من ثقل المحمول ، لغاصت عنق الحمال . وأنا أرى عنقه بارزا ، وما هذا الاضطراب الا من خوف ما عمل .

ثم أمره ، بحط حمله ، والكشف عنه ، فاذا بها جثة جارية مقطعة الاوصال . ولم يستطع الحمال الا ان يعترف ، وأرشد عن أربعة رجال ، أعطوه مبلغا من المال ليخفي هذه الجثة . فسرعان ما قبض عليهم ، وأعدموا ، وضرب الحمال مائتي سوط جزاء فعلته .



معاملة الشرطة للرعية

ووضع « **ابن طولون** » لاصحاب الشرطة ، الذين كان يختارهم من بين قواده العسكريين ، سياسة مزدوجة الاسلوب والهدف ، اذ كانت تجمع بين قمع الاقوياء والرفق بالضعفاء ، وتتجلى تلك السياسة في أوامره لصاحب الشرطة العليا ، الذي كان يقيم في منطقة نفوذه ، أرباب المناصب ، وذوو السلطان . فقد ورد عن « **نسيم الخادم** » انه كان يقول له :

تشدد عليهم ... وأرهبهم منك ... ولا تلن لهم ... وأغلظ عليهم . فاني أسير في محالهم ، فما أمر بموضع ـ الا وأسمع منه ، غناء سكران ... أو معربد ... قد أخرجته عربدته الى الوثوب والكفر . كما كان يقول لصاحب الشرطة السفلي الذي كان يقيم في منطقة نفوذه عامة الناس .

ارفق بالرعية ... وانشر العدل بينهم ، واقض حوائجهم ... واظهر اكرامهم ، وصيانتهم ، وتفقد مصالحهم فاني أسير بالليل في محالهم ، فكل موضع أمر به ، لايخلو من قارىء ... أو مجتهد ... أو داع الى ذكر الله عز وجل . فوفر علينا دعاءهم لنا ، واحرسنا من ان يكون دعاؤهم علينا .

★ ★ ★

جوازات السفر

ومن أنظمة الشرطة التي دخلت مصر والشام في عصر الطولونيين ، نظام جوازات السفر . ويقال ان هذا النظام كان معروفا ــ على نحو ما ــ لدى العرب في الجاهلية . فقد روى « **الهمذاني** » في « **الاكليل** » انهم استعملوا نوعا من الجوازات في اليمن ، كانوا يطلقون عليه « **الاذن بدخول البلد** » . ويحتمل ان هذا النظام كان معروفا في بعض أنحاء الدولة العباسية في عهد الخليفة«**المعتضد بالله**»وعرفت جوازات السفر في زمن«**القلقشندي**» أي في عصر المماليك «**بأوامر الطريق**»(وصفت في «**صبح الاعشى**»صنع تلك الجوازات،)(١) وأشكالها . الا انه يبدو ان هذا النظام لم يعرف في مصر والشام على وجه التأكيد الا في عصر الطولونيين . واذا كانت قد استعملت في مصر ، في عصر الولاة جوازات أخرى تسهل المرور داخل البلاد . فان هذه الجوازات ــ أو « **السجلات** » كما كانوا يسمونها ــ كانت أقرب شبها بالبطاقات الشخصية .

★ ★ ★

نهاية الدولة الطولونية

لم يكتب للانظمة والقواعد التي وضعها « احمد بن طولون » لاقرار الامن البقاء طويلا بعد وفاته في سنة ٢٧٠ هجرية فقد أوهنت الثورات ، والمؤامرات السياسية قوى الدولة الطولونيه ، فانهارت تماما بمقتل « **شيبان بن احمد طولون** » سنة(٢٩٢)هجرية وأسدل بذلك الستار على فصل من أطرف فصول الشرطة العربية .

★ ★ ★



اجتاحت البلاد عقب سقوط الدولة الطولونية ، تيارات عاصفة من الفوضى . وضاعف من سوء الحال ، تغير الولاة ، وأصحاب الشرطة . في فترات متقاربة . وقد وصف « **ابن تعزي بردي** » حال البلاد ، أثناء ثورة « **محمد الخلنجي** » في عهد الوالي « **عيسى النوشري** » الذي فر سنة (٢٩٢ هجرية) بقوله :

---

(١) ووصفت في « صبح الاعشى » طريقة صنع تلك الجوازات

« وصارت مدينة مصر ، بلا وال عليها ولا حاكم فيها • وصارت مصر مأكلة للغوغاء يهجمون على البيوت ويأخذون الاموال ، من غير ان يردهم احد عن ذلك » •

وعندما انتصرت حركة « **محمد الخلنجي** » في بادىء الامر ، قلد « **عبد الجبار بن احمد بن اعجر** » الشرطة العليا ، كما قلد « **ابراهيم بن فيروز** » الشرطة السفلى •

الا أن حركته ، لم تلبث أن أحبطت بعد قرابة سبعة أشهر ، وعاد الامر « لعيسى **النوشري** » ، فقلد « **محمد بن طاهر** » الشرطة العليا ، و « **يوسف بن اسرائيل** » الشرطة السفلى ، فعمدا الى التنكيل بأنصار « **الخلنجي** » ولكن مشكلات الامن السياسي لم تشغلها عن سائر أعبائها في ميدان مكافحة الجريمة ، اذ عنيا بصفة خاصـــــة ، بمحاربة الجرائم الخلقية ، فعملا على نفي الرقعاء المخنثين ، ووضع حــــد للمساخر التي كانت تحدث في الجنائز والمقابر •

وكان « **محمد بن طاهر** » موفقا في رئاسته للشرطة العليا ، فقد لبث فيها منذ سنة (٢٩٢ هجرية) حتى ولي أمر مصر « **هلال بن بدر** » سنة ٣٠٩هجرية، فعزله وعين بدلا عنه « **علي بن فارس** » وكان ابن طاهر قد عزل من قبل أكثر من مرة ، الا أنه كان لايلبث ان يعود الى عمله أعظم قوة ، وأوسع نفوذا • فلم يكد يصدر أمر الوالي بعزله هذه المرة ، حتى انطلق على رأس جماعة من الجند الى « منية الاصبع » التي كانت تقع في المنطقة والتي يتوسطها الآن حي دير الملاك في مصر وأعلن الثورة • فاجتاحت البلاد موجة جديدة من الفوضى والارهاب ووصف « **ابن تغري بردي** » هذه الحالة بقوله :

« وفشى الفساد ، وقطع الطريق بالديار المصرية ، فعظم ذلك على أهل مصر ، ولا سيما الرعية » •



اقرار السكينة والامـــان

ولما عجز « **هلال بن بدر** » عن اعادة الامن الى البلاد، أمر الخليفة « **المقتدر** » بعزله، ولكن الفوضى ظلت على ما كانت عليه ، فتوالى عزل الولاة ، وتغير أصحاب الشرطة ، حتى أن واليا مثل « **تكين** » عزل ثلاث مرات • وعندما عين للمرة الرابعة في سنة ٣٢١هجرية، كان من أهم ما عني به اقرار السكينه والامان في ربوع البلاد ، فكان يبادر بتغيير أصحاب الشرطة الذين يعجزون عن معاونته في ذلك • وعندما توفي ذلك الوالي سنة ٣٢١ هجرية، كان الامن قد بدأ يسود البلاد ، وأخذ الناس يشعرون بالسكينة والطمأنينة ، واستمرت تلك الحال خلال حكم « **محمد بن طغلج** » مؤسس الدولة الاخشيدية الذي ولي أمر البلاد للمرة الثانية سنة ٣١٣ هجرية وصاحب الشرطة العليا آنئذ « **سعيد بن عثمان** » فأقره فيها • وكان أصحاب الشرطة قد أدركوا من التجارب التي مرت بالبلاد ، في الحقبة التي تلت سقوط الدولة الطولونية ، وسبقت قيام الدولة الاخشيدية ، ان سياسة القمع هي

خير ما ينبغي ان تعالج به مشكلة الامن في تلك الظروف المضطربة ، فولي الشرطة رجال عرفوا بالقسوة ، وكان أشهرهم رجل يدعى« **نعدز** »كانت تضرب بظلمة وبطشه الامثال • وقد انتهى الامر بعزله سنة ٣٤٤ هجرية وقتل وضرب بالنعال ، ثم جرت جثته الى النيل وسمرت على لوح من الخشب ثم طرحت فيه ، فجرفها التيار •

وكثيرا ما كان أصحاب الشرطة ، يصدرون احكام الاعدام ، دون انتظـــار لحكم القضاة ، ومثال ذلك ما حدث في عهد « **العزيز بالله** » عندما خرج لصد حملة « **باسيليوس الثاني** » ملك الروم على الشام ، فأشعل بعض رعاياه النيران في سفن الاسطول بالمقس ، واعترفوا لصاحب الشرطة « **سعود الصقلي** » بجريمتهم فأمر بضرب أعناقهم •

* * *

وكان يعلن عن تولية أصحاب الشرطة في المساجد ، كما كان يطلق عـلى بعضهم أحيانا « صاحب العسس » وكان من المتبع ان يخرج صاحب الشرطة ، كل ليلة على رأس مئات من الرجال ، فيطوفون حول قصر الخليفة ومعهم الطبول والابواق ، وكان صاحب العسس يرافق الخليفة في طوافه بالمدينة في الليل،وعندما كان « **الحاكم بأمر الله** » يخرج ليلا ، كان صاحب العسس يخرج بنفسه لاغلاق أبواب المدينة ، فلايفتحهاثانيةحتىيعود•

وكان أصحاب الحوانيت ، يجبرون على وضع القناديل على أبواب حوانيتهم كل ليلة ، حتى يتسنى للشرطة مراقبتها من بعيد •

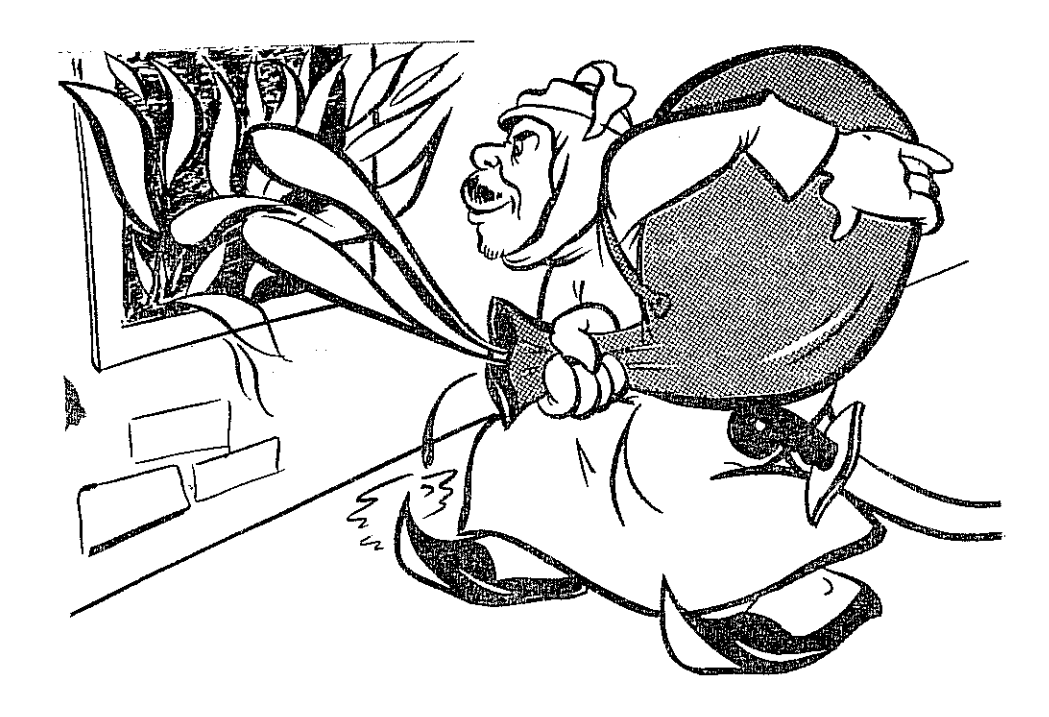
وعين لبعض الاحياء ، رجال مسؤولون ، يتولون أمر حراستها ، وضبط ما يقع فيها من جرائم ، ويسمون « **أصحاب الارباع أو الحواري** » وهـــم يشبهون « **الدرابين** » في الاندلس • والارباع هي عمائر ضخمة ، ذات حجرات عديدة معدة للايجار ، تعلو مجموعة من الحوانيت والمخازن ، ولكل ربع باب مشترك يغلق في المساء ، كما يغلق عند وقوع الاضطرابات التي كانت كثيرا ما تجتاح المدينة أثناء الفتن •



فرق اطفاء الحريق

ويمتد تاريخ فرق المطافىء وهي أهم وحدات الشرطة الحديثة ، في ذلك العصر • حسبما جاء في « **خطط المقريزي** » ان الخليفة « **الآمر بالله** » وضع في سنة٥١٧هجرية نظاما يكفل الاستعانة بالسقائين ، والفعلة في اطفاء الحرائق ، وكانت هنالك فرقة ، قوامها ، عشرة من الرجال تبيت بأدواتها عند كل من الشرطتين،ويقدم لافرادها العشاء في كل ليلة•

وكان « الحاكم بأمر الله » قد أمر عقب الحريق الذي نشب في القاهرة في سنة ٤٠٥ هجرية ، بأن يعد كل صاحب حانوت « زيرا » مملوءا بالماء ، للاستعانة به في اطفاء ما قد يشب من حرائق •



ولعل هذا « الزير » هو نواة الجهاز الحديث الذي يوضع حاليا في الابنيةوالمصانع، وغيرها لاستعماله في هذا الغرض ، فكان ذلك الخليفة الفاطمي قدسبق بأكثر من ألف سنة .

والواقع ان هذا النظام كان متبعا في عهد « **عبد العزيز بن مروان** » في العصر الاموي اذ كان يرابط « **بجزيرة الروضة** » عدد من الرجال المدربين على اطفاء الحرائق . ولكن يبدو ان هذه الفكرة قد خبت حتى نفخ الفاطميون فيها من جديد .



مكانــة أصحاب الشــرطة

كان أصحاب الشرطة يعينون عادة من الاعوان المقربين ، فيعمدون الى الاستزادة من نفوذ السلطان فكان يطلق على « غبن » الذي قلده « الحكم بأمر الله » سنة ٤٠٢ هجرية الشرطتين والحسبة لقب « قائد وأستاذ الاستاذين » .

الا أن الخليفة لم يلبث ان عزله في سنة (٤٠٤ هجرية) عندما تبين له انه يتجسس عليه ، مستعينا في ذلك بكاتبه « **أبي القاسم علي بن محمد** » فقطع يدي الكاتب ، ثم يد « **غبن** » ذاته وكان قد قطع يده الاخرى قبل ان يوليه الشرطة ، وأخيرا قطع لســـانه ففارق الحيـــاة .

وارتقى بعض أصحاب الشرطة ، مناصب كبرى في الدولة ، ومنها الوزراء ، مثل « **جبربن القاسم** » الذي عين وزيرا في عهـــد « **العزيز بالله** » و « **أبي الفتوح موسى بن الحسين** » الذي عين وزيرا في عهد « **الظاهر الاعزاز لدين الله** » الا انه عاد فقتله في سنة ٤١٣ هجرية ٠

الشـــرطة الســـرية

بالرغم من الاضطرابات الخطيرة ، التي كانت تعصف بالامن من آن الى آخر ، في عهد الخلفاء الفاطميين فقد تخللت ذلك العصر فترات ساد فيها الامن أنحاء البلاد ٠ ويعزى ذلك الى كفاءة بعض أصحاب الشرطة وحكام الاقاليم من جهة ، والى صرامة بعض الخلفاء واهتمامهم بمشكلات الامن من جهة أخرى وقد عني بعض الخلفاء كذلك بنظام الشرطة السرية ، الذي نجح نجاحا رائعا في عهد « **الحاكم بأمر الله** » فقد بث الخليفة عددا كبيرا من المرشدين — **معظمهم من النسوة العجائز** — في شتى المجتمعات ، وبلغ من صحة الاخبار التي كانت تأتيه ، انه ادعى العلم بالغيب ، وكان يروي لجلسائه كل صباح ، ماحدث في بيوتهم بالامس ٠

وادعى ذات يوم ان لديه جهازا لكشف الاسرار ، ثم أرسل مناديا في الناس يأمرهم بألا يغلق أحد داره أو حانوته ، لان الخليفة كفيل بحفظ الاموال ، فاستجابوا اليـــه ، وتركوا أبوابهم مفتوحة على مصاريعها طوال الليل ، وفي الصباح أبلغ الناس بكثير من حوادث السرقة ، وقصدوا الى الخليفة الذي أحضر جهاز كشف الاسرار ، وكان على هيئة تمثال أبي الهول ، وفي داخله رجل يظهر للعيان ، وطلب من كل منهم ان يدلي بأوصاف مسروقاته للتمثال ، فأرشده التمثال اليها ، والى جميع الجناة ، فقبض عليهم ٠ وفتشت بيوتهم فضبطت المسروقات لديهم وسلمت لاصحابها ، وعندئذ أمـــر الخليفـــة بشنق اللصوص ، وبلغ من استتباب الامن بعد ذلك ، ان اختفت جرائم السرقة تماما ، وكان الرجل يسقط منه كيس دراهمه ، فيظل الكيس في موضعه اسبوعا كاملا حتى يعثرعليه ٠ وقيل ان الناس كانوا يخشون ان يلتقطوا الاشياء التي تسقط منهم ، حتى لايظن الشرطة أنها ليست لهم ٠

نظـــام الحســـبة

عني الخلفاء الفاطميون بنظام الحسبة ، أو مايصح ان نسميه « بالشرطة الشرعية » كما عنوا باختيار المحتسبين ومنحوهم سلطات واسعة ٠ وكثيرا ماكان « **الحاكم بأمر الله** » يخرج بنفسه لمباشرة الحسبة في الاسواق وهو يرتدي جبة من الصوف ٠ ويمتطي حمارا عاليا ، ويصحب معه عبده « **مسعود** » ٠

ومن الوزراء الفاطميين الذين أسندت اليهم الحسبه « **أبو الفرج يعقوب بن كلس** » في عهد الخليفة « **العزيز بالله** » ٠



«وروى أنه كان يضرب المتلاعبين بالاسعار ويأمر بأن يشهر بهم في الشوارع والاسواق (ص ٢٨)

وكانت الحسبة تسند أحيانا الى أصحاب الشرطة • الا أنها كانت تسند غالبا الى القضاة وكان المحتسب يجلس في أكثر الاحيان في المساجد •

كما كان له نواب ، يطوفون بأسواق المدينة ، وآخرون يباشرون الحسبه في الاقاليم •

ومن أشهر المحتسبين في ذلك العصر « **سليمان بن عزة** » الذي استعان به « **جوهر الصقلبي** » على مكافحة الغلاء وكان معروفا بالشدة والحزم • وروي انه كان يضرب المتلاعبين بالاسعار ويأمر بأن يشهر بهم في الشوارع والاسواق • كما كان يجمع تجار الغلال في مكان واحد ، ويسد الطريق اليهم الا طريقا واحدا ثم يشرف على بيع الغلال بنفسه حتى ينال الناس حاجاتهم منها بالعدل والقسطاس •

ملاحظة : الحسبه هي الضرائب التي تجبى من المكلفين حسب النصوص •

في عصر الدولة الأيوبيّة

لا يستطيع المرء ان يؤرخ للشرطة في العصر الايوبي ، دون ان يشير الى حقيقة تاريخية طريفة ، هي ان « **صلاح الدين الايوبي** » مؤسس الدولة الايوبية نفسه • كان يشغل في مستهل شبابه احدى وظائف الشرطة الرئيسية وهي « **شحنة دمشق** » أي « **قائد قوى الامن** » فيها •

وكان والده « **نجم الدين أيوب** » وعمه « **أسد الدين شيركوه** » من قبل مع « **مجاهد الدين بهروز الخادم** » عندما كان « شحنة بغداد » في ظل الدولة « السلجوقية » وكان يطلق على الدار التي يباشر فيها شحنة المدينة عمله « الشحنكية » أو « الشحنجية » (أي مديرية الشرطة في الوقت الحاضر) •

★ ★ ★

سياسة صلاح الدين في محاربة الجريمة

وقد تولى صلاح الدين ، شحنة دمشق أي مديرية شرطة دمشق وهو في الثامنة عشرة من عمره ، فأبلى بلاء حسنا حتى استتب الامن تماما في ربوع المدينه •

وعندما ثبتت دعائم الدولة الايوبية عني « **صلاح الدين** » وخلفاؤه، باقرار السكينة، وارساء قواعد العدالة في المجتمعات التي استظلت بحكمهم •

واذا كان مؤرخو ذلك العصر ، قد شغلوا بأحداثه الحربية ، عن تسجيل مظاهر النشاط الداخلي فيه ، الا اننا نستطيع، ان تستشف خلال سطور التاريخ صورةمشرقه، لما كانت عليه أجهزة الامن والعدالة ، من قوة وانتظام ، خلال الشطر الذهبي من ذلك العصر على الاقل •

الشـرطة ونظام الحسـبة

وقد عني السلاطين الايوبيين بصفة خاصة بمكافحة الجرائم الخلقية ، التي تخالف أحكام الشرع الحنيف فحاربوا الميسر ، والخمر ، والرشوة ، وكافـة مظاهر الخلاعة والمجون ، وطاردوا معتنقي المذاهب المخالفة لمذهب الدولة الايوبية، كالرافضه،والقادرية، وغيرهم ، وأطلقوا أيدي المحتسبين الذين كانـوا يختارون ممـن جمعـوا بين العلم والحزم والصلاح ٠

وقد نشط المحتسبون ، لمراقبة المكاييل ، والموازين ، ومعاقبة المطففين ، وكان الباعة يلزمون بتقديم مكاييلهم وموازينهم لفحصها في مواعيد محددة من كل عام ٠

وكان المحتسبون يصادرون المغشوش منها ، ويعاقبون أصحابهـا ، أو يكلفونهم باصلاحها ، وقد اتبع هذا النظام ، من قبل الازمنة التي كان يزدهر فيها نظام الحسبه ٠

والجدير بالذكر ، ان الشرطة ، كانت تخضع خضوعا تاما للمحتسبين ، حتى كان عملها يقتصر على تنفيذ أوامرهم وأحكامهم٠وحتى ندر اطلاق كلمة «**الشرطة**» في الاوساط الرسمية على قوات الامن والحرسة ، وغالبا كان يطلق على صاحبها اسم«صاحبالعسس» أو « والي الطواف » أو « الوالي » ٠

وتحدث « **المقريزي** » المتوفي سنة ٨٤٥ هجرية ــ في خططه عن « الولاية » فقال :

« ٠٠٠ **وهي التي يسميها السلف ٠٠٠ الشرطة ٠٠٠** » ٠

ويفهم من ذلك ان كلمة « الشرطـة » أصبحت في عصر المماليـك ، من الكلمات التاريخية الغابرة ، ولم تستعمل الا في الكتابات الادبية ٠



الشرطة في الاقاليـم

يسدل التاريخ ستاراً كثيفا على الانظمـة التـي كانت تتبع لحفظ الامن خارج العاصمة ، سواء في ذلك العصر ، أو في غيره من العصور الاسلامية الاخرى ٠ ولا ندري ما اذا كان نفوذ أصحاب الشرطة قد امتد آنئذ الى الاقاليم ، حتى خضع رجال الامن فيها لسلطانهم أم لا ٠ ولكن الراجح انهم كانوا يخضعون للحكام المحليين مباشرة ، ويبدو ان كلمة « الشرطة » ذاتها لم تطلق على قوات الامن في غير العاصمة وغلب اطلاق كلمة«العونه» أو « الشحنجية » على أجهزة الامن بالاقاليم ٠

كما ان معظم هذه الاقاليم لم تخصص بها قوات للنهوض بأعباء الشرطة ٠ وانمـا كان حكامها ينظمون أعمال الامن والحراسة بالطريقة التي تحلو لهم ٠



« أثر الشرطة العربية في العالم الغربي »

انتقل كثير من تقاليد الحياة العربية ، ومعالم حضارتها الى العالم الغربي ، خلال الحروب الصليبية ، وكان طبيعيا ان يعجب الاوروبيون ، بالانظمة الادارية التي تتبعها الحكومات العربية المزدهرة ، وأهمها أنظمة الحسبة والشرطة ٠

وقد سجل التاريخ استخدام أنظمة الحسبةفي المملكة الصليبية بالمقدس ، وأشير الى وظيفة المحتسب Mahtesp في كتاب « النظـــم القضائيـــة في بيت المقدس Assises de Gérusalem وكان الصليبيون يؤثرون ، اسناد تلك الوظيفـــة الى من كان يعيش بين ظهرانيهم من المسلمين ومن الوظائف الادارية التي انتقلت اليهم أيضا ، وظيفة « **مستحفظ المدينة** » الذي كان مسؤولا عن الحراسة وحفظ الامن فيها ، وهو الذي عرف فيما بعد باسم « **المحافظ** » **وقد أطلقوا عليه كلمة** Moafese

وهكذا حظيت أنظمة الامن ، والعدالة ، في بلادنا ، بتقدير الاوروبيين ، واعجابهم مما يؤيد الاعتقاد بأنها أسهمت في تطوير أنظمة الشرطة في دول الغرب ٠



خاتمـة الموضـوع التاريخي

قدمنا بهذه العجالة البسيطة الخاطفة ، تاريخ الشرطة العربيـــة ، وأقمنا الدليل والبرهان على ان الغرب نقل عن الامة العربية ، نظام الشرطة الى بلدانه ، وبذلك سجلنا بكل فخر واعتزاز ان العرب ، همالامة الاولى في التاريخ ، التي علمت الدنيا الحضارة ، والتي أقامت للعدل والانصاف والمساواة أدق الموازين ٠

وكان بودنا ان نبحث أنظمة الشرطة في دول الغرب ، وطـــرق تطورها ، لولا ان اللجوء الى هذا البحث يخرجنا عن دائرة بحثنا الاساسية التي هي الجريمة والمجرمين ٠

وحسبنا الآن ان نعود من حيث بدأنا الى موضوعنا الاولي ، وهي الجريمةوالمجرمين كما عاصرناها ، ولا بد لنا أيضا قبل ان نسرد القصص التي عشناها٠وان نبحث موضوع الجرائم ، وتقسيماتها ، وان نحلل بعض الظروف والملابسات،من زاوية اجتهادناالخاص٠

وللمرة الثانية ٠٠٠ أقول :

لست بالعالم القانوني ، ولا بالطبيب النفساني ، ولا بالخبير الدولي ، وحاشا لله ان اركب صهوة الغرور أو أوسد نفسي في غير مراتبها ، فأنا ممن يضع نصبعينيه القول المأثور (**رحم الله امرءا عرف حده ، فوقف عنده**) ٠ ولكن هذا لا يمنعني ان أضع بكل تواضع ، واخلاص ، حصيلة تجاربي ونتيجة نضالي بين يدي زملائي بالدرجة الاولى ، ثم أمام الاجيال ، لتكون في الحالين،درسا وعبرة ، درسا من خبير حنكته التجارب،وعبرة لكل من تسول نفسه ان ينزلق في مهاوي الاجرام ٠

هؤلاء كانوا حراس الأمن في بلاد النيل

عرفت مصر نظام الشرطة اول ما عرفته ايام الفراعنة ، فهي اعرق الدول فيه واقدمها عهدا به ، اذ كان يشرف على الحكومة في عاصمة الملك اذ ذاك وزير يعاونه «اميران» احدهما يدعى « الرئيس الاعلى لفرق بوليس مدينة الاموات » كان يساعده عدد كبير من رجال الشرطة مهمتهم حفظ الامن ، وعلى الاخص منع السرقات ·· وكان يتلقى البلاغات ويقوم بتحقيقها بمعاونة موظفين كبيرين احدهما « كاتب فرعون » والآخر « مذيعه » !

وبعد الفتح الاسلامي انشئت بالفسطاط دار للشرطة قبلي مسجد عمرو بن العاص، وكان يعين بها المشهود لهم بالحزم والاستقامة ، ويرأسها « صاحب الشرطة » الذي كان يتولى اقامة الحدود الشرعية على المخالفين والآثمين ، كشاربي الخمر ومرتكبي الزنا ·· ومنذ ذلك الوقت عرفت مصر نظام « خفراء الليل » الذين عينوا ليطوفوا بأنحاء المدينة ليلا ، ويتولوا حراسة الحوانيت والبيوت ··

وفي عهد المماليك كانت للقاهرة « أبواب » ضخمة تغلق في الليل ويقوم عليها الحراس ، ثم تفتح في النهار ·· وكان للشوارع والحواري كذلك ابواب تفتح وتقفل ، بل كان لها سقوف !

وكانت الحارات ضيقة جدا ، والنوافذ المتقابلة متقاربة جدا ·· كان الرجل يمد يده من نافذته ويصافح جاره في البيت المقابل !· وكان اهل الحارة او الزقاق كلهم اصدقاء · وكان سكان البيوت هم اصحابها ، آلت اليهم بالوراثة عن الآباء ·· وكانت الاستغاثة البسيطة توقظ اهل الحارة جميعا ، فيهبون للنجدة مسرعين ·· فأي لص بعد ذلك كله يستطيع ان يجرؤ على دخول الحارة او محاولة السرقة الا اذا كان مشتاقا الى علقة مميتة بالعصى و « البلغ » أحذية ذلك الزمان ؟!

وكان « الوالي » اي « الحكمدار » يجلس وسط المدينة في شارع الغورية طول الليل وامامه مشعل ، وحوله من الح عليهم الارق من أصحابه ·· ومن ورائهم طائفة من الحراس ، وطائفة من « السقائين » للمسارعة الى اطفاء اي حريق ·· وكانت اوامر الحكومة تذاع على الشعب بواسطة المنادين الجائلين ·· ومن فوق منابر المساجد ·

المدير ·· والمأمور !

فلما تولى محمد علي الكبير حكم مصر قسمها الى سبع مديريات ، وقسم المديريات الى مراكز ، ومنذ ذلك الحين عرفنا « المدير » و « المأمور » ·· وعقد لواء حفظ الامن في العاصمة لموظف كبير سمي « ضابط مصر » ·



رئيس الجلادين ٠٠ وفي وقفته وزيه كل مظاهر الرياسة والسلطان ، اليه تصدر أوامر الاعدام شنقا في ميدان عام ، والبندقية على ظهره ٠٠ انها من مظاهر الهيبة ٠٠



وهذا رجل البوليس منذ ١٥٠ سنة ، انه يسير بمصباحه في انحاء المدينة باحثا عن المجرمين في ظلام الليل ٠٠ والخنجر و « الطبنجة » هما الوسيلة التي يداعبهم بها !

وجاء اسماعيل ، فأراد ان يجعل مصر قطعة من اوربا ، ودعا الخبراء الاجانب وكلفهم بوضع نظام حديث لحفظ الامن والنظام ، فجاءوا بكتيبتين من جنود الجيش وضباطه ، وعهدوا الى احداهما بأمر القاهرة ، والى الثانية بأمر الاسكندرية ٠

وفي عهد توفيق فصل البوليس عن الجيش ، وضم رجاله الى « نظارة الداخلية »، وكان ضباط الجيش الذين ينقلون الى البوليس يتلقون مبادىء القانونين الاداري والجنائي في مدرسة الحقوق الخديوية قبل تعيينهم ٠٠ ومدة الدراسة ثلاثة اشهر ٠



وهذا الضابط أيضا لا يحمل سلاحا ، إنه هو الذي يتلو أحكام
الوالى على المجرمين . . كان القانون هو الشريعة الإسلامية ،
وكان الضابط أقرب إلى علماء الدين منه إلى رجال الأمن



ضابط نشيط من عهد المماليك – لابد له من الكرباج ، فهو الذى يتعقب اللصوص . ويقوم بمهمة ضابط المباحث فى هذه الأيام . والويل للمجرم المقبوض عليه من هذا الكرباج



«المأمور» فى عهد محمد على الكبير .. كان لكل مركز مأمور هو المسئول عن الأمن والنظام فيه .. هاهو ذا يخفى فى حزامه خنجراً وبلطة ، وفى ملابسه الرسمية أناقة ظاهرة



ضابط البوليس منذ ٢٠٠ سنة .. سلاحه الكرباج والخنجر يطلان من حزامه . إنه رئيس حراس الوالى ، أو هو قراقوش زمانه الذى يحسب له ألف حساب !



ضابط الآداب .. زيه أقرب إلى زي «أصحاب الفضيلة» منه إلى أزياء الضباط .. إنه أعزل من السلاح ، فقد كان أهل القاهرة منذ ٢٠٠ سنة يجلون ضابط الآداب إجلالهم للعلماء



تذكرة

رخصة من ديوان الدائرة البلدية بمصر عن سنة ٨١ افرنكي
وتسعين عن حمار ركوب ملك محمد رضوان الحلاق الصغير
ليمر بدون مانع على مراكز الدخوليه وشوارع المحروسة
وارد العوائد في تاريخه

رخصة قيـــادة الحمير

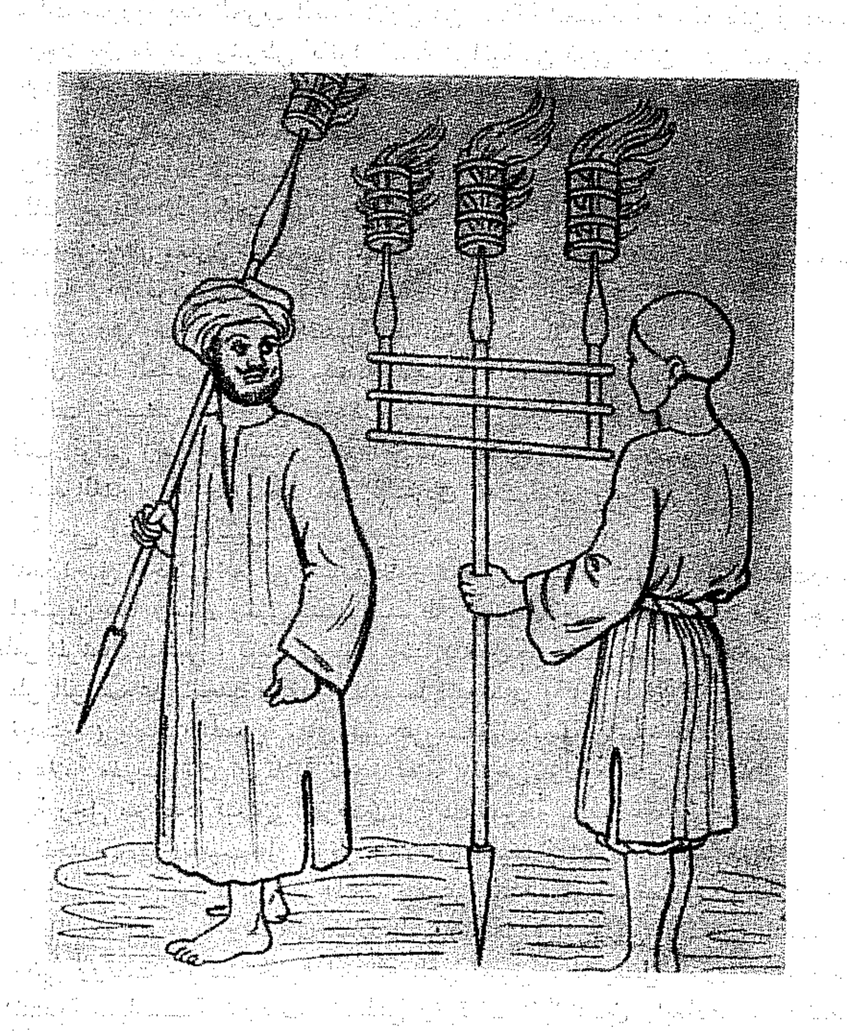
كانت الحمير هي سيارات ذلك الزمان ٠٠ وكان الحمار يقوم بمهمة السيارة ولكل حمار رخصة كهذه٠٠ تستخرج مقابل ٣٠ قرشا و١٠ فضة!



وهذا هما مساعدا الجلاد بشاربيهما المفتولين ، ومهمتهما هي ربط المحكوم عليه ، ووضع الحبل في عنقه واعداده للاعدام ••



ليس تكليف عساكر البوليس بالطواف في الليل شيئا جـديدا ..
بل هو أقدم وسائل حفظ الامن . وهـذا شرطيان طوافان يجوبان
انحاء العاصمة منذ ٢٠٠ سنة وقد حمل كل منهما سلاحه الخاص به



« المشاعلية » .. انهم الخفراء الذين كانوا يقفون في الليل بأبواب المدينـــة ، ويرفعون المشـــاعل فتضيء الطـريق للقادمين والذاهبين فضلا عن تأمـين الطــريق ..

تاريخ الشرطـة في ســوريا

انفصلت سورية بعد الحرب العامة الاولى عن المملكة العثمانية . ولم يكن في دمشق سوى ٨٠ رجلا بين مفوض وشرطي كانوا البقية الباقية من قوى الامن التي تبعثرت بعد انسحاب الاتراك مع الجيش العثماني . وكان ملاك شرطة الولاية يومئذ مائة وخمسين رجلا من مختلف المراتب ثم اضيف اليهم ٦٠ شرطيا فرض مجلس ادارة الولاية بأمر الوالي وموافقة وزارة الداخلية للحكومة العثمانية على بلدية دمشق ان تدفع رواتبهم لعدم استطاعة خزينة الدولة من حمل هذا العبء . واطلق على هذا العدد الاضافي اسم « بوليس معاوني » اي معاون شرطي . يتناول واحدهم ٨٠ قرشا ذهبا في الشهر باعتبار الليرة العثمانية ١٠٠ قرش ذهبا . وكانت هذه القوة من رجال الشرطة موزعة على بضعة مخافر في دمشق وفي بعض مراكز الاقضية القريبة من دمشق .

ولما كان هذا العدد غير كاف لحماية الامن في المدينة فان قيـــادة موقع دمشــق العسكري كانت تخصص مساء كل يوم فئة عسكرية مؤلفة من اربعين او خمسين جنديا بناء على طلب الوالي وامر من المشير قائد الجيش الخامس حسب الاصول المتبع وقتئذ، ويفرز من هذه الفئة اربعة جنود مسلحين بالبنادق تحت قيادة وامر شرطي مدني يجوبون انحاء المدينة حتى منتصف الليل لتأمين الامن .

وعندما احتل الجيش العربي بقيادة الامير فيصل مدينة دمشق ، جمع شتات رجال الشرطة المبعثرين هنا وهناك وتولى تنظيم الشرطة الجنرال حداد باشا الموفد من الجيش العربي بأمر المرشال اللنبي ، فاسرع حداد باشا بتعيين من اعتقد فيهم الاخلاص والكفاءة وصار يمطر الراتب على الجدد والقدماء لاسيما المفوضين وكان يقول لمن يختاره (حط نجمة او نجمتين) بلهجته المصرية ، اي علق على ساعدك نجمة واحدة علامة مفوض ثالث او نجمتين علامة مفوض ثان او ثلاثة نجوم علامة مفوض اول . حتى بلغ ملاك الشرطة نحو ثلاثماية رجل مع عدد كبير من المفوضين وكانت الشرطة تخدم حكومة تسمى «حكومة بلاد العدو المحتلة » ثم انقلبت الى شرطة (الامارة الفيصلية) ثم صارت شرطة المملكة السورية . ولم يتسن لمن تولوا امرها ان يتفرغوا لتنظيمها وترتيب شئونها . حتى كانت كارثة المملكة السورية واحتلال البلاد السورية من قبل جيش الانتداب المشئوم . فعمت الفوضى ووقعت حوادث خربة الغزالة التي اغتيل فيها بعض الوزراء ، واتبعت السلطة المنتدبة سياســـة الارهاب والبطش وتوقيف المواطنـين وابعادهم ، ووضعت الشرطة تحت امر مدير الامن العام الفرنسي الملحق بالمفوض السامي في بيروت ومستشاره في دمشق ومكتب الاستخبارات وحشر الفرنسيون في الشرطة الاشخاص الذين يثقون بهم من حثالة الناس الذين كانوا يتسابقون في التجسس ونقل الاخبار الكاذبة لينالوا الحظوة عندهم .

هذا وقد تشكل اول كيان رسمي للشرطة في سورية في عهد حكومـة المرحوم علاء الدين الدروبي حيث تسلم منصب المدير العام السيد حمدي الجلاد حيث قام بتنظيم الاجهزة على اسس ومفاهيم حديثة ثم تطورت اوضاعها بالتدريج الى ان اصبحت عـلى ما هي عليه الان من تنظيم واعداد يضاهي ارقى الدول .



تطور لباس الشرطة من العهد العثماني الى الفيصلي الى عهد الانتداب ويرى
في الاسفل كوكبة الفرسان التي كانت تسير لاخضاع العشائر

فكرة العقوبة عبر التاريخ

مقدمـــــة :

يمكن القول بصورة عامة ان تاريخ الجريمة قديم قدم الانسانية نفسها ، فقد عرفت الانسانية الجريمة التاريخية الاولى حينما قتل قابيل أخاه هابيل ، كما استقرت على ذلك جميع الدراسات الدينية • ان تاريخ الاجرام على ما يظهر ان هو الا تاريخ الجريمة ، وهذا بدوره يمثل تاريخ الجزاء أو العقاب اذ انه من الطبيعي ان يكون العقاب ملازما للاثم أو الذنب أو الجريمة •

وعند استعراض تاريخ الجريمة والعقاب لابـــد ان يتطرق الباحث لتطور الانظمة العقابية والسياسة الجزائية ، وعلى ضوئها نستنبط السياسة الاجتماعية العامة ، وذلك من قريب أو بعيد •

★ ★ ★

ولما كانت الجريمة معروفة منذ أن وطأت الانسانية قدمها على وجه البسيطة، فيمكن أن أقول ان الجريمة في مهد الانسانية كانت تعتبر ظاهرة فردية ، لا كما نعتبرها اليوم ظاهرة اجتماعية ، وذلك بسبب عدم وجود مجتمع آنذاك • فالجريمة كانت طبيعية أكثر مما هي اجتماعية أو غيرهـــا ، لان الطبيعـــة كانت تلعب دورها العظيـــم في مساندة الجريمة الفردية •

وعليه فان التطور الزمني لفكرتي الجريمة والعقاب ، والحالة هذه ، من الوجهتين التاريخية والفلسفية أمر من الصعوبة بمكان تحليله تحليلا مرضيا ، كمـــا لايمكن أن نستوفي هذا الموضوع حق قدره ، لان جذوره تتصل بالماضي البعيد السحيق ، فتضيع معالمه تارة وتختفي آثاره في حقبة من الدهر تارة أخرى كمـــا أن المعلومات التاريخية المتيسرة في هذا الخصوص غير صحيحة أو مضبوطة الى حد كاف ، حتى يمكن أن يعول عليها في شرح مانحن بصدده ، ماعدا ــ طبعا ــ الفترة الحديثة من تاريخ البشرية •

وما قيل عن أصل تطور الجريمة والعقاب يمكن أن يقـــال كذلك في صدد تطور الانظمة الجزائية أو العقابية للمجتمعات البشرية •



عرفت الانسانية الجريمة التاريخية الاولى حينما قتل قابيل اخاه هابيل (ص ـ ٤٤)

وسنلتزم جانب الايجاز في تبسيط مثل هذا الموضوع المترامي الاطراف الـذي يمكن أن يكتب عنه مجلدات ٠

★ ★ ★

ويجدر بي أن أقول مقدما أن تاريخ تطور العقوبة ، وفلسفتها منذ الخليقة وحتى الآن ، ان هو الا تطور العقل البشري عبر الاجيال والازمنة والدهور المختلفة ٠

ويمكن القول اجمالا بأن فكرة تطور العقاب منـذ العصور الازلية السحيقة حتى يومنا هذا مرت وتمر بالمراحل التالية ، اذ لاتزال بعض ، أو كثير من دول العالم تقف في منتصف طريق هذه المراحل أو تمر ببعضها ، وهي :

الانتقام الفردي ٠
القصاص والتكفير ٠
الانتقام العـــام ٠
السخرية والاستهزاء والتشنيع ٠
الردع والقمع والكبت ٠
حمايـــة المجتمـــع ٠



اصــلاح المجرم وتقويمــه

تعريف العقاب والجزاء والغرض منه :

قبل أن أخوض في التفاصيل لابد من أن أحدد معنى الجزاء أو العقوبة فأقول :

ان الجزاء يمكن تعريفه بوجه عام بأنه رد فعل المجتمع تجاه السلوك الاجرامي أو السلوك غير الاجتماعي أو السلوك المغاير للقوانين المرعية في المجتمع ٠ وبتعبير آخر :

العقاب هو مايتخذه المجتمع من اجراءات رادعة ضد عمل الجاني أو المذنب ، أي أن العقاب هو الجزاء الرادع المقابل للجريمة ٠

والجريمة في الاصطلاح القانوني ، كما نعلم ، هي كـــل فعل أو ترك مخالف للقانون ويعاقب عليـــه ٠

فالسلوك الاجرامي انما يبـدأ بالجريمة وينتهي بالعقوبة ، فالجريمـــة والعقاب متلازمان دائما ومتناسبان من حيث العموم شدة وضعفا ، فهما والحالة هـذه ظاهرتان متتابعتان متعاقبتان للسلوك الاجرامي ٠

★ ★ ★

لقد ذكر البروفيسور الانكليزي Wesevmark أن الغرض الرئيسي من الجزاء هو الزام الافراد باحترام النظم والقواعد التي يسير عليها المجتمع ، ثم هو من جهة أخرى يؤدي الى تهدئة الخواطر الاجتماعية التي أثارها العمل الاجرامي ، لان في احترام النظم الاجتماعية بقاء المجتمع نفسه واستمراره ، وفي الخروج عليها واحتقارها فناءه وزواله ·

* * *

وسنلاحظ بعد ذلك ان غاية العقاب الاساسية ، وفقا للمذاهب العقابية التاريخية وبصورة خاصة المذهب العلمي أو الكلاسيكي ، هي في ضرورة محافظة المجتمع على كيانه وأمنه ونظامه · وبعبارة أخرى أن الهدف الرئيسي للعقوبة هو الدفاع عن المجتمع ضد الاجرام ، وذلك بتحقيق المصلحة الاجتماعية أو المنفعة العامة وذلك بوقاية المجتمع من الاجرام في المستقبل ، أي منع حدوث الاجرام مستقبلا ، وذلك باتباع مايسمونه بالمنع الخاص ، أي منع المجرم من عودته الى الاجرام ثانية ، وفقا للطرق النفسية والاجتماعية والثقافية ، أو عن طريق مايدعى بالمنع العام ، وهو منع حدوث جرائم يحتمل وقوعها، وذلك بمنع الافراد بالطرق الاجتماعية والعلمية من ارتكابها أو الاقتداء بالمجرمين ·

بينما تهدف العقوبة في أيامنا الحاضرة الى وقاية المجتمع من الاجرام من جهة ، وعلاج المجرم عن طريق اصلاحه وتهذيبه وتعليمه وتعديل مافي نفسه من اعوجاج من جهة أخرى ·

* * *

المبحث الأول

صور العقوبة عبر العصور المختلفة

كانت القاعدة العامة في العصور التاريخية السحيقة ـ ماقبل التاريخ ـ بصدد العقاب هي عادة الاخذ بالثأر أو الانتقام ، ومن الوجهة القانونية يمكن أن يسمى هذا النوع بالعقاب الخاص ، نظرا لان الفرد كان بنفسه أو أسرته أو عشيرته يتولى عملية الانتقام · لذلك أتخذ العقاب شكلا فرديا خاصا ، وكثيرا ماكان الانتقام الفردي الخاص يؤدي الى انتقام الاسرة أو العشيرة كلها ، وعندئذ يصبح الانتقام جماعيا ·

ثم حصل تطور بسيط ، بأن قامت نظرية العقاب على فكرتي القصاص والتكفير ، أي الردع والزجر · فقد كان الجزاء الذي ينزل بالمجرم من قبل المجتمع صارما قاسيا

بل وحشيا ، وكان أيضا ضربا من الايلام بشتى ألوان العذاب ، كما أن العقاب كان بحد ذاته غاية تهدف الاسراف في الارهاب والقسوة وتعذيب المجرم بقصد التكفير عنجريمته ٠

★ ★ ★

فالعقاب والحالة هذه كان وسيلة لتطهير المجرم من اثمه وتكفيره عن ذنبه ، وذلك باتباع سياسة الردع والتكفير عن طريق الارهاب ٠ والجريمـة في نظرهم كانت مشكلة دينية لاهوتية صرفة ، أو بمعنى آخر كانت تعتبر خروجا على العادات والتقاليد الدينية المقدسة ، فكانت الجريمةبهذا المقياس تعتبر نوعا منالقذارة أو رجسا من عملالشيطان ٠

✶ ✶ ✶

وتشير كثير من الدراسات العلمية الى ان المسؤولية الجماعية ، أي مسؤولية أسرة أو جماعة عن فعل يرتكبه أحد أعضائها ، كانت سائدة في المجتمعات التاريخية البدائية ، كما أن توجيه المسؤولية الجنائية ضد الحيوانات والجمادات والمجانين والاطفال ، وتنفيذ العقوبات الصارمة بحقهم ، كان اتجاها اجتماعيا مألوفا ٠

والرأي العام آنئذ كان يرى أن مثل هـذه العقوبات القاسية الصارمة ضروريـة لاستمرار الحياة الاجتماعية ، لكي لاتضيع قدسية النظم الاجتماعية ، وبمعنى ثان أن العدل في نظرهم كان لايقوم الا بانزال العقوبات الجهنمية اللاانسانية على المجرم ٠

✶ ✶ ✶

هكذا في تلك الحقبة من تاريخ البشرية الاولى لم يكن العقاب يستهدف اصـلاح المجرم ولا ا صلاح ماأفسد بل حتى ولا اصـلاح المجتمع ، وامتازت الفلسفة العقابيـة الاجرامية بطابع ديني لمجرد الجريمة ، وطابع القسوة والقصاص للعقوبة ، كما اتخذ الجزاء بصورة خاصة شـكلا بدائيا همجيا غير انساني يأتلف مـع الوضع الاجتماعي السائد في تلك المجتمعات التاريخية ٠

والفلسفة الجنائية التاريخية المعروفة لقانون العين بالعين ، والسن بالسن ، والتي سميت أيضا بشريعة المثل ، كانت ضربا من نظام القصاص يراد به التعادل بين كفتي العقاب والجريمة ، وكان هذا الاتجاه الفلسفي يصبغ معظم الانظمة الاجتماعية القديمة السحيقة في الشرق والغرب معا ٠

فلم يكن شخص المجرم أو المعتدي موضع دراسة ، واهتمام التشريعات والمصلحين آنذاك ، فلا يهم اذا كان المعتدي رجلا خيرا أم شريرا ، وكـذلك الامر بالنسبة لشخصية المجنى عليه أو المعتدى عليه ٠

فكانت العقوبة تطبق بحق كليهما سواء بسواء ، أي كان يستوي الصالح بالطالح أمام جبروت العقاب والقانون ٠

وحتى في القرون الوسطى ، نجد صدى كبيرا لهذه الافكار والاتجاهات العقابية ، وذلك رغم تدخل القوانين والشرائع بل المجتمعات لتنظيم مسألة الجريمة والعقاب • اذ ظل الجزاء محتفظا بقسوته وصرامته وطابعه الديني • فكانت الغاية الاولى والاخيرة من العقاب هي اتباع سياسة الردع والتكفير أو الزجر بقصد الوصول الى قمع الجريمة واحترام القانون من المجتمع ، وذلك عن طريق الارهاب والتعذيب والاضطهاد والتنكيل •

فالويل كل الويل للمجرم الذي زلت قدمه ، كأن خرج ولو بالمصادفة المحضة عما كان يسمونه بالنظام والعادات والطقوس الدينية ، ليكون عبرة لغيره بأن تأخذ العدالة مجراها ضد المعتدي الاثيم • وبتعبير آخر لتبدأ مسرحية التمثيل بالمجرم وزجره وايقاعه في العذاب الاليم •

أما القضاة ، فهم بدورهم كانوا يتمتعون بسلطة استبدادية تحكمية واسعة ،حيث كان بامكانهم حق اقرار الجرائم ، بل وحق تقدير العقوبات وفق رغباتهم وأهوائهم •



الدين والعقاب

عندما قام النظام الكنسي في أوروبا في القرون الوسطى ، ظلت الجريمة والعقاب محتفظتين بطابعهما الديني الرهيب الى جانب التكفير والزجر والتنكيل بالاثم • ولقد قام نزاع طويل الامد بين النظام الكنسي والدولة في حق العقاب وأخيرا انتهى الصراع بينهما بأن اختصت المحاكم الكنسية بمحاكمة المجرمين من أفرادها التابعين للكنيسة بينما صار حق العقاب – فيما بعد – حقا عاما من حقوق الدولة •

وفي ظل النظام الكنسي ، كان جانب من العقاب عبارة عن اعطاء الجاني دروسا وارشادات في الدين – والاخلاق ، وبخاصة الاحداث منهم ، وكانت المعرفة الاجرامية ، أي معرفة بواعث الاجرام ، معرفة سطحية بسيطة للغاية مشبعة بروح دينية صارمة • وحتى في ذلك الوقت من تاريخ البشرية كان المصلحون يعزون أسباب الجريمة الظاهرة الى البيت وضعف الدين •

ولقد ظل هذا الاعتقاد أو بالاحرى هذا الاتجاه الفلسفي سائدا أيام فلاسفةالاغريق والرومان كأرسطو ، وسقراط ، وأفلاطون ، ثم ساد أخيرا بين الفلاسفة اعتقاد يقوم على أساس أن الجريمة ترجع الى نفس مجرمة فاسدة في الجاني تستند على عيوب خلقية جسيمة فيه •

ولامجال في هذا البحث للخوض في بيان أسباب وعوامل الاجرام •

أما عن الغرض من العقاب في الديانات الكبرى ، فان الناحية القصاصية « **الجزاء** » تغلب عند اليهود والناحية الاصلاحية الخاصة بالتساهل والتوبة تغلب عند **المسيحيين** ، بينما تتساوى الصفتان عند **المسلمين** •

ولكن كلتا الناحيتين موجودة عند الجميع • هـذا رغم أن شريعة المثل أو قانون القصاص المعروف في الاسلام « **العين بالعين ، والسن بالسن** » قـد لايكون المقصود منه ضرورة أن تفقأ عين من فقأ عين أو تكسر سن من كسر سنا • بل قد يكون القصد منه تحديد حد أعلى لايتعداه المقتص في اقتصاصه ولكن أمام القاضي سلسلة من أنواع العقاب الاقل ضررا ، وله أن يختار منها وله كذلك أن يعفو •

✶ ✶ ✶

ولقد ظلت مظاهر الارهاب والقسوة والتعذيب في العقوبة طابعا مميزا للتشريعات العقابية لدى شعوب العصور الغابرة ، كما أنها ظلت فلسفة جنائية تسود التشريعات والمجتمعات ، حتى وقت متأخر من القرن الثامن عشر في الشرق والغرب ، رغم تعديلات خطيرة وكثيرة أدخلت على تلك التشريعات •

وقد سبق الاسـلام أكثر شعوب العالم قرونا عـدة في تسامحه ورحمته وعطفه وحنانه • اذ أثبت القرآن الكريم في مجالات عدة اتباع سياسة الرحمة والرأفة بالمعتدي، فقال:

« **ممن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف ، وأداء اليه باحسان • ذلك تخفيف من ربكم ورحمة • فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم** » •

كما نراه في موضوع آخر يحتم على الدائن الرحمة بالمدين ، وافساح المجال اليـه بألا يعسره ، ولايضايقه في أداء دينه ان كان معسرا ، فقال :

« **وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة** » •

ونراه يذهب الى أبعد من ذلك في الدين ، بحيث يرغب الدائن في التصدق عـلى المدين ، ان كان معسرا حقا ، فيقول متمما للآية السابقة •

« **وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون** » •

ومما هو جدير بالذكر ان اتجاهات القوانين قد أخذت بهذه النظريات •

★ ★ ★

الدولة والعقاب

هكذا لاحظنا أن قسوة العقوبة وسطوتها كانت الطابع المميز للشعوب البدائية وشبه المتحضرة ، بل وحتى المتحضرة ، الى أوائل القرن الحالي •

وقد مر على البشرية عصر من العصور كانت العقوبات في الجرائم الاخلاقية والدينية تتضمن نوعا من السخرية والاستهزاء والتشنيع بالجاني علنا أمام الجمهور •

أما التعويضات ــ ثم لحقتها الغرامات بعد ذلك ــ فكانت قبل ظهور الحكومات على مسرح الحياة نوعا من التراضي الذي يمكن أن يتم عن طريق المال أيا كان نوعه ، وحتى الحيوانات ــ كالمواشي مثلا ــ كانت تصلح أن تكون موضعا للمساومة التغريمية أو التعويضية كما لجأ كثير من الشعوب والحكومات القديمة الى الغرامة ، عقوبة تعويضية أصلية ، ردحا طويلا من الزمن •

وعندما بلغت المجتمعات الانسانية درجة من الوعي السياسي والاجتماعي ، ظهرت الدولة كنتيجة طبيعية لتطور الافراد والجماعات ، فأصبح حق العقاب ضرورة اجتماعية ، تتولاه الدولة باسم الجماعة ولصالحها ، واختفى تدريجيا الانتقام أو الثأر الفردي ، أو العقاب الخاص ، وظهرت نظرية حق الدولة في العقاب • ولكن الدولة ظلت دهرا طويلا متأثرة بالاعتبارات التي أسلفناها ، أي سياسة الردع والتكفير والارهاب •

ويذهب بعض علماء الاجتماع والقانون ــ وقد أصابوا فيما ذهبوا اليه ــ الى أن انتقال حق العقاب من نطاق الافراد الى حيز الدولة لم يكن الا ضربا من نقل الاختصاص مع بقاء جوهر العقاب واحدا • وبتعبير آخر ، ظلت العقوبة معتبرة طريقة الانتقام أو شبه الانتقام من المجرم ولذلك فقد سماها البعض بالانتقام العام أو الانتقام الجماعي • بل ان هذا قد حدا ببعض الباحثين الى القول بأن القانون الجنائي أو العقابي ليس الا نظاما وضعيا للثأر المباح أو الانتقام المشروع •

والحقيقة تقضي بأنه لابد من أن تقوم العقوبة بديلا من الانتقام الفردي ، فتغني شخص المعتدى عليه عن الانتقام بنفسه ولنفسه • وحجة أنصار هذا الرأي أنه طبقا لقاعدة رد الجميل بمثله فكذلك يمكن رد الاثم بمثله ، وفقا لمبدأ « العدالة » الذي يقوم على الاخذ والرد •



الفلسفة العقابية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

وفي القرن الثامن عشر ، قامت جماعة من العلماء والفلاسفة بثورة اصلاحيــة في ميدان الفلسفة الجنائية أعقبت بصورة خاصة « **الثورة الفرنسية** » وقد ظهرت عــلى أثرها بوادر الانسانية في التسامح والرحمة والرفق بالجاني ، وفي تطبيق القانون وتنفيذ العقوبة • فظهر على مسرح الحياة القضائي والجنائي أول أستاذ في علم الاجرام الحديث وهو الفيلسوف الايطالي « **بكاريـا** » (١٧٣٨ ــ ١٧٩٤) والعلامة « **لومبروزو** » ثم تبعهما كل من العلامــة الفرنسي « **مونتسكيو** » ، والعالم الانكليزي « **بنتام** » والباحث الاجتماعي الامريكي « **وليم بن** » وكانت فلسفة القرن الثامن عشر انبثاق عهد جديد في الرحمة والانسانية والاصلاح ، اذ جاءت بتعاليم وقيم مثالية تعتبر حدثــا عظيمــا في التاريخ ، كالحد من حرية القاضي في تقرير العقاب وتحديد العقوبة اللازمة لكل جريمة ، واقتصار مهمة القاضي على كونه مجرد أداة حق لتنفيذ القانون ، وأيضا تلطيف حدة العقاب ، واستخدام طرق ووسائل أكثر رحمة ورأفة وانسانية في تنفيذ العقوبات بدلا من استخدام الوسائل الوحشــية التي كانت متبعة في القرون الوســطى وما قبلها • وكذلك القضاء نهائيا على طرق التعذيب المتبعة في التنكيل بالجناة ،وانهاء عهد الاساليب البربرية المألوفة في معاملة المجرمين • ويرجع الفضل في هذه الاتجاهات الى تأثير هؤلاء العلماء والباحثين والفلاسفة بالقرآن والفقه الاسلامي • اللذان يعتبران من أغزر المناهل العلمية والعملية في مضامير التشريع والكمال الانساني •

✶ ✶ ✶

لقــد أصبحت العقوبة في القرنين الماضيين ــ وحتــى في الوقت الحاضر في بعض الدول المتأخرة ــ تقاس اجمالا بالنسبة الى مادة الجريمة وموضوعهـــا ، أي بالنظر الى جسامتها ومــدى الضرر الــذي تعقبه ، لا بالنظر الى شخصيــة الجاني ومدى شــره وخطره على المجتمع •

ومنذ أمد ليس بالبعيد ، كان المصلحون في أمريكا يستخدمون مايدعـــي بطريقة « **الكبت** » مع المجرمين فالمجرم ــ بالغا كان أم حدثا ــ يزج في السجن لينال عقابه ، دون فهم مشكلته أو دراسة أسبابها ، ومن ثم رسم العلاج اللازم لها • وبتعبير آخر ، كان المصلحون يوجهون جل عنايتهم الى العقوبة لا الى تقويم المجرم أو الحدث •



استنتاج فرضي

لاحظنا فيما سبق كيف كان العقاب في نظر البشرية ، في المجتمعات التاريخية الغابرة ، وسيلة يستشف منها الانتقام وتعذيب المجرم واضطهاده بطرق عجيبة لاانسانية . وكان مثل هذا الاتجاه الفلسفي العقابي يصبغ بوجه عام تشريعات تلك المجتمعات ، ولكن الشيء الجوهري الذي يثير ريبي هو أن الملوك ، والسلاطين والدكتاتوريين هم الذين لجأوا ـ بصورة خاصة ـ الى أسلوب التعذيب والتمثيل بالمجرم، كما تشير الى ذلك بعض الوقائع التاريخية قديما وحديثا .

المبحث الثاني

فلسفة العقاب

العقوبة بين مؤيديها ومعارضيها

الفلسفة القديمة :

بالرغم من أنه قد طرأ تغير جوهري على كنه العقاب ومداه ، كما سيأتي بيان ذلك فيما بعد ، فقد نلاحظ في أيامنا هذه بعض الذين يؤيدون سياسة أخذ المجرم بالقوة ، أو بمعنى آخر تطبيق العقوبة كجزاء .

وحجة هؤلاء تتلخص في أنه عندما تقع الجريمة يتوقع المجنى عليه أو المعتدى عليه من المجتمع أن يتولى نيابة عنه مهمة ثأره من الجاني ، وانزال العقاب « **الجزاء** » به ، وذلك لما في توقيع الجزاء الرادع على المجرم أو الحاق الاذى به من ردع للغير عن ارتكاب الجرائم من جهة ، وقيمة اصلاحية للجاني نفسه بصرفه عن التفكير في الجريمة من جهة أخرى .

وأعتقد أن هذا هو الذي حدا ببعض الحكام وولاة الامور ، في الشرق خاصة ، الى جعل العقوبة علنية ، لما في مفهوم هذا الاجراء من معاني الردع والقمع والعبرة في نظر الجماهير .

هذا واستطرد أنصار العقاب فزعموا أن العقوبة بمعنى الجزاء هي المظهر الوحيد للضغط الجماعي في نظرهم ، كما أنها تقوي روح التماسك والتضامن الجماعي بين أفراد المجتمع ، في صراعهم ضد جماعات خارجة على القانون ، وتجعل للاخلاق والقانون حرمة في نظر الناس ، فيشعر الرأي العام بأن هناك دولة ساهرة على المصلحة العامة ، وقالوا ان اتباع سياسة من شأنها التسامح مع المجرمين قد يؤدي الى زيادة نسبة الجرائم .

الفلسفة الحديثة :

أما مفهوم العقاب الحديث ، أو بتعبير آخر الاتجاه الفلسفي والاجتماعي الحديث في تفسير العقاب ، فيكاد يكون قد قلب أمر العقاب ، طبقا لمفهومه السابق رأسا على عقب .

فأصبح العقاب كالقانون ذاته وسيلة لاغاية ، اذ يمكن أن نقول اجمالا أن العقاب وسيلة ترمي الى اصلاح المجرم ، وتقويم مافي نفسه من اعوجاج ، وفقا للاساليب العلمية والاجتماعية الرامية الى دراسة أسباب جرمه ، ومن ثم علاجه على نمط المريض ومداواته، وأيضا حماية المجتمع نفسه أو وقايته من الاجرام عن طريق ضبط الظروف الاجتماعية وحسن توجيهها ، على نمط مكافحة الامراض ووقاية المجتمع منها .

لقد أوضح لنا جليا علم النفس المعاصر أن العقاب بمعناه الجزاء أو الالم ان هو الا طريقة لبناء المواقف أو الميول « **اللااجرامية** » الا انه ليس بالطريقة الاكثر فعالية أو الاجدى لغرض منع الاجرام . والسلوك المنظم أو السلوك المحافظ على النظام **ـ السلوك القانوني ـ** لايمكن أن يرتقي مع زيادة القسوة أو الشدة في الجزاء ولا مع تكرار توقيع العقاب . وايقاع الالم بالفرد من الوجهة النفسية يجوز أن يؤدي الى الاصلاح كما يجوز أن يؤدي الى نقيضه ، ولكن الاحتمال الثاني أقرب الى الواقع من الاحتمال الاول ، خاصة اذا أسيء استعماله وكيفية تطبيقه .

ويكفي هنا أن نشير في هذا المقام ماذكره أستاذنا العلامة الدكتور « **نورمان ماير** » أحد كبار علماء النفس في جامعة « **متيشجان** » بأميركا ، بصدد مخاطر استعمال العقاب حيث قال :

« رغم أن العقوبة طريقة فعالة في تجنب السلوك غير المرغوب فيه ، الا أنها قد تؤدي الى نتائج أو حالات غير مرغوب فيها » .

وبعض الحالات غير المرغوب فيها التي تحصل كنتائج لاستعمال العقوبة يمكن تلخيصها فيما يلي :

آ ـ ان العقوبة تحدث خيبة أمل أو فشل لدى شخص المعاقب ، وخاصة اذا شعر هذا الاخير بأنها ـ أي العقوبة ـ غير عادلة أو أنها غير حقة .

ب ـ ان الشخص الذي يرفض التعاون مع غيره ، والشخص المضطرب عاطفيا ، هما أكثر الاشخاص احتمالا أن تلحقهم خيبة الامل بالعقاب ، كما أنهما أكثر الناس تعرضا للعقاب .

جـ ـ ان اقترانا خاطئا قد يصاحب أو يتكون عندما يعاقب شخص آخر وهذا مايؤدي الى تجنب أشياء غير تلك المقصودة .

د ـ ان الغاية من استعمال العقاب غالبا ماتكون ايقاف أو منـــع سلوك ما ، بدلا من تمرين الشخص على تجنبه ، والعقاب على هـــذا الاساس لايكون عملية بنائية انشائية بل عملية تهديمية ·

هـ ـ ان فكرة العقاب تخلق حالة فكرية ـ عقلية ـ عدائية من شأنها أن تنشيء ميولا أو مواقف غير مفضلة نحو الشيء الذي عوقب الشخص من أجله ·

هذا هو التحليل النفسي الحديث للعقاب ·



مزايا ومساوئ العقاب في الميزان

ذكر العلامة النفساني « **نورمان ماير** » ان المخاطر التي يتضمنها استعمال العقاب لاتعني عدم استعماله مطلقا ، بل انها توعز باستعمال العقاب بفطنة وحكمة وتأمل ، ان طرق الحث الايجابية ـ كالمكافأة ـ ينبغي ان تحل محل الحث السلبية ـ العقاب ـ كلما استطاع الانسان الى ذلك سبيلا ·

لقد فات أولئك الذين يعتقدون أن الخوف من الالم والعـــذاب يدعو الناس الى الاستقرار ومراعاة النظام ، ان الالم والخوف والقسر » كأساس تهذيبي للاصلاح والعلاج، لم يكن ناجحا علميا وعمليا في الميدان الفردي أو الميدان الدولي · ولعل التاريخ الدولي ونتائج المحاكمات الاولية التي تعقد عادة عقب الحروب ضد الدول الخاسرة خير برهان على فشل استعمال القوة أو القسر أو العقاب ، أو أي شكل آخر من الطرق السلبية في الاصلاح والبناء ، أو في تقويم النفس ·



فلقد أثبت مسرح الحياة الدولية ـ كما أثبت التاريخ ـ أن كل سياسة رأسمالها القوة والارهاب مصيرها الفشل حتما ·

ومما لاشك فيه ان توقيع الالم والخوف بالجاني هو ضرب من الانتقام الذي كان يتصف به الانسان البدائي الاول ·

★ ★ ★

وقد يكون من شأن العقوبة أو من تأثيرها ـ فضلا عما سبق ـ أن يزيد المجرم ثباتا وامعانا في اجرامه ، دون أن يكون من شأنها صرفه عن معاودة ارتكاب الجرائم · وقـــد

يكون من شأن العقوبة أيضا ان تخلق من المجرم عدوا للمجتمع الذي اتخذ بحقه الاجراءات الرادعة ، لانها تولد في نفسه روح الحقد والعداء ، والثأر والحنق على المجتمع ، خاصة اذا شعر أو ظن أنه غير مذنب ، أو أن عقوبته غير حقة أو عادلة أو في غير محلها .

★ ★ ★

وهناك ملاحظة هامة حول نتائج العقوبة السلبية ، اذ أنها قد تخلق في نفس الجاني حالات نفسية غير مرغوب فيها كان يفقد كل ثقة أو شعور باحترام النفس ، الى جانب فقدانه ثقته بالمجتمع والقانون . في حين أن الغاية الاصلية من كل اصلاح هي اعادة احترام الشخص لنفسه ، وزيادة ثقته بالمجتمع الذي يعيش فيه . وهكذا فقط يستطيع الفرد ان يتمتع بحياة طبيعية سوية .

★ ★ ★

وأخيرا فان العقاب في صورة الالم والخوف ليس سبيل الاصلاح والخير في تقويم شخصية المجرم وبالاحرى اذا كان المجرم ضعيف العقل أو مصابا بمرض نفسي أو عقلي .

ان أثر العقاب ، في الفلسفة العقابية الحديثة ، يتجه صوب النفس ، بعدما كان ماديا جسمانيا ، فالغرامة مثلا أو الحرمان من بعض المزايا والحقوق المدنية والسياسية يكاد يكون ألما نفسيا محضاً ، ومع ذلك فان تأثيره قد يكون أبلغ من الالم الجسماني المادي .

★ ★ ★

الخاتمة

قبل أن أنتقل الى بحث العقاب في العصر الحديث ، اختتم العهد القديم في تاريخ الاجرام والعقاب بكلمة أراها خلاصة عبر ودروس تلقتها الانسانية على مر الدهور ، وعلى ضوء أخطاء الماضي .

« لقد دلت التجارب والدراسات ، على مر السنين ، على أن القسوة الشديدة والامعان في الايلام والتفنن في التعذيب لم يقض على الجريمة ، ولم يخفف من حدتها ، بل ان ذلك من أضر الامور بالمجرم والمجتمع على السواء ، فالمجرم تقسو نفسه ويحمل للمجتمع في قلبه غلا يدفعه الى الانتقام من الناس ، وفي هذه الحالة يضار المجتمع ، وتهدد مصالح الافراد » .

★ ★ ★

ان المعاملة الرحيمة لن تكون مشجعة للمجرم – الكبير أو الصغير – على التمادي في الفساد والخروج على القانون ...

★ ★ ★

ان الحقيقة التي يؤكدها لنا علماء النفس والاجتماع هي أن اصلاح أو علاج المجرم وتقويم نفسيته ومنع الجريمة واقرار النظام لايتم عن طريق العقوبة أو الخوف أو الالم ، وانما يتم ذلك بصورة واضحة عن طريق البناء الايجابي ، كتحسين طرق المعيشة وتقويم الخلق والمواقف بالثقافة وبنشر عادات وتقاليد اجتماعات سليمة ، ومن ثم بالاحتكاك الاجتماعي بين الذين يقدرون القيم الاجتماعية والذين لا يقدرون ، فلمثل هـــذه الطرق الانشائية أبلغ الاثر في النفوس ، والسلوك ، من الطرق السلبية كتوقيع الالم والخوف في صورة العقاب ٠

هذا ولو أني شخصيا أميل الى استعمال بعض العقاب أحيانا ـ مع حسن التصرف ومعرفة كيفية الاستعمال ، وليس من الضروري أن يكون في شكل جزاء ـ ضمن برامج التهذيب ، لتربية واصلاح الاطفال والاحداث خاصة ٠



المبحث الثالث

مغزى العقاب في القرن العشرين

ومؤخرا في العصور الحديثة ، خرج الانسان رويدا رويدا من الظلمات الى النور ، وأخذت مداركه وعقليته تتسع في مجالات مختلفة من الحياة ، ومن جملتها تلك الناحية المعنوية الهامة من حياة الانسان التي تمس شخصه ونفسه ٠ وقد خطا المجتمع البشري نتيجة لذلك التطور الفكري والعقلي ، خطوات جريئة نحـــو التطور العقابي ، فتوجه الاهتمام والنظر تدريجيا الى المجرم بدلا من الجريمة نفسها ، وتحول جانب من الجزاء من غايته العقابية الى غاية أخرى تستهدف اصلاح المجرم وتقويمـــه ، كما استبدلت بالعقوبات الجسمية المباشرة عقوبات تقوم على تقييد حرية المجرم كالسجن والحرمان من المزايا والحقوق السياسية والمدنية ٠ فلم تعد العقوبة في أيامنا هذه ـ كما كان الحال في الماضي ـ هي الغاية الاصلية من التشريع الجنائي أو العقابي ٠

كما أن مفهوم القانون هو الآخر قد طرأ عليه تغيير جوهري هام ، فصار القانون من قبيل نظام بشري صرف ـ وضعي ـ بعد ان كان منزلا من مصدر الهي‌مقدس ، أو ممن في حكمه كماكان القوم يتصورون ٠ وأصبح كل من القانون والعقاب وسيلة من أجـــل الوصول الى غاية وهي ـ اجمالا ـ حماية المجتمع ٠

وهكذا أخذ العقاب شكلا جديدا - وعلى الاخص في الغرب - وذلك ببحث أسبابه وتحليل جذور الاجرام ، وظروف المجرم المختلفة ، ووصف العلاج اللازم له تبعا لذلك .

★ ★ ★

ان مفهوم الاصلاح أو التقويم ، كأصلح اسلوب لعلاج المجرمين في الوقت الحاضر ، ظهر للمرة الاولى في تاريخ العقاب حينا دعا العلامة الايطالي « **بكاريا** » سنة ١٧٦٤ الى الاخذ بمبدأ الرحمة والتسامح مع المجرمين ، بدلا من الزجر والردع والارهاب والتعذيب، ومن ثم اعتبارهم بشرا في معاملتهم .

ومما يجدر بالملاحظة ان خيوط دراسة الجريمة من الوجهة العلمية ترجع الى وقت ليس بالبعيد ، والاهتمام الحقيقي بدراسة الجريمة دراسة قائمة على أساس العلم والمنطق السليم لم يظهر الا في أوائل القرن التاسع عشر .

ومنذ ذلك الحين أخذ نطاق العقاب - نتيجة طبيعية لتطور دراسة الجريمة والمجرم - يضيق تدريجيا حتى صار كثير من أنماط السلوك الخارجية عن نطاق الجماعة - والتي كانت تعد جرائم حسب مقياس الفلسفة الجنائية القديمة - أصبح كثير من هذا السلوك غير الاجتماعي تحكمه قواعد الذوق السليم والآداب والمجاملة ويضبطه الرأي العام ، لا قواعد العقاب والتشريع الجنائي .

★ ★ ★

وحديثا أصبح العقاب يعد وسيلة للوصول الى غاية ، كما أجمع على ذلك علماء الاجتماع والنفس والقانون فصارت وظيفة العقاب الرئيسية أو الاساسية تستهدف حفظ كيان المجتمع ، أي وقايته من الاجرام وذلك باصلاح المجرم وتربيته ، وتقويم مافي نفسه من مرض أو اعوجاج ، لمنعه من العودة ثانية الى الاجرام ، وكذلك ردع الآخرين الذين قد يخطر في بالهم يوما من الايام ان يخالفوا القوانين المرعية .

ان هذه المثل القيمة والاهداف الانسانية الرفيعة والاتجاهات الفكرية لم تجيء طفرة واحدة ، بل من الثابت ان هذه النتائج الجليلة الشأن لم تتحقق ولم تخرج الى حيز الوجود الا بعد تطور بطيء وكفاح مستميت ، استغرق قرونا وأجيالا طويلة جدا . وقد سبق أن قلت في صدر هذا البحث ان تاريخ العقاب عبر التاريخ ، ما هو الا مظهر من مظاهر تطور العقل البشري عبر الازمنة الطويلة السحيقة .

وفكرة الاصلاح الجوهرية التي جاءت بها فلسفة العقاب الحديثة تقوم على أساس دراسة بواعث السلوك الاجرامي بالطرق العلمية والاجتماعية ، بغية الوصول الى علاج الجريمة واصلاح حال المجرم وتهذيبه وتقويم نفسيته . فتقدمت تلك الظاهرة الاجتماعية العامة والاشد فعالية وعنفا من الجريمة - أعني الحرب - اذ أصبحت الآن كل من

الجريمة والحرب موضع اهتمام ودراسة علوم متنوعة ، من اجتماعية ونفسية،واقتصادية وسياسية ، وقانونية ، وحيوية « **بايولوجية** » ·

وبتعبير آخر راحت الحرب والجريمة لتكونا بؤرة تلتقي عندها الانوار الكشافة لهذه العلوم المختلفة ·

*   *   *

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان وظيفة العقاب لا تقتصر على اصلاح المجرم وتقويم نفسيته فحسب بل تتعدى ذلك الى حماية المجتمع من براثن أو خطر الاجرام ، عن طريق الضبط الاجتماعي ، وتوجيه الحياة الاجتماعية توجيها طبيعيا سليما ·

ورغم هذا التطور العقلي والفلسفي العظيم الذي طرأ على مظاهر الفلسفة والتشريعات الاجرامية ، والعقابية يمكن القول بحقيقة واحدة ، هي أن مهمة أو وظيفة العقاب الاساسية في المجتمعات البشرية المختلفة ظلت واحدة تقريبا · كما ظل هدفه واحدا أيضا · هو تقديس وتعظيم القواعد والنظم الاجتماعية بقصد المحافظة عليها ، ثم احترام القوانين الاجتماعية لان من شأن ذلك بقاء المجتمع واستمراره ·

أما التطور الذي طرأ على السياسة العقابية فهو تغير طرأ على القالب أو الصورة لا الجوهر · فتغير القالب او الشكل من انتقام واضطهاد ، وتكفير وتعذيب ، الى ردع وقمع فاصلاح وتهذيب · وبالاختصار فقد تحولت صورة العقاب من شكل مادي الى شكل نفسي ·

*   *   *

وعلى هذا الضوء ، وبمثل هذا المقياس ، يمكن ان تفسر فلسفة الحياة نفسها · فغاية الحياة ــ من الوجهة العلمية ــ واحدة · وهي ــ حسب اعتقادي الشخصي ــ توسيع جوانب النفس البشرية بحيث تملأ أرجاء الحياة عينها لتستقر في النفس البشرية · وحينما تبلغ البشرية هذه المرحلة ستكون حياتها أفضل وأسمى بكثير جدا من حياتها الراهنة ·

*   *   *

فالذي حصل منذ الازل الى اليوم هو التغير في مظاهر الحياة وأشكالها المختلفة اذ مرت الانسانية بمراحل حضارية متنوعة ــ لا مجال لذكرها هنا ــ كتلك المراحل التي اجتازها العقاب على النحو الذي لاحظناه ·

*   *   *

وقصارى القول ، أن شكل العقاب قد تحول من مادي الى نفسي · والعقاب النفسي ــ كما سبق القول ــ ما هو الا نوع من أنواع العقاب · وقد يكون هذا العقاب بسيطا ، كمجرد الموقف السلبي الذي يبديه الانسان تجاه سلوك غير مرغوب فيه أو مقاطعة صاحب سلوك غير اجتماعي · وقد نجده كذلك مطبقا على شكل تقاليد أو عادات في بعض المجتمعات ، كما تبدي الام نفورها من سلوك طفلها غير المرضي ·

ومن تطبيق العقاب النفسي في المجتمع الغربي ما يحدث عندما يزدحم جمع من الناس أمام « **شباك تذاكر السينما** » في صف منتظم هادئ ، فاذا حدث أن خرج أحدهم عن الصف ـ حتى **ولو كان الخارج عن النظام حدثا صغيرا** ـ فنظرة واحدة اليـه مـن الناس تكفيه درسا وأدبا ، وترده الى محله والى معاودة النظام ٠

والتعذيب النفسي : كحالات الخوف العظيم وفقد عزيز ونكبة فادحة وأمثالها تعتبر أقصى درجات العقاب النفسي ٠



هذا وفي ختام البحث ، تجدر الاشارة الى ان زوال نظام التعذيب والاضطهاد بزوال العصور الغابرة والقديمة ، واحلال الاصلاح والحماية محلهـــا ، لا يعني زوال كل أثر لظاهر هذين النظامين في المجتمعات الحديثـــة والمتحضرة ٠ اذ أن وحشية عقاب القرون الوسطى ، الى جانب الانتقام الفردي أو القصاص ، لم ينته أمرهما في بعض الدول المتأخرة شرقا وغربا ٠ ففي بعض البلدان الشرقية ، بصورة خاصة ، مازال العرف العشائري والانتقام الفردي أو العشائري بل والتعذيب ، مازالت جميعا قائمة ، وان كانت بصورة أخف من الماضي ٠



جريمة السرقة في الشريعة الاسلامية



« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »

السرقة كما يعرفها شراح القانون الجنائي الحديث هي اختلاس منقول مملوك للغير . وجرى فقهاء الغرب على القول بأن أركان جريمة السرقة أربعة ، هي :

١ ـ الاختلاس .
٢ ـ المال المنقول .
٣ ـ أن يكون هذا المنقول مملوكا للغير .
٤ ـ القصد الجناني .

أمـا فقهاء الشريعة فيعرف بعضهم السرقة بأنهـا أخـذ مال الغير مستترا مـن غـير أن يؤتمن عليـــه ٠

ونتبين من هذا التعريف أن أركان جريمة السرقة هي :

١ ـ الاخذ خفية ٠
٢ ـ المال المنقول ٠
٣ ـ أن يكون هذا المنقول مملوكا للغير ٠
٤ ـ القصد الجنائي ٠

الركن الاول : الاخذ خفية :

عرف شراح القانون الوضعي الاختلاس ـ وهو الركن المادي في السرقة ـ بأنـه نقل الشي من حيازة المجني عليه ، وهـو الحائز الشرعي له ، الى حيازة الجاني ، بغير علم المجني عليه او عن غير رضاه ٠

ويقابل ركن الاختلاس في الشريعة أخذ المال مستترا ، أي الاخذ خفية ، ويسمى الاخذ مجاهرة : مغالبة أو نهبة أو خلسة أو غضبا أو انتهابا أو اختلاسا لا سرقة ٠

روى عن النبي صلى الله عليـه وسلم عن جابر انـه قال : « **ليس عـلى خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع** » ٠

والخائن من يأخذ المال المؤتمن عليه ، والمنتهب الذي يأخذ المال جهرة ، ويعتمد على القوة والشـــدة ، فهو غاصب ، والمختلس هـــو الذي يأخذ المال جهرة ويخطفه بسرعة ويعمد الى الهرب ٠

فلا قطيع على واحـد من هـؤلاء ، لانـه يمكن ارجاع المسروق بالاستغاثة الى ولاة الامور ، ولكنهم يعزرون ، أي يعاقبون بعقوبات مختلفة دون قطع اليد كذلك القفاف لاتقطع يده ، (**والقفاف هـــو الصيرفي الذي يسرق الدراهم بين أصابعه**) أما الطرار « النشال » **ففي رواية عنأحمد بن حنبل أن يده تقطع ،وفي رواية أخرىعنهأنيدهلاتقطع** ٠

★ ★ ★

مما تقدم يظهر الاختلاف الواضح بين معنى الاختلاس في الفقـه الجنائي ومعنى الخفية أو الاخذ المستتر في الفقه الاسلامي ٠

فمعنى الاختلاس معنى عام واسع يتدرج تحته كل أخذ للمال بطريقة غير مشروعة رغم ارادة المجنى عليه ٠

أما معنى الخفية فهو معنى ضيق الى أبعد الحدود ، فلا يدخل فيـــه الاختلاس مجاهرة أي علانية ، بل يقتصر على الاخذ خفية ٠

والحكمة في ذلك أن الاخذ مجاهرة يعلم به المجنى عليه كما قد يعلم به العامــة ، فيمكنهم متابعته وتسليمه الى السلطة العامة ٠

وقد أجمعوا على أنه ليس على الغاصب ولا على المكابر المغالب قطع ، الا أن يكون شهر السلاح على المسلمين مخيفا لهم ، فيكون حكمه حكم قاطع الطريق ٠

شرط الحرز :

الحرز في اللغة هو الموضع الذي يحرز فيه الشيء أن يحفظ ، وفي الشرع مايحفظ فيه المال عادة كالدار والحانوت والخيمة أو الشخص نفسه ٠

وقد قال أهل الظاهر وطائفة من أهل الحديث بالقطع على من سرق النصاب ، وان سرقه من غير حرز ، واحتجوا بعموم قوله تعالى : «**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**» أما معظم الفقهاء ، فمتفقون على اشتراط الحرز ، وحجتهم حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة الجبل فاذا أواه المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن ٠

والحرز نوعان :

حرز لمعنى فيه ، وهو المكان المعد للحفظ كالدور والبيوت والصناديق ٠
وحرز بالحافظ ، كمن جلس على طريق ومعه متاعه فهو محرز به ٠

وقد قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم سارق رداء صفوان بن أمية من تحت رأسه وهو نائم بالمسجد ٠

ويلزم اخراج الشيء من الحرز لوجوب القطع اذا سرق من مكان ٠ أما اذا سرق من حافظ فيقطع بمجرد الاخذ ٠ ولا فرق بين أن يكون الحافظ مستيقظا أو نائما ٠

وقد اختلف الفقهاء في حرز المثل ، فهل يلزم لكي تقطع يـد السارق أن يسرق من حرز المثل ؟ فالشـــاة والابل والياقوت والزبرجد حرزه المنازل والخزائن ، ومعيار الخلاف عندهم العرف والعادة أو الحقيقة ٠

فرأى يقرر أنه لو سرق اللؤلؤ من الحظيرة فلا قطع ، أخذا بالعرف والعادة ، فحرز الشيء هو المكان الذي يحفظ فيه عادة ، والناس لايحرزون الجواهر في الحظائر ٠

ورأى يقرر أنه لو سرق اللؤلؤ من الحظيرة وجب القطع ، لان حرز الشيء مايحفظ ذلك الشيء حقيقة والحظيرة حرز لأي شيء ٠

الركن الثاني : المال المنقول :

اتفق الشراح في الفقه الجنائي على أن السرقة لاتتم الا بأخذ الشيء ونقله من حيازة المجنى عليه الى حيازة الجاني وهذا لا ينطبق الا على المال المنقول ، اما العقار فلا يصح محلا للسرقة لانه لايمكن نقله من مكان الى آخر .

ولا عبرة بقيمة الشيء المسروق ، فيعد سرقة اختلاس أي شيء منقول مهما كانت قيمته ، حتى ولو لم تكن له سوى قيمة أدبية لا يقدرها الا المجنى عليه .

والمال اذا احتازه الانسان وأصبح ملكا له ، يعد مالا قابلا للسرقة ، ولايهم أن تكون حيازة الشيء المسروق مباحة أو محرمة كالحشيش أو الاسلحة النارية غير المرخص بها .

أما الفقه الاسلامي فيبعد كثيراً عن هذه الافكار ، وهو بهذا يتمشى مع منطقه في العقاب ، اذ أن شدة العقوبة استتبعت كثرة القيود والشروط ، رعاية للعباد ودرءا للحدود والشبهات .

فاتفق الفقهاء على أن كل متملك غير ناطق يجوز بيعه وأخذ العوض عنه فانه يجب في سرقته القطع ، واختلفوا في الامور الآتية :

١ ــ الاشياء الرطبة المأكولة أو سريعة الفساد ، كاللبن واللحم والفواكه الرطبة.

٢ ــ الاشياء المباحة في الاصل كالماء والكلأ والاسماك ، والطيور ، كالبط والحمام والدجاج ، وقال بعض الفقهاء : « الطير المعتبر مباحا هو الذي يكون صيدا ، عدا الدجاج والبط فيجب في سرقهما القطع لانهما بمعنى الاهلي » .

٣ ــ الاشياء المحرمة في الاسلام كالخمور والخنزير وآلات اللهو .

٤ ــ الكتب وقناديل المساجد وأبوابها ، والمقصود منها الاشياء التي لها قيمة مادية ، غير أن قيمها المعنوية هي المقصودة .

وحجة من لايرى القطع أن الآخذ للكتب انما يبتغي القراءة والنظر فيها ، لان الكتب لا قيمة لها في ذاتها ، بل قيمها فيما دون بها لافي الجلد والاوراق . ولذلك يقطع من يسرق دفاتر الحساب لان مافيها هو مال متقوم ، فاذا بلغت قيمته نصابا قطع .

شرط النصاب :

جمهور الفقهاء على اشتراط نصاب معين في جريمة السرقة ، الا ماروى عن الحسن البصري والخوارج وطائفة من المتكلمين من أن القطع قليل المسروق وكثيره .

وقد انقسم القائلون بشرط النصاب الى فرق كثيرة أهمها فرقتان :

الفرقة الاولى : فقهاء الحجاز ، مالك والشافعي وغيرهما ،أوجبوا القطع في ثلاثة دراهم من الفضة أو ربع دينار من الذهب ٠

وعدة قولهم مارواه مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قطع في مجن قيمته ثلاثة دراهم ٠

الفرقة الثانية : فقهاء العراق ، والنصاب الذي يجب القطع فيه عندهم هو عشرة دراهم ، ولايصح في أقل منه ٠

وقالت فرقة ثالثة : لاتقطع اليد في أقل من خمسة دراهم ، وقال آخرون بأقل من ذلك ، وعدة قولهم حديث ابن عمر السابق ذكره ، ولكنهم قالوا ان قيمة المجن هي عشرة دراهم ٠

وروى عن محمد بن اسحق عن أيوب عن عطاء عن ابن عباس انه قال :
كان ثمن المجن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم ٠

واذا ثار الخلاف في ثمن المجن وجب الا تقطع اليد الا بيقين ٠ وقد وجدنا في الفقه الاسلامي خلافا كبيرا في هذا الشأن ، نستخلص منه أن الفقهاء لم يتفقوا على رأي حول الحد الادنى للنصاب الذي تقطع فيه يد السارق ، وانه اذا حدد المشرع الجنائي الحديث نصابا معينا لقطع اليد في جريمة السرقة ، حسب ظروف البيئة وقيمة العملة في العصر الحاضر ٠ فان هذا التحديد يكون صحيحا ومتفقا مع أحكام الشريعة الغراء ٠

الركن الثالث : أن يكون المال مملوكا للغير :

يشترط الفقه الجنائي الحديث أن يكون موضوع السرقة مالا مملوكا لشخص آخر غير الجاني ، ولو كان هذا الشخص مجهولا ٠ فان كان المال مباحا أو متروكا فلا عقاب على سارقه ٠

ويعتبر الشخص سارقا اذا استولى على مال غيره ، ولو كانت له حقوق قبل ذلك الغير ، وأخذ ذلك المال مقابل تلك الحقوق ٠

وفي الشريعة الاسلامية يلزم أن يكون المال المسروق ملكا للغير ، فان كان في ذلك شبهة ، كأن ظن السارق أنه يملك هذا المال الذي سرقه ، أو يملك بعضه ، فلا تقطع يده ، عملا بالقاعدة الشرعية التي تقضي بدرء الحدود بالشبهات ، لان المالك لايسرق ماله ٠

وعلى هذا الاساس لاتقطع يد السارق في الاحوال الآتية :

١ ــ اذا سرق من بيت المال عند البعض ، لان فيه شركة حقيقية أو شبهه شركة ٠

٢ ــ اذا سرق من مدينة قدر دينه من نفس جنسه وكان الدين مالا لانه استيفاء للدين ٠ وكان القياس أن يقطع اذا كان الدين مؤجلا ، الا أنه استحسانا لايقطع لانه

ثابتا في ذمة المدين ، والتأجيل كان لتأخير المطالبة • أما اذا سرق من مدينه من خلاف جنس دينه ، فيفرق الفقهاء بين ماإذا كان نقدا فلايقطع ، لان النقدين جنس واحد حكما ، أو كان عوضا فيقطع ، لانه ليس باستيفاء للدين وانما هو استبدال ، فلا يتم الا بالتراضي •

٣ ـ اذا سرق المؤجر من المستأجر •

٤ ـ اذا سرق المعير ماأعاره للمستعير ، أو سرق الراهن مارهنه من بيت المرتهن ، لان ملك الرقبة لايزال باقيا له •

معنى الغير :

جاء في حاشية الدسوقي على شرح الكبير :

ولابد في القطع من كون ا لنصاب مملوكا لغير السارق ، وأن يكون ذلك الغير يملكه بتمامه ، والا يكون للسارق فيه شبهة قوية ، بألا يكون له فيه شبهة أصلا ، أو يكون له فيه شبهة ضعيفة •

السرقة بين الاقارب :

جاء في احدى مواد قانون العقوبات نص على أنه : « لايحكم بعقوبة ماعلى من يرتكب سرقة أضرارا بزوجه أو زوجته أو أصوله أو فروعه • وقد جاء هذا المعنى واضحا في قانون العقوبات بما معناه أنه : « **لايجوز محاكمة من يرتكب سرقة أضرارا بزوجه أو أصوله أو فروعه الا بناء على طلب المجني عليه ، وللمجنى عليه أن يتنازل عن دعواه في أية حالةكانت عليها ،كما له أن يوقفتنفيذ الحكم النهائي علىالجاني في أي وقتيشاء** » •

ومن الغريب أن فقهاء القانون الجنائي يذكرون أن هذه المواد تستمد أحكامها من القانون الروماني ، ويغفلون ماأفاض فيه الفقه الاسلامي منذ القدم في هذا الخصوص • وعندنا أن القانون الجنائي الفرنسي هو الذي استمد ذلك الاستثناء من الشريعة الاسلامية التي كانت تسود في الاندلس ،ثم سرى منه الى مختلف القوانينالجنائيةالحديثة•

ونذكر فيما يلي طرفا من آراء فقهاء الشريعة في بعض صور السرقة :

السرقة بين الازواج :

اختلف الفقهاء في السرقة التي تحدث بين الزوجين الى آراء ثلاثة :

الاول يرى أن يقطع السارق ، لان النكاح عقد على النفقة فلا يسقط القطع في السرقة كالاجازة •

والثاني لايرى ذلك ، لان الزوجة تستحق النفقة على الزوج ، على قول البعض فصار ذلك شبهة •

والثالث يرى نأ يقطع الزوج بسرقة مال الزوجة ، ولاتقطع الزوجة بسرقة مال الزوج ، لان للزوجة حقا في مال الزوج بالنفقة ، وليس للزوج حق في مالها .

السرقة بين الاصول وفروعهم :

كذلك اختلف الفقهاء الى آراء كثيرة في قطع اليد في السرقات بين الاصول وفروعهم أو بين الفرع وأصولهم :

فهناك رأي للحنفية والشافعي أن من سرق من أبويه وان عليا ، أو من الولد وأن سفل لايقطع ، للشبهة في مال كل منهما للآخر ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « **أنت ومالك لابيك** » .

ورأى لابي ثور : أن الاب يقطع في سرقة مال ابنه لقوله تعالى : « **والسارق والسارقة** فاقطعوا أيديهما » فعم ولم يخصص .

ورأى ثالث لمالك : أن الاب لايقطع فيما سرق من مال الابن ، وكذلك الاجداد من قبل الا موالاب ، وان سرق الابن من مال أبيه قطع .

السرقة بين المحارم :

كذلك اختلف فقهاء الشرع في السرقة بين المحارم :

فمن رأي مالك وجوب القطع في السرقات التي تحدث بين المحارم ، وعلى هذا الرأي أيضا الشافعي والحنابلة ، لانه لاشبهة لهم في المال .

وهناك رأي لابي حنيفة وأبي يوسف أنه لايقطع ذو الرحم المحرم لان له دخول المنزل فهذا اذن من صاحبه يدخل به الحرز ، ولان القطع بسبب السرقة فعل يفضي الى قطع الرحم وهذا لايجوز .

السرقات التي تحدث من الخدم :

اختلف الفقهاء في الخادم الذي يسرق مال سيده ، فجمهور الفقهاء اتفقوا على أنه لا يقطع وقال أبو نور بأنه يقطع .

وقال أهل الظاهر يقطع الا أن يأتمنه سيده .

واشترط مالك في الخادم الذي يدرأ عنه القطع أن يلي الخدمة لسيده بنفسه .

وبدرء الحد قال عمر رضي الله عنه وابن مسعود ولامخالف لهما من الصحابة ، وفي الموطأ عن عبد الله بن عمر قال : « **جاء رجل الى عمر بغلام له فقال : اقطع يده ، فانه سرق مرآة لامرأتي ، فقال عمر : لاقطع عليه ، هو خادمكم أخذ متاعكم** » .

الركن الرابع : القصد الجنائي :

جريمة السرقة من الجرائم العمدية التي لابد أن يتوافر فيها القصد الجنائي • ولايكفي لذلك القصد الجنائي العام ، أي أخذ السارق للمال مع علمه بأنه مملوك لغيره ، وبدون رضا صـــاحبه ، بل يجب ان يكون الاختلاس بغية التملك ، وهـــذا هو القصد الجنائي الخاص •

وفي الشريعة الاسلامية ، يعد القصد الجنائي من أهم الاركان التي يلزم توافرها في جريمة السرقة ، وقد جاء في كتاب « المهذب » للشيرازي مانصه :

« من سرق وهو بالغ عاقل مختار التزم حكم الاســلام ، نصابا من المال الـــذي يقصد الى سرقته من حرز مثله ، لاشبهة له فيه ، وجب عليه القطع » •

الجهل بالقانون :

جرى شراح القانون الجنائي على القول بأنه لايعذر أحد لجهله بالقانون ، ومـــع ذلك يرى فريق منهم انه اذا كان الشخص فيظرف يستحيل فيه العلم بصدور قانون ما ، فلا يسأل اذا خالفه جهلا منه بأحكامــه • ويضربون لذلك مثــلا بالمحاصرين في قلعة اذا خرجوا منها ، وخالفوا قوانين صدرت أثناء حصارهم واستحال عليهم العلم بها •

أما في الفقه الاسلامي ، فالجهل بالقانون يصلح عذرا اذا لم يصحبه تقصير ، أما من جهل القانون وكان مقصرا في هذا الجهل ، فيحاسب على جهله ، فالاصل أن الجهل بالقانون ليس بعذر ، ولايكون عذرا الا اذا قامت ملابسات خاصة تنفي تهمة التقصير •

ورد في كتاب أحكام القرآن لابن العربي :

« شرط في السارق ست معان :

العقل لان من لايعقل لايخاطب عقلا ، والبلوغ لان من لم يبلغ لايتوجه اليه الخطاب شرعا ، وبلوغ الدعوة لان من كان حديث العهد بالاسلام ولم يجالس المسلمين حتىيعرف الاحكام وادعى الجهل فيما أتى من السرقة والزنا وظهر صدقه لم تجب عليه عقوبة » •

الشروع في السرقة والسرقة التامة :

أفاض فقهاء القانون الجنائي في شرح نظريـــة الشروع ، ومنهم من يأخذ بالمذهب المادي الذي يشترط أن يبدأ الجاني في الفعل المادي ـ الاختلاس ـ حتى يعد شارعا في جريمة السرقة ، ومنهم من يأخذ بالمذهب الشخصي ، وهو أن يأتي الجاني من الاعمال مايؤدي حالا ومباشرة الى وقوع السرقة •

أما الشريعة الاسلامية فلا حاجة بها الى هذه النظريات المتضاربة ، لان حق الامام أو السلطان في التعزير يغني عنها جميعا •

جاء في الاحكام السلطانية للماوردي الشافعي :

« اذا جمع المال في الحرز واسترجع منه قبل اخراجه ضرب أربعين سوطا ، واذا نقب الحرز ودخل ولـم يأخذ ضرب ثلاثين سوطا ، واذا نقب الحرز ولـم يدخل ضرب عشرين سوطا ، واذا تعرض للنقب أو لفتح باب ولم يكمله ضرب عشرة أسواط ، واذا وجد معه مثقب أو كان مراصدا للمال يحقق » ٠

عقوبة السرقة :

قال اللهتعالى : « **والسارقوالسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبانكالا منالله** ».

وتتم جريمة السرقة الموجبة للقطع ، اذا توافرت اركانها التي ذكرناها ، فاذا نقص ركن من هذه الاركان ، او فرع من الفروع التي اتفق الفقهاء على وجوبها ، فلا ينبغي القطع وانما يجوز التعزير على جريمة اخرى غير جريمة السرقة ٠

وقد شدد المشرع الجنائي العقاب على جريمة السرقة في بعض الاحوال ، وراعى في ذلك صفة الجاني وسوابقه في السرقة ، او تعدد الجناة ، او المكان او الزمان او الوقت الذي ارتكبت فيه السرقة ، او الوسائل التي استخدمت في ارتكابها ٠

وفي بعض الاحوال الاخرى تتغير صفة الجريمة ذاتها ، فتنقلب من جنحة الى جناية، كما لو ارتكبت السرقة بطريق الاكراه او باستعمال السلاح ، او في الطرق العامة ، بشروط خاصة ٠

وانما قصد الشارع بذلك كله الى زجر اللصوص ومنعهم من مقارنةجريمةالسرقة٠

اما المشرع الاسلامي فقد فرض عقوبة صارمة واحدة ، ولكنها تغني في حماية أموال الناس ما لا تغنيه كل هذه العقوبات المشددة ٠

فالسارق تقطع يده وليس بعد ذلك من ردع ، اما اللصوص الذين يعيثون في الارض فسادا ، فيغتالون اموال الناس بالباطل ، ولا يردعهم عن ذلك قانون ولا شرع ، فقد فرض لهم عقوبة خاصة ، هي عقوبة قطاع الطرق ، وهي اشد صرامة وزجرا ٠

تنفيذ العقوبة :

تقطع اليد اليمنى للسارق من مفصل الكف وهو الكوع ، فان سرق مرة ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل الكعب ، فان سرق ثالثة ففيه قولان : الاول قول ابي حنيفة انه لا يقطع ٠ والثاني ما قاله بعض الفقهاء من قطع يده اليسرى في المرة الثالثة ورجله اليمنى في المرة الرابعة ٠ فان سرق بعد ذلك عزر بالحبس ولا يقتل ٠

واذا سرق اللص مرارا قبل القطع فليس عليه الا قطع واحد ٠

ويبرر الحنفية قولهم بما روى من ان الامام علياً رضي الله عنه اتى بسارق عائد للسرقة قد قطعت يده فقطع رجله ، ثم اتى به مرة اخرى وقد سرق فقال « **لا اقطع ٠ ان قطعت يده فبأي شيء يأكل وبأي شيء يتمسح ؟ وان قطعت رجله فبأي شيء يمشي؟ اني لأستحي من الله** » **فضربه بخشبة وحبسه ٠**

فاذا قطعت اليد ، تعلق في رقبة السارق بعد القطع ٠

وورد في المهذب للشيرازي ما نصه :

« **واذا قطع فالسنة ان يعلق العضو في عنقه ساعة** » ٠

فعقوبة تعليق اليد في العنق هي عقوبة تكميلية للعقوبة الاصلية وهي القطع ٠



وبعد ، فان عقوبة قطع اليد في جريمة السرقة عقوبة صارمة رادعة ، فرضها المشرع الالهي العادل حماية لاموال الناس وزجرا للصوص ٠ وليس ادل على حكمتها وجدواها من ان المجتمعات التي انفذتها في الماضي ، او في عصرنا الحاضر ، قد اختفت منها جرائم السرقة او كادت ٠

* * *

تحليل علمي مستوحى من آراء علماء النفس

جرائم قتل الزوجات والأزواج

جانب من علم الجريمة :

منذ فجر التاريخ وجريمة القتل تثير خيال الانسان وتوقظ فيه مختلف المشاعر والاحاسيس ، وربما امكننا تتبع مفهوم جريمة القتل في الاساطير وقصص الاقدمين وفي الحكايات وفي سائر مجالات الادب ، حتى نصل الى اهميتها في الوقت الراهن في القصة ورواية الشرطة . ولذا قد يكون مستغربا ان يتناول العلماء هذه الظاهرة الاولية على نحو غير مترابط وفي اسلوب المتذمر الحاقد .

وقد كان العالم الجنائي **هانزفون هنتج** ـ وهو اول من عالج موضوع سيكولوجية القتل ووضع اسس البحث فيه ـ محقا حين قال انه لايوجد بحث علمي كامل في هذا الموضوع وان الكتاب القيم في جرائم القتل لم يكتب بعد . والواقع ان جزءا كبيرا من هذا الميدان لم يستكشف حتى الان ، ونحن مازلنا بعيدين جدا عن كشف النقاب عما يكتنفه من احاجي ومعميات تجعل منه سرا دفينا .

ان الحالات التي سقناها تحت هذا العنوان ـ **اي قتل زوج لزوجته او قتل زوجة لزوجها** ـ بليغة الدلالة في هذا الشأن ، وغالبا ما تكشف عن جهلنا بالموضوع على نحو مؤلم وكم من مرة ظل الدافع على ارتكاب هذه الجريمة البشعة محوطا بالغموض . ولذا فمن الضروري هنا ان نفسر كيف ان شخصا تزوج بمحض ارادته وبدافع الحب ـ كما يفترض عادة ـ يمكن ان يقدم في يوم من الايام على قتل شريكه في الحياة .

هنا يصبح التحليل النفسي ، الذي يتيح لنا معرفة دقيقة بخفايا النفس البشرية وآفاقها غير المحدودة ، ذا عون كبير في القاء الاضواء الكاشفة على بعض جوانب علم الجريمة المعقدة ومع ذلك فثمة سؤالان رئيسيان يتطلبان الاجابة .

اولا ـ ما هي المواقف القياسية والافكار التي تنشأ وتنمو في عقل المجرم وتؤدي به الى ارتكاب جرائم قتل الازواج او الزوجات ؟

ثانيا ـ كيف تتطور هذه الافكار في عقل القاتل او القاتلة ؟

وهذه مسألة غير معروفة بدرجة كافية في الوقت الراهن .. ثم ما هو الطريق المعقد الذي تسلكه الفكرة في عقل القاتل قبل ان تبين عن ذاتها بالفعل العينف ؟

على الباحث ان يجد اجابة عن هذين السؤالين مستعينا بالتحليل النفسي :

القتل من أجل المال :

لو تعمقنا في جرائم قتل الازواج والزوجات لتبين ان المنفعة الذاتية او الخلاف بين الزوجين او كليهما يكمنان في بذورها ٠

وفيما يتعلق بالمنفعة الذاتية نجد ان القاتل لا يعنيه قتل الشخص بصفة اساسية وانما يهدف الى الحصول على اموال الضحية التي كانت ستؤول اليه ، سواء أكان هذا المال نقدا ام عقارا ام اقساطا تأمينية ام مجوهرات ام اشياء ثمينة ، ويسعى القاتل الى تحقيق هذا الكسب المادي المشتهي بارتكاب الجريمة بنفسه او مستعينا بغيره اذا لزم الامر ٠ ومثل هذا القاتل كثيرا ما يكون شخصا فاتر الحس ، مصابا باضطراب عقلي او نفسي او مختل الضمير ، ولما كان من الممكن « ترتيب » كثير من الامور وقت الوفاة كما يقول هانزفون هنتج ، فان نفرا ممن لا اخلاق لهم يقدمون على الزواج وهدفهم الاوحد هو قتل شريك الحياة متى حانت الفرصة ، ليجني المنفعة التي تنتظره بعد تمام جريمته، ما لم يتدخل اخصائي في علم الجريمة ويمنع وقوعها ٠

وليس قليلا عدد الازواج والزوجات الذين يؤمنون على شركاءحياتهم بمبالغ ضخمة من المال ، وهم يفعلون ذلك بطريقة مؤثرة بغية الاستيلاء على هذه الاموال حينما ينتقل المحبوب او المحبوبة الى الدار الباقية وبمعاونة الطرف المعني بطبيعة الحال ٠

اما بالنسبة لتأمين هذا الانتقال الى الدار الباقية فوسائله متعددة لا تخطر على بال ٠ فعلى سبيل المثال يمكن القاء الشريك المؤمن عليه بمبلغ كبير من قطار منطلق باقصى سرعة او من اعلى هاوية ثم يدعي القاتل بان الحادث كان مؤسفا ، فاذا لم تكن امام القاتل جبال عالية ، لجأ الى ناطحات السحاب التي تؤتي ثمرتها المنشودة ٠

فاذا نحن تبصرنا دوافع القتل من اجل المال ، تلك الدوافع التي تصدر عن وعي وادراك ، لوجدنا انها تقوم على الجشع وحب المال ، ومع ذلك فلابد ان تدخل في اعتبارنا عددا من الدوافع الاخرى عند النظر في جريمة القتل ، وقد يبدو من النظرة الاولى ان جريمة القتل من اجل المال ترتكزعلى اساس عقلي بحت ، غير ان البحوث الاخيرة التي اجريت في مجال التحليل النفسي دلت على ان العوامل غير الواعية تلعب دورا لا يقل عن الدافع المباشر لا رتكاب الجريمة ٠

الزواج كعامل في نشوء الجريمة :

قد يعجز بعض الناس عن الخروج من مواقف الصراع سواء منها ما كان صراعا داخليا او خارجيا فلا يجدون سبيلا الى هذا الخروج الا بارتكاب جريمة القتل ، هذا لم يدرس الزواج كعامل في عوامل نشوء الجريمة من وجهة نظر علم الاجرام ، مع ان الباحث او القاضي احوج مايكون الى اجراء دراسة شاملة لسيكولوجية الرجل والمرأة والازواج ، ويجدر بنا ان نشير في هذا المقام الى كتابين اساسيين هما :

« نفسية المرأة » و « نفسية الرجل » من تأليف الباحث السيكولوجي السويسري، جوستاف هانز جرابر ٠

فكم من رجل لم يكن ليحيد عن الجادة ، الفى نفسه وقد سدت امامه السبل ولم يجد مخرجا من صعابه غير سبيل العنف بسبب فشله الذريع في الزواج، وان الاستقصاء النفسي لجريمة قتل زوج او زوجة عقب نشوب موقف من مواقف الصراع ليضع امام اعيننا صورة جحيم حقيقي ، تغلي فيه العواطف في مكنون النفس ويطلق العنان للغرائز، ان الكراهية المميتة والرغبة الطاغية في الانتقام ، والانانية الوحشية والغيرة التي لا حد لها ، وغير ذلك من العواطف المنفرة ، لتخنق صوت العقل وتكون لها الغلبة في مثل تلك الحالات ، يقول هانزفون هنتج : « **ان الفكرة القائلة بان الافناء الجسدي يمكن ان يحل العقدة المستعصية بضربة واحدة ، ترجع الى ان اطلاق العنان للمشاعر وفكها من عقالها كان منذ قديم الازل جزءا من غرائزنا** » ٠

* * *

وكثيرا ما يقال ان الزيجات تصنع في السماء ٠ غير ان الباحث في علم الاجرام يخرج في بعض الاحيان بانطباع مؤداه ان هذه الزيجات ربما طبخت في قدرة الشيطان ٠

* * *

وطائفة كبيرة من الناس ينتابها شعور بان الزيجة لم تكن افضل من حكم بالاشغال الشاقة المؤبدة وذلك ابان احتدام الشقاق بين الزوجين وتكراره ٠ وقد عبرت الفكاهة والزوايات والاقاصيص الشعبية والاقوال الدائرة على الالسن عن هذا الاحساس كقولهم: « ان افضل الزيجات ليست سوى كفارة عن السيئات والذنوب » وكقولهم ايضا « هذه زيجة اخرى ليست اكثر من سجن للنكد والقلق » وتنزع الروابط الزوجية الى ان تكون مضنية لا تطاق حين يلقى احد الزوجين المتنافرين شخصا آخر يرى فيه انه « رفيق الروح » القادر على التحليق به في علياء السماء ، الى عالم جديد يفيض متعة وحبورا ، ثم تبدو له السعادة في خاتمة المطاف وكأنها تومىء له ، وفجأة يكتشف لسبب او سواه ان الطريق الطبيعي المؤدي للحرية ــ وهو الطلاق ــ موصد في وجهه ٠ مثل هذا الموقف المشحون بالصراع كثيرا ما يبعث على القتل ٠ فاذا ما تطورت هذه البواعث الى فعال ، فغالبا ما يقوم الطرف الثالث بدور المحرض او الشريك ٠

أغرب وسائل القتل :

ومن بين هذه الوسائل التي استعان البعض بها على ارتكاب هذا النوع من الجرائم التنويم المغناطيسي ومثال ذلك : امرأة في الاربعين من عمرها لها عشيقان بلا عمل منتظم، ولكنهما يزاولان التنويم المغناطيسي وتحضير الارواح وفجأة يقرر العشيقان التخلص من الزوج لسلوكه الفظ في بعض الاحيان ، ويتقدم المنوم الى الزوج ويشرح له انه يستطيع

من طريق التنويم ان يخلصه من آلامه واوجاعه • وذات يوم طلب اليه ان يقف فوق مقعد مستند الى كتف باب ، وامره ان يغمض عينيه تماما ، ولا يفوتنا هنا ان نشير الى ان العشيقين كانا قد دقا مسمارا فوق الباب ثبتا فيه حبلا ينتهي بأنشوطة ، واستعان المنوم باللمسات وباسلوب الايحاء فنوم الزوج ثم وضع الحبل حول عنقه ودفع بالمقعد بعيدا • ورغم ما كان في هذه الحيلة من ذكاء فقد شابتها نقطة ضعف واحدة ، ذلك ان الضحية المرجوة كانت من ثقل الوزن بحيث انقطع الحبل ، وقد حكم على المرأة بالسجن ست سنوات مع الاشغال الشاقة وحكم على العشيق بالسجن خمس سنوات •

وفيما يلي واقعة اخرى توضح كيف ان الشر الكامن في الانسان يمكن ان يظهر ويؤدي لارتكاب ابشع الجرائم ، وقد حدثت الواقعة التالية مؤخرا وكان السم « هو » الوسيلة التي استعان بها المجرم في اقتراف جريمته :

بعد زواج دام ثمانية اعوام وفي عام ١٩٤٧ وقعت السيدة الشابة السليمة الصحيحة فريسة المرض المفاجىء • وقد دل التشخيص الطبي على ان السيدة تعاني اضطرابا خطيرا في الدورة الدموية ، ولغطا في القلب مصحوبا بسقوط شعر رأسها وبقيء وهزال مستمرين ، وفي عام ١٩٥١ وبعد اربع سنوات من الذبول والنحول التدريجي نقلت الى المستشفى وظلت فيه عاما تحت العلاج من مرض حار اطباء المستشفى في الاهتداء الى معرفته كما حار فيه الاطباء الاخرون الذين استشارتهم المريضة تحت الحاح زوجها وظلت على هذه الحال حتى اصبحت من الموت قاب قوسين او ادنى ، ثم اخذ جلدها يتلون بلون اسمر ضارب الى الصفرة واكتسى فخذاها ببشرات في حجم ولون ثمرة البرقوق ، واخيرا انتهى احد الاطباء الى رأي بأنه من الجائز ان تكون السيدة مصابة بتسمم زرنيخي ، ثم جاء تقرير الطبيب الشرعي فأيد هذا الرأي تأييدا تاما • واجرت الشرطة تحرياتها التي اخذت حلقاتها تضيق شيئا فشيئا على الزوج الوفي المنكر لذاته المضحي بنفسه ومستقبله في سبيل معاونة زوجته على الشفاء •

كان كل من يعرفه يرى فيه انسانا مهذبا لا يرقى اليه الشك • وبعد استعراض كل من حامت حولهم الشبهات ، ثبت بما لايقبل الشك ان الزوج هو المسئول الحقيقي عن مرض زوجته وانه هو الذي كان يقدم لها طيلة السنوات الاربع جرعات الزرنيخ حتى اصبحت هيكلا يسير على قدمين • هذا الرجل المهذب الامين الذي حذق النفاق والمداهنة كان واقعا تحت تأثير فكرة « الجريمة الكاملة » التي سيطرت تماما على عقله ووجدانه ، الجريمة التي كان على وشك النجاح في تحقيقها • ففي بادىء الامر كان يكتفي باعطاء زوجته نصف كمية الزرنيخ المهلكة خشية ان تثير وفاتها المفاجئة شبهة الطبيب المعالج او طبيب الصحة ، واذا اعتاد جسمها السم زاد الكمية دون ان تصل الى حد الكمية القاتلة •



ماسبب هذا الصراع الذي نشأ عند الزوج ؟

كان الزوج على علاقة بسيدة شابة غاية في الصلاح ولم تكن تدري شيئا عن الجريمة المدبرة ، وكان قد وعدها بالزواج واسر لها ان ايام زوجته في الحياة اصبحت معدودة وقد استبعد الطلاق تماما عن الموضوع لان الشابة وهي صاحبة عقيدة دينية لم تكن لتقبل الزواج من رجل مطلق ·

* * *

وقد حكم على الزوج بالسجن اثنى عشر عاما بتهمة الشروع في ارتكاب جريمة قتل · اما عن زوجته فكان سلوكها نحوه لغوا نفسيا · فقد عفت عن كل ما ارتكبه زوجها في حقها وكانت تزوره في سجنه بانتظام ، والاغرب من ذلك انها اعلنت انها تنوي الاستمرار في الحياة معه بعد اطلاق سراحه ·

* * *

هذا مثال يوضح لنا كيف يمكن ان يؤدي الصراع الحاد والاستغراق في الغرام الى بواعث اجرامية ·

* * *

وهذه حالة من حالات التلذذ الجنسي بمرأى الالم والمعاناة · فالقاتل هنا يستمتع بما تعانيه الضحية من عذاب ، كما يستمتع بتسلطه عليها ، وتبدو هذه المتعة في نجاحه تحويل سيدة موفورة الصحة الى مجرد حطام جثماني سقيم · اضف الى هذا انه يحصل في الخفاء على لذة حسية كبرى من كلا المصدرين ، ففي نفس الوقت الذي يلعب فيه الرجل دور الزوج المضحي بنفسه ودور الزوج الفاضل الوفي يجد لذة في تعبيرات العطف والمشاركة الوجدانية التي يبديها نحوه المحيطون به · ولا تكاد الذات الواقعة تحت سلطان الضلال تمنع نفسها من الصياح في انتصار وابتهاج اجرامي « ايها الحمقى ، هل تبصر عيونكم شيئا مما يجري وراء هذه المظاهر » ! ·

* * *

كثيرون من يستمتعون بالشعور بقوتهم وقدرتهم على ارتكاب جريمتهم ويتباهون بارتكابها دون ان يدري رجال الشرطة ·

* * *

والحق ان رغبة ملحة لا شعورية كثيرا ما تتدخل لتدمير الذات بل قد تدفع بالقاتل الى افشاء سره بنفسه او الى نشدان الراحة النفسية بالاعتراف بالجريمة ، واذا كان انتقام « **شياطين العقل الباطن** » او العناصر اللا شعورية للذات العليا كما تسمى في التحليل النفسي ـ انتقاما مريعا في مثل هذه الحالات ، يدفع بالمجرم الى السجن او المشنقة في غير شفقة او رحمة · كانت هذه حال السجين الذي اشرنا اليه · فقد ادت حاجته اللا شعورية للعقاب والاعتراف الى احباط كافة الخطط التي وضعها بحذر وعناية، وبينما كانت الشرطة تجري تفتيش مسكنه ، عثرت على قصة من قصص الجريمة تحمل

عنوانا له مغزاه هو « الغلطة » . وقد وصفت هذه القصة جميع الاخطاء التي اذا وقع المجرم اثناء ارتكابه لجريمته اودت به . وعلى الرغم من انه كان مدركا لهذه الاخطاء فقد وقع فيها بالفعل فقد اسفر تفتيش المسكن عن وجود اكواب علب من الصفيح وكميات من الدقيق تحتوي على آثار الزرنيخ .

* * *

كيف تنمو وتتوالد أفكار القتل :

ويجدر بنا ان نشير هنا الى انه على الرغم من التقدم الذي احرزه علم النفس فاننا لا نعرف غير اليسير عن عقل المجرم . وقد صدق الشاعر السويسري الكبير جيريمين جوتيلف حين قال « ان الانسان يعرف كل شيء عن العالم فيما عدا نفسه »

على انه تبنى بعد ذلك مشكلة معلقة دون حل هي : كيف تنمو وتتوالد افكار القتل في ذهن الشخص الذي ينوي ارتكاب الجريمة ؟ وعلى الاخص في حالة ما اذا كان الشخص غير مهييء للقتل بالذات وبقيت ذاته العليا دون مساس تقريبا ؟

والحق ان الافكار الاجرامية لا تنبت من تلقاء ذاتها ، بل هي على العكس من ذلك ثمرة عمليات ذهنية معقدة ، ومن ثم تبدو اهمية دراسة كيفية نشوء فكرة القتل وتطورها في عقل المجرم ووجدانه .

ان الزواج ولو بنى على الحب الكبير او على « **الحب من النظرة الاولى** » الذي يبدو انه يحدث في كثير من الاحوال ، فمن الملاحظ انه غالبا ما تفتر حرارة العواطف بعد فترة تتفاوت في الطول او القصر .

والذي يحدث في البداية عادة هو ان كل شيء يبدو للزوجين المتحابين جميلا رائعا وتمضي بهما الحياة وكأنها اغنية ، يسعى الزوجان الى الانسجام معها ومع انفسهما . كل شيء في عيونهما يرقص بالبهجة وتبلغ مشاعر الحبيبين اوج السعادة . وكما قال الشاعر « **تنفتح ابواب السماء امام اعينهما وتمتليء قلوبهما بالبهجة** » ثم لا تلبث النشوة التي كانت تغطى هذه العيون ان تنجاب وئيدا ، وبعدها يهبطان الى الارض وعالم الواقع. هذه الحالة يعبر عنها في علم النفس بأنها حالة « ارتداد الاسقاط الذهني »

وبعد مرحلة انقشاع الاوهام تأتي مرحلة الحقد والنفور في اعقابها ودون ابطاء . وقد كتب (**فان دي كال**) عن نمو شعور الكراهية بين الزوجين واشار الى بعض الطوائف في هذا الشأن فيقول : « انه في ايامنا هذه التي تتسم بالجحود والنكران كثيرا ما تأتي تلك الصحوة المدمرة للقيم الخلقية مسرعة ومعها حرب منهكة مهلكة تدور رحاها بين الزوجين وتجد فيها سهام الضيق والضجر المسمومة سبيلها اليهما ، **وكما قال جان بول « كثيرا ما لا تنتج لهيب الحب بين الزوجين غير الهباب الذي يسود به كل منهما** حياة صاحبه » .

هنا تجد دوافع القتل الكامنة مرتعا خصبا تنمو فيه وكثيرا ما تعبر هذه الدوافع عن ذاتها في الاحلام ولو ان شكلها البدائي يجعلها في بعض الاحيان خافية الملامح حتى بالنسبة للحالم نفسه ٠

واليكم هذه القصة لايضاح ما نقول :

سيدة شابة لم تكن سعيدة في زواجها (لان زوجها اساء فهمها بطبيعة الحال) خرجت ذات يوم لتمضي اجازة تتحلل فيها من دنيا الواقع وتنطلق الى عالم الخيال ٠ وفي اثناء هذه الاجازة التقت على حد تعبيرها « بالرجل المناسب » الذي كانت تنشده والذي « فهمها » على حقيقتها ٠ بعد ذلك اللقاء رأت في المنام ـ ويالهول ما رأت ـ رأت انها كانت مرغمة على ان تحمل معها حقيبة بداخلها جسم مقطع الاوصال ، تمضي بها في شوارع مدينة اكتست بكل مظاهر الحداد ٠ وقد اوضح التحليل النفسي ان تلك المرأة كانت تتمنى في عقلها الباطن لو ان زوجها قد مات ٠ هكذا تنقلب الرغبة في الحلم الى حقيقة وتصبح الجثة المقطعة الاوصال بداخل الحقيبة وكأنها جثة زوجها ٠ لكن العقل الواعي الذي يقف من الاحلام موقف الرقيب لا يدع هذه الافكار ـ التي تجلت لصاحبها اللوم ـ تنطلق وتبعد عن ذاتها صراحة ٠ لهذا السبب لم يكن في وسع السيدة ان تعرف شيئا عنها الا على هذه الصورة الخفية ٠

وقد اوضح **الاستاذ جوستاف جرابر والاستاذ اريك سترن** انه حتى الاطفال قد يتمنون موت شخص ما بل انهم قد يتمنون قتله ٠ ولابد من الاقرار ان هذا الميل الى القتل ، النابع من اغوار العقل البشري يمثل ظاهرة عامة ، فالدوافع الكامنة في العقل الباطن دوافع متوارثة ٠ وهي تنتمي الى ذلك الجزء المظلم من نفوسنا الذي يطلق عليه س٠ج بونج بحق اسم « القتام » ٠

و « النكات » بالمثل كثيرا ما تكون وليدة رغبات لا شعورية في الحاق اذى بشخص او في قتله ٠ وانا اعرف حالة قام فيها رجل بدفع رأس زوجته تحت الماء اثناء الاستحمام وابقاها على هذا الوضع مدة طويلة « من قبيل المزاح » حتى اكتشفت زوجته انها على وشك الاغماء ٠ وكم كان الهلع الذي استولى على الزوج عند ذاك ٠

★ ★ ★

وحالة اخرى : زوجة كانت تعيش مع زوجها في خلاف دائم ، خرجت ذات يوم للصيد ، وفي اثناء ذلك اطلقت عيارا ناريا فاخترقت الطلقة « وبطريق المصادفة » قبعة زوجها الخضراء ٠

ويحدث مرارا وبخاصة خلال فترات الشجار العنيف ان يعبر احد الضالعين في الشجار عن رغبته في ان يدرك الموت خصمه عاجلا ٠ وقد حدثتني سيدة ذات مرة في صراحة عادية بقولها : « **زوجي دائم السفر بالسيارة وبالقطار وبالطائرة ٠ وتمتلىء الصحف باخبار الحوادث كل يوم ، ومع ذلك يعود الي في كل مرة سليما معافى ٠**

وقد اشار **ايريك ولفت ـ الاخصائي في علم النفس الجنائي** ـ الى ان نسبة مرتفعة من الناس تنطوي على رغبات شعورية في القتل • وطالما لم تتحقق هذه الرغبات فانها تعد اجراميات كامنة • ونحن نعرف ان هناك اشتاتا من الناس كثيرا ما تخطر ببالهم وهم فوق الجبال رغبة في التخلص من شخص ما ـ رجلا كان ام امرأة ـ بالقائه من شاهق دفعة واحدة ترديه صريعا في اعماق الوادي • وآخرون يقدحون اذهانهم لعلهم يكشفون سبيلا لتلفيق حادث سيارة • وهناك ازواج ينفقون حياتهم وكل منهم يرقب صاحبه كما ترقب الوحوش الكاسرة بعضها بعضا ، انتظارا لفرصة يسددون فيها ضربة قاضية او في التشكك فيما اذا كان احد الشريكين قد وضع لشريكه سما في قدح القهوة وبطبيعة الحال نجد ان قلة هي التي تعلن تمنياتها للقتل • واذا حدث هذا فيكون همسا او على كرسي الاعتراف او على يد المحلل النفساني او في السجون او على فراش الموت •

وقد تعمل « الأنا العليا » (الضمير) فيما يتعلق بافكار القتل عن وعي او عن غير وعي باحدى طرق ثلاث :

١ ـ حينما تختفي الرغبات وتحاول الظهور تردها الانا العليا في الحال الى داخل اللاشعور او ربما بقيت في العقل الواعي لكن في حالة سبات لأن الانا العليا او الضمير على جانب من القوة يمكنه من الحيلولة دون ارتكاب الجريمة •

٢ ـ تطالب الأنا العليا بفرض عقوبة قاسية تكون رادعة لمثل هذه الافكار وتثير نوعا من الانفعال ، يستميل (العصابي) بطريق الكبت والمنع كما يحدث في حالة شخص يضطر الى اخفاء اي شيء حاد حتى شفرات الحلاقة لانه يريد ان يقطع رقبة زوجته •

٣ ـ اذا كانت الانا العليا بالغة الضعف فانها لا تقدر على دفع افكار القتل الواعية الى اعماق اللا شعور او تعجز عن الدخول معها في شجار لمنعها من ان تتحقق بالفعل • عند ذاك تكون رغبة القتل قد استقرت في العقل الواعي وتصبح قريبة الشبه بجرثومة المرض التي تسرى في الدورة الدموية ولاتحتاج لغير منبه من داخل الذهن او من خارجه حتى تصبح الجريمة حقيقة واقعة •

واتفق مع هانز فون هنتج في تسمية الفترة التي تمضي بين دخول فكرة القتل في العقل الواعي وبين اقتراف الجريمة ـ بفترة الحضانة ـ في خلال هذه المرحلة فقط تأخذ فكرة القتل في النضج حقيقة ـ ويتأمل الشخص الذي يعتزم ارتكاب الجريمة الوسائل والغايات في حذر • وفي خلال ذلك يصير مهيئا للوقوع تحت تأثير ايحاء المحيطين به او بمؤثر خارجي كالسينما او القصص •



الجرائم الجنسية

لعل من الاوفق ان نقصر المناقشة في هذا لبحث عـــلى الجرائم التي تعبر تعبـيرا مباشرا عن الشعور الجنسي ، والتي تهدف الى تحقيق الاشباع الجنسي،ومن ثم فسوف نستبعد من مجال هذا البحث جرائم القوادة والتحريض على الفسق والتكسب من اعمال الدعارة بل والدعارة ذاتها ، وبهذا تكاد تقتصر الجرائم الجنسية على جرائم الرجال ٠

على ان كثيرا من الجرائم غير الجنسية قد يكون الدافع اليها جنسيا ، كاختلاس ملابس النساء بقصد التلذذ برؤيتها ، كما ان بعض الجرائم الاخرى : كجرائم الاعتداء على النفس والسطو وسرقة السيارات وبعض انواع اخرى من السرقات البسيطة وجرائم الانفعال الوقتي ، قد تصدر عن بواعث جنسية غير مباشرة ٠ واذا كان هـذا النوع من الجرائم لا يعد من الجرائم الجنسية ، فانه لاينبغي مع ذلك اغفاله عند تطبيق وســائل العلاج والتقويم ، اسوة بتلك الجرائم التي تعد ــ في الواقـــع وفي نظر القانون ــ من الجرائم الجنسية ٠

اعتبارات قانونية :

يتنوع السلوك الجنسي في مختلف البيئات والطبقات الى مدى بعيد ، وهو اقل امتثالا للعقوبات الجنائية منه للروادع الاجتماعية ، الى حد دعا الكثيرين الى القول بوجوب قصر العقوبة على الافعال الاتية :

١ ــ استعمال القوة المادية : كالاغتصاب وهتك العرض بالاكراه ٠

٢ ــ استخدام التأثير الادبي : كاغراء القصر او مرضى العقول او الضعاف الذين يعيشون في رعاية الغير او الاقارب من الاناث المحتاجات للحماية ٠

٣ ــ الجرائم المخلة بالحيــاء العام : كالفعل الفاضـــح العلني والتحريض عـــلى الفسق والفجور ٠

اما السلوك الجنسي الذي لايندرج تحت اي من هذه الفئات فالاوفق الا يكون محو للمسؤولية الجنائية ٠

ولو نظرنا الى الموضوع من وجهة نظر علم الاجرام، لصادفتنا الصعاب الاساسية الاتية:

١ ــ اقامة الدعوى الجنائية على الافعال التي تقع خارج نطاق هـــذه الفئـــات ، كالشذوذ الجنسي الذي يجري سرا بين البالغين ٠

٢ ـ تعريف « القاصر » وتحديد سن الرضاء في السلوك الجنسي : ففي معظم البلدان نجد ان سن حماية القصر والسن الواجب توافرها فيمن يرغبون في الزواج قد ارتفعت تدريجيا من ١٢ الى ١٣ الى ١٦ سنة ، بينما هبطت سن البلوغ هبوطا ملبوسا ، بمقدار نصف سنة كل عشر سنوات ، فقد هبط من ١٧ سنة في عام ١٨٥٠ الى ١٣ سنة في السنوات الاخيرة في معظم البلاد الاوروبية ، كما بدأ الاستعداد النفسي للسلوك الجنسي يظهر في سن مبكرة جدا ٠

٣ ـ تقدير « الرضاء الصحيح » في جرائم هتك العرض ، اذ ان اختلاف وجهات النظر في ذلك يؤدي الى الخلط بين جرائم الاعتداء الحقيقي وحالات الادعاء بعدم الرضا ، وكثيرا ما يدفع هذا الخلط الى توقيع نفس العقوبة على كلا النوعين ٠

٤ ـ لما كانت نسبة ضئيلة جدا من السلوك الجنسي المجرم ، لاتتجاوز ٥٪ ، هي التي تنتهي باقامة الدعوى الجنائية ، فينبغي ان يوضع هذا في الاعتبار عند فرض العقوبات على مرتكبي الجرائم الجنسية البسيطة ، او الافعال الفاضحة العلنية ، فليس من العدل في شيء ان تقسو على هذه الفئة لا لسبب الا لوقوعها في ايدي الشرطة ، بينما يفلت من العقاب اولئك الذين لايضبطون ٠

حقائق هامة في علم الاجرام :

ونشير فيما يلي الى بعض الحقائق الهامة المعروفة في علم الاجرام (تمشيا مع الاحصاءات الدولية) :

١ ـ ان ٥٪ على اكثر تقدير من الجرائم الجنسية هي التي تكتشف ٠

٢ ـ ان نسبة كبيرة من مرتكبي الجرائم الجنسية تتراوح بين ٦٠٪و ٧٠٪ لم يصدر ضدهم اكثر من حكم واحد بالادانة ٠ ومن الاهمية بمكان عدم وصم مرتكبي الجرائم التافهة والقضاء على كيانهم الاجتماعي ، فان مجرد ظهور الجاني امام المحكمة يعد عقوبة شديدة في حد ذاته ، وكثيرا ما تكون الغرامات على وجه الخصوص عقوبات مناسبة ٠

٣ ـ العود في الجرائم الجنسية نادر الوقوع ، اذ لم تصل نسبة المحكوم عليهم في ثلاث جرائم جنسية او اكثر الى ما يزيد عن ٣٪ ٠

٤ ـ يبدو ان العائدين في الجرائم الجنسية هم من ذوي السوابق في الجرائم الاخرى فقد اتضح ان ٤٠٪ ممن صدرت ضدهم احكام في ثلاث جرائم جنسية صدرت ضدهم كذلك احكام في ثلاث او اكثر من الجرائم غير الجنسية ٠

٥ ـ ان المتوسط الزمني الذي يمضي بين كل حكم وآخر طويل نسبيا ، اذ يتراوح بين ٣ و ٥ سنوات ، وهو اطول من الوقت الذي يمضي بين الاحكام التي تصدر ضد

العائدين في الجرائم غير الجنسية ، وهذه الحقيقة لها اهميتها عند تقدير نتائج علاج مرتكبي الجرائم الجنسية .

٦ ـ ان العائدين في الجرائم الجنسية يكررون نفس الجريمة الجنسية تقريبا ، او على الاقل نفس النوع الذي تنتمي اليه الجريمة الجنسية .

٧ ـ لا يميل مرتكبو الجرائم الجنسية البسيطة الى التدرج في ارتكاب جرائم جنسية اشد خطرا فيما بعد .

٨ ـ ان التباين الشايع بين مختلف البلدان في تكييف الجرائم الجنسية ، وفي معدل العود فيها وما الى ذلك ، جدير بأن يدرس دراسة مقارنة لاستخلاص الاحكام المختلفة في النظم التشريعية .

اعتبارات طبية :

تصدر الجرائم الجنسية في الغالب عن الانحرافات الآتية :

١ ـ الانحراف بالنسبة لموضوع الجريمة :

الشذوذ الجنسي ، اشتهاء الصغار ، اشتهاء بعض اعضاء المرأة ، او اجزاء من ملابسها ، سفاح المحارم ، جماع البهائم .

٢ ـ الانحراف بالنسبة للغرض من العملية الجنسية .

ارضاء الشهوة الجنسية بارتكاب العنف على الآخرين ، شعور الجاني بالتلذذ الجنسي بوقوع العنف عليه ، اشتهاء بعض اعضاء المرأة او ملابسها والتلذذ جنسيا بها، الميل لاظهار عضو التناسل ، ارضاء الشهوة الجنسية بطريق الرؤية ، وغير ذلك .

وليس لهذه الانحرافات اهمية قانونية الا اذا اندرجت تحت فئة من الفئات التي ذكرناها آنفا .

الانحراف الجنسي :

١ ـ ان الانحراف الجنسي شائع في كل المجتمعات كما ان نزعات الانحراف توجد في خيال الاشخاص العاديين وتتفاوت النزعات المنحرفة تفاوتا كبيرا من حيث درجة تنبهها . وهذه الحقيقة ذات تأثير كبير على موقف الرأي العام تجاه الجرائم الجنسية ، وعلى مدى استعداد الناس للتسامح ازاء الانحرافات الجنسية .

* * *

٢ ـ ان الميل الجنسي العام يستقر عادة فيما بين السابعة عشرة والثامنة عشرة ، ولو ان ذوي الميول الشاذة للجنس المشابه كثيرا ما يغفلون عن هذه الحقيقة حتى سن العشرين وما بعدها .

٣ ـ يتفاوت الفعل الجنسي الاجرامي من حيث مغزاه السيكولوجي ، تفاوتا كبيرا من شخص لاخر ، ولا يحمل الفعل الاجرامي ذاته اي دليل يعتد به على الحالة العقلية لمرتكب الجريمة الجنسية ولا على قدرته على المقاومة او مدى انحرافه او فرض العودة عنده • ومن ثم يتعين اجراء فحص طبي نفسي للجاني لتقدير هذه الامور •

* * *

وكذلك يتفاوت الاستعداد لارتكاب الجرائم الجنسية تفاوتا كبيرا خلال حياة الشخص الواحد • وعلى الرغم من ان هذه الميول كثيرا ما تتجه الى الاستمرار عند بعض الناس ، الا ان درجة التنبه لها ، وقوة الرغبة في ارتكاب الفعل الاجرامي ، والقدرة على ضبط النفس ، تتفاوت كلها تفاوتا كبيرا • وهذا بدوره له تأثير كبير على العلاج وقد يبدو في بعض الاحيان انه من غير المستطاع علاج الميل الاجرامي بالطرق الطبية ، ومع ذلك فيمكن تحقيق العلاج الاجتماعي بطرق تهدف الى ترويض الانحراف الجنسي وزيادة ضبط النفس •

* * *

ان اضطراب اتجاه الرغبة الجنسية وتفاوت حدتها يتوافر بصفة خاصة عند الاشخاص الذين يجتازون المرحلة الواقعة بين سن البلوغ وسن الخامسة والعشرين ، فاذا اخذنا في الحسبان اختلاف الاحكام القانونية في كثير من البلدان لوجدنا ان عددا كبيرا جدا من الشبان ـ وربما غالبيتهم ـ قد فارقوا الجرائم الجنسية في وقت من الاوقات ، فقد تبين ان ما يقرب من ثلث سكان العالم قد زاولوا افعال الشذوذ الجنسي في فترة ما من فترات حياتهم • وفي مناطق الحضر يتصل عدد كبير من الصبية في علاقات جنسية بفتيات تتراوح اعمارهم بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة ، ومن هنا تبدو اهمية حصر التدخل القانوني في اضيق نطاق فلا تتخذ مع اولئك الاحداث الاغرار تدابير قاسية من شأنها اعاقة التطور السوي لسلوكهم الجنسي في المستقبل •

* * *

٤ ـ القول بان العائدين في الجرائم الجنسية هم في الغالب عائدون في جرائم غير جنسية يوحي بأن للانحراف الجنسي والانحراف الاجتماعي جذورا سيكولوجية مشتركة او ان التدهور الاجتماعي الذي ينشأ عن حياة الاجرام والسجن المتكرريؤدي الى الانحراف الجنسي ، وثمة احتمال بان كلا العاملين له اعتبار ملحوظ في هذا الشأن •

٥ ــ لايمكن الاطمئنان الى ان كثيرا من الافعال الجنسية الثانوية ــ مثل اختلاس النظر الى جسد فتاة مثلا ــ يمثل الحد الاقصى الذي يحتمل ذهاب الجاني اليه ، بل ان مثل هذه الفعال في كثير من الاحيان ليست سوى مقدمات لسلوك جنسي اشد خطرا ٠

* * *

الشذوذ العقـلي :

ان ارتكاب جريمة جنسية لا يعني بذاته وجود انحراف او شذوذ عقلي ، وحتى الجرائم الشاذة لا يمكن اعتبارها دليلا على وجود شذوذ عقلي في كل الاحوال ، اذ ان كثيرا من المجرمين المنحرفين او مرتكبي افعال الشذوذ الجنسي ، او مرتكبي الجرائـم الجنسية العادية ، يعانون شذوذا عقليا بالمعنى السيكولوجي ولكنهم ليسوا شــواذا بالمفهوم القانوني ومن ثم فانهم لا يستجيبون لوسائل العلاج الصحيـــة او التـدابير العقابية العادية ٠

* * *

العلاج والرعاية :

يحتاج مرتكبو الجرائم الجنسية المنحرفون الى نوع من الرعاية والعلاج الخاص بطب الامراض العقلية ، مثلهم في ذلك مثل غيرهم من المجرمين المنحرفين ٠

وليس ثمة ما يشير الى انهم اكثر استجابة للعلاج او انهم اشد حاجة اليه ــ في معظم الاحيان ــ من غيرهم من المجرمين ، ولما كان عدد مرتكبي جرائم الاعتداء على المال يزيد كثيرا عن عدد مرتكبيالجرائم الجنسية فانالفئة الاولى اولىبالعلاجمن الفئةالثانية٠

ولا ينبغي ــ كقاعدة عامة ــ اخضاع مرتكبي الجرائم الجنسية لتدابير قانونيـــة او عقابية او علاجية خاصة ، كما لا ينبغي عزلهم او افراد مؤسساتخاصة بهم الا بمزيد من الحذر واللياقة ، حتى لا يغرس فيهم الاحساس بانهميختلفون عنغيرهم منالمجرمين٠

ومع ذلك ، ونظرا لما تتميز به هذه الجرائم من طابـع خاص ، فلعـل من الاوفق وضعهم تحت الفحص الطبي النفسي قبل اصدار حكم القضاء فيهم ، وقـــد يكون من الاوفق ايضا ان يعهد بالشواذ من مرتكبي الجرائم الجنسية الى المسئولين عن شؤون الصحة العقلية لبحث امكان استبدال طرق الرقابة الصحية بطرق الزجر والعقاب ٠

* * *

رعاية المتسولين



متسول صحيح البنية يشوه احتيالا بعض اعضاء جسمه
ليتخذ التسول حرفة

يمكن القول بأن التسول ليس مشكلة اجتماعية قائمة بذاتها ، ولكنه في حقيقته ظاهرة اجتماعية لعديد من المشاكل والعوامل التي تتشابك وتتفاعل في المجتمع ، لينتج عنها كثير من الظواهر الاجتماعية ٠

فالفقر والبطالة وتفكك الاسرة وانخفاض مستوى المعيشة والجهل والمرض وتشرد الاحداث ، كلها عوامل واصول لظاهرة التسول ، بحيث لايمكن علاج التسول نهائيا الا اذا قضينا على هذه الاسباب العميقة الجذور ٠

ولكن علاج هذه الاسباب والقضاء عليها يحتاج الى جهود طويلة وسياسة بعيدة المدى تقوم على تنفيذها أجهزة الدولة المختلفة ، وقد وضعت الحكومات سياسة تخطيطية عامة تهدف الى مضاعفة الدخل القومي ، وبدأت في تنفيذ خطة شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية سيكون لها اكبر الاثر في القضاء على الاسباب والعوامل الرئيسية التي ينشأ عنها التسول ٠

على ان هذه الجهود التي تقوم على سياسة بعيدة المدى ، لايجوز ان تصرفنا عن مواجهة التسول كظاهرة ينبغي العمل على وضع علاج سريع حاسم لها ، وتوفير الرعاية للمتسولين الذين يحتاجون الى هذه الرعاية ، وهذا هو موضوع بحثنا وهو ما سنحاول عرضه بايجاز ٠

واول سؤال يطالعنا في هذا المجال هو تحديد المتسول المحتاج الى الرعاية ٠

من هو المتسول المحتاج الى الرعاية ؟ ٠

لكي نجيب على هذا السؤال يجب ان نستعرض طوائف المتسولين الذين تزخر بهم شوارع بعض المدن الكبرى ، ونبادر فنقسم المتسولين الى طائفتين رئيسيتين على ضوء احكام القوانين القائمة :

اولا ــ المتسولون الاحداث ٠

وهم الذين لم يبلغ عمرهم ثمانية عشر عاما ٠ وهؤلاء يأخذ تسولهم صورة مشكلة اجتماعية اخرى هي مشكلة « **تشرد الاحداث** » فالحدث الذي يوجد متسولا لا ينطبق عليه قانون تحريم التسول ، وانما ينطبق عليه قانون الاحداث المشردين ، ذلك ان القانون الاخير يعتبر التسول صورة من صور التشرد بالنسبة للحدث ٠

فقد نصت احدى مواد القانون بشأن الاحداث المشردين على انه يعتبر الحدث ذكرا كان او انثى لم تبلغ سنه ثماني عشرة سنة ميلادية كاملة متشردا في الحالاتالآتية:

(أ) اذا وجد متسولا ٠ ويعتبر من اعمال التسول عرض السلع التافهة او القيام بالعاب بهلوانية ثم صور اخرى لحالات تشرد الاحداث ٠

ومعنى هذا ان الحدث ذكرا كان او انثى ، اذا تسول فانــه لايكون **(متسولا)** بالمفهوم القانوني لهذه الكلمة ، وانما يكون **(مشردا)** •

وقد التقى التحديد القانوني مع النظرة الاجتماعية في هـــذا الشأن بالنسبة الى الاحداث ، فلا شك ان الحدث الذي يتسول بمثل حالة اجتماعية تتعلق بشخص الحدث وظروفه التي جعلت منه مشردا يتسول في الطرقات فالمشكلة هنا ليست مشكلة التسول، ولكنها مشكلة الحدث المشرد ، كما هو الحال بالنسبة الى الحدث الذي يرتكب جريمـة السرقة ، لايهمنا في حالته ان ندرس الجريمــة ونحيلها الى الاخصــائي في بحث جرائم السرقة • وانما تحيل الحدث الى الاخصائي الاجتماعي الذي يدرس اسباب انحراف هذا الحدث الى الجريمة بوجه عام •

ونخلص من هذا الى ان طائفة المتسولين الاحداث ، او بالاحرى المتشردين الاحداث لا تهمنا في هذا البحث ، لان مشكلتهم كما اسلفنا ليست مشــكلة التسول ، ولكنهـا مشكلة التشرد ، وليس التسول الا صورة من صورة ، وللحديث عن مشكلة الاحداث المشردين مجال يخرج عن نطاق هذا البحث •

ثانيا ـ المتسولون الكبار من الجنسين :

وهم الذين بلغوا الثامنة عشرة من عمرهم او جاوزوها ، وهـؤلاء هم موضـوع هذا البحث •

وقد صدر قانون بتحريم التسول ، واعتبره جنحة يعاقب عليها بالحبس • وعلى ضوء احكام هذا القانون يمكن تقسيم المتسولين الى فئتين :

(أ) متسول صحيح البنية : وهو الشخص الذي يثبت من الكشف الطبي ان بنيته سليمة ، وانه لهذا قادر على العمل والكسب • **وقد نصت احدى مواد القانون على ان كل شخص صحيح البنية ، ذكرا كان او انثى ، وجد متسولا في الطريق العام او المحال أو الاماكن العمومية ، يعاقب بالحبس مدة لاتتجاوز شهرين** ، ولو ادعى او تظاهــر باداء خدمة للغير او عرض ألعاب او بيع شيء • ونصت مادة اخرى على انه في حالة العود ، اي اذا عاد الشخص الى التسول بعد الحكم عليه في جريمة تسول سابقة ، فان العقوبة تكون الحبس مدة لاتتجاوز سنة •

(ب) متسول غير صحيح البنية : وقد نصت احدى المواد على انه يعاقب بالحبس مدة لاتتجاوز شهرا اذا وجد متسولا في مدينة أو قرية نظم لها ملاجيء وكان التحاقه بها ممكنا ، كما نصت على وجوب ان يتضمن الحكم امرا بادخاله الملجأ بعد تنفيذ العقوبة ••• ومعنى هذا ان التسول للشخص المريض العاجز عن العمل يعتبر كذلك جريمــة يعاقب عليها بالحبس والايداع في الملجأ • **ولكن يشترط لذلك ان يكون هناك ملجأ ، وان يكون التحاقه بهذا الملجأ ممكنا** • فاذا لم يوجد ملجأ للعجزة او لم يكن بالملجأ الموجود

مكان خال ، فانه لايمكن تطبيق هذا النص على المتسول ، وبالتـالي لا يكون تسـوله جريمة في حكم القانون ·

ويلاحظ انه ليس من الضروري ان يكون هناك ملجأ بالمدينة او القرية التي ضبط فيها المتسول اذ من الجائز ان ينظم لجملة مدن او قرى ملجأ واحد بقرار من الوزيـر المختص ، والمهم ان تكون البلدة التي حدث فيها التسول داخلة في نطاق القرار وان يكون بالملجأ المحدد لها مكان لهذا التسول ·

وقد يبدو من هذا التقسيم ان القانون قد وضع الحل الحاسم لمشكلة المتسولين الاصحاء ، فالشخص اذا تسول وهو صحيح البنية يرتكب جريمة ، وما على الشرطة الا ان تقبض عليه وتقدمه الى القضاء فيحكم عليه بالحبس ، فاذا عاد الى التسول قبض عليه مرة اخرى وسيق الى السجن ، وغلظ له العقاب ·

ولكننا نلاحظ ان هذا الحل لم يحسم المشكلة فلا يزال المتسولون الاصحاء يملئون الطرقات ، واغلب الذين يحكم عليهم ، يعودون الى التسول مرة اخرى ·

والواقع ان هذا النوع من المتسولين يجدون في التسول حرفة مريحة تدر عليهـم اخلاف الرزق من ايسر سبيل · ومن الحقائق الهامة التي يجب ان يعرفها كل باحث في هذا الموضوع ، ان الاغلبية الساحقة من المتسولين همفئة الاشخاص الاصحاءالقادرين على العمل ·

وهكذا يتبين ان اغلب المتسولين الذين نراهم لا يتسولون لانهم عاجزونعن العمل والكسب : لشيخوخة او عاهة او مرض ، انما يتخذون من التسول حرفة تغنيهم عن السعي الى الرزق عن طريق العمل الشريف ·

وفي كثير من الحالات ضبطت معهم اموال وثروات ومنهم من يمتلك الدار والعقار، ولعل من الطريف ان نذكر ان لهؤلاء المتسولين تقاليد وعادات مرعية ، ونقـابات غـير مسجلة ورؤساء يقسمون بينهم مناطق العمل والنفوذ ، ومنهم من يلجأ الى احداث عاهة بنفسه تكون له سندا قويا في مهنته يكتسب بها عطف الناس ، ومنهم من يتصنع وجود هذه العاهة بحذق الخبير ، او يتصنع الاصابة بامراض وجروح، ويحيط نفسهبضمادات يحتال بها على الجمهور ·

ومما يساعد على رواج هذه المهنة ، ما جبل عليه شعبنا العربي من الطيبة والكرم وحب الخير والاحسان ·

ولعل هناك من يقول بأن هذه الطائفة تتسول لان افرادهـــا متعطلون لايجدون فرصة العمل للكسب الشريف · وهذا وهم لايصور حقيقة الواقـــع ، ذلك ان هـؤلاء المتسولين ليسوا من أصحاب المهارات ، ولا يجيد أحدهم حرفـــة أو صناعة ، فصاحب الحرفة من الصناع اذا تعطل لا تجده يتسول في الطرقات ، **ولا توجد عندنا بطالة بين**

هؤلاء العمال المهرة بعد التوسع الصناعي الكبير الذي يمتص كل صاحب حرفة ومهارة . ان هؤلاء المتسولين ليسوا سوى فعلة ، وكثيرون منهم هاجروا من قراهم في الريف الى المدن الكبيرة . وهنا يجدر بنا ان نشير الى ظاهرة تتعلق بالريف . انك نادرا ماتجد متسولا محترفا في احدى القرى ، ذلك لان اهل القرية يعرف بعضهم بعضا ، وفرصة العمل متاحة لكل شخص بحق ، فاذا كان لايملك ارضا فانه يستطيع دائما ان يستأجر الارض او ان يشتغل فلاحا اجيرا عند من يفلح الارض ولهذا لايستطيع فلاح من اهل القرية ان يتسول فيها بحجة التعطل او العجز ، والشيخ العاجز المعدم لا يحتاج الى التسول في القرية ، لان اهلها يكفلون له القوت لما في طبيعتهم من خير دون ان يضطر الى مذلة السؤال . ولهذا يمكن القول بان قرى الريف تخلو من محترفي التسول ، وانما يهاجر منها من تجتذبه المدينة ، فاذا لم يجد فيها عملا لجأ الى التسول ثم اتخذه مهنة له.

هذه الطائفة من المتسولين لا يدفعها التعطل اذن الى التسول ، لان افرادها لايصلحون الا ان يكونوا فعلة ، ولو ارادوا العمل كفعلة لوجدوه في العمارات التي تبنى او في الحقول التي تركوها في قراهم . ويكفي ان تذكر لاي متسول منهم ممن يصادفونك في الطريق بأن لديك له عملا يعصمه من السؤال ، لكي يلوى وجهه عنك . ويبادر الى الفرار . ومن العوامل التي تشجع هذه الطائفة على الاستمرار من مزاولة التسول ضآلة العقوبة التي يحكم بها على من يقدم منهم الى المحاكمة . **ان الواحد منهم يتقدم الى القاضي فينكر التهمة المنسوبة اليه او يعترف بها ويتعلل بالفقروالجوع والتعطل ويحكمالقاضي عليه بالحبس اياما معدودات قد لاتجاوز الاسبوع في اغلب الاحيان . ويخرج المتسول من السجن ليعود الى التسول من جديد ، فاذا قبض عليه مرة اخرى لم تزد عقوبته كثيرا ، لان القاضي لايجد امامه صحيفة سوابقه في معظم الاحيان ،** فان وجدها فانه يندر ان يرتفع بالعقوبة الى اكثر من شهر واحد ، مع ان القانون يجيز له ان يحكم على المتسول العائد بسنة .

كيف اذن يمكن علاج هذه الحالة .؟

لقد بحثت هذا الموضوع في عدة لجان دولية ومحلية وقد تقدمت بطائفة من الاقتراحات يمكن اجمالها فيما يلي :

أولا ــ تشديد العقوبة الواردة في القانون بالنسبة للمتسول الصحيح البنية فيحالة العود لكي تكون العقوبة رادعة زاجرة ويكون هذا التشديد بوضع حد ادنى لا يستطيع القاضي ان ينزل عنه ، وليكن الحد الادنى للعقوبة في حالة العود ، الحبس مدة لا تقل عن ستة شهور . ولاشك ان المتسول المحترف يتردد كثيرا قبل ان يعود الى التسول ، اذا ادرك ان عقوبته ستكون الحبس مدة لا تقل عن ستة شهور،بدلا من الحبس اسبوعا او اسبوعين كما يحدث حاليا في معظم القضايا .

ثانيا ــ لا يكفي ان نشدد العقوبة على التسول الصحيح البنية ، ونقذف به الى السجن ، بحجة ان فعله جريمة ، ولن تضيق السجون بالمجرمين . وانما يجب ان نفكر

في وسيلة لنجعل من هؤلاء المتسولين اعضاء نافعين في المجتمع ، ماداموا اصحاء البنية قادرين على العمل والكسب • ان منهم من يقول امام القاضي انه لو وجد العمل لاقبل عليه ، فلنوفر له العمل الذي يزعم انه يتطلع اليه • **ولهذا نقترح انشاء مؤسسات للعمل الذي يصلح له هؤلاء المتسولون ، تكون بمثابة معسكرات يحكم بايداعهم فيها • وليكن معسكر العمل في احدى المزارع الجماعية المنوى اقامتها أو ارضا تستصلح في احدى القرى • ويقتضي الامر اضافة نص الى قانون تحريم التسول ، يجيز للقاضي ان يحكم على المتسول العائد بالايداع في احدى مؤسسات العمل ، بدلا من الحكم عليه بالحبس** • وهذا النص المقترح يعطى المتسول فرصة للتوبة،لانه لايطبق الا اذا عاد الشخص الى التسول بعد الحكم عليه في جريمة تسول سابقة • وفي هذه الحالة يجوز للقاضي ان يحكم على المتسول العائد بالحبس مع التشديد او ان يستبدل بالحبس ، الحكم بايداع المتسول احدى مؤسسات العمل •

ثالثا ـ ولما كانت الهجرة من الريف الى المدن الكبيرة من الاسباب التي تساعد على زيادة عدد المتسولين فانه من الواجب تنظيم هذه الهجرة ووضع القيود عليها بما لا يتعارض مع الحرية الطبيعية للمواطنين في التنقل • ويمكن ان يضاف الى القانون نص يبيح للقاضي ان يحكم بابعاد المتسول الى قريته التي بها محل اقامته العادي •

رابعا ـ انشاء قوة خاصة من رجال الشرطة لمكافحة التسول في العاصمة وغيرها من المدن الكبيرة • فلا شك ان ضعف رقابة رجال الامن وعدم وجود القوة اللازمة لتنفيذ القانون • يشجع المتسولين على التمادي وتحدي القانون وهم في مأمن من القبض عليهم •

وننتقل الان الى الفئة الاخرى من المتسولين ، وهي غير فئة العاجزين عن العمل •

★ ★ ★

ان هذه الفئة من المتسولين هي التي تستحق الرعاية فالشخص الذي يتسول لانه عاجز عن العمل لشيخوخة او مرض ، ولانه في نفس الوقت معدم لايملك شيئا ، وليس له قريب ملزم بالانفاق عليه شرعا • ولانه مع هذا لا يجد ملجأ او مؤسسة يأوى اليها معذور في تسوله ولا جناح عليه •

والواقع ان للمواطن العاجز عن العمل حقا على الدولة في ان تعينه وتيسر له سبل العيش • ذلك ما يفرضه التكافل الاجتماعي في المجتمع الاشتراكي الذي تتكافأ فيه الفرص وتتحقق العدالة الاجتماعية • وعندما صدر قانون الضمان الاجتماعي نص على حق المواطنين في المعاش في حالتي الشيخوخة والعجز الكلي ، وجعل هذا المعاش حقا تلزم الدولة بادائه متى توافرت شروطه •

ولاشك ان كل عاجز عن العمل لشيخوخة او مرض ، يجب ان يجد ما يواجه به ضرورات الحياة في المجتمع الاشتراكي الذي نسعى الى اقامته ، فاذا هيأنا له ذلك ويسرناه سواء عن طريق الضمان الاجتماعي ، او تعميم نظام التأمينات الاجتماعية او توفير



عندما تدفع العاهات الجسمانية بعض المحتاجين للتسول ،
الدولة مدعوة لوضعهم في دور العجـــزة

المؤسسات التي يجد فيها ملجأ ومأوى ، لم يعد من حقه ان يتسول ، وكان تسوله جريمة بحكم القانون ٠

وهكذا يمكن تحديد التدابير اللازمة لرعاية هذه الفئة على الوجه الاتي :

١ ـ اطلاق المعاشات الواردة في قانون الضمان الاجتماعي بالنسبة لحالات الشيخوخة والعجز الكلي كما كان الحال عند صدور القانون ، وادراج الاعتمادات اللازمة لها في الميزانية العامة ٠

٢ ـ التوسع في نظام التأمينات الاجتماعية بحيث تشمل جميع المواطنين ٠

٣ ـ اعداد مؤسسات خاصة لايواء الشيوخ الذين اصبحوا عاجزين عن العمل وتقطعت بهم الاسباب ولم تعد لهم اسرة يعيشون في كنفها او قريب ملزم بالانفاق عليهم شرعا ٠

٤ ـ واخيرا اعداد مؤسسات كافية لايداع من يضبط منهم متسولا، تطبيقا لاحكام قانون تحريم التسول ٠

ونعود في ختام هذا الحديث فنكرر ان الجهود كلها لن تؤتي ثمارها في القضاء على التسول الا اذا تعاونت سلطات الامن على تنفيذ القانون ، واعدت شرطة خاصة لمكافحة التسول وزود رجالها بما يلزم من امكانيات النقل السريع ٠

واخيرا تقع على الجمهور نفسه مسئولية المشاركة في انجاح هذه الجهود ٠

ان المتسولين يقبلون على احتراف هذه المهنة لانهم يجدون فيها الربح السهل الوفير بسبب سخاء جمهورنا في البذل والعطاء ٠ من الناس من يدفع للمتسول استجابة لعاطفته الدينية وزكاة عن نفسه وماله ، ومنهم من يدفع لكي يتخلص من مضايقة المتسول الذي يطارده ويلحف في سؤاله ٠

ونحن لانطالب الناس بان يكفوا ايديهم عن البذل في سبيل الخير ورعاية المحتاجين ولكننا نطالبهم بأن يوجهوا تبرعاتهم وزكاتهم الى الجمعيات والمؤسسات التي تعمل في ميدان الرعاية الاجتماعية بدلا من منحها الى متسول يخدعهم ليسلب اموالهم وهو لا يستحق منها شيئا في اغلب الاحيان ٠

وهنا يبرز واجب اخر هو ضرورة نشر هذه الدعوة بين المواطنين وتبصيرهم بحقيقة المشكلة بكافة وسائل النشر والاعلام ولا شك انه لو امتنع المواطنون عن الاستجابة الى المتسولين لاستطاعوا من جانبهم ان يحلوا هذه المشكلة ٠ ولاضطر المتسولون الى الانصراف عن مهنة كاسدة لا تعود عليهم بشيء ٠

وبعد فهذه هي الجوانب الرئيسية لمشكلة التسول وما اراه من وسيلة لعلاجها ، وتوفير الرعاية لمن يستحقها من المتسولين، سردتها بايجاز وتركيز لتكون اساسا للبحث والمناقشة حتى نصل الى الحلول النهائية التي نقضي بها على هذه الوصمة التي اتشوه جبين مجتمعنا الجديد ٠٠

من وحي الأدب

معالم الثأر في الأدب الشعبي

الادب الشعبي وما ينطوي عليه من فنون متعددة : امثال وحكم ومواويل واشعار وقصص تجرى على ألسنة الناس ، يؤلف صورة حية واعية للحياة الاجتماعية في مجتمع ما ، فهو يؤلف نتاجا يخرج من الشعب كتعبير عن التجربة الانسانية التي يعانيها في أعماقه • فالادب الشعبي هو اذن ، مجموعة من التجارب الجماعية التي تمخض عنها المجتمع من خبرات الاجيال المتلاحقة ، ويقدم لنا صورة صادقة لباطن الجماعة وظاهرها من عادات وتقاليد ، ومعتقدات وقيم وعلاقات اجتماعية تربط بين افرادها •

والاداب الشعبية يعتبرها الفولكلوريون اكمل النماذج الادبية دلالة على تأصل المزاج الفني في نفوس الفلاحين ، ذلك انها نتيجة منطقية للحياة في المجتمعات الزراعية ، تسجل نواحي المعرفة وجوانب الحياة الاجتماعية عندهم • ومن الطبيعي ان تتوافر لكل مجتمع زراعي هذه الثروة من المأثورية الادبية التي تهدف الى غاية تعليمية كالارشاد وتقرير قواعد السلوك الخلقي واصول المعرفة والمعتقدات والتنويع الشعبي الى آخرهذه النواحي المختلفة من النشاط الانساني •

ومادامت جوانب الحياة الاجتماعية في الريف تترجم في صور ادبية شعبية ، فمن الضروري ان تعثر اذن بين ثنايا هذه الصور على اصداء قوية لبعض التقاليد الاجتماعية الراسخة كالثأر الذي يتمسك به معظم سكان الريف فيعبر عن هذا التقليد ، بالكثير من الامثال والازجال والمواويل بحيث يتسع لنا المقام بان نرسم صورة مكتملة تفصح عن الملامح العامة لظاهرة الثأر ، من خلال ما يرويه القوم في مواطن الثأر للتعبير عن موقف من المواقف التي تنبثق من ثناياها فكرة الانتقام ، مثلا كالسخرية من شخص يتخاذل عن الاخذ بالثأر ، او شحذ الهممللانتقام من اعداء الاسرة او الاشادة ببطولة الشخص المنتقم او التحذير من قبول مبدأ الصلحمع الخصم •

★ ★ ★

الثأر لايموت

عادة الثأر كاية عادة او ظاهرة اجتماعية ، من الظواهر التي تتناول مجتمعا ما ، تمر بنفس المراحل التي تمر بها اكل ظاهرة عند تكوينها ، سواء اجاء ذلك بالامتصاص او نتيجة لتآلف مجموعة من الظروف والتأثيرات التي تصادف هوى واستحسانا في النفوس • وفيخلال فترة من الزمن تتأكد العادة وتثبت بعد ان تكون عناصر نموها وانتشارها قد اكتملت • فتصبح تقليدا راسخا لايمكن للشخص ان يرضى به بديلا •

ولا سيما اذا كان يعيش في مجتمع غير متحضر ، والمعروف ان الثأر لا يهون من سلطانه توالي السنين او تقادم الازمنة ، ولا يقر له قرار في اغــوار النسيان ، بل ان احداثــه وآثاره السيئة تظل تتعاقب على مر الايام ، يتناقلها الابناء جيلا بعــد جيل ، بتقــدير واخلاص ، ولهذا فالثأر لن يزول مهما طال امده ، بل يظل يتشعب ويتعاظم خطره ويتسع نطاقه على النحو الذي ترويه الامثلة الآتية :

ـ التار تكسر له ضلع ، يطلع له اربعة وعشرون :

والمعنى ان الثأر لن تنقضي احداثه بقتل الغريم ، بل سيظل ينتقل في سلسلة طويلة من الحلقات الانتقامية المتتابعة ويعني المثل ايضا ان الشخص الذي يقع عليــه الاعتداء ينتقم له من خصمه باضعاف اضعاف ما ارتكب ٠

ـ ضربة كف بضربة نار او اللي بيحط علي ورده بحط عليه ناره ٠ اي ان الشخص المعتدى ـ مهما تضاءل جرمه ـ لابد ان يؤول مصيره الى القتل ٠

ـ من كان له تار لايهنأ له طعام ٠

اي ان الشخص الذي وقع عليه عبء الثأر يظل زاهدا في الحياة حتى يتم له الانتقام لمقتل قريبه ، ويؤيد ذلك ما يشاهد في بعض الارياف ، عن امتناع افراد اسرة القتيل عن المشاركة في الاعياد او اقامة الاحتفالات بجميع الوانها او اقامة مأتم للقتيل حتى يثــأر له ، واحيانا يطلق الرجل لحيته ويكف عن الملذات حتى يقتص من غريمه ٠

ـ نقطة دم لا تعفن ولا تسوس ٠

اي ان دم القتيل لن يهدر مهما توالت الايام ٠

ـ اللي يفرش الارض نغطي له :

يقال عن القتيل انه فرش الارض ، واذا اقتص من القاتل قيل ، غطى له ٠
والمعنى اذن ان الذي يقع قتيلا لابد ان يثأر له ٠

ـ يعاود ييجي شنب غريمك الارض :

اي ستحين الساعة التي يلقى فيها الخصم مصرعه ٠
وكثيرا ما نرى الشخص المنتظم للثأر يقتفي اثر غريمه في كل مكان ولعدة سنوات بل ولعشرات السنين ، حتى يقضي عليه وربما في وضح النهــار او في مكان عــام دون خوف او حذر ٠

ـ يأخذ ربع قمح في ربع شعير :

اي ان الانتقام من الجاني لا يتم عينا بعين وسنا بسن، بل ان الانتقام يتخذ صورة القصاص من عدة افراد كثمن لمقتل شخص واحد فقط ٠ او ينتقم بقتل كبــير المكانة لصغــيرها ٠

★ ★ ★

التحرض عـلى الثأر :

والثأر بوصفه تقليدا جامدا راسخا في الجماعة ، يستمد وجوده واستمراره من هالة التقديس التي يحظاها من المجتمع فضلا عن انه يعيش في اللا شعور الجمعي الذي يجعل الناس يؤمنون اشد الايمان بالاطار الموروث • وفي المجتمع الذي تنتشر فيه عادة الثأر ، تتدرج شخصية الفرد داخل بناء اجتماعي كبـــير يهز الاهل ويرتبط بأفراده بعلاقات اسرية واجتماعية وثيقة ، مما ينقل مسئولية الثأر من الاطار الفردي الى الاطار الجماعي ، وبالتالي يصبح كل فرد ينتمي الى الاهل او العشيرة ، مسئولا عن حمايتهـم ضد اي اعتداء يقع على اي شخص ينتسب اليهم ، لان كل اذى ينال من الفرد انما ينال ـ على حد تعبيرهم ـ من العشيرة كلهم • ومن ثم كان من الضروري جدا ان يتحمل كل فرد مسئوليته المقدسة في الانتقام من خصمه وصون شرف الاسرة وكرامتها ، مهما كلفه ذلك من ثمن ، والا رمي بالخور والجبن وشيعته الانظار في كل مكان بالسخرية والنذالة وتطاولته الالسنة بكل ما ينتقص من رجولته وشجاعته حتى يصبح سبةالجماعةوهزأتها•

ويتخذ التحريض على الثأر اساليب مثيرة لاذعة تدفع الشخص الى عدم التهاون في الانتقام وتسخر من الشخص الذي يتقاعد او يتريث في الايقاع بخصمه ، على النحو الذي ترويه الامثلة التالية :

ـ بيت كلب واصبح راجل •

اي كن يقظا دائما مثل الكلب ، ولا تغفل عن غريمك حتى توقع به وتقتص منه •

ـ جاموستك جربانه ، قال فاضي روح حك لها •

اي لاتتغاض عن الاخذ بالثأر ، ولا تجلس كالعاطلين بل هب للانتقـام ، والمثـل سخرية لاذعة من الشخص الذي ينكس عن اداء واجب الثأر •

ويجب ان لاننسى دور المرأة ، فالمرأة لكي تثير حفيظة زوجها ، وتشعل حماسـة الفاتر ، تحاول ان تطعن رجولته ، ولا شك ان المرأة في الريف ، كثيرا ما تلعب دورا خلفيا خطيرا لتحريك الجريمة واثارة الضغائن وبعثها من سباتها ، بل ان نسبة كبيرة من جرائم الثأر ما كانت لتقع لو لم تتحايل النساء وتحرض عـــلى ارتكابها ، وكم من خصومات ومنازعات طواها النسيان واستقرت في اغـوار الماضي ، وما كانت لتشــق طريقها من جديد لو لم تبعثها المرأة وتنفث فيها سموم الحقد والانتقام ، وقد يغفل الابن او يتناسى الثأر من قاتل ابيه او قريبه لكن امه او اخته تظل تضرمفي صدره نارالضغينة والثأر ، بكلمات لاذعة ساخرة حتى يتم الانتقام • بل انها لا يهدأ لها بال ولا تقر لها عين حتى يجهز ابنها على غريمه • ولذا لا تكل المرأة من ترديد عبارات الحماس والسخرية على مسامعه •

ـ الدم بيوت :

الانتقام من الاسرة التي لوثت ايديها بدماء القتيل ٠

★ ★ ★

ومن ملامح الثأر ان اسرة القتيل لا تنتقم له الا من شخص ذي مكانة رفيعة في اسرة بحيث انه لايطلب القصاص الا من شخص كبير في اسرة غريمه ، كذلك اندراج الفرد بوجه لاسرة اخرى ، وبالتالي يقع عليه القصاص لمجرد ان فردا من اسرته اعتدى على شخصا مأجورا ومصدر هذا التقليد ان الفرد في هذا المجتمع شـــديد الحساسية لكل ما يتصل بكرامته الذاتية او كرامة اسرته وشدة اعتزازه بها بدرجـة تفوق الحـدود ، داخل نظام اجتماعي شبيه بالنظام القبلي ، يجعل زعيـم الاسـرة مسئولا عن اعتـداء الجاني ، اذ تترفع عن طلب القصاص من الفاعل الاصلي ، نظرا لقلـة شأنه ، أو كونه من اسرة اخرى ٠

القصاص من كبير الاسرة

ـ اذا ضربت اضرب كبير حتى اذا عيروك تستاهل التعيير :

اذا اردت ان تحوز تقدير الجماعة ، اعتد على كبيرها ، كذلك لا تنتقم من اسـرة الجاني الا في شخص الزعيم ٠

ـ سكتت المعزة ، البعير اجتر :

اي ان صغار الاسرة ووضعاءها قد انبروا للثأر بينما صمت كبارها ، وهذا دليل على خورها وضعفها ٠

★ ★ ★

الصـلح :

والصلح في مواطن الثأر عملية فاشلة في معظم الاحيان ، بالرغم من الجهود الممتازة التي يبذلها رجال الامن العام لفض المنازعات ، ويرجع ذلك الى عناد كل من الطرفـين المتخاصمين وترفعه عن قبول مبدأ الصلح الذي يفرض عليه التنازل عن حق الانتقام من خصمه وهو الامر الذي لايرضى به بأي حال ٠ ولهذا فالصلح في رأيهم دليل على ضعف منزلة الاسرة التي تقبله ٠ أو هو عبارة عن فترة هـــدوء مؤقت يعقبه صراع جديد بين الطرفين ٠ وقلما ينظر المتصالحون الى الصلح بروح جادة ٠ اذ يتحول الى اسلوب ماكر، ليستدرج احدهما الآخر بعد ان يأمن جانبه حينا من الزمن ٠ ولهذا ينتهي الصلح احيانا بنكث العهد ، واستئناف النزاع ، ولا سيما اذا كان ثمة تفاوت في خسائر الارواح عند الطرفين المتخاصمين ٠

★ ★ ★

الحذر من الاصدقاء والضعفاء :

وفي بيئة كهذه تتفشى فيها ظاهرة الثأر وما يتفرع عنهـــا من خصومات وضغائن ومنازعات يتخذ معظمها طابع العنف والمباغتة وهـــذا يقتضي من الشخص ان يتصف بالحذر والتشكك حتى في اقرب الناس اليه خشية ان يقع في الفخ ٠

ـ في الوجه مراية وفي القفا سلايه :

اي انه يتظاهر بصداقتك بينما هو ينوي بك سوءا ٠

ـ ايده في الويدية وعينه للرزية :

اي انه يريد ان يوقع بك شرا رغم تظاهره بصداقتك ٠

ـ جرحى من الخصم مرة اما من الحبيب فملايين:

والمعنى ، اذا كنت تحذر عدوك مرة ، فاحذر صديقك مرات ٠

ـ السراب اللي تستهتر به يبلك :

اي لاتغفل عن الشخص الضعيف ولا تستخف به لانه قد ينقلب عليك او يغرر بك فينتقم منك ٠

ـ بحتك بالابرة ولا سؤال اللئيم من الناس :

لا تدع غيرك يتولى عنك مسئولية القصاص ، بل قم واثأر بنفسك من خصمك ، مهما كلفك ذلك من جهد ٠

★ ★ ★

احتقار الضعيف :

وفي تلك المجتمعات التي تكون فيه النفوس متأهبة دائما للصراع او الانتقام ينظر عادة الى الفرد بعين التقدير على اساس قوته او ضعه ، ولهذا فان المعيار الذي يجيزللفرد احترام الجماعة له ، هو قوة بأسه وسطوته وبطشه فضلا عن تشيع اســـرة مرهوبة الجانب له ، تلك هي القيمة العليا لمثل هذا الفرد في المجتمع الذي يعيش فيه ، والتـــي تؤثر تأثيرا بالغا في علاقاته المتعددة وروابطه مع الاخرين ، وكلما ضعف نفوذ المرء كلما انحدرت مكانته ، واستخف به الناس وأمنوا بطشه وخاصـــة اذا كان ينتسب لاسرة هزيلة وليس ابلغ من هذه الامثال تعبيرا عن تلك المعاني ٠

ـ كلب دار ما لو تار

ويقصد بهذا المثل معنيان :

اولهما ان الشخص الضعيف لا يقتص له اذا اعتدى عليه والثاني ان الانتقام لايتم عادة اذا وقع الاعتداء منه على ابيه او شقيقه ٠

★ ★ ★

التخاذل عند الاخذ بالثأر :

واذا كان الثأر فرضا مقدسا على ابنائه ، فالعار كل العار ان يتنصل الفرد من فريضة الانتقام لمقتل ابيه او اخيه او قريبه ، اذ تلوكه الالسنة وترميه بالجبن والخيانة والنذالة ، ويوصم بانه لوث شرف الاسرة وهدر كرامتها ويصبح مثار سخرية الجماعة واستهزائها فيقال عن مثال هؤلاء :

ـ يا ما الخلفة الندامة تجيب العار لاهلها :

اي ان الابناء الذين يتقاعدون عن القصاص من خصمهم انما يجلبون الخزي والمهانة لآلهم ·

ـ لا يأخذ تار ولا ينجي العار :

وهذا المثال يغلب على النساء التقول به لتوبيخ ازواجهن الذين يتخاذلون عن المبادرة الى الانتقام · لأن الرجل حين يتراجع ويتقاعد لا ينقذ الاسرة او ينزع عنها العار الذي لحقها عند قتل احد ابنائها ·

★ ★ ★

قوة المرء في سلاحه :

ومادام القصاص محتمل الوقوع ان عاجلا او آجلا ، فلابد للسلاح الناري ان يلعب دورا خطيرا ، باعتباره الوسيلة الرئيسية للانتقام والدفاع معا ، وبالرغم مما يعانيه البعض من عوز وحاجة الى المال · وما يفرضه عليهم ذلك من عيش الكفاف · فان الفرد منهم لا يتردد قط في الحصول على قطعة واحدة على الاقل من السلاح ، مهما كلفه ذلك من ثمن حتى يتوفر له اداة الدفاع عن نفسه ضد خصومه ·

ويشير الى هذا المعنى المثالين التاليين :

ـ الي يمشي بايده يقول للشر تعال اجتر :
اي ان الشخص المجرد من السلاح يسهل الايقاع به ·
امثال اخرى :

اللي تاكل بحنكها تسد بقرونها :

يجب على القاتل ان يواجه الموقف بنفسه ، دون ان يستجدي معونة الآخرين اذا ما شرع عدوه في الاقتصاص منه ·

ـ لا راس الا دار عليها موسى :

اي لا توجد اسرة الا وسلبها الثأر بعض رجالها · وهنـــاك امثلة عديدة لهــذه

الحقيقة المؤلمة في المناطق التي ترتفع فيها نسبة جنايات القتل للثأر • ففي أوساط العشائر والبدو الرحل اسر كثيرة فقدت اكثر من رجل في معارك الثأر •

ـ قتلة تفوت ولا احد يموت :

ويقصد بالقتلة المتاعب التي سيلاقيها الجاني اذا حكم عليه بالسجن بسبب قتله لغريمه ، فهو مهما صادف من عذاب يكفيه انه انفذ قصده وصرع خصمه •

★ ★ ★

المواويل والازجال :

تروي موسوعة الدين والاخلاق ان ابا زيد الهلالي كان بطل مجموعة من القصص التي تتحدث عن بطولة بني هلال ومخاطرتهم منذ هاجروا من الجزيرة العربية ايام العباسيين وانهم عندما وفدوا مصر انتصر عليهم الفاطميون واسكنوهم مصر العليا ثم اجلوهم عنها الى افريقيا في القرن الحادي عشر • وبعد هذا التاريخ استوحى الادباء في اشعارهم وقصصهم بطولة ابي زيد ، وهو ما تحدث عنه ابن خلدون المفكر العربي في الجزء الرابع من ديوان العبر وديوان المبتدأ والخبر •

ويبدو ان القصص والاشعار التي الفوها بلغة شعبية واشادوا فيها ببطولات ابي زيد والهلالية وشجاعتهم في صراعهم الذي خاضوه مع القبائل التي مروا بها ـ اقول ان هذا اللون الشعبي من الادب البطولي قد استهوى الكثيرين ولاسيما العامة فهو بالاضافة الى طابعه الحماسي الفروسي الذي شغف به الفلاحون والعامة حتى اليوم ، قد صيغ باسلوب سهل اقرب الى العامية ثم اتخذ شكلا محليا صرفا ليس بينه وبين السيرة الاصلية سوى استعارة بعض اسماء الاشخاص والقبائل والبلاد ، ولاشك ان الحوادث الاصلية الحقيقية قد اصابها على مر الاجيال كثير من التحوير والتحريف •

وفي بعض المناطق الريفية القبلية يتغنى شعراء الربابة ببعض القصائد التي تحكي بطولات ابى زيد والزناتية الذين التحموا معا في صراع طويل ، فيجتمع الشبان والرجال حول الشاعر في المقهى ليستمعوا باعجاب وحماس لكل ما يقال من مواويل وازجال ، واحيانا يتبارى الشعراء الريفيون امام جمع من الناس ، فيلقي كل منهم قصائده ليبرز مقدرته على رواية الشعر وحفظ سير الابطال •

وجدير بالذكر ان كل ما يروى على السنتهم يدور حول موضوعات متشابهة : شجاعة المنتقم وشهامته وتمجيد الثأر والتغني بالكرامة الشخصية وشرف الاصل ، وهي كلها تؤلف مجموعة من القيم التي تلازم دائما ظاهرة الثأر ، بحيث لا تكاد تلمح قيما اجتماعية اخرى يدور حولها ادبهم الشعبي ، وان كان ذلك لا يستبعد ترديد بعض المعاني



كثيراً ماتؤدي الحال بعد الموال وضرب البزق الى اطلاق العيارات النارية

الخلقية الا انها قليلة التداول، ولايعني بروايتها الا عازفو الربابة، مادام القوم قد شغفوا بكل ما يتصل بالبطولة والحماسة والشجاعة التي استأثرت بذوقهم الادبي والفني ·

ونقدم هنا ثلاثة نماذج من المواويل التي تردد احيانا في تلك البيئات ، اولهــا يحكي طرفا من صراع الزناتية مع الهلالية :

— ١ —

عــامر يقــول لجــوابا	**هات العقــال والشــال**
انـا عيني يـا بنتي شــايف	**تجمــع الهـلايل شــال**
انــا ها ازرع جميـــل في	**سلامة لعل الجميل ينشــال**
انما خـايف اسـافر يا بنت	**الاقي امــك بذلوهـــا**
ويقســموا المـال قــوم	**عــــامر مـا يدوهــا**

* * *

ودي شــوله امـــي	**وسـط العــرب يهتــوها**
يبطل كـلامي وكرســي	**المملكـــة ينشـــال**

* * *

ســعدى تنــادى يا زناتي	**تعــالى اقولك عـلى شجها**
لابسه تــوب لكــن مــن	**غلب الزمان شجاه شـقاه**
تقــولوه قــوم اقلــع	**الرزا واتغطـى بالشــــقة**

* * *

ابا زيـد يوم ما جي عنــدنا	**جـاء عنــدنا نـــورى**
تمـر البـــلاد هــافي	**مـا عـاد ينفـــع النينـي**
ومـن غلب ابـو زيـــد	**زاد وجــدي وحنيني**
واللي انطعن في الجنـــاين	**اخـو حســـن وشقيقه**

* * *

وهذا الموال قيل على لسان احد الزناتية الذين خاضوا صراعا دمـويا طويلا مـع الهلالية في أرض مصر · فهو يستعد للسفر ليدافع عن بني قومه ضد اعدائهم ، عسى أن يردوا له الجميل في يوم ما ، لكنه لا يكتم مخاوفه من بني عامر ـ الهلالية ـ الذين قد اوغر رحيله صدرهم ، فهبوا للثأر من اسرته ويسلبوا ممتلكاته ويلحقوا الاذى والهوان بامرأته وابنته وأمه ، ولا يلبث ان ينتهي امره وتنهار زعامته ·

- ٢ -

طبيب البـــــلا فيــــه	جـرح الـزين حايس ادينـي
عـــــامين وشـــــــهرين	عـــلى البراش حاســـــديني
انــا حا اعمـل ايـه يا طبيب	بس اللـي انكتب باليـــدي
ورضيت بلبس الخيش	من بعد لبس الجوخ والبـلدي
وعـــدمت ولــــــدي	وبرضـه النـاس حاســـديني

* * *

والمقصود بهذا الموال ان الجاني لم يسلم من ملامة الناس وتقولهم عليه ، بالرغم من انه انتقم لمقتل ابنه وعوقب بالزج به في السجن ، وهو الان ينـام عن فرش خشـن ويأكل الخبـز الجاف ويرتـدي ملابس المذنبين ومع ذلك فهـو لايزال يصـلى لوم الناس وسخريتهم ·

* * *

- ٣ -

ما عجب الحكاية يا خالي واتلم
بدعوا لنا السجون جواها السبوع تتلم
مبنية من حجر سبك اذا انكب العسل فيه بتلم
مبنية من حجر سبك من داخل الحجر خشب بحديد
وبدعوا لنا مفاتيح تأمن علينا باكر وحديد
اذا كنت عاوز تسمع كلامي وتقول الفتى قاللي
اسمع آذان العشا جوا بيتكم واتلم

أي احرى بالمرء ان يكف اذنيه عن سماع وشاية الناس وتحريضهم له عـلى الثأر والا سيحل به قصاص العدالة ويلقى بمصيره في السجن والموال من تأليف احد شعراء الربابة الذي امضى في السجن خمسة عشر عاما لاشتراكه في احدى جرائم الثأر ·

* * *

العلاقات العامة للشرطة

أهمية العلاقات العامة :

ان كل منظمة ايا كان حجمها ، وسواء كان مجالها الخدمات العامة ، او الاعمال الخاصة يجب ان تعني وان تهتم بالعلاقات العامة بينها وبين مختلف طبقات المواطنين ، ذلك ان نجاح المنظمة او فشلها يتوقف على هذه العلاقات ، ولا يمكن للمنظمة بدونها ان تتقدم او تنجح ٠

العلاقات العامة للشرطة :

العلاقات العامة للشرطة هي عبارة عن مجموعة سلوك واعتقادات المواطنين تجاه هيئة الشرطة ٠ فهي تتضمن كل العلاقات التي توجد بين الشرطة وبين المواطنين ، اذ تشمل علاقات الشرطة بالصحف ودور النشر والاذاعة ومختلف الهيئات والمؤسسات والاندية والجمعيات بل وبالمواطن الفرد ٠ كما يمكن تعريف العلاقات العامة للشرطة بانها ناحية من نواحي نشاط وزارة الداخلية الغرض منه تنمية شعور افضل ، وايجاد التفاهم وحسن النية بين رجال الشرطة والمواطنين عن طريق تحليل اتجاهات الرأي العام ، وتوجيهه بواسطة كل وسائل النشر والتعبير كما تهدف العلاقات العامة الى تحسين العلاقة بين افراد هيئة الشرطة انفسهم وتقوية روح التعاون بينهم ٠

★ ★ ★

العوامل التي تؤثر في العلاقات العامة للشرطة :

العلاقات الودية بين افراد وهيئات المجتمع وبين رجال الشرطة يجب ان تلقى تفهما واسعا وتقديرا كاملا ٠ فنجاح اية ادارة للشرطة في قيامها بواجبها يقاس بمدى التعاون والمساندة التي تلقاها من المواطنين الذين تقوم بخدمتهم وحمايتهم ٠ لذا كان من الاهمية القصوى ان يتوفر لهيئة الشرطة الاحترام والتقدير من جانب المواطنين ٠ ويتوقف الحصول على هذا التقدير وذلك الاحترام الى حد كبير على سلوك رجال الشرطة انفسهم ٠

فمن ناحية رجال الشرطة يجب عليهم ان يعلموا ان العامل الاساسي في الحصول على صداقة المواطنين وثقتهم هو التزام سلوك يتصف بالمودة والصداقة وحسن النية

تجاههم ، كما يجب ان يظهر رجال الشرطة من الكفاءة والدراية والعلم والمقدرة ما يقدم للمجتمع صورة تتفق وما يتوقعه المواطنون منهم · وان يتشبعوا بروح التعاون وان يهتموا بالدراسة والتدريب والنظام لمواجهة مسئوليات الخدمة ·

وعلى كل رجل من رجال الشرطة ان يثق بنفسه ، والثقة بالنفس يجب ان تنبع من حسن ادائه لواجبه ، وهي صفة لازمة لبلورة الشخصية المتكاملة لرجل الشـرطة ، فالصبر والمهارة والاهتمام براحة المواطنين ومشاكلهم ، انما هي الصفات المميزة لرجل الشرطة الخبير بدقائق واجبه ·

ورجل الشرطة يعكس دائما صورة صادقة لهيئته ، فهو في نظر المواطنين يمثـل وزارة الداخلية باكملها ، وهو في نظر الاجانب والسياح يمثل بلده بأسره ، فسلوكـه وطريقته في معاملة المواطنين تخلق في نفوسهم صورة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة عن شخصيته وعن هيئته وعن وطنه ·

ويجب الا ينسى رجل الشرطة انه موضع اهتمام المواطنـين ومجال حديثهم فان حسناته واخطاءه ليست موضع اهتمام المتصلين به اتصالا مبـاشرا فحسب ، بل هي موضع اهتمام المواطنين عامة ، ذلك لان طبيعة عمله تجعله قريبا ومتصلا بكل نواحي نشاط المجتمع ·

لذا يجب عليه ان يتحلى بالعادات التي تحظى باستحسان المواطنين وارتياحهم ، فشجاعته التي يبديها في مواطن الخطر ، والهدوء الذي يجب ان يتصف به في مواقـع الاضطراب ، امور تثير الاعجاب ، وعطفه على الصغار ، ومساعدته للمصابين والشيوخ والضعفاء تضفي عليه حب المواطنين · ورجل الشرطة يجب ان يكون رقيقا مهذبا مع كل مستفسر ولايمنعه ذلك من ان يكون حازما من غير تعصب او تجاوز في استعمال القوة في الاحوال التي تستدعي ذلك ، فهذا السلوك سوف يقابل من الجميع بالارتياح ، بل انه سيكون موضع احترام المعتدى ·

ويتوقع المواطنون من رجل الشرطة ان يتصرف بحكمـة وكمال · فهم لا يعلمون شيئا عن المجهود الشاق الذي يبذله ، او ساعات العمل الطويلة التي يعملها ولا يقدرون قسوة الحوادث التي يمر بها · فهم ينتظرون منه دائما التصرفات الرقيقة المهذبة في كل الاحوال وتحت اية ظروف · لذا يجب ان يكون دائما موضع حسن ظنهم ·

واذا ما درسنا نفسية الجماهير لوجدنا انهم لا يهتمون بالماضي او الشهرة القديمة قدر اهتمامهم بالحاضر · فاجراء خاطيء من جانب احد رجال الشرطة يضيع اثر سنوات طوال من التصرفات الحسنة · كما نلاحظ ان طريقة اداء العمل وطريقة التحدث مـع المواطنين اهم بكثير في ميدان العلاقات العامة · من القول او العمل نفسه ، فالحكم على رجل الشرطة من وجهة نظر المواطنين يبنى على طريقة تصرفاته وكيفية محادثته للمواطنين· لذا يجب عليه دائما ان يحاول ان يترك في نفوسهم اثرا عميقا طويل المدى ·

ويتأثر الجمهور تأثرا حسنا بمظهر رجل الشرطة ، فاذا كان نظيفا ومنظما كان لذلك احسن الاثر في نفوسهم ، واقبلوا عليه يضعون فيه ثقتهم ٠

★ ★ ★

أهمية العلاقات العامة في مجال تنفيذ القوانين :

يمكن تشبيه العلاقات العامة للشرطة بانها عبارة عن المادة التي تسهل الاحتكاك بين الشرطة والشعب ، فنجاح اية ادارة يتوقف بصفة جزئية على تفهم المواطنين لرسالتها وتعاونهم معها ومساعدتها ٠ فحينما يفهم المواطنون ويقدرون عمل الشرطي فان اداءه لرسالته سيكون أكثر فاعلية ٠ وسترتقي مكانته بين أفراد المجتمع وسيسهل عليه قيامه بواجبه فيجب على رجال الشرطة ان يداوموا على غرس روح المودة والصداقة بينهم وبين أفراد الشعب لاكتساب حبهم وأن يلقوا عناية خاصة للاطفال ، فهم جيل المستقبل ومن الضروري اكتساب ثقته ، كما ان مظهر رجل الشرطة وهو يعطف على الاطفال يشيع بين المواطنين روحا من المودة والحب والتقدير ٠

وكثيرا ما تبدو الخدمات الشرطية في نظر المواطنين غامضة غير مفهومة ، فيجب على هيئة الشرطة ان توضح لهم انهم يعملون من اجل سبب معين وانهم يقومون بذلك لمساعدتهم ، فاذا لم يتضح الغرض من هذه الاجراءات للمواطنين ، فان هذا الغرض سيبدو اكثر صعوبة وسيكون من العسير وضعه موضع التنفيذ ٠ فالافراد دائما لا يحبون القيود ٠ وهم في ذلك لا يلومون المشرع الذي يضع هذه القيود ، وانما يلومون رجل الشرطة الذي يقوم بتنفيذها ، ومن ثم يجب ان يقتنع الافراد بأن رجال الشرطة يعملون لمساعدتهم وان هذه القيود قد وضعت لمصلحتهم ولأمنهم وسلامتهم ، والوسيلة التي يتبعها رجل الشرطة لتنفيذها ، معتمدا على الصبر ، ودراسته لنواحي الفهم الانساني ، تؤدي في النهاية الى تنفيذها ٠ مع الاحتفاظ بالعلاقات الحسنة مع المواطنين ٠ وكثيرا ما يفقد رجال الشرطة حسن علاقاتهم مع افراد الشعب اذا ما قاموا بتنفيذ القوانين بطريقة خاطئة ٠

فتنفيذ القوانين اذن خدمة عامة تعتمد في نجاحها على حسن العلاقات العامة بين الشرطة والشعب ٠ فالشرطة كقاعدة عامة ، يجب ان تعتمد على الشعب ليبلغ عن مخالفات القوانين ، ويدلي بالمعلومات اللازمة للقبض على المخالفين ٠

كما أن الشخص العادي لن يحترم سلطة رجل الشرطة الا اذا احترمه شخصيا اولا ، والسبيل الوحيد الى ذلك هو العلاقات العامة ٠ فرجال الشرطة حسب طبيعة عملهم من اقرب الناس الى الشعب ومن ثم يجب ان ينالوا احترامه وتقديره حتى يمكنهم مباشرة رسالتهم ٠



من واجبات الشرطي ان يكون دليلا ومرشـدا

أهداف العلاقات العامة للشرطة :

يجب ان تهدف هيئة الشرطة الى تحقيق الاغراض الاتية :

١ ـ ان تجعل عمل رجل الشرطة سهلا ، وذلك خلال التعاون والتفاهم بينه وبين افراد الشعب ٠

٢ ـ ان تجعل الافراد يـدركون ان كل رجل شرطـة هو صديق لهم يعمل عـلى خدمتهم ومساعدتهم ٠

٣ ـ ان تحصل على الاحترام لرجل الشرطة ، هذا الاحترام اللازم لرقي الانظمة الشرطية ورفع مستوى ادائها ٠

ولتحقيق هذه الاهداف يجب ان يكون لدى هيئة الشرطة اولا العناصر الجيدة ، من الافراد الممتازين وان تقوم بتدريبهم على مستوى عال ، وان تهيء لهم الادارات المناسبة والتوجيه المستمر ، وفي هذه الحالة يكون انشاء علاقات حسنة مع الجمهور امرا سهلا يمكن الاطمئنان عليه ٠

للشروط الواجب توافرها لقيام العلاقات الطيبة بين الشرطة والشعب :

١ ـ يجب ان تكون الخدمات التي تقدمها الشرطة للشعب واضحة للجميع ، فكثيرا ما يقوم رجال الشرطة باعمال رائعة ومفيدة دون ان يعلمها افراد الشعب ٠ بينما تبدو في نظرهم الاخطاء التي يتردى فيها بعضهم فيجب على هيئة الشرطة اظهار محاسنها وخدماتها ، حتى لا تسبب بعض الاخطاء الفرديةالاساءة اليهاوتعريض سياستها للخطر ٠

٢ ـ كثيرا ما يتطلب المواطنون من رجال الشرطة ان يقوموا بعمل المستحيل ،فيجب ان يفهم المواطنون المشاكل والمسئوليات الملقاة على عاتق هؤلاء الرجال حتى لا يطالبوهم الا بقدر استطاعتهم ٠

٣ ـ يجب ان يقتنع رجال الشرطة بانه يمكن عمل الكثير بواسطة تقوية العلاقات بينهم وبين المواطنين ، وعلى رجال الشرطة ان يتذكروا ان من حق الشعب ان يعلم ماذا يعمل خدامه ، وعلى كل منهم في دائرة عمله ان ينتهز الفرص ليحيط المواطنين علما برسالته وواجباته لتقوية الروابط بينهم ٠

٤ ـ على رجال الشرطة ان يقدروا حق التقدير وجهة نظر الشعب ، فيجب على كل منهم ان يضع نفسه موضع غيره من المواطنين ويرى كيف كان سيتصرف وكيف كان سيشعر ، وبذا يمكن ان يعرف وجهة نظرهم ومشاعرهم ، ويتصرف طبقا لذلك وعليه ان يعرف ما يحبه المواطنون وما يكرهونه ، وان يدرس مواقف غيره من الزملاء ليرى نتيجة ما قاموا به من اعمال ، فيتفادى ما وقعوا فيه من اخطاء ويستفيد مما حققوه من وسائل النجاح واكتساب ثقة المواطنين ٠

٥ ـ ويجب على رجل الشرطة ان يلاحظ انه لايمكن معاملة الجميع بطريقة واحدة فلكل مواطن وجهة نظره وطريقة تفكيره ومشاكله الخاصة ومن ثم يجب ان تختلف الطريقة التي يعامل بها رجل الشرطة كل فرد من افراد الشعب ، فالطريقة التي يتبعها رجل الشرطة في تعامله مع طائفة معينة من الافراد ٠ قد لا تصلح في معاملة طائفة اخرى٠ فبينما تكون مفهومة وصالحة للطائفة الاولى ـ تكون محرجة ومسيئة لطائفة ثانية ٠

٦ ـ تقدير هيئة الشرطة وافرادها انما يكون من وجهة نظر المواطنين والتصرفات التي يأتيها رجل الشرطة انما تعبر عن وجهة نظر ادارته ، لذا يجب ان يراعي رجل الشرطة دائما ما يصدر عنه من تصرفات ٠

٧ - بعد دراسة وجهة نظر الجمهور ، يجب على رجل الشرطة ان يحدد وسيلته ، فقد يكون من الجائز ان تغير ادارة الشرطة المختصة سياستها اذا ما اتفقت وجهات نظر المواطنين على عدم مناسبتها ، وقد يتضح ان المواطنين في حاجة الى معلومات اوضح عن تفاصيل المشكلةالتي تعالجهاالشرطةحتى يتقبلوا السياسةالعامة لادارة الشرطةالمختصة.

٨ - يجب ان تتم رسالة الشرطة على افضل واكمل وجه ، فالمقبوض عليه الذي يعارض القبض عليه يمكن معاملته بلطف ، فبالرغم من انه من الممكن اخضاعه بالقوة والعنف الا انه من واجب رجل الشرطة ان يفسر له تهمته ببساطة وان يوضح له مايجب عليه ان يفعله ، وانه لم يقم الا باداء واجبه فمهما كانت الظروف لا ينبغي ان نشجع المواطنين على معاداة رجال الشرطة واقصد في هذا السبيل ان على رجل الشرطة ان يستعمل الحكمة لقيادة المواطنين بدلا من استخدام السلطة التي يتمتع بها .

العلاقات العامة للشرطة من وجهة نظر المواطنين :

يتكون المجتمع في غالبيته العظمى من مواطنين مسالمين شرفاء ، ويكون عنصر الجريمة نسبة ضئيلة جدا من مجموع عدد السكان وتنفيذ اللوائح والقوانين امر لازم لسلامة وطمأنينة المجتمع ، ومخالفة كثير من هذه اللوائح لا يعني بالضرورةثبوت النزعة الاجرامية لدى المخالف ، لذا يجب ان ينظر الى تنفيذ القانون في مثل هذه الاحوال نظرة تعاونية تربوية ، يقف فيها رجل الشرطة موقف المدرس ، كما ان المشاكل الفردية التي تخص المواطن العادي تكون النسبة الكبرى من المشاكل التي يواجهها رجل الشرطة ، لذا كان الواجب عليه ان يعطيها نصيبها من العناية ..

ويرغب المواطنون دائما في ان تكون طاعتهم لاوامر الشرطة صادرة عن انفسهم لا ان تكون مفروضة عليهم ، ويمكن الوصول الى ذلك عن طريق توجيه النصيحة للمواطنين بدلا من اصدار الاوامر فاقتراح يقدمه رجل الشرطة الى جموع من المواطنين يؤدي الى نتائج اكثر فاعلية من اصدار الامر اليهم ، فبينما يحاول الفرد العادي انيحتج على الاوامر منددا بقسوتها وتعنتها وعدم لزومها ، نرى هذا الفرد سريع الاستجابة لنصيحة مهذبة مقنعة وبذا يمكن الحصول على تعاون الجمهور بدافع من انفسهم .

وينظر المواطنون الى رجل الشرطة على انه المكلف بحماية انفسهم وممتلكاتهم وان واجبه لا يقتصر فقط على معالجة الانحراف المؤدي للجريمة ، والقبض على المجرمينوتنظيم المرور وغيرها من وظائف الشرطة ، بل ان واجبه يشمل المشاركة الفعلية في كل ما يهدد سلامة المواطنين وصيانة ممتلكاتهم - حتى ولو لم يكن منبع الخطر أية مخالفة للقانون والمساهمة في النكبات العامة من فيضانات وزلازل كما ان عليه ان يبدي الاهتمام لكل الشكاوى والخدمات الاجتماعية والفردية التي تطلب منه .

ويجب على هيئة الشرطة لتكسب ثقة الجماهير ان تتبع دائما التذوق العلمي والفني والاجتماعي حتى يمكنها ان تطور نظمها وخدماتها تبعا لذلك .

كما اننا نلاحظ ان الجمعيات المختلفة والمؤسسات والهيئات المهتمــة بالشئون الدينية والثقافية والاجتماعية لها دخل كبير في حياة الافراد وتوجيه وعيهم العام ٠ لذلك يجب على رجال الشرطة ان يكونوا على اتصال دائم بهذه الجمعيات واشعارها بالخدمات التي تؤديها ٠ ومعاونتها على بلوغ اهدافها فان ذلك سيكون له اكبر الاثر في تقويــة الروابط بين هذه الجمعيات وبين الشــرطة وسيبرز بلا شك الوظيفــة الاجتماعيــة لرجل الشرطة ٠

رجل الشرطة رسول العلاقات العامة :

تنبع اسس العلاقة الحسنة بين الشرطة والشعب من شخص رجل الشرطة فهو ، كما اوضحنا ، المرآة التي تعطي الصورة الواضحة عن هيئة باسرها ، فيجب عليه الا ينسى نفسه سواء أكان في العمل ام في اوقات راحته ، فلن يحترم المواطنون السلطة التــي يمثلها الا اذا احترموه شخصيا ، فالسلوك غير السليم لرجل الشرطة سواء أكان بملابسه الرسمية ام بملابسه المدنية لن يسيء اليه فقط بل سيسيء الى هيئة بأكلمها فاذا ما كان سلوكه ناضجا مهذبا فان الاثر الذي سيستقر في نفوس المواطنين جميعا هو ان جميع افراد هيئته يمتازون بمثل هذا السلوك المشرف السليم ٠

ومما هو جدير بالذكر ان السلوك السليم المشرف لرجل الشرطة قدلايكونملحوظا دائما وانما اي سلوك سيء يصدر عنه سيلاحظ على الفور ، بل سيبالغفيه عند روايته٠ وافراد الهيئات والمصالح الاخرى قد تكون لهم اخطاؤهم الا انهم ليسوا عرضة للنقد كرجل الشرطة كما ان اخطاء رجل الشرطة تكون دائما مثار الحديث والنشر بصورة اوسع مما يحدث لاخطاء افراد الهيئات الاخرى ٠

والفكرة التي يبنيها المواطن عن رجل الشرطة وعن هيئته التي ينتمي اليها تتكون من اول اتصال له معه ، فيجب عليه ان يجاهد باستمرار كي يؤثر تأثيرا حسنا فينفوس المواطنين ، والمظهر هو اول شيء يلقى اهتمامهم ــ سواء اكان من ناحية التصرفات ام من ناحية طريقة الحديث فمظهر رجل الشرطة ٠ عبــارة عن اول دلالة للمواطنــين عما يتوقعونه منه ٠

ومما يجب على الشرطي مراعاته :

١ ــ اذا طلب منه مواطن شيئا لا يستطيع تنفيذه فيجب ان يبين له بادب سبب عدم الامكان ٠

٢ ــ مقابلة الزوار والمترددين على قسم الشرطة بالاهتمام ، والمبــادرة بتحيتهــم وافهامهم بان كل الخدمات اللازمة ستؤدى اليهم ٠

٣ ــ مراعاة عدم التصرف بطريقة توحي بانه يضيق بالمحادثة ، ويجب عليــه ان يتحمل محدثه اذا كان غامضا او مرتبكا ٠

٤ ـ يجب عليه أن يراعي نظافة مكتبه وتنظيمه فهذه أو ظاهرة الثقة به ٠

٥ ـ يجب ان يشعر المواطنون بتعاون رجال الشرطة واحترام بعضهم لبعض فبدون ذلك لن يحترم المواطن احدا من رجال الشرطة ما لم يحترم بعضهم بعضا اولا ٠

٦ ـ يجب ان يتمشى رجل الشرطة مع الثقلاء ولا يطردهم من مكتبه ، بل يجب ان يستعمل طريقة مهذبة لبقة لانهاء المحادثة ٠

٧ ـ يجب عليه ان يبادر الى اجابة طلبات المواطنين وان يتحاشى التلكؤ والتأخير وان يظهر استعداده لمساعدتهم دون تضرر ٠

٨ ـ ومن النواحي النفسية التي تقرب بين رجل الشرطة والمواطن الذي يقصده ان يناديه رجل الشرطة باسمه فان ذلك سيضفي على المحادثة لونا من الود وسيكون له اثر كبير في نفس المواطن يشعره بصداقة رجل الشرطة ٠

٩ ـ هناك كثير من الاشياء التي يعتبر رجل الشرطة انها اشياء بسيطة تصدر عنه في تصرفاته ومحادثاته فلا يهتم بها الا أن لهذه التصرفات أثرا كبيرا في نفوس المواطنين ٠ مثل تدخينه في الاماكن الممنوع التدخين فيها او قيادته السيارة بطريقة خاطئة او الوقوف بها في الاماكن الممنوع الوقوف فيها او السير في الشارع بالزي الرسمي غير كامل ، او ان يتبادل الفكاهات مع غيره من المواطنين ٠

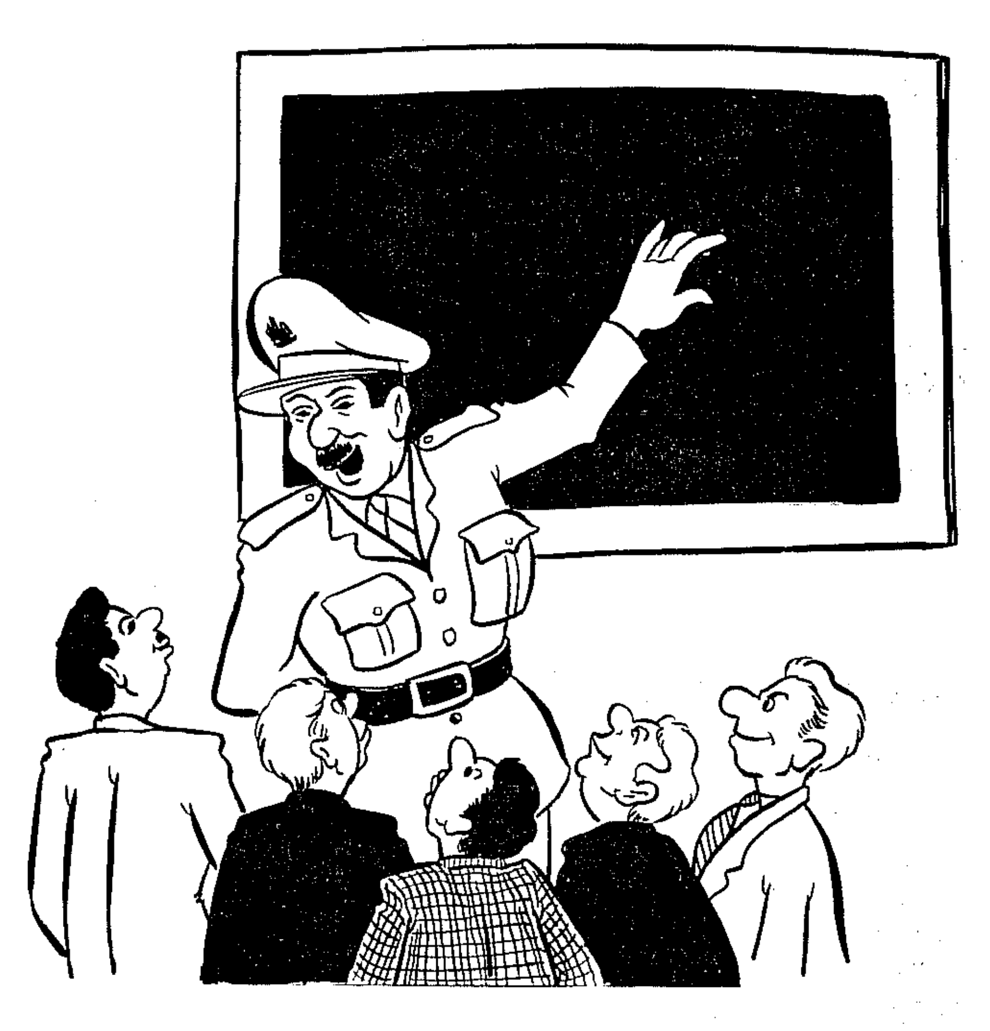
فان مثل هذه التصرفات وان اعتبرها رجل الشرطة بسيطة الا انها تهدر من قيمته وتسيء الى ادارته باكملها ٠

مبادىء ومثل أخلاقية :

القوانين ضرورة اجتماعية اقتضاها تنظيم الجماعة ، فالمجتمع هو الذي يضع القوانين والنظم التي يقوم رجال الشرطة بتطبيقها وتنفيذها ٠ وافراد هذا المجتمع يتطلبون منهم السلوك الطيب والخلق القويم وحسن معاملتهم والعمل على خدمتهم ٠ لذا يجب ان تكون الاخلاق والرغبة في خدمة المواطن رائد كل من يقوم بتنفيذ القوانين والفكرة التي يكونها المواطنون عن رجل الشرطة ـ تبنى على ملاحظة سلوكه ـ فهم يتوقعون منه ان يكون مثاليا في سلوكه وتصرفاته ذو كرامة وشهامة وان تكون اخلاقه فوق المستوى المطلوب من كافة المواطنين ٠

المثل التي يجب أن تتوافر في رجل الشرطة :

١ ـ النزاهة
٢ ـ الامانة
٣ ـ احترام حقوق الاخرين ٠
٤ ـ الثقة بالنفس ٠
٥ ـ اطاعة القوانين والتفاني في اداء الواجب ٠



لرجال الشرطة مهمات انسانية تقوم على اساس توعية المواطنين

السلوك العام لرجل الشرطة :

يجب على رجل الشرطة ان يراعي في سلوكه الشخصي الا يجلب لنفسه او لهيئته السمعة السيئة . وعليه ان يتحاشى كل ما من شأنه ان ينقص من قيمته وقدره مثل :

اساءة استعمال زيه الرسمي او بطاقته الشخصية ، او شرب الخمر في المحال العامة بالزي الرسمي ، او التحدث بدون سبب عن اعمال وظيفته وأهميتها ، وكذا لعب

القمار ، وقبول الهدايا او الخدمات الخاصة ، او الاهمال في اداء واجبه، واستعمال القوة دون مقتضى ٠

كما يجب عليه الا يخالط ذوي السمعة السيئة والمعروفين بارتكاب الجرائم وعليه الا يتردد على الاماكن المشبوهة ٠ اللهم الا اذا استدعى ذلك ظروف عمله ٠

طبيعة عمل رجل الشرطة :

رجل الشرطة معين لخدمة المواطنين فيجب ان يكون مظهره وسلوكه متمشيين مع وظيفة اهدافها حماية النشاط الانساني ورعاية الاخلاق وعليه ان يكون مرنا قادرا على التعامل مع كبار الشخصيات واكتساب احترامهم وان يكون في استطاعته في نفس الوقت التعامل مع افراد طبقات المجتمع المتأخرة ٠

ومن الصفات التي تمكنه من الاختلاط بمختلف الطوائف وابناء المهن المختلفة ان يكون قادرا على تفهم التعبيرات المختلفة التي يستخدمها ابناء كل مهنة ٠

تصرفات مطلوبة من رجل الشرطة :

يجب على رجل الشرطة ان يكون دائما يقظ الذهن ـ قوي الملاحظة متحررا من التعصب والتحيز ٠ قادرا على التصرف بلباقة ٠ عادلا في حكمه حتى يكتسب احترام المواطنين وصداقتهم ٠ وعليه ان يراعي :

١ ـ عدم مناقشة المسائل الدينية والسياسية بصورة علنية ٠
٢ ـ الاهتمام بحديث الآخرين ففي ذلك ما يضفي عليه صفة الدأب والاهتمام بمشاكل الآخرين ٠
٣ ـ الا يعرض عن محدثه او يتشاغل عنه باداء اي عمل ٠
٤ ـ ان يعطي المعلومات التي يطلبها المواطنون منه بصدر رحب ٠
٥ ـ الا يعطي المعلومات التي يطلبها المواطنون منه والتي تضر بالصالح العام
٦ ـ الا يعطل احد عن عمله اذا ما استدعاه للشهادة٠ ولا سيما اثناء ساعات عمله٠
٧ ـ المحافظة على المواعيد ٠
٨ ـ تجاهل بعض الاخطاء البسيطة في سلوك الاشخاص الذين يحتك بهم والتغاضي عنها حتى تستمر علاقته بهم قوية متينة ٠
٩ ـ الا يعتبر ان مناقشة اصحاب الشكاوى وقت ضائع ففي ذلك فائدة له في تقصي الحقائق وراحة له وثقة به ٠
١٠ ـ الا يتحدث عن الاشخاص ولا يجعلها محور حديثه ٠
١١ ـ ان ينمي معلوماته بحيث يمكنه دائما الرد على الاسئلة التي يمكن ان توجه اليه ٠

١٢ ـ ان يتجنب أثناء المناقشة او الحديث الفكاهات والاجابات السريعة التي تصدر دون تبصر ٠

١٣ ـ الا يتحدث عن عيوب ونقائص وعاهات الآخرين ٠

١٤ ـ ان يستعمل دائما التعبيرات المهذبة الواضحة ٠

١٥ ـ الا يقاطع من يتحدث اليه شاكيا متاعبه ٠

١٦ ـ يجب عليه عدم قراءة الجرائد والمجلات اثناء عمله وفي حضور المواطنين لان ذلك سيضفي عليه صفة من يهمل عمله ويضيع وقته في غير خدمة الجمهور ٠

وان يعلم ان النجاح في عمله وتأدية رسالته يجب ان يرتكز على التعليم والثقافة وكثرة الاطلاع واكتساب الخبرة الناتجة عن ممارسة العمل بكفاءة ، وان يكون محبا لعمله ولوظيفته مستعدا للتضحية بوقته وجهده لصالح العمل محترما لرؤسائه وزملائه متعاونا معهم وحسن المظهر مهذب السلوك متحليا بالخلق القويم والمبادىء السامية ٠

معاملة رجل الشرطة لمن يخالف القانون :

كلما نشط رجال الشرطة في القيام بواجباتهم في تنفيذ القوانين واللوائح كلما زاد اتصالهم بالجمهور وفي كل مرة يحدث فيها هذا الاتصال يستطيع رجل الشرطة ان يخلق في نفوس المواطنين فكرة حسنة عن نفسه وعن هيئته ٠ فيجب الا يكون رجل الشرطة عنيفا في معاملته للجمهور ٠ فان التعدي على القانون ليس تعديا على شخصه فاذا ما اتضح هذا المبدأ في ذهن رجل الشرطة حسنت علاقته بالمواطنين الذين قد يخالفون القانون ٠ كما يجب ان يذكر نفسه باستمرار انه خادم للجمهور ٠ وان يعرف ما يريدونه ويؤديه لهم دون استعلاء وان يدرب نفسه على ان يكون هادئا صابرا مهما طالت ساعات الخدمة وان يقوم بما يطلب منه بحماس واخلاص فلن يعتقد المواطنون في رسالة رجل الشرطة ما لم يعتقد هو فيها اولا والحماس الذي يبديه في مباشرة واجبه من مظاهر هذه العقيدة٠

دراسة مايجول في ذهن مخالف القانون عند ضبطه :

حتى يمكن لرجل الشرطة تكييف تصرفه مع مخالف القانون عند ضبطه يجب عليه اولا ان يعرف ماذا يدور بخلد هذا المخالف ، حتى يسلك الطريق الصحيح لمعاملته وتنفيذ القانون دون ان يفقد احترامه ٠

فقد تجول في ذهن المخالف انه يعرف قواعد القانون اكثر مما يعرفه رجل الشرطة، وقد يظن ان القوانين واللوائح انما صنعت من اجل المهملين عديمي التبصر وهو ليس منهم كما قد يعتقد ان تحرير المحضر ضده ما هو الا رغبة الدولة في زيادة مواردها بتحصيل الغرامات منه ومن سائر المواطنين الذين يوقعهم سوء الحظ في ايدي رجال الشرطة ٠

وقد يجول بخاطره انه لم يرتكب خطأ وان القبض عليه ظلم واضح ومتروك لتقدير رجل الشرطة ومدى فهمه للامور ٠

واحيانا ينظر المخالف الى رجل الشرطة على انه رجل مغرور يحاول اظهار سلطته فيستاء من تعطيله لاتمام اجراءات المحضر ٠

وقد يحقد ويثور لتفكيره فيما سيصيبه من سخرية اصدقائه وجيرانه حينما يعلمون بما حدث له ، وقد يصاب بالرعب خوفا من الغرامة او السجن ٠ وقد يكون متشاغلا عما يوجهه اليه رجل الشرطة من اسئلة ، مفكرا في مخرج من هذا المأزق ، وقد يكون قلقا لما سوف يثبت في صحيفة سوابقه ، وقد ينهار نتيجة لمتاعب عائلية او مالية سابقة ثم يجد نفسه في متاعب اخرى لا تتحملها طاقته النفسية ٠

وقد يعتقد ان ضبطه انما يرجع الى حب رجل الشرطة في ابراز مجهوده بكثرة عدد المخالفات التي يضبطها ٠

مايجول بذهن رجل الشرطة :

قد يعتقد رجل الشرطة في الوقت نفسه :

ان المخالف يحاول ان يخفي عنه شيئا وان المخالفة لا تزال تحتاج الى ايضاح وان المخالف جاهل وارتكب غلطة حمقاء ٠

وقد يشعر بالاهانة وعدم الاحترام لان المخالف لم يمتثل لامره عند محاولته ضبطه وانه بذل جهدا كبيرا في مطاردته والقبض عليه ٠

وقد يكون رجل الشرطة متعبا ولديه مشاكل عائلية او مادية تجعله يفقد بصره ويتطاول على المخالف ٠

واحيانا يشعر رجل الشرطة بالنقص ، من كبر مركز المخالف الادبي وتعليمه العالي فيحاول احراجه ٠

وقد يشعر رجل الشرطة بالغضب لاعتقاده ان مخالفة القانون اهانة له وجرح لسلطاته ٠

ونتيجة لكل هذه الاسباب فان هناك بونا شاسعا بين وجهة نظر المواطن ووجهة نظر رجل الشرطة ، وليست هناك مرحلة وسطى يلتقيان فيها ، فليس لدى اي منهم القابلية او صفاء الذهن ليعدل قليلا عن افكاره ويلتقي مع افكار الاخر ٠

الا انه من واجب رجل الشرطة ان يبدأ هو بالاتصال بالمخالف باقل احتكاك ممكن مع اداء واجبه في تنفيذ القانون كاملا ،فلن يمكنه ان يجعل القبض على مخالفي القانون امرا مستحبا ، ولكنه بلباقة يمكنه ان يجعله خفيف الوطأة ٠



اقتراحات لرجل الشرطة عند احتكاكه بمخالف القانون

يجب ان يتخذ رجل الشرطة قراره تبعا لوقائع المخالفة والا يجعل لسلوك المخالف دخلا في ذلك ٠ فيجب ان يعطف رجل الشرطة على محاولات المخالف للدفاع عن حقوقه ، مادام يفعل ذلك في الحدود القانونية وبالوسائل السلمية ، ويجوز ان يكون المخالف الذي يحاول ان يكون مؤدبا مع رجل الشرطة ، يتعمد المخالفة للقانون ويتخذ من هذا الادب وسيلة لخداع رجال الشرطة واستدرار عطفهم ليخلوا سبيله ويجب ان يتنبه لذلك رجل الشرطة فيتخذ قراره بحزم ولا يتراجع عنه ، مادام مبنيا على القانون والوقائع الصحيحة الثابتة ٠

وعليه ان يخطر المخالف بما سيقوم به في بادىء الامر ٠ فاذا كان ينوي توجيه النصح للمخالف وانذاره فليفعل ذلك ، ولكن عليه ان يخطره منذ البداية من انه سيوجه اليه انذارا هذه المرة ، كي لا يتيح له الفرصة لان يذيع بين الناس أنه قد تمكن من خداع رجل الشرطة واقناعه بعدم تحرير مخالفة ضده ٠

وعلى رجل الشرطة ان يتحدث مع المخالف بطريقة طبيعية ، والا يتظاهر او يمثل امامه وان يحتفظ دائما باتزانه وهدوئه والا يظهر انفعاله او احساساته او يرفع صوته فاذا كان رجل الشرطة منفعلا ، فيتمهل قبل التحدث الى المخالف حتى يستعيد هدوءه ٠

ويجب ان يتذكر رجل الشرطة دائما ان مخالفة القانون ليست موجهة ضده وان يبني حكمه دائما على وقائع المخالفة فقط ٠ فعمل المخالف ما هو الا تعد على القانون ، لا تعد على رجل الشرطة ، وعليه ان يهمل كل مايفعله المخالف لاثارته ٠ فغالبا ما يكون هذا ناشئا عن حالته النفسية المضطربة ، لذا كان من الافضل ان يعطى المخالف فترة من الوقت يستعيد فيها هدوءه قبل التحدث اليه ، وان يتجنب المناقشة مع المخالف ، فالحديث يجب ان يكون قصيرا واضحا ، لان المناقشات البسيطة تكبر وتمتد ٠

ولا يجوز لرجل الشرطة معاقبة المخالف باية وسيلة ولو كانت بتأخيره او احراجه او حتى بان يهدده بذلك ، فالعقاب من اختصاص المحكمة ولا يجوز اهانة المخالف او اشعاره بالغباء فقد يكون المخالف معذورا فيما فعل وقد يمكنه الاقناع ببراءته ٠ فيجب ان تعطى له الفرصة لذلك ٠

ولا يصح لرجل الشرطة مناقشة المخالف في وصف التهمة ، وان في استطاعته تشديدها او تخفيفها ، ففي ذلك مدعاة للشبهة ، بل يجب عليه ان يوضح للمخالف وصف التهمة واسباب ذلك ٠

ورجل الشرطة كغيره من البشر عرضة للخطأ فاذا ما ارتكب خطأ كان عليه ان يتراجع ويصلح هذه الاخطاء بلباقة وذكاء ٠

علاقة الصحافة بالشرطة :

تؤدي الصحافة للمجتمع رسالة هامة وتجب ان تلقى رسالتها التفهم الكامل من رجال الشرطة فواجب الصحافة هو ان تمد المواطنين دائما بالانباء التي تهمهم ومن هذه الانباء نشاط هيئة الشرطة وجهود افرادها ٠ ومن واجب رجل الشرطة العمل على نشر المعلومات التي تساعد على معرفة واحترام القانون الذي يقوم على تنفيذه ٠

ومن الواضح انه لابد ان يكون لدى رجل الشرطة التقدير الكافي لمعرفة ما يجب وما لايجب اذاعته من اخبار رئاسته ٠ فاذا كان الامر مما يجوز الاخبار به وجب ان يكون ذلك الاخبار صحيحا مقنعا ٠ اما المسائل التي يرى الضابط انها معقدة وتحتاج لدراسات خاصة لوجهات نظر المسئولين وجب عليه ان يحيل امر الافاضة في مثل هذه المواضيع الى ادارة الشئون العامة المختصة والتعاون بين رجال الشرطة ومندوبي الصحف ودور النشر امر له اهمية قصوى للحصول على علاقات طيبة مع المواطنين فالتعاون والسلوك الودي تجاه رجال الصحافة والاهتمام بما قد يبدونه من استفسارات سيكون له اكبر الاثر في نشر الحقائق من وجهة نظر الشرطة الامر الذي يتيح لهم نشر افكارهم وآرائهم على اكبر مجموعة من المواطنين والحصول على تأييدهم وصداقتهم ٠

ويجب الا نستغل هذه الوسيلة لتمجيد اشخاص كبار رجال الشرطة والاشادة بهم فالنشر بالصحف له اهداف تتعلق برسالة رجال الشرطة وليس الغرض منها الدعاية لهم وابرازهم دون غيرهم ٠

ومن اهم الاغراض التي تؤدي الصحافة دورا هاما لتحققها في ميدان العلاقات العامة للشرطة ، هي نشر طرق ارتكاب الجرائم وتوجيه نظر الجماهير الى بعض المجرمين واماكن نشاطهم حتى يتلافوهم ، كما تساعد الصحافة في تعليم المواطنين التعاون مع رجال الشرطة في تأدية واجبهم وابلاغهم عن كل ما يساعدهم في اداء هذا الواجب ، وتؤدي الصحافة دورا هاما في ايضاح الاحتياطات الواجب اتخاذها للوقاية من الجرائم ونشر صور المجرمين الخطرين او الاشخاص الغائبين او المطلوب القبض عليهم ٠

الا انه يجب الامتناع عن نشر كل مايؤدي الى تنبيه المجرمين الى الوسائل السرية التي يستعملها رجال الشرطة او تعريفهم بشخصيات رجال المباحث او ايضاح وسائل التضحية التي قد يلجأون اليها ٠ كما يجب تحاشي ذكر اسماء المبلغين حتى لا يتعرضون لانتقام المجرمين ٠ ويجب ايضا الا يشار الى طرق التزوير المختلفة والى تفاصيل طرق ارتكاب الجرائم ٠ وكيف ذلل المجرمون ما اعترضهم من صعوبات حتى لا تنقلب هذه الوسيلة في صالح المجرمين وذوي الميول الاجرامية والنشر لابد ان يأتي في الوقت المناسب ، فالتسرع في النشر قد يعوق التحريات او يتدخل في القبض على المجرمين او يعرقل نجاح تنفيذ الخطط المرسومة لذلك الغرض ٠٠ فاذا ما تم القبض

على الجناة اصبحت القضية ملكا عاما للشعب يستطيع رجل الشرطة المختص بان يعطي ما يشاء من المعلومات بامان ٠

ومن كل ذلك يتضح ان علاقة الصحافة بالشرطة من اهم العلاقات التي تتدخل في تحديد العلاقات العامة واشباع رغبة المواطنين يمكن تحقيقها على الوجه الاكمل بتعاون الصحافة مع رجال الشرطة في الحصول على المعلومات ونشرها ٠

كما تخدم الصحافة ايضا هيئة الشرطة في ابلاغ المواطنين بكل ما يطلبه رجال الشرطة وبكل ما يلاقونه من مشاكل تستدعي تعاون المواطن معهم ومساندتهم ولذا يجب ان تتخذ ادارة العلاقات العامة الوسائل الكافية للسماح للصحفيين بالحصول على المعلومات الصحيحة الوافية وان يمكنوا من الاطلاع على النشرات والتقارير الخاصة بالحوادث ٠

ومن المبادىء الاساسية التي يجب مراعاتها في هذا السبيل عدم التمييز بين صحيفة وأخرى ـ وذلك بافشاء بعض الاخبار لصحيفة دون أخرى أو عرقلة جهود اي صحفي ٠ ففي ذلك ضرر واي ضرر بعلاقة الشرطة بالصحافة ٠ ومن ناحية اخرى تعمل الصحافة على نشر جهود رجال الشرطة في شتى الميادين ٠ وتوضح بجلاء ولاكبر عدد ممكن من المواطنين مدى الخدمات والمساعدات التي يؤدونها فتعمل على تصحيح الافكار الخاطئة التي قد تكون في اذهان البعض عن رجال الشرطة ٠ وبذا تخلق الصحافة وعيا عاما لدى المواطنين باهمية رجال الشرطة واهمية الخدمات التي يؤدونها للمجتمع فيقبلون عليهم متعاونين متحابين الامر الذي يعود بالفائدة على الامن العام بل وعلى هيئة الشرطة ورجالها ٠

الخاتمة

العقبة الكبرى في الحصول على علاقات حسنة مع المواطنين تقع على كاهل رجال الشرطة انفسهم ، فيجب عليهم ان يعرفوا انه لايمكن تحقيق هذا الهدف بمعرفة فرد واحد فيجب على كل منهم ان يعمل على تحسين مستوى وظيفته والوصول به الى المستوى الذي يتوقعه المواطنون ، ويجب ان يعملوا دائما على ان يكون المواطنون خلفهم يساندون كل خطوة من خطواتهم ، فالاسس الخلقية والمبادىء القويمة واحترام حقوق المواطنين ورعايتها امر مطلوب من رجال الشرطة حتى يمكن للمواطنين ان يثقوا بهم وفي رسالتهم ٠

والمسئوليات التي تقع على عاتق رجل الشرطة مسئوليات جسيمة فيجب ان يكون عادلا وحازما ، صديقا وقانونيا ، رحيما وشديدا عند اللزوم ، معاونا وناقدا اذا استدعت ذلك واجبات وظيفته ، مخلصا لتقاليده ونظمه وشجاعا تظهر الرجولة في تصرفاته ٠

انها ليست مهمة سهلة كي يكون رجل الشرطة ناجحا ، فليس سهلا ان تباشر شؤون ادارة للشرطة ، لانها من أهم الوظائف التي تتطلب ان تعطي كل شيء لكل الناس ٠

مهمة المرشد او المخبر السري في البحث الجنائي



ويتعين على رجل المباحث الا يأخذ البيانات التي يقدمها المرشد
كقضية مسلم بها ، بل عليه أن يتلقاها بحذر

مقدمة

أثار موضوع استعانة رجال المباحث بالمرشدين جدلا كبيرا بين رجال القانون وغيرهم من المهتمين بعلوم الجريمة والشرطة ، فبينما يعارض بعض الفقهاء بشدة في استعانة رجل المباحث بالمرشد لامداده بالمعلومات ، لايرى البعض الآخر مانعا من الالتجاء اليه اذا دعت الحال ٠

وفي رأينا أن التجاء رجل المباحث للمرشد أمر ضروري ، لان المرشدين من أهم مصادر المعلومات لرجال الشرطة ، وفي وسعهم ـ كأفراد من عامة الشعب ـ التغلغل في مختلف الاوساط ، والاحتكاك بكافة الطبقات ، الامر الذي لايتيسر دائما لرجال المباحث ، لاعتبارات خاصة تتصل بوظائفم ومركزهم الادبي في المجتمع ، فاذا ما أحكم تنظيم القواعد التى تحدد علاقة رجال المباحث بالمرشدين ، واذا ماعني باختيار هذه الفئة من بين المواطنين الشرفاء الذين نالوا قسطا من التعليم ، وحنكتهم الايام والتجارب ، واذا ماأبعد عنها كل فاسد أو جاهل ، لاسفر استخدام المرشدين عن أطيب النتائج ، سواء في منع الجرائم قبل وقوعها ، أو في كشف حقيقتها اذا وقعت ، وضبط مرتكبيها واقامة الادلة عليهم أمام القضاء ٠ من هو المرشد ٠٠

يعرف البعض المرشد بأنه الفرد الذي يستخدمه رجال الشرطة السريون والعلنيون بقصد الحصول على معلومات في قضايا معينة ٠ ويعرفه أحدهم بأنه الفرد من الاهالي يستخدمه رجال المباحث في عمل أبحاثهم السرية وتحرياتهم نظير أجر يعطى له ٠

كما يعرفه آخر بأنه رجل الاستعلام الذي يثق فيه رجال الشرطة والذي يتعاون معهم للكشف عن غوامض الحوادث ٠

ونحن نعرفه بأنه الشخص العادي الذي يلجأ اليه رجل المباحث سرا ليمده بالمعلومات ـ بأجر أو بدون أجر ـ حتى يتمكن من اتخاذ الحيطة لمنع وقوع الجرائم ، أو من الوصول الى الجناة الحقيقين لجريمة وقعت بالفعل ٠

فالمرشد لايعد موظفا عموميا من موظفي الدولة لان الموظف العمومي هو الشخص الذي يساهم في عمل دائم ، في مرفق عام تديره الدولة ، أو غيرها من الوحدات الادارية بأسلوب الاستغلال المباشر وتكون مساهمته في هذا العمل عن طريق اسناد مشروع لوظيفته بناء على قرار بالتعيين من جانب الادارة ، وعلى قبول هذا التعيين من جانب صاحب الشأن ٠

كما أنه لايعد من رجال أو من مرؤوسي أو من معاوني الضابطة القضائية أو الضابطة الادارية في الدولة ٠

وهو في الوقت ذاته لايعد من رجال « **المباحث الاهلية** » •

وينبغي عـلى رجل المباحث أن يلزم جانب السرية التامـة عند اتصاله بالمرشـد الـذي يتعاون معه •

ونحن نفضل ان يتم هـذا الاتصال بعيدا عن مقر عمل رجل المباحث ، خشية افتضاح أمر المرشد لكثرة المترددين على هذا المقر عادة ، وان كان بعض الفقهاء يرى أن يتم هذا الاتصال بمقر عمـل رجل المباحث ، لان ذلك في رأيـه ينأى برجل المباحث عن التردد على الاماكن المريبة ، ويقيه مخاطر الوقوع في أي شرك قد ينصب له •

ولايجوز لرجل المباحث أن يكشف عن شخصية المرشـد ، مهما كانت الظروف والاسباب ،الا لرؤسائه المباشرين ، وفي حدود العمل فقط ، وذلك حتى لايحجم الناس عن مساعدة المرشد أو يعمد بعضهم الى الانتقام منه وحتى لايتخذ المرشد من اتصالـه برجل المباحث سبيلا الى العبث بالامن أو الى جر مغانم غير مشروعة •

فاذا ماكشف رجل المباحث عن شخصية المرشـد الذي يتعاون معه جاز تقديمه الى المحاكمة الجنائية ، اذا ماتوافرت قبله أركان جريمة افشاء الاسرار لانه بعمله هـذا يكون قد أفشى سرا من أسرار المهنة وهو مالايجوز افشاؤه •

والمرشد اما أن يكون محترفا ، أو غير محترف فيكون محترفا اذا قام بالارشـاد نظير جعل يتقاضاه بطريقة منتظمـة ، ويكون غير محترف اذا دفعته الى معاونة الشرطة دوافع مؤقتة تنتهي مهمته بانتهائها كمـا اذا رغب في تقديم العـون لرجـال المباحث لاعتبارات عاطفية أو أغراه الحصول على مكافأة معروضـة لمن يدلي بمعلومات تؤدي الى ضبط الجناة في احدى الجرائم الخطيرة ، أو دفعته الرغبة في الانتقام من الجناة الحقيقيين الى الوشاية بهم لدى رجال الامن • وقد يكون الدافع هو رغبة المرشد في تضليل رجال الشرطة وابعادهم عن الطريق الصحيح للبحث عن الجناة الحقيقيين للجرم المقترف •

صفات المرشـد •••

ان حسن اختيار المرشد يؤدي الى تسهيل مهمة رجل المباحث في التحري والبحث ويوفر عليه كثيرا من الوقت والجهد ، ولـذا يجب أن تتوافر في المرشد المحترف عـدة شروط اذا فقد أحدها أصبح غير صالح للقيام بهذا العمل •

وأول هـذه الشروط / أن يكون بعيدا عن كـل شبهة حتى يمكن الركون الى المعلومات التي يقدمها •

ولذا ينبغي أن يوضع المرشد الـذي يرغب في معاونة رجال المباحث ـ بأجر أو بدون أجر ـ تحت المراقبة السرية الدقيقة قبـل التعاون معه ، فاذا ماتبين بعده عـن الشبهات اختير لهذه المهمة ، والا فلا يصح اختياره لها • ذلك لان تعاون رجل المباحث

مع الاشخاص الذين تكتنفهم الشبهات كثيرا ماتنجم عنه المتاعب ، وقد يفضي الى أوخم العواقب ، فضلا عن ضياع الوقت سدى ، وهو أثمن شيء لدى رجال المباحث ٠

والشرط الثاني : أن يكون قوي الملاحظة ، قادرا على تذكر الوقائع والمشاهد التي مرت حتى التافه منها ، لان قوة الملاحظة تساعده في الوصول الى الحقيقة ٠

والشرط الثالث : أن يكون رابط الجأش قوي الاعصاب ، لان الشخص المضطرب سرعان ماينفضح أمره وتنكشف حقيقته وبذلك يهدم كل مابناه ببحثه وتنقيبه ٠

والشرط الرابع : أن يكون ذا صلة كبيرة بالجمهور لان الشخص المنطوي على نفسه لاجدوى منه في هذا العمل الذي يحتاج الى احتكاك دائم بالناس لمعرفة مايدور بينهم ٠

ويحسن أن يكون المرشد على قسط من التعليم يستعين به على أداء عمله ٠

أما المرشد غير المحترف فلا تشترط فيه هذه الشروط ، لان تعاونه مع رجال المباحث تعاون وقتي ، وعلى رجل المباحث أن يأخذ المعلومات التي يدلي بها بتحفظ شديد وأن يتحرى عنها بدقة ٠

صلة المرشد برجل المباحث ٠٠٠

يتعين على رجل المباحث ألا يخرج بعلاقته بالمرشد عن نطاق العمل مهما كانت الاسباب والظروف ٠ فكل علاقة شخصية بينه وبين المرشد ممنوعة منعا باتا ٠

كذلك ينبغي عليه ألا يظهر اهتماما كبيرا بالمعلومات التي يأتي بها المرشد حتى لايعتقد أنه صاحب الفضل الاول فيما حققته رجال المباحث من نجاح ٠ وعليه أيضا ألا يكشف للمرشدين عما وصل اليه من معلومات يجهلها ، فقد يكون المرشد مدسوسا عليه من بعض المجرمين لمعرفة خططه ونواياه حتى يأخذوا حذرهم منها وعليه كذلك ألا يبسط حمايته على المرشد ، فاذا ارتكب المرشد مايستوجب المسؤولية جنائيا فلايجوز لرجل المباحث أن يتستر عليه ، أو أن يقلل من أهمية ماوقع منه ٠

ويتعين على رجل المباحث ألا يأخذ البيانات التي يقدمها المرشد كقضية مسلم بها ، بل عليه أن يتلقاها بحذر ، وأن يتأكد من صحتها قبل أن يشرع في أي اجراء مترتب عليها خشية الوقوع في أخطاء تذهب معها كل جهوده هباء ٠

كما ينبغي له أن يكافيء المرشد المحترف اذا قدم له بيانات هامة أو حاسمة ، حفزا لهمته وتشجيعا له على الاستمرار في مده بالمعلومات الصحيحة ٠ وعلى رجل المباحث أن يسلك في مكافأة المرشد طريقا وسطا بين التقتير والاسراف ، فان كلا الامرين لاتحمد عواقبه.

ولا مانع من أن يستخدم رجل المباحث أكثر من مرشد واحد في منطقة واحدة فقد يجد في مقارنة البيانات التي تقدم اليه من عدة مصادر وسيلة للتثبت من صحة المعلومات التي تضمنتها ، بشرط أن يحرص على بقاء تلك المصادر منفصلة بعضها عن بعض وكلما أحاط رجل المباحث نفسه بأكبر عدد من المرشدين ، في كل وسط وفي كل مكان ، كلما كان النجاح حليفه ٠

كلمة لابد منها قبل الدخول في عالم الجريمة

في ربوع بلادنا ، أمن وسلام ، والامن هو الشغل الشاغل ، لكل حكومة تحرص على مصالح شعبها ، وهو واجبها الاول حيال مواطنيها ، والامن الذي ينعم به المواطنون لم يأت اعتباطا ، وانما هو نتيجة تفاعل عدة عوامل سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ووظيفية ٠

أما العامل السياسي ، فقاعدته ، الاستقرار الذي نعمت به بلادنا منذ قامت ثورتنا المجيدة ، ونعني بالاستقرار السياسي هنا ثبات الاوضاع السياسية وعدم تعرضها من حين لآخر للهزات التي تفقد رعايا الدولة والقاطنين بها الثقة في كل نظام ، تنشئه الدولة ، مما يولد حالة من القلق والاضطراب ، يستغلها بعض ذوي المآرب الاجرامية ويضطرب بها حبل الامن ٠

* * *

والانتعاش الاقتصادي عامل لايخفى أثره على الامن واستقراره ، الامن والرخاء ، كلاهما وليد الآخر ، وكلما عم الرخاء ، استتبع ذلك تضاعف فرص العيش أمام المواطنين، واختفت ظواهر البطالة ، وقلت تبعا لذلك البواعث المؤدية الى ارتكاب الجريمة ، وشاعت الطمأنينة والثقة في نفوس الجماعات ، وتدافعت نحو العمل والانتاج في جو لاتستبد فيه المخاوف والشكوك ٠ فيزيد الرخاء ٠ وتعم الرفاهية ٠

* * *

وثالث العوامل المتفاعلة ، في محيط الامن « الوعي الشعبي » ونعني به ادراك المواطنين ، ليس لحقوقهم فحسب ، بل ادراكهم لواجباتهم ايضا ، وأن تشيع في نفوسهم روح احترام القانون ، وتقديسهم لما يفرض عليهم ، وكلما ارتقى وعي الجماعة ، لازم ذلك شعورها باحتقار الجريمة ، وكان ذلك دافعا لها الى معاونة السلطات العامة في محاربتها والقضاء عليها ٠

ان روح التعاون التي تسود مجتمعنا ، في علاقاته مع رجال الامن ، هي خير مظهر لهذا الوعي ، فلقد تبادلا الثقة والشعور بمسؤولية مجابهة الجريمة ، ومناهضتها وأصبح شعار الشرطة الذي يفخر به « رجال الامن في خدمة الشعب » ٠

* * *

أما رابع العوامل ، وأهمها ، فهو وجود جهاز للامن العام حازم واع ، اذ لايكفي أبدا أن يسود وطننا الاستقرار السياسي ، ويعمه الرخاء ، وينتشر وعي الجماعة ، لكي يستتب الامن ، بل يلزم الى جانب كل ذلك جهاز أمن ، حازم ، يقف للجريمة والمجرمين بالمرصاد ، ويكون حربا عليها ، ويكون يد الدولة التي بها تبطش بكل معتد أثيم ، وهذا مايهدف اليه المسؤولون ، من جهودهم التي يبذلونها في بلدنا لترقية وتنشيط وتوسيع أجهزة الامن في الجمهورية العربية السورية ٠

سورية العربية موطن الخير والنبل والعطاء

ليس من قبيل الفخر ، أو التعصب ، أن اندفع بكل تواضع واخلاص ، لاقول باعتزاز وزهو – أن سورية العربية موطن الخير والنبل والعطاء ، وليست بلد الجريمة ، وماذلك الا لان هذا الشعب العظيم الكريم ، الذي أتشرف بالنسبة اليه ، شعب أصيل في عروبته ،تمرس على الشهامة والكرم والرجولة ، والايمان بالله ، والمثل العليا ، شعب آمن بالواجب ، فاتبع الحق ، وعرف الحرية ، فقدس طريق الوصول اليها •

* * *

وانني اذ أفاخر وأعتز بأمتي وبلادي ، فلأني أعرف الحقيقة ،وأدرك كنه الجوهر ، ولأني لا أسوق الكلام على عواهنه ، بل عندي لكل حادث حديث ، ولكل كلمة مقام •

لقد غبرت ثلاثين عاما ونيف في مصارعة الجريمة والمجرمين ، ومكافحة الاجرام ، بأنواعه وأشكاله ، وبعد هذه الحقبة الطويلة من عمر الزمن ، أستطيع أن أقول •• ليس في سورية جريمة ومجرمون بالمعنى الصحيح ، فاذا ماجمعت الجرائم ، وصنف المجرمون ، ووضعت لاعمالهم المخططات البيانية ، وقيست بعدد وأنواع الجرائم والمجرمين التي تقع في أوروبا وأمريكا (بلدان الحضارة •••) نجد أن الفرق بعيد ، والبون شاسع ، ولسوف ندرك سلفا أننا في بلد نموذجي ، لايمكن أن تقوم بينه وبين (دول التمدن) أي معايير للمفاضلة أو المقارنة ، ولعل أصدق شاهد على صدق ما نقول ، هو تلك الافلام التي تغزونا بها أوروبا وأمريكا ، والتي تعكس لنا حياة الاجرام العنيف ، الممثل في القتل الجماعي المستمر ، وفي السرقات التي تنظمها العصابات وقطاع الطرق ، وفي الانهيار الاخلاقي الذي ينحدر بالانسان الى درك البهيمية والوحشية •

* * *

على هذا الاساس ••• أقول •••

ان سورية ليست موطن الجريمة ••• واذا ماوقعت الجريمة في مناسبة ، فهي عابرة ، وهي من الامور العادية والطبيعية التي تحدث في كل زمان ومكان • وهذا ماسيظهر جليا في رواياتي المقبلة لاهم الجرائم ، التي اكتشفتها او كافحتها خلال تمرسي بالعمل الوظيفي •



الجرائم وأنواعها

تقع في سورية العربية ، بين الحين والحين ، جرائم مختلفة ، من النادر أن تبقى غامضة ، وأن لايؤول مرتكبوها ، أو فاعلوها الى يد العدالة ، ومرد ذلك ، الى عدة أسباب أهمها :

آ ـ عدم عراقة هذا الشعب في الجريمة وأصولها .
ب ـ يقظة رجال الامن ، وتعاونهم الوثيق مع كافة طبقات الشعب ، وكره الشعب كمجموع للجريمة والمجرمين .
ج ـ نزاهة القضاء فيسورية،وايمان القضاة بضرورةتحقيقمبدأ العدل ،وسيادةالقانون.
د ـ احترام الشعب ، لنصوص القانون .
هـ ـ ابتعاد الحكام وكبار المسؤولين عن المجرمين ، وعدم تبنيهم أو مساعدتهم .

* * *

أما أنواع الجرائم ـ على ندرتها ـ في بلادنا فهي لاتخرج عن مفهوم الجرائم العادية المألوفة ... وتقع حسب الترتيب التالي :

* * *

١ ـ **جرائم القتل** ... ويتفرع عنها :

آ ـ القتل قصدا وعمدا ..
ب ـ القتل من غير قصد ..
ج ـ القتل خطأ ..
د ـ الشروع بالقتل ..
هـ ـ القتل لاتقاء العار ..
و ـ القتل للثأر .. وفيه يدخل باب المفاجأة ، أو المصادفة ، أو الترصد مع سابق اصرار وتصميم .
ز ـ القتل بعامل الاشفاق .. وهذا يقع من الاطباء أو القابلات أو الممرضات .
ح ـ القتل انتحارا .
ط ـ ايذاء الاشخاص ، وتعطيل بعض الاعضاء فيهم ..

* * *

٢ ـ **جرائم السرقات ... وهذه أنواعها ووجوهها :**

آ ـ السرقة الموصوفة .
ب ـ العادية .. الشروع بالسرقة ..

جـ ـ السرقات التي ينجم عنها جرائم قتل ..
د ـ النشل العادي .
هـ ـ النشل بالصرافة .
و ـ النشل بواسطة آلة جارحة (الشفرة) .
ذ ـ النشل الافرادي .
ح ـ النشل من حقائب النساء .
ط ـ النشل الجماعي ، أي بمساعدة الاعوان والاقران .
ى ـ النشل بطريقة الخطف ، أو بواسطة الدراجة النارية أو العادية .
ك ـ الاعتراض والتشليح ... ولـه طريقتان ... فاما بواسطة السلاح واستعمال القوة أو بواسطة المخدر .



وللنشالين أسماء هي :

(الضارب .... وهو الذي ينشل)
(البصاص .... وهو الذي يفحص الجيوب)
(اللاهي .... وهو الذي يقوم بدور الهاء الشخص المراد نشله)
(المدرف .... وهو الذي يسرق المحفظة ويعطيها لغيره)



٣ ـ جرائم مختلفة .. وأنواعها :

الاختلاس ، الرشوة ، الجرائم الاخلاقية بما فيهـا الاغتصاب ، والاعمال المنافيـة للحشمة ـ اللواطة ـ والتشرد ـ والجنوح .

التزوير ، تجارة المخدرات ، الاضرار بالمباني العامة ، اتلاف المزروعات ، تسميم المواشي ، على القطاعات وتعطيل السكك الحديدية ، والجسور ، والاقنية .

وهناك جرائم أخرى لاأهمية لها ولانجد مجالا لذكرها ..



بعد كل ماتقدم .. أعود الى أصل الفكرة ، وهو سرد قصص الجريمة والمجرمين ، التي مرت في حياتي ، وقد احتاج الى عشرات المجلدات ، اذا مارغبت في سردها وتعدادها كاملـة ، ولكنني سأسرد أهمهـا ، لاني أتوخى العرض الموضوعي ، وأرمي الى الافـادة من دروسها وعبرهـا .

* * *



(نهض قريبي أبو أرنبه وضرب يوسف بيد الهاون على قفا رأسه بينما كان مستديرا يصلح الراديو) .. (ص ١٣٦)

القصة الأولى

في جرائم القتل الغامضة

طمعوا في ماله فقتلوه

تمهيـــــد :

ليست القصة التي أرويها ، والتي اجعلها اولى قصص الجرائم ، في كتابي هذا ، هي اول قصة وقعت لي **خلال عملي الوظيفي في ادارة المباحث الجنائية** ، وليست اخطر قصة او واقعة شهدتها وعالجتها ، بل هناك قصص وحوادث كثيرة سبقتها ، اعمق منها اجراما ، واكثر منها عنفا ، وقد يستسيغ القارىء فصولها ومفاجاءاتها ، اكثر من « التي اسردها حاليا » ومع ذلك ، فقد صممت على ان اجعلها القصة الاولى ، لانها اول حادثة تسللت الى خاطري ، يوم عزمت على اصدار هذا الكتاب ، ومن ناحية ثانية ، فانني ادون بعض القصص والوقائع ، للافادة من ظروفها وملابساتها ، ودروسها وعبرها ، **ولا اكتب سلسلة من المذكرات ، التي يفرض فيها الدقة في التسلسل** ، والحرص على الزمان والمكان ، وهذا كل ما أريد أن أوضحه للقارىء ، لاتحلل لديه من التعليق ، والنقد ، والافتراضات ، والتصورات البعيدة عن الواقع ، فالعذر عند الكرام مأمول ٠٠

★ ★ ★

ومن ناحية ثانية ، فانني الفت نظر القارىء ، الى ان الاسماء الواردة في حوادث القصص ، هي اسماء مستعارة ، ابدلت بها الاسماء الحقيقية ، لئلا نسيء الى احد مهما كان وضعه الاجتماعي ، فنحن نعمل للافادة الموضوعية ، ولا نسعى لاي غرض آخر ٠

★ ★ ★

صور توضيحية قبل الجريمة :

في الزاوية اليمنى من مقهى بالاس في حلب ٠٠٠ وعلى المنصة الاولى المحاذية للشارع كان يجلس ــ **يوسف** ــ امام نرجيلته ، يستعرض المارة ، ويبعث لهم بين الحين والحين بتحياته ، المشفوعة بابتسامته ، ذات المعنى المعين ، التي لا يجيد تفسيرها ، الا من كتب عليه ان يقضي ليلة حمراء معه ٠

... **والسيد يوسف . شاب ناعم مهذب** . سلس الحديث ، لين الطباع ، تبدو عليه لاول وهلة شيم الكرم ، ثم لا تلبث هذه الصورة ان تغيب عند التعامل والاحتكاك، لتظهر مكانها الصورة الحقيقية ، صورة التاجر ، الذي يعطي بمقدار ، ليأخذ بمقدارين.

. .. **والسيد يوسف يقطن وحيدا** في دار جميلة مؤثثة في محلة « **العزيزية** » يأوي اليها كل ليلة . بعد ان يصطحب « **رفيقا** » يسمر واياه ، على كأس من الخمر ، وانغام من الموسيقى الغربية الناعمة ، وقد توحي نشوة الخمر ، وسحر الموسيقى « **للسامرين** » ان يدرسا الفكرة « **البوهيمية** » على اساس التطبيق العملي ، وهذا التحلل اللا اخلاقي هو الذي فتح باب الجريمة على مصراعيه .

وفي صباح يوم احد ، من شتاء عام (١٩٥١) ... كان كل شيء في مدينة حلب عاديا وطبيعيا ، وكان الناس يهرعون الى الكنائس على اصوات النواقيس ، التي تعلن تلقائيا قول السيد المسيح المأثور « **المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام ، وفي الناس المسرة** » كانت « **افيلين** » شقيقة (**يوسف**) تغلق باب دارها وهي ترتدي آخر ثيابها وتتأبط محفظة جلدية ، تحوى ما لذ وطاب من المأكل والحلويات لتقدمها لأخيها ، حسب عادتها المتبعة في كل صباح يوم أحد ، حيث تزوره ، وتنظف له داره ، وتغسل لهثيابه.

كانت الساعة السابعة تماما عندما فتحت « **افيلين** » باب دار اخيها **يوسف** ، ودخلت لتناديه باعلى صوتها ... **زوزو ... زوزو ... اصح يا زوزو .. انا رايحة على الصلاة ..** وكررت افيلين نداءاتها عدة مرات ، دون ان تسمع جوابا او صوتا لاخيها ... فتصورت انه نائم ، وان سهرة الليل قد اثرت عليه ، فاتجهت الى غرفته الخاصة ، لتوقظه بنفسها .. وما كادت تفتح الباب حتى شهدت اخيها جالسا على كرسيه ،وبجانبه نركيلته ، **وقد تهشمت جمجمة رأسه ، وسالت منها الدماء** ، حتى شكلت حوضا دائريا تحت قدميه ..

نعم .. لقد شهدت اخيها **مقتولا .. لافظا انفاسه ...** فأذهلها المنظر المفاجيء وأرعبها المصير المفجع ، وأخرسها هول الكارثة ، فضاع صوابها ، وانطلقت الى الشارع تصرخ وتولول ، تستغيث بالجيران ، تستنجد بالمارة ، تطرق ابواب السماء ، تهز اقواس العدالة ... **لقد قتل وحيدها ، لقد مات اخوها ...**

على اصوات العويل ، والاستغاثة والندب ، تجمـــع الجيران ، وتجمهر المــارة ، وتكاثر الحشريون ... واخذت دار القتيل تعج بعشــرات الباحثين عن الحقيقــة ، او الراغبين في استطلاع خوافي الجريمة ، واسبابها ، ومسبباتها ، بينما اخذت الهواتف تنادي رجال الشرطة ، لتشهد الجريمة وتباشر التحقيق ، وتقبض على القاتل وتعدمه .

* * *

كان الهامسون ، يتجمعون الى صف المتكهنين، بينما انتحى بعض الشامتينيبرمون شفاههم وينسجون من شبكة خيالهم القصص التي لابد وان تكون هي سبب الجريمة .

اما الشقيقة المفجوعة ·· فقد ارتد اليها جنانها ووعيها بعض الشيء ··· فبادرت الى **ستر واقع الحال ··· خوفا من الفضيحة والعار** ··· فحملت منصة من امام القتيل عليها **بواقي اطعمة وثلاث اقداح من الخمر** ، يحتوي اثنين منها ثمالة (عرق) والثالث آثار النبيذ ، **مع صحن سكاير فيه بقايا من سكاير اللوكي ، والطاتلي سرت غليظة** ،ووضعتها في غرفة اخرى ·

★ ★ ★

وما هي الا دقائق حتى حضر رجال الشرطة ، يتقدمهم **قاضي التحقيق ، والطبيب الشرعي** ، وباشروا بتسجيل التحقيقات الاولية ، التي كانت خلاصتها ··· ان المغدور اصيب بطلق ناري في رأسه من مجهول ادى الى وفاته ··

★ ★ ★

والواقع ان الباحث الاول في موضوع هذه الجريمة ، سيجد نفسه في بحر من الظلمات ، اذ لايملك آثارا تدل على الجناة ، ولا وقائع تصلح ان تكون ولو خيطا واهيا من امل يتعلق به المحقق ·

★ ★ ★

في هذه الفترة ، كانت الاتصالات الهاتفية تجري بعيدا عن جو الجريمة ، وعلى مستوى عال مع كبار المسؤولين ، لان بعض الصيادين في الماء العكر ، اخذوا يوزعون الشائعات التي توحي ان مسببات الجرم ، هي بين دواع طائفية ، يجب ان يحسب لها الف حساب ·

★ ★ ★

في هذا اليوم بالذات ·· **كنت اطارد بعض لصوص في الحسكة** ، واذا بي اتلقى هاتفا من **مدير شرطة حلب** يستدعيني على عجل ، لتقديم الاهم على المهم ··

فلبيت الرغبة ، وقفلت راجعا الى حلب ·· فوصلتها مساء ، حيث استقبلني**مدير الشرطة والمحافظة** ··· وأخبراني بجرم القتل ، وطلبا مني مباشرة التحقيقفورا والبحث عن الجناة بكل اسلوب وكل وسيلة ، لوضع حد للشائعات ، وللتأكيد للرأي العام ان عين الامن ساهرة ، وان الجناة لن يفلتوا من يد العدالة ··

★ ★ ★

توجهت فورا الى مكان وقوع الجريمة ، وبرفقتي عدد من رجال المباحث ، وقد اصطحبنا للمرة الثانية ، **قاضي التحقيق ، والطبيب الشرعي** ·

كانت جثة القتيل ، لازالت في مكانها ··· **اما الآثار التي يفرض فيها ان توضح معالم الجريمة فقد زالت** ، لانشقيقة المغدور، اصلحت الاوضاعخوفا منالفضيحة والعار·

★ ★ ★

تطلعت الى الجثة وبدأت بفحصها ، حسب خبرتي وتجاربي ، ثم **سألت الطبيب الشرعي** رأيه في الحادث والاسباب المباشرة التي ادت الى الوفاة ····

فقال :

ـ اتصور ان المغدور اصيب بطلق ناري في رأسه ، فادى الى الانفجار والنزيف ، فحصلت الوفاة ٠

فقلت :

ـ انني اخالف هذا الرأي ٠٠٠ **واجزم ان المغدور ضرب على رأسه بآلة حديدية ثقيلة فانفجر رأسه** ، لأنه اذا سلمنا جدلا ، ان الوفاة حصلت من طلق ناري ، فيجب ان يكون في الرأس **فوهتان ، فوهة دخول للرصاصة ، وفوهة خروج** ، ويجب ان تكون الثانية اوسع من الاولى، والمشاهدات تدلنا على وجود **فوهة واحدة كبيرة،** اما اذا استقرت الرصاصة بالرأس ، فهذا ما سيظهر عند التشريح الذي سيؤدي الى استخراج الرصاصة الجانية ٠٠ **وان تجاربي تؤكد لي انه يستحيل ان تستقر الرصاصة في الرأس ، مادامت الغرفة صغيرة والمدى الذي يظن ان الاطلاق صدر منه ، قصير وقريب ، ولابد للرصاصة ان تخـرج ٠**

وعلى هذا الاساس ، استبعد ان تكون الوفاة نتيجة اطلاق عيار ناري ٠٠٠

* * *

امام هذه التفصيلات التي قدمتها ٠٠ اصر **الطبيب الشرعي** على رأيه ، **وتمسكت انا** بوجهة نظري ، واصبح من واجبي ان اقيم الدليل ، فبدأت بتفتيش المنزل تفتيشا دقيقا ادى الى حصولي على « **يد هاون نحاسية** » ملقاة وراء بعض خزائن المطبخ ، فامسكت بها واذا هي **ملطخة بالدماء ٠٠**

حملت « **يد الهاون** » وعرضتها امام المحققين على شقيقة المغدور ، للتعرف عليها ، فتفحصتها « **ايفيلين** » وقالت :

هذه ليست لنا ٠٠ وليس في دار اخي هاون ٠٠

فقلت لقاضي التحقيق ٠٠٠ **اجزم ان جرم القتل وقع بهذه الآلة ٠٠** واطلب ضمها الى ملف التحقيق ٠

ثم سألت « **ايفلين** » عن وضع الغرفة ، ساعة دخولها اليها ، وعما كانت تحويه قبيل اصلاحها ٠

فقالت :

ـ كان في وسط الغرفة منصة حملتها بكاملها الى الغرفة الثانية ٠٠٠ وقادتنا اليها ٠٠٠ فتفحصت (**الطاولة**) فوجدت عليها بقايا الاطعمة (المازاوات) وثلاث أقداح خمر وصحن سيكارة يحوى اعقاب سكاير قسم منها لسكاير لوكي وقسم آخر لطاتلي سرت غليظة وقبل ان اتفوه بكلمة ٠٠ سارع قاضي التحقيق الى رمي شكوكه وظنونه على « **افيلين** » شقيقة المغدور وهمس في اذني قائلا :

ـ انني اتهم اخته بجرم القتل ٠٠ لتحصل على دراهمه ٠٠ ودليلي محاولتها اخفاء معالم الجريمة ٠٠

فقلت :

ان امرأة في الهزيع الاخير من عمرها لا يمكن ان ترتكب جريمة قتل شقيقها الذي عاشت واياه هذا الردح الطويل من الزمن ، **كما واني لا ارى في وجهها ملامح الجريمة ،** ولا ارى عملية اخفاء الطاولة ، الا نوعا من الغباء او رغبة في ستر العار ٠٠

ومن ناحية ثانية :

يوجد ثلاث اقداح خمر على المنصة ، مما يدل على ان الغرفة كانت تحوى **شخصين** الى جانب **المغدور** ، كما ان **(اعقاب السجاير)** تؤكد انهما شخصان واحد يدخن اللوكي ، وآخر يدخن الطاتلي سرت غليظة ، اما المغدور فكان يدخن النرجيلة ، وها هي لاتزال الى جانبه ٠٠ ثم عدت اتفحص جثة القتيل ٠٠ **فشاهدت في يده اليسرى اثارا تدل على وجود ساعة يد وخاتم** فسألت عنهما : وتصورت ان الجناة قد سرقوهما بعـد ارتكاب الجريمة ، فسألت عنهما شقيقته **ايفلين فقالت :**

لقد نزعتهما من يده ، لاعتقادي ان الجثة ستشرح ، وقد يسرقا من بعض الخدم اثناء التشريح وسارعت فاحضرت الساعة والخاتم ٠٠

وهنا عاد قاضي التحقيق للظن بالاخت على انها الجانية ، ولكني كنت **اشد منـه اصرارا على نفي التهمة عنها ،** وطرحت رأيي وخبرتي في الموضوع ، وجزمت بقوة واعتداد ، **بان الجناة هم من خارج الدار وانهم لا ولن يفلتوا من يد العدالة ٠٠**

* * *

ورفعت يدي الى السماء « **اسأل العادل السماوي** » ان يوفقني للقبض على الجناة ، لأضع الأمور في نصابها ، ولنترك العدالة ، تقول كلمتها على ضوء الدليـــل والبرهان والوقائع الثابتة عندها ختمنا الضبط ، وسمحنا بان توارى الجثة مثواها الاخير ، ورحنا نبحث ليل نهار عن الجناة المجهولين ٠

كان همي الاول دراسة احوال وشخصية القتيل ، للتعرف على ما ضيه وواقعـــه واصدقائه فعدت الى الاجتماع بشقيقته وتفتيش منزله مرة ثانية ، وبدأت اسأل «**ايفلين**» عن احوال **يوسف** المادية ٠

فقالت لي :

ـ ان اخي زوزو يملك اموالا نقدية يضعها في صندوقه الحديدي ، وهو يـدين بالفائدة ٠ فقلت في نفسي :

عسى ان يكون الجناة من اللصوص ، او من احد المستدينين ، الذين طمعوا بالمال ، او رغبوا في عدم وفاء الدين ، فارتكبوا جريمة القتل ٠

رحت افتش **الصندوق الحديدي ، واقارن موجوداته على دفاتر الحسابات ، فوجدت الاموال والسندات كاملة ...** فازداد الغموض والالتباس علي ، ووجدت نفسي انني كلما تمسكت بخيط افلت من يدي ..

ومع ذلك ، **لم اقنط من رحمة الله** ، ولم افقد ايماني بمقدرتي على كشف الجريمة الغامضة .

وعدت الى تفتيش اوراق القتيل ، **فوجدت لائحة اسمية، تضم اسماء كافة اصدقائه والذين كان يقضي الليالي الحمراء معهم** ، ولدى استعراضي الاسماء ، وجدت فيهم من **ذوي المراكز الاجتماعية العالية** ، فصممت على دراسة اوضاعهم عن كثب ، املا في ان افوز بنتيجة مرضية ، وخرجت من الدار ادور في دوامة مفرغة ليس في دورانها اي مجال للوقوف على دليل .

* * *

مضى علي أيام وأنا أدرس أحوال كافة **المجرمين من ذوي السوابق** . وأسعى للتثبت من مكان وجودهم ساعة وقوع الجريمة ، كما وزعت العيون والارصاد والمخبرين في كل مكان (في الحي الذي يقطنه القتيل ، في المقاهي التي يرتادها ، بين اصدقائه الكثر ، في الامكنة التي يرتادها اثناء عمله التجاري) .

ولعلي لا اغالي اذا قلت ، انني كنت اعتمد على **صداقاتي ، والمخبرين المتبرعين ،** أكثر مما اعتمد على نفوذي الوظيفي ، **لان الامكانيات المادية** ، المؤهلة لاكتشاف الجرائم كانت معدومة في ذلك الحين .

وللأسف الشديد .. وعلى الرغم من كل هذا النشاط الذي ابذله بحماس ، كان الغموض الكلي يلف كل آثار الجريمة ، ويسد علينا كل باب يمكن ان نصل منه الى الجناة .

واخيرا ، مرت امامي فكرة عابرة ، وهي الاتصال **بجيران القتيل** ، بصورة غير مباشرة لاتحسس بنفسي واحساسي اثار الجريمة .

بادرت على الفور بدراسة اوضاع الجيران والتعرف عليهم ، دون ان اكشف عن شخصيتي ، واخيرا توصلت الى دار تقع مقابل دار المغدور وتطل نوافذها على شبابيك الغرفة التي وقعت بها الجريمة .

وقبل ان اطرق باب الجيران ، درست اوضاع من يقطن الدار ، **فقيل لي انها دار امرأة خياطة اسمها (ماري) لها اولاد ، احدهم مجند يعمل على سنترال على هاتف قيادة المنطقة** وفهمت من التفصيلات التي سردت لي ، ان الدار ومن فيها مشبوهة ، وهي مراقبة من قبل شعبة الاخلاق .

طرقت الباب ... وقلت في نفسي ... لابد الا ان يكون من في هذه الدار على اطلاع او معرفة **بمن يزور القتيل ..** او يتردد عليه . سيما وان الدار مشبوهة ،

وموضوعة تحت المراقبة ، **فلابد من ان يكون اصحاب الدار يترصدون الشارع لرؤية من يراقبهم ...** ومن خلال هذه الترصدات لابد ان يلمحوا او يشاهدوا من يدخل دار جارهم ...

★ ★ ★

فتحت **ماري الباب ..** واستقبلتنا بالترحاب ، والوجه المزدهر ، وكلها اعتقاد ، لاول وهلة اننا من **شرطة الاخلاق** جئنا لنفتش دارها ، وقد ادركت من وجهها ما يجول في خاطرها فبادرتها الى القول :

انني تاجر من دمشق اقطن حاليا حلب ولي زوجة ستلد عما قريب ، ونحن بحاجة الى (فستان لتلبسه لانها حبلى) .

فصدقت ماري ادعاءنا ، واخذت تعرض علينا اشكال الفساتين الجاهزة لديها ، وبنفس الوقت تقص علينا قصصها وما تعانيه من وطأة شعبة الاخلاق .

فقالت :

انا امرأة **شريفة** ، وعندي اولاد ، يتردد علي بعض **المومسات والراقصات** من اجل خياطة اثوابهن ، فيحسب (**رجال الاخلاقيــة**) ان ترداد هؤلاء النســوة علي لغايات غير شريفة .

فقلت لها :

ان مدير الشرطة صديق لي من دمشق ، ولسوف ارفـــع له ظلامتك ، وآمل ان اعطيه فكرة حسنة عنك ...

ثم باشرت بالتحدث عن **جريمة القتل** التي وقعت في الدار المقابلة لدارها ، والاثر الذي تركته (**كجريمة**) في نفوس التجـــار والمواطنـــين ... وكانت تسترق حديثنا العابر ، **ابنتها البالغة من العمر (٩) سنوات** فقالت بشكل عفوي :..:

امي ... امي ... انا شهدت ليلة وقوع الحادث ، **وجود شخص امام داريوسف،** اسمر شعره مكزبر ، عيونه تقدح نار ، حسبناه من رجال الاخلاقية ، وقد تصدى له أخي **ريمون** ، وتشاجر معه عندما سأله عن أسباب وقوفه مقابل دارنا ..

فردت عليها امها بقولها :

اخرسي يا بنت .. مادخلنا ولا خرجنا ... يصطفلوا ..

فحاولت ان افهم المزيد من المعلومات من الابنة الصغيرة ، فزجرتها امها واخرجتها من الغرفة وقفلت الحديث نهائيا بالموضوع ..

وهنا لعبت الافكار دورها الهائل في رأسي ، وشعرت عن ايمان ، بان **حديث الابنة هو الخيط الموصل الى الجناة** ، فصممت على معرفة التفاصيل ، وكان في حينها لابد لي من الكشف عن شخصيتي .. فقلت للام :

– أنا بهاء الدين الخوجه ... أنا رئيس التحري ..

ـ فذهلت ماري من المفاجأة ، وارتبكت اوضاعها ، وانهارت اعصابها ، واخذت تفتش عن مخرج ينتشلها من مأزقها الحرج ..

الا اني بادرتها بعبارة **مطمئنة «ومشجعة»** واخذت اكيل لها الوعود وامنيها بالآمال والاحلام ان ساعدتني على اكتشاف الجريمة ...

فارتاحت **ماري** لحديثي ، وعدنا الى استدعاء **الابنة** والتثبت من مشاهداتها .. فتوصلنا الى المعلومات التالية :

١ ـ ليلة وقوع الجريمة ، كان يرابط امام شباك المغدور ، المقابل لنافذة الدار ، رجل اسمر اللون ، شعره اسود مكزبر، عيونه سود مدورين، يرتدي ترانشكوت كحلي .

٢ ـ لقد تشاجر هذا الشخص مع (ريمون) الشاب المجند ، ابن ماري ، لاعتقاده انه كان يراقب دارهم ، اذا فالمجند (ريمون) لابد الا انه يعرف الشخص بالمشاهدة ..

* * *

وهنا بادرت على الفور للاتصال هاتفيا بقائد المنطقة وشرحت له القصة . وماتوصلت اليه من معلومات ، وطلبت منه ان يسمح **للمجند ريمون** ، بمرافقتنا للبحث عن الشخص الموصوف ، عسى ان يكون هو الجاني . **وقد لبى قائد المنطقة رغبتنا على الفور**، وبعث الينا بالمجند ، الذي ارتدى البسة مدنية واخذ يطوف معنا في المقاهي والملاهي والمحلات العامة ، بحثا عن الشخص الذي تشاجر معه ليلة وقوع الجريمة .

* * *

ابتدأنا جولتنا في الساعة التاسعة مساء ، وامتدت حتى الواحدة بعد منتصف الليل ، فلم نترك مقهى او ملهى ، او اي مكان عام الا وطفناه .. الى ان حطت رحالنا في **مقهى بالاس** ، وكان التعب والجهد قد انهك قوانا .. فجلست على اول منصة بجوار باب المقهى ، **وقد تحلق حولي بعض من يروق لهم ان يجلسوا في الامكنة العامة بجوار (رئيس التحري)** بينما اخذ الشرطيان المرافقان لي وريمون يتفحصان وجوه رواد المقهى والسامرين .

وفجأة ... تعلو ضجة في الصالة ، واسمع من يقول ، **ان شابا برفقة رجال التحري قد سقط مغميا عليه ...**

فنهضت مسرعا الى مكان الضجة ... فشاهدت ريمون ، وقد عقد الخوف لسانه ، وهو يشير بيده الى **شخص يجلس خلف احد اعمدة الملهى** ، **وقد ادار ظهره الى نركيلته وبدأ يلفها استعدادا للرحيل** ، وما ان شعر اني اصبحت امامه وجها لوجه ، **حتى امتقع لونه** ، واضطربت حركاته ، واعترته حالة من الانهيار العصبي عالجها **بفك شريط حذائه واعادة ربطه** ، فكان شأنه شأن النعامة التي تخفي رأسها عندما يداهمها الصياد كما كان ينطبق عليه المثل القائل **(يكاد المريب ان يقول امسكوني)** .

مر هذا المشهد « **المضحك المبكي** » بومضة عين ، جاء دور الجد ، صرخت بالرجل ان يقف ، فوقف ، وبادرت الى تفتيشه ، كعمل تقليدي لابد منه ، فعثرت معه على **محفظة جلدية مصنوعة من جلد الغزال** ، وفي مضمونها **اربعة عشرة الف ليرة سورية** ، واقتدته الى مركز الادارة الجنائية ، لدراسة وضعه ، ومباشرة التحقيق معه ..

★ ★ ★

لقد تعرفت اليه .. انه شخص معروف بالنسبة لرواد علب الليل ، واخلاق هذه الفئة من الناس ليست بحاجة الى تعريف او توضيح ، لانها صورة عن المحيط الذي يعيشون به . اسمه « ابو نعسو » وصنعته سمسار ملاهي .

★ ★ ★

خرجنا من الملهى .. واتجهنا الى مكتبي .. ويظهر ان مسافة الطريق كانت فرصة لـ « **ابو نعسو** » ليستجمع افكاره .. ويستعرض ماله وما عليه . وكانت فكرة **الهرب تراوده** وبدت منه محاولات من هذا القبيل ، لولا اني امسكت بيده ، وافهمته ان **سرعته في الهرب لن تفوق سرعة الرصاص في لحاقه** ..

★ ★ ★

دخلنا مركز الادارة الجنائية ، فوضعت « **ابو نعسو** » في غرفة توقيف منفردة ، ومنعت الاتصال به ، وباشرت باستجواب الدليل ريمون ، لاتأكد منه ان هذا الشخص هو نفسه الذي كان يرابط امام دار المغدور ليلة الحادثة ، وبعد ان سجلت اقواله ، استدعيت امه واخته من دارهما ، لادعم اقوال ومشاهدات ريمون بما يزيد يقيني .

وبينما كان رجال المباحث يستدعون (**ماري وابنتها**) من الدار اخرجت (**ابو نعسو**) من غرفة التوقيف لاباشر التحقيق الاول معه ..

سألته عن مصدر الاموال التي بحوزته فقال :

ـ لقد تزوجت من راقصة مصرية اسمها (نجاح عبدو) تعمل في ملهى الشهرزاد بدمشق حاليا وقد اعطتني هذا المبلغ لنفتتح به سوية « كباريه » في حلب ..

ـ امسكت بيدي المحفظة الجلدية ، وبدأت اتفحصها ، فوجدت عليها آثار دماء ، فسألته عن مصدرها ، فقال .. وقد بدأ قلبه يخفق :

ـ لقد اهدتني اياها زوجتي المصرية يوم زواجنا ...

وفي هذه اللحظة .. وصلت ماري وابنتها ، ودخلت غرفتي دخول المراجعات ، فرحبت بها ، واقتنصت منها غمزة عين تؤكد لي ما سبق وان اكده ابنها ريمون ... فاعدت (**ابو نعسو**) الى غرفة التوقيف وباشرت بضبط افادة (**الام وابنتها**) .... وما ان انتهيت من تسجيل الافادات ، حتى هتفت **لقاضي التحقيق** ، الذي حضر على

الفور واشرف بنفسه على سير التحقيق ، وقد اتفقت مع المحقق القضائي على ضرورة استدعاء الراقصة (**نجاح عبدو**) من دمشق فورا ، قبل ان يتصل بها احد ، ويملي عليها افادة معينة تؤدي الى تضليل التحقيق .

* * *

لقد اتبعت الرأي بالعمل ، فامتطيت سيارتي ، من حلب ، وكانت الساعة تقارب الخامسة مساء ، وتوجهت على بركة الله الى دمشق .

* * *

كنت انهب الطريق نهبا دون ان التفت الى مخاطر السرعة ، لاني اعتقد اني امام واجب مقدس هو فوق كل اعتبار .

* * *

وصلت دمشق ، وتوجهت فورا الى ملهى الشهرزاد ، حيث (نجاح عبدو) تشنف اذان السامعين باغانيها ومونولوجاتها .

* * *

انتظرتها ريثما انتهت وصلتها ثم استدعيتها ، وحملتها على جناح السرعة الى حلب ، فوصلتها في الساعة الثالثة عشرة ليلا ..

* * *

كانت (نجاح) طوال الطريق صامتة ، ذاهلة ، حائرة .. لم يهدها خيالها الى ان زوجها (**الحلبي ابو نعسو**) قد وشى بها وشاية ادت الى استدعائها لحلب .
لذلك كانت تردد همسا الكلمات التالية :

- **انا ما اشتغلش بالسياسة ...**
- **انا ما ليش نشاط سياسي ، انا راقصة « فنانة » ما اعملش بالسياسة .**
- **الله يلعن الساعة التيتعرفت بها على « الحلبي » .**

* * *

لم يطل صمت « **نجاح** » ولا حيرتها ... لقد وجدت نفسها امام اسئلة لم تكن تتوقعها ، لقد سألها قاضي التحقيق عن علاقتها بالمدعو (**ابو نعسو) فقالت** ، انه زوجها وسألها عما اذا كانت قد اعطته مبلغا من المال ، فأجابت ، انها قدمت له مبلغ (**١٤ الف ليرة سورية**) لفتح ملهى ، واخيرا سألها ... عما اذا كانت قد اهدته هدية معينة « **كساعة يد** » أو قلم حبر أو محفظة نقود .. أو أي شيء آخر .. فأجابت بالنفي ، فقدم لها المحفظة الجلدية التي ادعى (**ابو نعسو**) انها هدية من زوجته المصرية ،فتطلعت اليها ، وتفحصتها ، ثم اجابته بالنفي ، واكدت انها لم تهد زوجها اي شيء ، ولم تر معه هذه المحفظة من قبل .

عندها أمر قاضي التحقيق باحتجاز الراقصة (**نجاح**) في أحد الفنادق ومنع الاتصال بها لاستكمال التحقيق . وعلى أثر ذلك استدعينا شقيقة المغدور وعرضنا عليها المحفظة فتعرفت عليها وقالت (هي لاخي ... هي لاخي) .

اقتيدت نجاح الى فندق مجاور .. وعلى باب الفندق ، استوقفتها **(ام ابو نعسو واخته)** وارتمتا على قدميها تقبلانها وتتوسلان اليها ، ان تقول انها هي التـي اهدت **(ابو نعسو)** المحفظة الجلدية ، الا ان نجاح ، خافت من عاقبة تغيير اقوالها ، فردت عليهما **بقولها :**

ـ انا ما اكذبش .. ماليش خبر المحفظة ..

★ ★ ★

لقد نقل الي رجل الامن هـــذه الحادثة ، فازداد ايماني واعتقـادي **بان الجاني الحقيقي اصبح في حوزتي** ، وان المحفظـة الجلدية هي الخيط الـذي سيوصلني الى كشف الجريمة ..

وبنفس الوقت ولدت عندي بعض الشكوك، ودعتني الى الكثيرمن الحيطة والحذر.

★ ★ ★

لقد بدأت اشك في سلامة سرية التحقيق الذي اشرف عليه ...

بدأت اشك في رجالي ، في جميع الذين يباشرون التحقيـق معي ، رغم اعتقـادي باستقامتهم وحرصهم على واجباتهم ، وتمسكهم بمبدأ سرية التحقيق .

وكيف لا يساورني الشك ، وقد وصل مضمون التحقيق والنقطـة التي ادور في محورها لاكشف الجريمة ، الى الجاني ، ثم الى اهله ، الذين عرفوا زيادة عن مضمون التحقيق ، الفندق الذي ستحجز فيه الراقصة ، فسبقوها اليـــه ، وتوسلوا اليهـا ، وحاولوا دفعها لتغيير افادتها .

★ ★ ★

لم يكن امامي متسع من الوقت لاحقق في هذه الحادثة ، واتعرف على الذين كشفوا سر التحقيق ، لاني بصدد ما هو أهـــم ، والوقت من **(ذهب)** ولكنني مارست الكثير من الحيطة والحذر . وحصرت التحقيق بنفسي وبقاضي التحقيق .

★ ★ ★

عدت لمباشرة التحقيق

واستدعيت المتهم ، وواجهته بالتهمة الاساسية بصورة مباشرة ، ذكرت له قصة توسلات امه واخته ، على باب الفندق للراقصة ، لتغير افادتها الاولية .

★ ★ ★

انهار .. **ابو نعسو** .. وامتقع لونه ، ولكنه تشجع وانكر علاقته بالجريمة ، واصر على ان المحفظةهي هدية من زوجته المصرية، وان انكارها لا معنىلهسوى النسيان.

قلت له :

الانكار لا يفيدك ، لان كل الادلة والقرائن لدي ، تؤكد لي ارتكابك الجريمة مع شريكك ... ولسوف اقابلك به في الصباح .

تضاعف انهيار الجاني ، وعقدت الحيرة لسانه ٠٠٠ ولاذ بالصمت العميق ٠ ان ثقل الجريمة وفداحة الجرم ، يؤرق ضمير المجرم في كل لحظة ٠

لقد فكر بكلمة « **شريك بالجريمة** » واعتقد اني قد قبضت عليه ، وانه ادلى لي بالتفاصيل ، ولم يدر بخلده ان كلمتي كانت رمية من غير رام ٠

ان كلمة « **شريك** » ولدت معي من وجود اقداح الخمر الثلاثة التي توحي بوجود اثنين ساعة ارتكاب الجريمة ٠

ان كلمة « **شريك** » قذفتها كاستنتاج من وجود نوع من اعقاب السجاير على المنصة التي كانت في غرفة المجنى عليه ٠

كل هذا لم يدر بخلد الجاني (**ابو نعسو**) ٠٠٠لم يعرف ان **كؤوس الخمرواعقاب السجاير هي تواقيع الجناة في مكان حدوث الجريمة ٠**

رغم كل هذا لاذ بالصمت ، واصر على الانكار ٠

فنقلته الى غرفة التوقيف المنفردة ، وقلت له :

الاعتراف هو السبيل الوحيد لحصولك على الاسباب المخففة امام المحكمة ٠٠٠ الاعتراف الكامل هو الذي سينجيك من المصير المحتوم ٠

واغلقت باب غرفة التوقيف ، وعدت الى غرفتي اجمع اوراقي للرحيل الى داري ، فالساعة قد قاربت الخامسة صباحا ، وأنا لم أذق طعم النوم منذ أيام ٠

بعد نصف ساعة قضيتها في مكتبي استعرض فيها مراحل التحقيق ٠٠٠ دخل علي حاجب النظارة وقال لي :

سيدي ٠٠ الموقوف (ابو نعسو) يطلب مقابلتك ٠٠٠!!

فقلت له ٠٠ استدعه ٠٠٠ ورفعت يدي الى السماء اسأل ربي العون ٠٠ وانشد من عرشه العظيم ان يوصلني الى الحقيقة ٠٠

دخل (**ابو نعسو**) غرفتي ٠٠ وارتمى على اول مقعد فيها ٠٠ وقال اريد ان اعترف لك ٠٠ يا ابا عبدو ٠٠ اريد ان اعترف ٠

ما كاد الجاني يتفوه بهذه الكلمات ٠٠ حتى نسيت تعبي وألمي ٠٠ وكاد النوم يطير من عيني ، واقبلت عليه بوجه متهلل ، وقدمت له سيجارة وطلبت له فنجان قهوة ٠٠ ثم اتصلت بقاضي التحقيق ليسمع الاعتراف بنفسه ، خوفا من ان يصبح الصباح ويغير (**ابو نعسو**) رأيه او **يدعي ان افادته انتزعت منه بالضغط والاكراه** ، لان كثيرا من امثاله اعترفوا ومثلوا جريمتهم كاملة ، ثم جاؤا الى المحكمة (**بعد مداولة مع المحامي**) وانكروا امامها كل شيء ٠

★ ★ ★

لم تمض دقائق الا وقاضي التحقيق ٠٠ كان جاهزا وراء منصتي يسمع ويدون معي اعترافات (ابو نعسو) التي تكشف الجريمة ، ودقائقها ، وظروفها ، وملابساتها ٠

قال :

لقد مضى علي عشر سنوات تقريبا ، وانا اعيش في جو الكباريهات والملاهي ، اتقلب في خدمتها باشكال مختلفة .. حتى خجلت من نفسي ، وسئمت عيشة المسود ، وبدأت افكر في عيشة السيد ، عيشة المعلم .. صاحب الكباريه .. الامر الناهي فيها .

★ ★ ★

كانت تعمل في حلب في نفس الملهى الذي اعمل به ، فنانه اسمها (**نجاح عبدو**) تعرفت اليها ، واقمت معها صلات الشباب ، ورحت ارسم لها طريق المستقبل انتحقق تعاوننا في نطاق فني .. فقبلت مبدئيا ، ولكن عقدها مع الملهى كان قد انتهى، فتركتني وسافرت الى مصر ..

لحقت بها ، وعرضت عليها الزواج . فوافقت . فاصطحبتها الى دمشق ، حيث جددت لها عقدا مع ملهى الشهرزاد . ريثما ارتب عملنا الجديد في حلب .

وعلى اعتبار ان الزوجة شريكة لزوجها ، **فقد اعطتني مبلغ (١٤ الف ليرة سورية) كدفعة اولى من اجل افتتاح ملهى في كباريه حلب يكون ملكنا وبادراتنا ..**

★ ★ ★

اخذت منها الاموال ، ونزلت الى حلب ، وبدأت اعد المعدة لافتتاح الملهى ولكني وجدت ان هذه الاموال لا تكفي وانني بحاجة الى اضعافها ..

لجأت الى قريب لي يدعى (**ابو ارنبه**) هو ابن صاحب كباريه ، وطلبت منـــه المساعدة ، او البحث معي عن شخص يقرضنا المال لاتمام المشروع .

فكر (ابو ارنبه) مليا .. ثم قال لي :

انا اعرف شخصا اسمه (**يوسف**) يدين بالفائدة ، سأعرفك عليــه ... انــه صديقي ، وبيننا علاقات اكثر من الصداقة ..

★ ★ ★

ذهب (**ابو ارنبه**) الى صديقه يوسف .. وقص عليه قصة مشروعنا ، وطلب منه اقراضنا بالفائدة المال اللازم ، فوافق يوسف .. وابدى استعداده لتمويل المشروع . ودعى (**ابو ارنبه**) الى سهرة حلوة ــ حسب العادة ــ .

وافق قريبي على الذهاب وحدد موعدا في الساعة العاشرة ليلا !

ثم عاد الي يروي لي ما حدث معه .. ولكنه قال لي :

ان يوسف كذاب ، ويجوز ان « **يلحس امضاءه** » بعد السهرة ، وان يوسف يملك مئات الالاف من الليرات ، فان قبل وقدم لنا المال عن طريق الدين والكمبيالة . نكون قد وصلنا الى ما نبتغيه ، وان تراجع او نكل فما علينا الا ان نقتله ، ونستولي على كافة امواله (**لا من حس .. ولا من دري**) .

★ ★ ★

وافقت على رأي « ابو ارنبه » وبدأنا نعلل النفس بالآمال الكبار ، فقد لاحت امامنا بشائر السعادة والمال ، واخذنا نتصور الليالي الحمراء التي سنقضيها ، والنساء اللواتي سنتعرف عليهن ، تصورنا كل شيء جميلا ولذيذا ٠٠٠ **ولكننا لم نتصور اننا سنقع في (كماشة ابو عبدو) ٠**

★ ★ ★

درسنا الوضع من الوجهين ٠٠ وكنا نشك في ان يصدق (**يوسف**) وعده لذلك رسمنا خطة قتله اذا ما نكل ، واستحضرنا من اجل العملية **(يد هاون)** ٠

★ ★ ★

وفي الساعة العاشرة ليلا ٠٠٠ ذهب **(ابو ارنبه)** الى دار يوسف ٠٠٠ ووقفت انا انتظره امام باب الدار ، الامر الذي لفت نظر بعض الجيران ، ودفع بشاب (مجند) من ابناء الحي للتشاجر والتشاحن معي ، مما دعاني الى تغيير مكان وقوفي عدة مرات ٠٠

★ ★ ★

وبعد ساعتين من الانتظار ٠٠ خرج **(ابو ارنبه)** ليقول لي «حسب العادة ،سكرنا وانبسطنا أما موضوع الاقراض فلن يتحقق الا اذا كنا نملك عقارا نرهنه عنده ٠

في هذه اللحظة ، صممنا على قتله ، وطرقنا عليه الباب ، ففتح ودخلنا دخولا غير طبيعي ، مما جعله يحسب الف حساب للعواقب ، ويتلطف معنا ، ويدعونا الى الشراب٠

★ ★ ★

قبلنا مبدأ « **الشراب** » فتناولت **(العرق مع ابو ارنبه)** بينما شرب **يوسف النبيذ،** ورحنا نشرح قصة مشروعنا ، وما سيدر علينا من اموال وارباح ، وما سيجلب لنا من مسرات وملذات ، وحاولنا ادخاله معنا كشريك ثالث، فلم يقبل، سلكنا معه كل اسلوب، فلم نصل الى نتيجة ، عندها نهض قريبي **(ابو ارنبه) وضرب جوزيف بيد الهاون على قفا رأسه ، بينما كان مستديرا يصلح الراديو ، فاصيب فورا بشلل كلي في جسمه وارتخى على الكرسي دون ان يتكلم كلمة ،** وقد فكرنا في تركه على حالته هذه ، لولا خوفنا من افتضاح امرنا ، وهكذا سدد له (ابو ارنبه) ضربة ثانية على مقدمة رأسه ، ادت الى انفجاره وموته !

وما أن سال الدم « والدم ثقيل على الجناة » حتى تملكنا الرعب والخوف الشديد ، واندفعنا الى الخروج والهرب ، ونحن على الباب « لمحنا جاكيت يوسف » معلقا في الصالون ، فمددت يدي الى داخل الجيب ، واستخرجت (هذه المحفظة) التي وجدنا فيها مبلغ مئة ليرة اخذها ابو ارنبه وانا اخذت المحفظة وما فيها (من بواقي ليرات سورية)٠

وفي الطريق ، تطلع كل منا للآخر ، فوجدنا آثار الجريمة على ثيابنا ، وايدينا ، فهرعت انا الى داري حيث غسلت ، وغيرت ثيابي ، كما ذهب (ابو ارنبه) الى الكباريه

حيث غسل وغير ثيابه ، وحمل الثياب الملوثة بالدماء الى الكوى ، حيث قال له ان يده قد جرحت (بالزجاج) فنزل الدم على ثيابه ·

★ ★ ★

هذه هي القصة ·· وها نحن بين يديك ··

★ ★ ★

ما كاد (**ابو نعسو**) يتم سلسلة اعترافاته ، حتى توجهت على الفور ابحث عن (**ابو ارنبه**) فعثرت عليه في احدى غرف « **نمرو ١٠٠** » من الملهى العائد لوالده ،فاقتدته الى مركز الادارة الجنائية ، وفاجأته بالواقع ، حيث لا مجال للانكار او التهرب ·فاعترف (**ابو ارنبه**) اعترافا كاملا اكد كل ما قاله (**ابو نعسو**) الا انه صحح الواقعة الاخيرة، فقال ، انا لم اقتل وان يد الهاون كانت بيد (**ابو نعسو**) وهو الذي قتل وما اتهامه لي بالقتل الا ليشركني معه في الجريمة ، وليدخلني معه السجن ··

ان « **ابو نعسو** » يحب (**نجاح عبدو**) ويحبها لاموالها ، ويحرص عليها ، ويخشى ان دخل السجن ، وبقيت انا خارجه ان تفلت من يده ، سيما وانه يعرف تماما انهـــا تحبني ، ان زواجها منه ، واعطاءها له الاموال من اجل ان تكون الى جانبي ، كل هذا دعى (**ابو نعسو**) ان يشركني في الجريمة كقاتل ··

★ ★ ★

حيال هذا الاعتراف الاخير المتناقض اجريت مقابلة بين الاثنين · فاصر كل منهما على أقواله ، الا اني أدركت ، نتيجة تحليلي الشخصي ان القاتل هو (**أبو نعسو**) ··

★ ★ ★

انتهت من تسجيل الاعترافات ، بحضور قاضي التحقيق ، ثم اقتدت الجانيين الى مكان الجريمة فمثلا تفاصيل ارتكابهما جرم القتل ، وقد قامت شرطة الادلة القضائية بتسجيل الوقائع على شريط مصور ، حسب العادة ، ليكون من الادلة الجرمية التـــي تدعم الاعتراف ·

وهكذا انهينا التحقيق ، واودعنا المتهمين السجن ، وارسلنا اضبـارة التحقيق كاملة الى القضاء ليقول كلمته ·

بعد ان اودع الجناة السجن ، اخذت اسمع (**بواسطة المخبرين**) ان اهل الجانيين واصدقاءهما والمحامين الذين توكلوا للدفاع عنهما ، يشيعون ان (الجانيين ابو نعسو وابو ارنبه) لا علاقة لهما بالجريمة ، وان الشرطة هي التي الصقت بهما الجريمة ، وان الاعترافات انتزعت بالضغط والاكراه ، والارهاب والتعذيب ، عندها شعرت ان مهمتي لم تنته بعد ، وان من واجبي تفشيل كل مؤامرة او مناورة قد توحي الى القضاة ان الجناة ابرياء ، لذلك فرضت عليهما رقابة شديدة في السجن ، وبنتيجة المراقبة وصـــل الي الخبر التالي :

خلال الزيارات التي كان يقوم بها أهل الجانيين ، فقد أعطياه **(شفرة)** بصورة سرية وبهذه الشفرة شبط **(أبو نعسو)** أسفل قدميه حتى سال الـدم ، ثم وضعهما في ماء وسخة قذرة فتورتما ، وظهرت عليها آثار غير طبيعية ٠٠ وقد تقدم محاميه بطلب الى قاضي التحقيق يوضح فيه ان الاعترافات التي ادلى بها **(ابو نعسو)** كانت تحت تأثير الضرب والتعذيب والارهاب الذي لاتزال آثاره ظاهرة على قدميـه ، وقـد احال قاضي التحقيق الى الطبيب الشرعي ، الذي دعـم بدوره طلب المحامـي واعترافات أبو نعسو الجديدة امام قاضي التحقيق ٠

★ ★ ★

مع سماعي لهذا الخبر ادركت ان مساع جبارة تبذل « لهدر دم الضحية » وتبرئة القتلة ٠ وعندها احضرت من السجن جميع الذين شاهدوا **(ابو نعسـو)** وهو يشبط بالشفرة أسفل قدميه ، ثم يضعها بالماء القذر بعـد أن سال الدم منهـا ، وقد ضبطت افاداتهم ، وكونت اضبارة جديدة وقدمتها ثانية الى القضاء ، حتى اقضي على كل المحاولات الرامية لطمس الحقيقة امام قوس العدالة ٠

★ ★ ★

وزيادة مني بالحيطة والحذر ، فقد ارسلت الى السجن ، ليكون الى جانب **(ابو نعسو وابو ارنبه)** يراقب اعمالهما وحركاتهما **(شخص معروف بادمانه على المخدر)** وقد اخترته من صنف المجرمين المعروفين لئلا يثير شبهتهم ، ولكن بدلا من ان يكون الاخير عينا لنا في السجن ، كان شاهد اثبات ضدنا ٠٠

لقد وقع في شباك **(ابو نعسو)** وانساق وراء رغباته ، امام الاغراء والوعيد والمال ٠

لقد اعطاه **(ابو نعسو)** **(بذة جديدة)** وحرر له شيكا بعشرة الاف ليرة سورية سيدفعها له بعد خروجه من السجن ، فيما اذا تقدم بشهادة مفاجئة امام القضاء ، يقول فيها انه كان يوم حادث القتل امام دار القتيل ، وانه حوالي الساعة الثانية عشرة ليلا من ليلة الحادثة ، شاهد سيارة صغيرة ذات نمرة لبنانية واقفة امام الدار ، ثم لمح اثنين يخرجان من دار القتيل ويركبان هذه السيارة ويختفيان بسرعة البرق ٠٠ وقد روى اوصافهما بشكل يناقض اوصاف ابو نعسو وابو ارنبه ٠

★ ★ ★

وهكذا قدم الشخص المغرر به شهادته الكاذبة الى القضاء ٠ وراحت بعض الصحف تبرز هذا الخبر اندفاعا وراء غايات مادية ، لتضليل الرأي العام والقضاء معا ٠٠

عندها استدعيت الشخص الشاهد ، واستجوبته فاعترف لي بالحقيقة (وسلمني البذة والشيك) فشكلت اضبارة ثالثة وقدمتها للقضاء حرصا مني عـلى ان لا يخـدع القضاة باضاليل المضللين ، وايمانا مني بأن مبـدأ العدل لايتجزأ ، وايمـانا مني بان

العقاب يجب ان يطال الجناة ، ليكونوا عبرة ودرسا لكل من تسول له نفسه ان يسلك طريق الاجرام ...

★ ★ ★

وسار القضاء بالدعوى واحتشد في ساحته كبار المحامين ، واساطين القانون ، للدفاع عن الجناة ولكن البلاغة ، والفصاحة ، وقوة التعبير ، والتحايل المصطنع على القانون ، لا يغير من واقع الجريمة ، فقد اصدرت محكمة الجنايات بحلب حكمها باعدام القاتلين (ابو نعسو وابو ارنبه) ثم جاءت محكمة التمييز العليا ففسخت الحكم ، استنادا لكون الفاعل الحقيقي اي القاتل (مجهول) والسبب في كون القاتل مجهول هو تناقض الاعترافات . فحتى اللحظة الاخيرة كان كل واحد من الجناة يرمي تبعة القتل على زميله ، لذلك ظل الفاعل الاساسي مجهولا ، عندها أخذت محكمة الجنايات بمبدأ النقض وحكمت على القاتلين بعقوبة خمسة عشر عاما سجنا مع الاشغال الشاقة .

★ ★ ★

لا اريد ان اعقب على هذه الجريمة سوى ببضع كلمات اهمس بها في اذن رجال الامن فاقول لهم :

١ ـ ليس في بلادنا جريمة غامضة ، وكل جريمة غامضة يكشفها التحقيق الدقيق، والبحث المتواصل وشد الخيوط بعضها لبعض .

٢ ـ ان مهمة رجال المباحث الجنائية لا تنتهي عند تسليم المجرم الى القضاء ، بل ان مهمته تستمر الى أن يلفظ القضاء حكمه ، ويصبح الحكم مبرما قطعيا ، اذ من الممكن او المحتمل ان تتسلل بعض محاولات التضليل الى ساحة القضاء فتضيع واقع الجريمة .

٣ ـ ان سرية التحقيق ، ومنع تسرب اخباره ومراحله ، يؤدي الى الوصول الى الحقيقة ، ويضيق الخناق على المجرمين .

٤ ـ ان دراسة اوضاع ونتائج الجرائم تكسب رجل المباحث الخبرة ، وتجنبه المزالق الخطيرة التي تضلل التحقيق .





لمحنا بائع الحليب يمر امامنا وقد حمل (دبية الحليب) على كتفه ، فلحقنا به وقد سارعت أنا الى احتضانه من الخلف وسد فمه ، بينما طعنه الجربوع بالموس في رقبته (ص ١٤٤)

عاش في أحلام الملذات فصعد الى المشنقة

مع تباشير الصباح ، والناس مبكرون الى أعمالهم ، يسألون الله العون والتوفيق ، وينشدون من ذاته العلية ، الرزق الحلال ، كان صوت الهاتف يرن صباحا في مكتبي ، يبلغني وقوع جريمة قتل في حي الطويلة ــ من احيـــاء الميدان بدمشق ــ وكان ذلك بتاريخ ١٩٥٥/١١/١٥ ٠

* * *

من عادتي التي درجت عليها منذ بداية عملي في المباحث الجنائية ، والتي غبرت فيها خمسة وثلاثين عاما ، وأنا أصارع الجريمة والمجرمين ، وأسهر على تنفيذ القانون ، وتوطيد دعائم الامن والاستقرار ، انني عندما أبلـــغ نبأ وقوع جريمة في منطقة عملي ، كنت أتوجه الى السماء ، بوصفها مصدر العدل الالهي ، وأرجو ربها وربي ، القادر فوق عباده ، أن يكون معي في مطاردة المجرم ، وان تدعمني عنايته الالهية في اكتشاف غوامض الجرم ، وأحمد الله جلت قدرته ، لانه كان دوما خير معوان لي ، في اداء واجبي ٠

* * *

وهكذا بدأت عملي ــ بعد أن تلقيت الهاتف بالدعوى لاكتشاف الجريمة ــ بأن توجهت الى الله بقلب مفعم بالايمان ، مترع بالرغبة الصادقة ، لخدمة الحق والعدالة ، وتوجهت فورا على رأس مفرزة من رجال المباحث ، الى مكان الجرم ، ومع وصولنا اليه ، لم نجد جريمة قتل ، انما وجدنا آثارا من دماء تبدأ بالشارع العام ، وتنتهي في بستان مجاور ، وان هذه الآثار تختفي كليا عند حائط البستان ، حيث توجد ساقية ماء جارية ، تقطع الطريق الى نهاية الاثر ٠

* * *

عدنا ثانية الى بداية الاثر ، الى الطريق العام ، نتفحص مكان وقوع الجريمة ، فلم نجد سوى (فردة حذاء قروي مع وعاء حليب ــ الدبية ــ) فاهتدى خيالنا ، لاول وهلة ، ان المجرم أو القاتل ٠٠٠ هو من تجار الحليب ، ومن أهل حي القدم (لان وعاء الحليب يكثر استعماله في قرية القدم) ٠

أرسلت (الوعاء وفردة الحذاء) مع رجال المباحث الى حي القدم ، لعرضها عـــلى الاهالي بغية التعرف عليها ، واستدعيت على الفور (الكلاب البوليسية) لتتقصى لناالاثر٠

* * *

باشرت الكلاب البوليسية مع خبرائها ومدربيها ، بتقص الاثر ، وما ان وصلت الى الساقية حتى ضاع عليها ، فقلت في نفسي ، ان استعمال الكلاب البوليسية في هذا المجال

مضيعة للوقت ، ولا بد لنا من القيام بتحريات شخصية ، تعتمد على تجاربنا الطويلة في كشف الجرائم الغامضة ·

وقد رسمت طريقي على الشكل التالي :

١ ـ البحث عن جثة القتيل في البساتين المجاورة لمكان وقوع الجريمة ·
٢ ـ معرفة هوية القاتل أو المقتول (بعد التعرف على صاحب الوعاء والحذاء) ·
٣ ـ دراسة آثار الجريمة ، من خلال الاحاديث ، والاشاعات الرائجة في حي الميدان ، لان كل جريمة تقع ، لا بد الا ان تترك آثارا في محيطها ، تساعد على كشفها ·

* * *

وعلى هذا الاساس أرسلت فرقة من رجال المباحث ، لتحري كافة البساتين المحيطة بمكان وقوع الجريمة ، ولقد لفت أنظارهم ، الى ضرورة تفحص الحفر فيها ، ونبش ماردم منها حديثا ، وكذلك نبش (المزابل) التي تستعمل كأسمدة للمزروعات ·

وأرسلت فرقة ثانية ، لتسأل الجيران المحيطين بمكان وقوع الجريمة ، عسى ان يكون احدهم شاهد أثرا لها ، أو لديه معلومات تنير التحقيق ·

وفيما انا أقوم بهذه الترتيبات ·· عادت المفرزة التي أرسلتها الى حي القدم ، وبصحبتها رجل مسن ، ادعى ان وعاء الحليب والحذاء ، لولده صابر ، الذي اعتاد أن ينهض كل يوم مع الفجر ، يصلي الصبح ، ويحلب البقرات ، ويحمل حليبها الى متجر (العم أبو سعيد) الكائن في حي باب السريجة ، وانه في هذا الصباح (حمل الحليب) وذهب ولم يعد حتى الآن ·

* * *

يالها من مفاجأة مروعة ومحزنة على الاب المفجوع ، الذي شهد آثار الدماء ، وهي توحي اليه ان ولده وفلذة كبده ، قد غيبته يد غادرة أثيمة ، لقد طفرت الدموع من عينيه ، وارتسم على وجهه حزن عميق ، عقد لسانه ، وأفقده وعيه ، فارتمى على الدماء يشمها ، ويرفع رأسه الى السماء ثم يتمتم بكلمات غامضة تخنقها العبرات وتقطعها شهقات البكاء المرير ·

تقدمت من الاب العجوز الحزين ، ورفعته بين يدي ، وقلت له : انت رجل مؤمن بالله « أيها العم » وأنت تؤمن بقوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) وانني أقول لك : ان دماء ولدك لن تذهب هدرا ، وان عين العدالة ساهرة ، وان الحق سيأخذ مجراه ·

ثم رفعت يدي الى السماء ·· وقلت للواحد الجبار ، المستوى على عرشه ·· الهي أنت الحكم العدل ·· أسألك بحق عزتك ، ان لاتضيع هدرا هذا الدم ··

تابعت واجبي في الاشراف على البحث والتحقيق ••• فأرسلت (الحذاء والوعاء) مرة ثانية ، الى تاجر الحليب ، ليتعرف (عليهما) لندعم ما قاله أب المغدور ، ثم سرحت وراء الباحثين في البساتين اتبع خطاهم •• وأوجه عن كثب مسيرتهم •• وفيما كان أحد رجال المباحث ينبش احدى(المزابل) عثر على يد انسان •• فصرخ يعلمنا بمشاهداته•• فتحلقنا على الفور من حوله ، وسحبنا اليد البارزة ، فخرجت معنـــا جثة قتيل ، مثخنة بالجراح ، وقد حزت الرقبة منها بموس حاد من الوريد الى الوريد ••

* * *

عندها استدعينا الطبيب الشرعي ، لاجراء الفحوص اللازمة عليهـــا ، بينما باشر قاضي التحقيق بتسجيل ضبط الواقعة ، ثم سلمت الجثة لاهلها لتوارى مثواها الاخير •

* * *

تركت المحققين ورجال المباحث والطبيب الشرعي ، يتابعون اجراءاتهـم الروتينية المعتادة ، وعدت على الفور الى مكان وقوع الجريمة (الى الشارع العام) أرسل بصري - يمينا وشمالا - وأتفحص وجوه المارة ، والجيران ، وأخيرا وقع بصري على كوخ خشبي صغير (هو بقايا سيارة باص) يقبع فيه رجل عجوز ، اتخذ لنفسه من هذا الكوخ (شاي خانة) للمارة وسائقي السيارات الذين يقفون بجانب محطة البنزين المجاورة له •

* * *

قلت في نفسي :

ان هذا الرجل يسهر طوال الليل ، ولا بد ان يكون قد شاهد أو سـمع أشياء قد تضع في يدي الخيط الاول لهذه الجريمة الغامضة ••

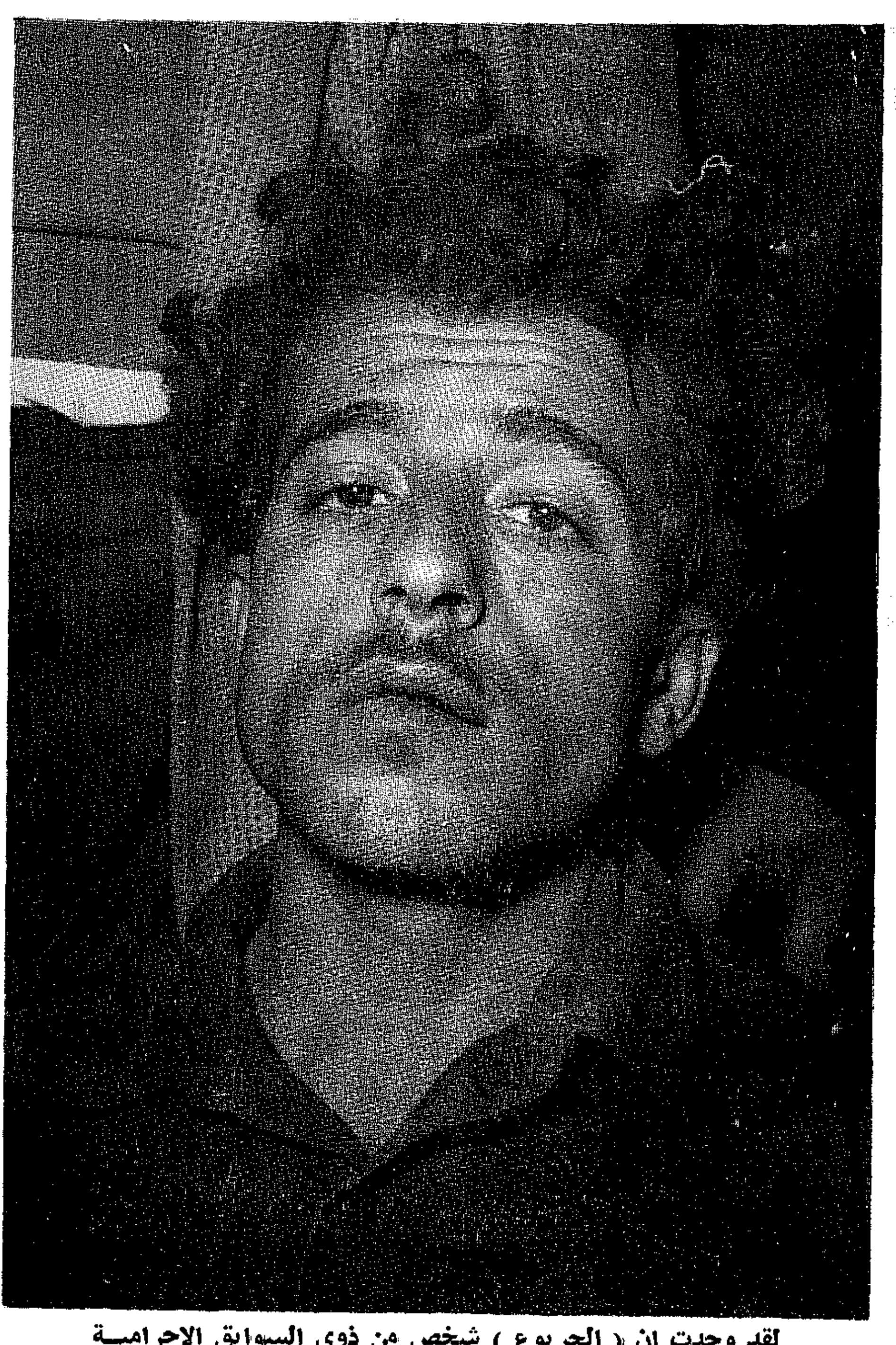
تقدمت من الكوخ ، وألقيت التحيـــة على من فيـــه ، واذا بي أمام رجل من ذوي السوابق في تعاطي المخدرات ، يدعى (أبو فياض) •

استدعيته ، وسألته عما اذا كان قد اطلع على جريمـــة القتل التي وقعت بجوار كوخه ، فأنكر كل شيء ، واستسلم الى البلاهة المعهودة بكل من يتعاطى المخدرات •

* * *

اصطحبته الى مكتبي في الادارة الجنائية ، وباشرت التحقيق معه •

لقد طلبت منه أن يسرد لي أسماء جميع الذين (سقاهم شاي) منذ ثلاثة أيام ، فأخذ يروي لي العديد من الاسماء المختلفة ، ومن بينها اسمي (الجربوع والزحلاوي) وقال ان هذين الاثنين لجأا الى كوخه حوالي الساعة الثالثـــة والنصف من صباح هذا اليوم ، وقد شربا الشاي ، ثم غادرا الكوخ اثر مرور احد (باعة الحليب) •



لقد وجدت ان « الجربوع » شخص من ذوي السوابق الاجرامية
وانه مطلوب من قبل القضاء



ووجدت ان (الزحلاوي)لقيط مشرد تربطه بزميله علاقات
منافيــة للحشمة

قلت له :

ألم تسمع صياحا ، أو ضجة بعد ذهابهما ·· أجابني بالنفي ··

* * *

عدت الى الارشيف الذي أحتفظ به في ذاكرتي ، وبدأت أدرس مع نفسي ، وضع كل من (الجربوع والزحلاوي) ثم اتجهت الى الاضابير الرسـمية ، لادعم (ارشيف الذاكرة) بمضمون السجلات الرسمية ، فوجدت ان ذاكرتي لم تخني ، وشعرت أني قد توصلت الى اليد الآثمة ، التي ارتكبت الجريمة ··

* * *

لقد وجدت ان (الجربوع) شخص من ذوي السوابق الاجرامية ، وأنه مطلوب من قبل القضاة بجرم القاء قنبلة على (احدى المزارع) بغوطة دمشق ·

ووجدت ان رفيقه(الزحلاوي) لقيط متشرد تربطه بزميله علاقات منافية(للحشمة) ·

حزمت أمري ، وقررت القبض عليهما ، وباشرت بحثي وتحرياتي ، عن الاثنين في كل مكان يمكن ان يلجأا اليه ·

طفت المقاهي ، والملاهي ، وكل بؤر الفساد ، التي قد يلجاآن اليها ·· ولكني لم أعثر لهما على أثر ·

تابعت تحرياتي ، دون كلل أو ملل ، وأرسلت رجالي يبحثون ، وينقبون ، وعممت الاسمين اللذين وقعت شبهتي عليهما ، على كـل دوائر الامن ومخافر الحدود ، وأخيرا توصلت الى معرفة مكـان الزحلاوي فداهمته في (بيت في عرنوس) وقبضت عليـه ثم تحريت الغرفة فوجدت تحت وسادته (موس كباس عليه آثار دماء) فأدركت على الفور، أن المجرمين قد ارتكبا جريمتهما بهذا (الموس) ·

* * *

اقتدت (الزحلاوي) الى مكتبي وبدأت أحقق معه ، فأنكر لاول وهلة علاقته بزميله (الجربوع) ونفى كل صلة له به ، وأنكر علمه أو معرفته في الجريمة (أصلا وفصلا) الا أن الارتباك والاضطراب النفسي كان باديا على وجهه ·· لان القاعدة تقول (يكـاد المريب ان يقول امسكوني) ·

* * *

لم أقتنع بالنكران ، بل ازددت يقينا بأنه احد المجرمين ، وكان لابد لي من اجراء مقابلة بين (الزحلاوي) وأبو (فياض) صاحب (الشاي خانه) الذي تعرف عليه ، وذكره (بكاسة الشاي التي قدمها له في صباح اليـوم الماضي ، ساعة كان برفقتـه (الجربوع) كما ذكره بعدة وجبـات من الشاي قدمهـا لهما في أيام عديـدة سبقت وقوع الجريمة ·

* * *

عندها انهار (الزحلاوي) وامتقع لونه ··وهزل شكله ·· واستسلم الى الاعتراف ··

قال :

مضى علي زمن غير قليل ، وأنا برفقة (الجربوع) وكلانا بدون عمـــل ، وكلانا نتعاطى المسكرات والمخدرات ، والميسر ، وهذا يحتاج الى المال ، وللحصول عليه ، لابد من « تشليح » من يملك المال • ومن القيام بعمليات الترصد والبحث عن صيد ثمين •

* * *

ومن خلال نشاطنا الترصدي ، عثرنا على بائـــع حليب في باب السريجة يخفي في صدره محفظة مليئة (بامهات المئة ليرة) فتتبعنا خطاه حتى وصل الى (مطاهر جامع باب السريجة) ومن ثقوب (الباب) وجدناه يعد (المصاري) ويخفيها في (عبه) ومنذ هذه اللحظة قررنا قتله والاستيلاء على (دراهمه) ولكننا لم نوافق لوجود عدد غير قليل من الناس ، فقررنا ترصده عند الصباح وتنفيذ العملية •

* * *

وفعلا لجأنا في الساعة الرابعة صباحا الى كوخ العم (أبو فياض) وبعد ان شربنا الشاي لمحنا بائع الحليب ، يمر من أمامنا ، وقد حمل (دبية الحليب) على كتفيه ، فلحقنا به وقد سارعت (أنا) الى احتضانه من الخلف وسد فمه ، بينما طعنه الجربوع (بهذا الموس وأشار الى الموس الذي وجد تحت وسادته فحز رقبته من الوريد الى الوريد، ورماه على الارض مضرجا بدمائه •

عندها سارعنا الى شحط الجثة الى البستان المجاور الى الشارع العام ، وفتشناها فلم نعثر في محفظته الا على (١٩) ليرة سورية فأخذناهـــا ، وطمرنا الجثـــة في المزبلة وذهبنـــا •

بعد أن سمعت هذا الاعتراف سارعت لاستدعاء قاضي التحقيق ، وشرعت وإياه بتدوين أقوال الزحلاوي ، ثم سألته عن الامكنة التي يرتادها زميله (الجربوع) فقال — في فرن بالصالحية عند صاحبه (احمد) •

توجهت الى فرن الصالحية ، بشكل مفاجيء فلم أعثر على أثر لبغيتي ، انما التقيت بأحمد فسألته العديد من الاسئلة العابرة ، الى ان وصلت الى السؤال عن (الجربوع) فقال لي ••• — البارحة نام عندي ، وقد ذهب اليوم الى حي الاكراد لعند (أبو عاصي) واشترى (مسدس عيـــار ٧ مليمتر — الفرنسي — مع باغتين وخمسين طلقـــة بمبلغ ١٧٥ ل•س)•

اصطحبت معي (احمد) الى خارج الفرن ، ثم أمرت بتوقيفه ، خوفا من أن تتسرب أخبار تحرياتنا الى (الجربوع) فيفر خارج دمشق وتابعت طريقي الى حي الاكراد حيث هبطت دار (أبو عاصي) من السطح رغبة مني في مفاجأته ، لانه من أرباب السوابق ومن

أخطر المجرمين،لقد قضى شطرا كبيرا من حياته في السجون بجرائم مختلفة،وهكذا التقيت (بأبي عاصي) وسألته عن الجربوع وعما اذا كان قـــد زاره فاعترف بزيارته وبشراء المسدس ، ثم ركع على قدمي يتوسل الي أن أعفي عنه ٠٠ لانه أقدم على المتاجرة بالسلاح٠

فقلت له :

أعفيك من كل مسؤولية ، شريطة ان تدلني على مكان وجود (الجربوع) ٠٠

فقال لي :

ـ انه يتردد على خيمة (أبو كاعود) عند المقبرة الافرنسية ٠

قبضت على (أبو عاصي) وأمرت بتوقيفه تمشيا مـــع الرغبـــة في سرية التحقيـــق ، وتوجهت فورا الى خيمة (أبو كاعود) فلم اجد ضالتي انما قال لي صاحب الخيمة :

ـ ان للجربوع أختا في حي باب السريجة سينام الليلة عندها ، ودلني على الدار ٠

* * *

توجهت ـ دون توقف ـ الى حي باب السريجة حيث طرقت باب (أخت الجربوع) ودخلتها فوجدت دارا قديمة، يقطنها عدد من العائلات ومن بينهم (امرأة ارملة ولها أربعة أولاد) وغرفتها تقع في نهاية سلم يوصل الى السطح ٠ ولهذه الغرفة نافذتان الاولى تطل على الدار والثانية على الشارع ٠

صعدت درج السلم ٠٠٠ وطرقت باب الغرفة ٠٠ وناديت ٠٠٠

ـ تغطوا يا حريم ٠٠ بدنا نتحرى الغرفة ٠٠ نحن رجال الامن ٠٠٠

نهضت الامرأة ٠٠٠ وقالت ٠٠٠ لحظة ريثما نتستر ٠٠

وفي هذه اللحظة أخذت أسترق النظر من ثقوب الباب ٠٠ فوجدت حركة غير عادية، تحت الاغطية،فتحسبت لكل طارىء ٠٠ وفي خلال ثوان معدودات،امتدت يد من الفراش ، وأخذت تطلق العيارات النارية علينا بسخاء ، ثم انفجرت قنبلة ، اهتز لدويها كل من في الحي ٠٠

وعلى الرغم من قساوة المفاجأة ، فقد قابلت النار بالمثل ، واقتحمت باب الغرفـــة فوجدت ان الجربوع قد فر من النافذة المطلة على الشارع ، بينمـــا أصيب الاولاد وأمهم برصاصنا المتبادل ، كما أصيب عدد من رجال المباحث الجنائية الذين كانوا برفقتي ، وان الذي مكن الجربوع من الفرار هو جهلنا بوجود النافذة المطلة على الشارع الخلفي ٠

* * *

أرسلت على الفور الامـــرأة والاولاد وكل من أصيب بالرصاص الى المستشفى ، وجمعت فوارغ الطلقات النارية مع شظايا القذيفة ، التي وجهت الينا من (الجربوع) وعدت الى مكتبي في الادارة الجنائية ، أفكر في وسيلة ، أقتنص بها (الجاني) وأضعه بين يدي العدالة قبل ان يفر خارج دمشق وعندها تتعقد مهمتي ٠

* * *

كان قد مضى علي يومان ·· وأنا بدون نوم ·· وفي حركـــة تحريات ومطـاردات مستمرة ، لقد أجهدني التعب ، ولكن لم يساورني الملل ، ولم أفكر في الاستسلام لضرورات الراحة ، كنت دائما اؤمن بالواجب ، واضع مصلحة الامن فوق كل اعتبار ، حتى ان كثيرا ما وجدت نفسي مسؤولا عن كشف كل جريمة تقع في سورية ، ومرد ذلك ، ليس كوني (حسن الشاطر أو أبو زيد الهلالي) ، ولكني رجل اؤمن ايمانا أعمى بأن أمن المواطنين يجب ان يوفره لهم بصورة كاملة (رجال الامن) وعلى هذا الاساس كنت أبني تصرفاتي ، وأشق طريقي ، متكلا على الله ، معتمدا على نفسي وتجاربي وخبرتي ···

* * *

أمضيت ساعة كاملة بالتفكير العميـــق ·· واذا بمخبر مخلص ، ينتصب أمامي ، ويقول لي – عمي أبو عبدو ·· بدك الجربوع ·· شحو ·· عند نرجس في باب سريجة··

ما كاد المخبر يتم كلامه ، حتى انتصبت أصرخ في رجالي ، وأدعوهم للاستعداد ، وتوجهنا فورا الى دار نرجس ، فوجدنا حالها كحال الـــدار السابقة ، من حيث العلو ، ووجود النوافذ المطلة على الشارع ·

عندها نصبنا الكمائن ، واتخذنا كافة الاحتياطات لعملية غدر ثانية ، وطرقت باب الدار واذا بنرجس تهم بالخروج ··· فدارت بيني وبينها المحاورة التالية :

– وين يانرجس ··

– رايحة أزور قبر أمي ياسيدي ··· عاوزين شي ياسيدي ··

– مبكرة يا نرجس ·· وجهك مو وجه تقى وصلاح ، حتى تزوري القبور مـــع آذان الصبح ·

– والله أنا صادقة يا عمي أبو عبده ··

– خير يانرجس ··· الجربوع بتعرفيه ···

– لا والله ياسيدي ··· من سنين ماشفتو ··

– ما هو عندك في البيت يا نرجس ··

– لا والله ياسيدي ··· وحياة ستي زينب ما شفتو ··

* * *

لم أصدق (نرجس) وتطلعت الى غرفتها المطلة من وسط السلم الخشبي على الدار ، وصعدت السلم ··· بينما طلبت من أحد رجال المباحث أن يتسلق شجرة الليمون ، وينقر بيده على الشباك وكأنه يريد ان يفتحه وتابعت صعودي سلم الدرج ، وفي أقل من لحظة صدرت عن الغرفة عدة طلقات نارية موجهة الى الشباك والباب ··· هذه الطلقات زادتني عزما واندفاعا ، ودفعت الباب بضربة من رجلي حملته الى وسط الغرفة ، وبشكل

لا شعوري ، وجدت نفسي أقبض على (عبده الجربوع) ومسدسه في يده وقد علقت به آخر طلقة ، ولم تستجب للابرة ..

سحبت المسدس من يد (الجربوع) واقتدته أمامي الى الدار ، فركع على قدمي يبكي ويقول .. :

ـ لقد اشتريت هذا المسدس لقتلك يا أبو عبده .. لاني اذا ما قتلتك استطعت الافلات من يد العدالة ، ولكن الحظ .. قاتل الله الحظ .. لقد خانني ...

ـ أنا بين يديك يا أبو عبدو ... ارحمني ..

* * *

قلت له :

لن تمس بأذى يا ابني .. أنت أصبحت بيد العدالة ، وهي صاحبة الحق في تقرير مصيرك .. وهكذا اقتدته الى مركز الادارة الجنائية وقدمت له السكاير والقهوة مع وجبة الطعام .. لانه قال لي (أنا جائع يا أبو عبده) ..

وبعد أن استعاد وعيه ، وتاب الى رشده باشرت التحقيق معه،حيث مثل جريمته كما ارتكبها ... ثم أخذ طريقه الى محكمة الجنايات التي حكمت باعدامه ونفذت به الحكم شنقا .. كما حكمت على زميله الزحلاوي بالسجن المؤبد ..

* * *

قبيل أن أطوي صفحة هذه القصة أضع بين يدي القراء (وخاصة زملائي رجال المباحث الجنائية النتائج التالية :

* * *

١ ـ ان القاتل .. أو المجرم .. مهما كان ذكيا ، وواعيا ، فلا بـــد من أن يترك توقيعه في المكان الذي ارتكب فيه الجرم ..

وأقصد بتوقيع المجرم الآثار التي تدل عليه .. والمجرمان اللذان أشرت اليهما في هذه القصة ، تركا عن غير قصد آثار الدماء ووعاء الحليب وفردة حذاء المغدور ..

٢ ـ ان على المحقق الجنائي ان يكون واعيا أثناء ربط خيوط الجريمة التي يحقق بها ، وأن يكون سريعا في الانتقال في مراحل التحقيق حتى لا يترك الفرصة للجاني للفرار خارج منطقة وقوع الجريمة ..

٣ ـ على المحقق الجنائي ان يحيط كافة مراحل التحقيق بسياج من الكتمان وان يقطع الصلة بين المجرم وبين كل من يظن أو يشك في انه قد يحمل خبر له عن ملاحقة

رجال الامن له ٠٠ وهذا ما حدا بي الى توقيف كل من نام المجرم عنده ، أو تردد عليه ، أو اتصل به بعد وقوع الجريمة ٠٠

٤ ـ على رجال المباحث الجنائية ، ان يدرسوا سلفا أوضاع الامكنة التي يرغبون في مداهمتها أو تفتيشها ، لسد كافة المنافذ التي قد تمكن الجاني من الفرار، وللاتقاء من عملية غدر مباغتة كالتي لجأ اليها الجاني (الجربوع) أثناء اطلاقه النار والقائه القنبلة علينا ، ثم فراره من النافذة المطلة على الشارع الخلفي ٠

* * *

٥ ـ قد يعترض رجال المباحث الجنائية بعض المضللين ، لاخفاء المجرم ٠٠ كما حدث لنا أثناء مقابلتنا (لنرجس) التي اختفى في دارها الجربوع ٠ فعلى رجال المباحث أن يكونوا واعين الدرجة تبعدهم عن شباك المضللين ٠

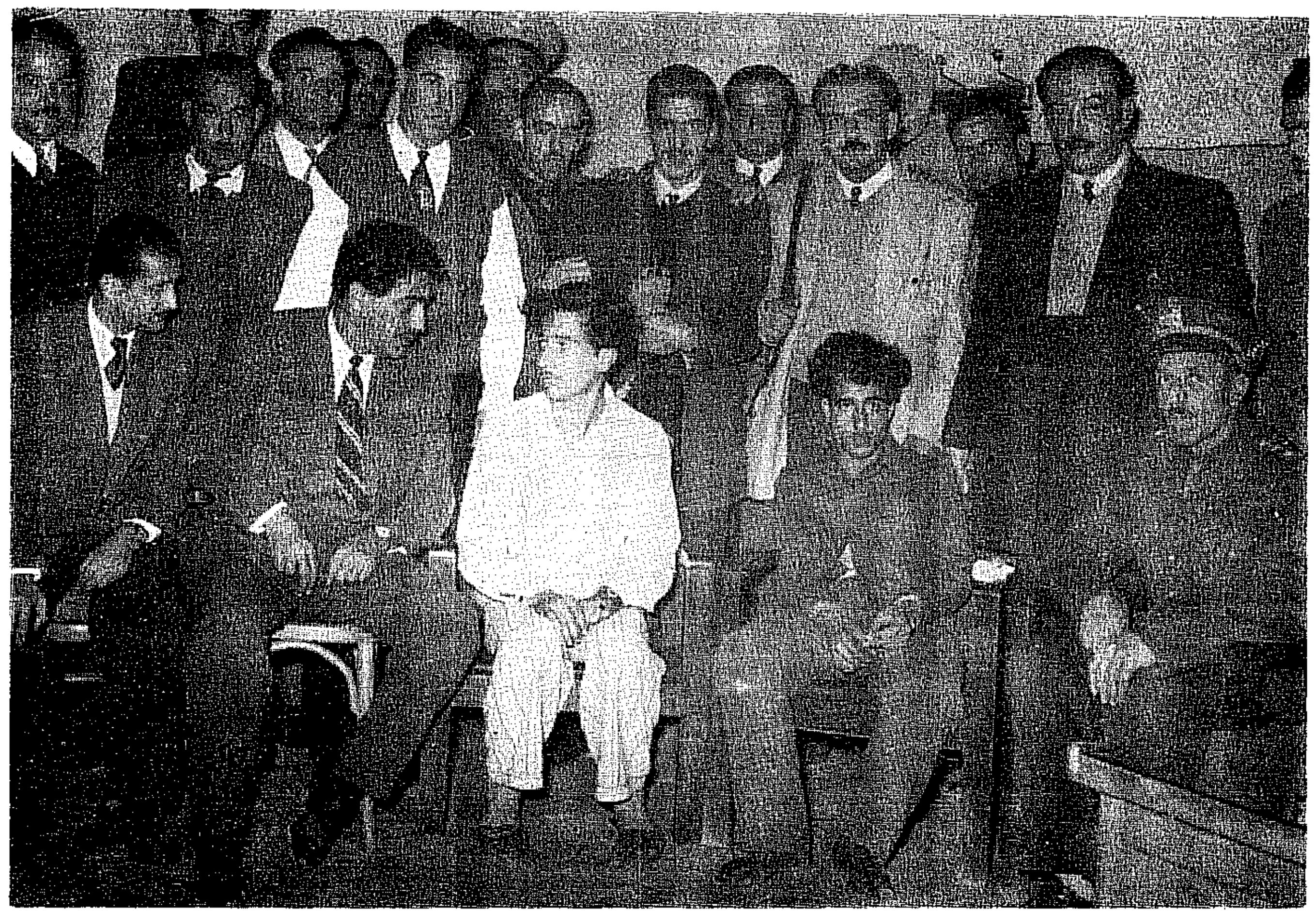
* * *

٦ ـ على رجال المباحث الجنائية ان يتحلوا بالجرأة ، والعزم ، ورباطة الجأش ، لان ظهورهم بمظهر القوة والرجولة ، يفت في عضد المجرم ، ويدفعه الى الاستسلام ٠

وانني أقول لجميع زملائي رجال المباحث الجنائية ، بأن أي انسان لا يمكن ان يموت الا في يومه المحدد ، والمقرر له في (اللوح الالهي المخطوط) ٠ ومتى رسخ هذا الايمان في قلوبهم ، أمكنهم القيام بواجباتهم على أكمل وجه ٠٠

* * *

وهكذا اقتدت المجرمين الى مكتبي لاسطر الضبط اللازم واقدهما الى العـــدالة لينالا جزاء ما صنعت يداهمـا ..



وبعد ان دونت الاعترافات وشهدت تمثيل الجر يمة امام هيئـة المحققين وضعت الحديد في ايديهما لانقلهمـا الى السجن انتظـارا لحكم العـدالة

القصـــة الثالثــة :

من جرائـم القتل الغامضـة

فتش عن المرأة

« **فتش عن المرأة** » كلمة قالها **نابليون** ، القائد الذي توجت انتصاراته وتجاربه ، صفحات التاريخ وكأنني بهذا البطل ، وقد اقعدته « **المرأة** » عن متابعة امجاده ، او كانت من اقسى عوامل انهياره وتلاشيه ، حتى دفعته الى اطلاق زفرته الخالدة ، فقال :

« **فتش عن المرأة** » •

لست عدو المرأة ، وقد قدستها أما ، وباركتها زوجة ، ورعيتها ابنة ، واختا ، شأني شأن كل بني الانسان •

ولست من الذين يحاولون التعالي بدافع الانانيــة ، انما اقرر حقيقــة لمستها ، ومارستها ، طوال كفاحي المرير ، في عملي في المباحث الجنائية ، وهي ان اكثر الجرائـم يكون محورها او قاعدتها او الدافع اليها « امرأة » •

فرحم الله من قال (**خلق الرجل للسيف ، وخلقت المرأة للابرة ، وخلق الرجل لنيران المعامع ، وخلقت المرأة لنيران المواقد**) •

رحم الله من دفع للمفهوم الانساني هذه الحكمـــة البعيدة المدى ، لقـد استهدف ترتيب الواجبات وتطلع الى مبدأ تقرير الحقوق ، ليبعد المرأة بصورة خاصة ، عن ميادين النضال القاسية ، او المرتبكة ، لان وجودها في هذه الاجواء ، كثيرا ما يؤدي الى نتـــائج ليست في مصلحتها ولا في مصلحة الرجل •

* * *

لا اريد ان اتبسط في هذا الموضوع ، نسبة لابعاده المترامية الاطراف ، ولاعماقــه السحيقة الغور ، سيما وان علماء الاجتماع ، وكبار رجال الفكر ، قد اشبعوا موضوع المرأة درسا ، وتمحيصا ، ونقاشا ، ولكنهم لم يصلوا الى نتائج مرضية ، تنقذ المرأة من شرور نفسها ، وتجنب المجتمع من نتائج هذه الشـرور والآثام ، لان المد الحضـاري ، والتمدن الانساني، وطغيان المفاهيم المادية على تعاليم الشرائع السماوية، وانهيار القواعد والتقاليد التي كان يسلكها الانسان في محيطه ، والتي كان ولايزال ، معظمها يشكل سدا عاليا من المثل العليا ، التي تحول دون الانزلاق المرذول ، لان كل هذا واكثر منه ،



صعد رأسا الى السقيفة ليرى منظرا لم يكن بحسبانه .. فطاش سهمه

جعل المرأة تتدافع بمنكبيها ، لتتساوى مع الرجل ، وقد غدا المجتمع الذي تتلمس العيش في رحابه ، خليطا مرتبكا ، متشابكا ، اختلت فيه الموازين ، وضاعت على ثراه القيم الروحية ، والانسانية ، واصبحنا كلنا نجد في طريق طويل الهدف ٠ وعر المسالك ٠٠٠ دامس الاجواء ٠

★ ★ ★

مرة ثانية ٠٠ اقول ان بحث هذا الموضوع ليس من اختصاصي ٠٠ ولكني بكل جرأة ٠٠ اقول : « **وراء معظم الجرائم ٠٠٠ فتش عن المرأة** » ٠٠ **وهذا دليلي :**

★ ★ ★

دعبول ٠٠ شاب مغربي ٠٠ نشأ في ظل الاحتلال الفرنسي لبلاده ٠

شب على البطالة ، التي فرضها المستعمر نتيجة استغلاله لخيرات البلاد ، واستثماره لجهود ابنائها ٠

كان يحلم بالعيش الشريف الرغيد ، كان يتطلع الى مستقبل باسم هنيء ، ولكن أنى له ان يحقق امانيه ، ودونها السدود ، التي نصبها الغاصب الدخيل ٠٠

لم يجد أمامه سوى الانخراط في جيش (**الليجيون اترانجير**) الذي انشأته فرنسا ، لتحمي به حراب استعمارها التي كانت تغرسها في ظهور وقلوب الشعوب المغلوبة على امرها ٠٠

★ ★ ★

تطوع « دعبول » في الجيش الفرنسي ، وتقلب في مختلف قطعاته ، وانتقل في كل البقاع والاقطار التي يسيطر عليها النفوذ الفرنسي ٠

ولعله من البدهي ان يتطبع « دعبول » بطباع الاجواء الشريرة التي يعيشها والتي تعكس ابشع صور القرصنة ، في اوسع وابشع مداها ٠

ولما اضطرمت نار الحرب العالمية الثانية ، واصبحت فرنسا طرفا في الصراع الدولي ، منحازا الى خط الحلفاء ضد جبهة المحور ، كانت احدى فرق «الليجيون اترانجير» تقاتل الجيوش النازية على ارض العلمين ٠٠٠ وكانت مهمة دعبول في فرقته الفرنسية ، نقل الاسرى الالمان من خطوط القتال الى معسكرات الاعتقال ٠٠

ودعبول ، الذي تطبع على الشر ، وتشرب روح الاجرام ، لم يكن يدرك ان الاسرى يعاملون معاملة خاصة ، أقرها القانون الدولي ، ونصت عليها شرائع الحرب ، وفرضتها قواعد الشرف والشهامة **فقد كان يقتل الاسرى ، ويسلبهم ما يملكون** ، ثم يرميهم في الصحراء تنهب اشلائهم الوحوش والكواسر ٠

★ ★ ★

ولما حطت الحرب أوزارها،انتقلت فرقة (**الليجيون أثرانجيه**) الى لبنان وسورية، البلدين العربيين اللذين كانا تحت وطأة الحلفاء ، وقد انفرجت اسارير (**دعبول**) في اجواء لبنان فانتقل نهما بين (**مواخيرها**) يتعرف على بائعات اللذة ، ليستدرك ما فاته خلال فترة الحرب ٠

لقد تعرف الى الامرأة « سكرة » وعاشرها ، ورتع في اجوائها ٠٠ الى ان وصل الى ابنتها الصغيرة الجميلة ، فسال لعابه لمنظرها ، وحط رحاله بين قدميها ، وتوسل الى امها (**خليلته**) ان تزوجه ابنتها ٠٠

وبعد أخذ ورد ٠٠ وقيل وقال ٠٠ ومشادة ومشاحنة ، وقع العصفور في الفخ ، ووصل الصياد الى طريدته ٠٠

وغدت الابنة زوجة بعقد شرعي رسمي ٠٠

* * *

مرت السنون ، وتتابعت الايام ، وحرر شعب سورية ولبنان ، بلديهما من رجس الاستعمار ، واقلعت جيوش الاحتلال الى غير رجعة ، ونعمت البلاد باعلام الحرية ،ورايات العزة والكرامة ٠ اما دعبول ٠٠٠ الجندي المستأجر في جيش الاحتلال ، فقد دلف الى سورية ، واشترى سيارة انكليزية من (المخلفات) وبدأ يعمل عليها ٠٠٠ وقد سكن دارا متواضعة قديمة عند جسر تورا في دمشق ، ومن حوله زوجته الجميلة ٠٠

* * *

في هذه الفترة ٠٠ كان دعبول في حراق ابواب الخامسة والخمسين من العمر ، وقد نأدت عليه اعباء السنين ، وفتت في عضده متاعب الدهر ، وارهقته ظروف التهتك والتبذل التي قضاها ايام خدمته العسكرية ٠

بينما كانت زوجته لم تتجاوز سن الثلاثين ، تختال حسنا ودلالا ، وتتطلع الى غريزتها المستيقظة ، تريد ان تشبعها ، وتملأ كل فراغ لديها ٠٠
انها ترى من حولها الشباب ، قد امتلأت اجسامهم بالحيوية والنشاط ، بينما تركن الى زوجها ، وقد هرم وشاب، وقد برى الهزال جسمه ، حتىاستوى شبحالناظره٠

وهنا لابد لي من وقفة صغيرة ٠٠ اقول فيها ما قاله الامام الشافعي :

عفوا تعف نساؤكم في المحرم ‏ ‏ ‏ ‏ وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
ان الزنا دين ان اقرضته كان ‏ ‏ ‏ ‏ الوفا من اهل بيتك فاعلم

لقد استدان « دعبول » كثيرا يوم كان جنديا في جيش الاستعمار ٠٠ وهذا الدين لابد له من انسان يفيه ٠٠ ويسدده ٠٠ لان حكم الطبيعة ازلي في قدرته ، جبار قاهر في نتائجه ٠٠

واذا تخلينا عن موضوع (**تسديد ديون دعبول**) وتطلعنا الى (**الزوجة المغناج**) لوجدنا ان (**عرق الشجرة منها وان مال**) وان القاعدة تقول (**طب الجرة على فمها ٠٠ البنت بتطلع لامها**) ٠٠٠

وهكذا تهيأت الاسباب والمسببات ، لمن استعدت ، ان تسدد ديون زوجها ، وقد اعانها على سلوك السبل غير المشروعة ، تغيب زوجها عن داره ، بحكم مهنته كسائــق سيارة ٠٠

★ ★ ★

كان دعبول يتغيب عن داره اياما بلياليها ، وكانت زوجته (**فضه**) ترنو الى من يملأ فارغها ، واخيرا حطت رحالها عند جارها السمان (**ابو حلقه**) فكان بينها وبينه ٠٠ سلام ٠٠ فكلام ٠٠ فموعد ٠٠ فلقاء ٠

★ ★ ★

رحم الله من قال (**لو وجد الشيطان عار المرأة في بئر ، لرفعه الى مأذنــة ووقف يؤذن عليه**) ٠٠ لقد بدأت الروائح النتنة ، تفوح من دار (**دعبول**) وسرت اخبار الرذيلة سريان البرق ، ولكن الزوج دائما هو آخر من يعلم ٠٠٠

★ ★ ★

وفي يوم من الايام توجه (**دعبول**) الى المرآب ليجهز سفرة الى اللاذقية ٠ وتوجهت زوجته الى دكان جارها السمان (ابو حلقة) تنشد اللذة في سقيفة في اعلى (**الدكان**) ٠ الا ان دعبول ٠٠ لم يوفق في حمل يشحنه في سيارته ٠٠٠ فعاد مساء الى داره حيث وجد ابنته ولم يجد زوجته ٠٠ فاستطلع خبرها فقالت له ابنته ٠٠ لقد ذهبت امي لعند جارنا (**ابو حلقة**) لتشتري لنا (**السكر والشاي**) ٠

توجه دعبول الى دكان جاره فوجدها مغلقة من داخلها ٠٠ فانصت من ثقوب الباب فرشحت اليه حركات غير طبيعية ، واصوات ليست غريبة عنه ٠٠

وهنا لعبت الاقدار دورها الهائل ٠٠ وسرى الدم حارا في عروق الرجل المطعون في عرضه ، فجمع قواه ، واقتحم الابواب ، **وصعد رأسا الى السقيفة ، ليرى منظرا لم يكن بحسبانه ٠٠ فطاش سهمه ، وارتدت النخوة اليه** ، وتفجر جنانه ، غيظا وحقدا ، فانهال على الاثنين ضربا ولكما ، ورميا بكل ما وقعت عليه يداه ، وكان الطلاق خاتمة المطاف بالنسبة للجولة الاولى ٠٠٠

★ ★ ★

هجرت (**فضة**) دار الزوجية ، وخلفت فيها ابنتها الصغيرة،وسافرت الى طرابلس لترتع مجددا في اجواء امها ٠٠

اما الزوج المفجوع ٠٠٠ فقد تضاعفت آلامه وتكسرت جوانحه ، وشلت الهموم كل

نشاطاته ٠٠ فلا هو بقادر على العمل ، ولا هو بقادر على العناية ببنته الصغيرة ، وتطلع اليه ــ اولاد الحلال ــ يسدون اليه النصيحة ، ويخطفون عنه هول الكارثة ٠٠ وقد اثمرت مساعيهم بعد جهد طويل ٠٠٠٠ فحكموا على السمان (**الجاني**) بمبلغ من المال ، تعويضا عما جنته يداه ، واعادوا الزوجة المطلقة الى دارها واولادها ٠٠

* * *

ترك دعبول داره في (**جسر تورا**) وسكن في احدى القرى المجاورة لدمشق ، وعاد الى مهنته السابقة (**سائق سيارة**) ٠ ولكنه على الرغم من ابتعاده عن الجو الذي لوث شرفه ، من تقادم العهد ٠٠٠ فانه كان شديد الحنين الى الثأر ، شديد الرغبة في الانتقام٠

ولقد كان يذكي فيه هذا الاتجاه الاجرامي ، بعض اصدقائه واقاربه ٠٠

كانوا كلما اجتمعوا به ، يذكرونه ، بمن تجرأ وداس عرضه ، ويستفزون فيه غريزة الانتقام ، حتى انه كان كلما مر بسيارته من امام دكان (**غريمه**) يتوقع ان يراه مارا في الطريق صدفة ليدهسه الا انه لم يوفق الى ما يبغيه ٠٠

* * *

الثأر الثأر ٠٠٠ يا دعبول ٠٠
لا يغسل العار ٠٠ الا الدم ٠٠٠ يا دعبول ٠٠
الشرف زي عود الكبريت يا دعبول ٠٠ لا يولع الا مرة واحدة في العمر ٠٠ يا دعبول٠
الشرف كمياه الينبوع ٠٠ ان هدر لا يسترجع الا بالدم ٠٠ يا دعبول ٠٠

* * *

هذه هي اقوال (**اصدقاء**) واقارب (**دعبول**) ٠٠٠

وهذه الاقوال جعلت دعبول ، يدخل في مرحلة تصفية الحساب بشكل جدي ٠

لقد فكر في قتل السمان ٠٠٠ ثم صمم على القتل ٠٠ ثم بدأ يرسم الخطط مع اصدقائه ، الى ان دخل حيز التنفيذ ٠٠

* * *

وفي ليلة ممطرة من ليالي الشتاء القارصة ، كان السمان (**ابو حلقة**) يقبع في داره يرتب على مصباحه الكهربائي الخافت ، دفاتر حسابات الدكان ٠٠٠ وبجواره زوجته واولاده يغطون في نوم عميق ٠٠

* * *

في هذه الليلة ٠٠ وفي ساعات متأخرة منها ، كان دعبول ورفيقان له ناهزت أعمارهما السبعين ٠٠٠ يتلصلصون من جوانب الدار ، ليقوموا بعملية غسل (**العار**) وبعد دراسة واطمئنان ، تسلق الثلاثة جدران الدار القصيرة ، وهبطوا صحنها وبدأوا ينقرون على شبابيك الغرفة ٠٠ ذات المصباح الخافت ٠٠

* * *

شعر .. ابو حلقة ، ان حركة غير عادية في داره، وتخيل لصوصا جاؤوا لسرقته، فايقظ زوجته ، ثم استجمع قواه ، وفتح باب الغرفة ، وما كادت قدماه تتخطى **(الوسيد)** حتى انهال عليه الدعبول بآلة حديدية جارحة (مفك السيارة) فأثخنه بالجراح ، وضرجه بالدماء، وهبت زوجته مذعورة تسعى لانقاذ زوجها فنالها ما ناله، وقضت نحبها.

في هذه اللحظة الحالكة ... شعر الجناة بثقل جريمتهم.. فاتجهوا لاخفاء معالمها، **فلم يجدوا امامهم الا احراق الدار ومن فيها** ، لاضاعة كل اثر لجريمتهم ، وهكذا فعلوا ، وشبت النيران مضرمة في الدار ، تندلع بشدة من كافة جوانبها ، ولما اطمئن الجناة الى نجاح عمليتهم ، لاذوا بالفرار .. وذهب دعبول الى داره يغير ثيابه ، كما ذهب رفاق السوء كل الى بيته ..

* * *

شعر الجيران والمارة ، بنيران الحريق ، فهتفوا الى رجال الاطفاء ، كما هتفوا الى دوائر الامن ، خشية ان يكون وراء النار جريمة ، فكنت واحدا من رجال الامن على رأس فرقة من المباحث ، اساهم مع رجال الاطفاء في اخماد النيران المتأججة ..

وبينما انا اقوم بواجبي ، تقدم مني شيخ مسن ، وقال لي ان في الدار اولادا يبكون، وان النار قد وصلت اليهم تكاد تحرقهم ... فاقتحمت النار على الفور يدفعني الايمان بالواجب المقدس ، واستطعت انقاذ الاولاد ، لكنني شاهدت داخل الدار المحروقة ، جثة امرأة ملطخة بالدماء ، ووجدت في صحن الدار جثة رجل معفرة فارقت الحياة ..

عندها شعرت ان الحريق مصطنع ، وان في الموضوع جريمة قتل نكراء ، ولكنها غامضة ، لقد زاد في غموضها الحريق ، وعمليات الهدم ، التي قام بها رجال الاطفاء لاخماد النار خوفا من تسللها الى الدور المجاورة ..

* * *

مع طلوع الفجر .. خمدت النيران .. وبرزت الاطلال .. وتمكنا من سحب الجثتين وحملهما الى المستشفى لاجراء الكشف الطبي من قبل الطبيب الشرعي ..

ومن عادتي ان اشترك مع الطبيب الشرعي في تفحص جثث القتلى ، لأتلمس بعيني وبحسي كيفية وقوع الجريمة ..

لقد شاهدت الطعنات القاتلة في جسمي المغدورين ، وادركت ان القتل وقع بآلة حديدية جارحة ... ليست سكيناً .. انما هي آلة حديدية طويلة ، لان الطعنات عميقة .. فقلت في نفسي قد تكون **(مفك سيارة طويل)** ..

* * *

عدت الى مكان وقوع الجريمة ، وبدأت ادرس واتفحص الآثار ، واسرح بدقة وامعان بين جوانب البساتين المجاورة ٠٠ املا في ان اجد خيطا ـ مهما كان واهيا ـ يوصلني الى كشف غوامض الجريمة ٠٠٠

وفيما انا ابحث وافتش ٠٠ عثرت على (**مفك سيارة طويل انكليزي**) فرفعته بين يدي ، فاذا عليه آثار دماء ٠٠ فقلت في نفسي ٠٠ بهذا المفك ، وقع جرم القتل ٠٠ كما وجدت « **فردة حذاء** » مرمية بين « **سياج البستان** » فاخذتها وانا اتصور انها حذاء القاتل سقطت من رجله اثناء فراره كما شاهدت اثار دخول المجرم وخروجه من على حائط الدار ٠

(**المفك الانكليزي ـ وفردة الحذاء**) هي كل الآثار التي تدل على الجناة ، ومن هنا يبدأ السير على طريق البحث ٠ للوصول الى النهاية ٠٠

لقد كان اول عمل قمت به هو عرض المفك ، على باعة (**قطع تبديل السيارات**) وعلى كافة مصلحي السيارات املا في التعرف على من اشتراه او الى من كان يستعمله ٠

وفعلا فقد عرضنا المفك على جميع باعة قطع التبديل ومصلحي السيارات ، ولكننا لم نصل الى نتيجة ، لان جميع من عرض عليهم ، انكروا معرفتهم بصاحبه ، والذي تصورته ، انه يوجد بين الذين عرض المفك عليهم من يعرف صاحبه، ولكنه آثر السكوت لئلا يشغل اوقاته بين (**السين والجيم**) لذلك فقد اصدرت امري باستمرار البحث حول هذه النقطة بالذات ٠

وبنفس الوقت ، فقد بدأت ادرس ماضي (**السمان القتيل**) وسيرة حياته ، منذ نشأته حتى يوم لقي وجه ربه ٠٠

كان همي ان اعرف كل صغيرة وكبيرة مرة في حياة ـ **المغدور** ـ لاستعرض اشخاصها، واتعرف الى ابطالها ، لاصل الى من يجب ان احصر شبهتي بهم ، املا في ان اضع بيد العدالة من يجب ان ينالوا حكمها العادل جزاء وفاقا على ما اقترفت يداهم ٠٠

لقد سرحت بين الجيران ٠٠ واستمعت الى احاديث الاهل والخلان ٠٠ وارسلت المخبرين والمرشدين ، وبثثت العيون في كل مكان ٠ ارصد ، وأراقب ، وأجمع الاخبار ، واخيرا وصلت الى مسامعي قصة تدور حول حدث اخلاقي وقع للمغدور مع زوجة جاره ، الذي غادر الحي منذ عدة سنين ، والذي يقطن في احدى القرى المجاورة لدمشق ٠

لقد سمعت القصة من اولها لآخرها ، بدقة وامعان ، ورحت ادرس اشخاصها ، واحوالهم ، وظروفهم ، وتنقلاتهم ، فتبينت لي النقاط التالية :

١ ـ ان جار المغدور السابق يدعى (**دعبول**) وهو سائق سيارة يعمل على خط اللاذقية دمشق ٠

٢ ـ ان لدعبول زوجة جميلة واولادا ويقطن معهم في حرستا ٠

٣ ـ لدعبول عددا من الاصدقاء كانوا يسمعون منه كلمات التهديد والوعيد عن الذي لوث شرفه ·

★ ★ ★

قلت في نفسي ·· ما الذي يمنعني من تحري دار (**دعبول**) والتحقيق معه ·· ومع زوجته ·· وقد تطور معي التفكير الى التنفيذ ، فتوجهت على رأس فرقة من رجال المباحث ، الى دار (**دعبول**) وداهمتها مدعيا اني ابحث عن (**مخدرات**) اشتبه في وجودها في الدار · لم اجد في الدار (**دعبول**) ومع ذلك فقد فتشتها تفتيشا دقيقا ، فعثرت على قطعة مخدر صغيرة (**حشيش**) ادعت صاحبة الدار (**الزوجة**) ان هذه القطعة لديها منذ عدة سنين وان احتفاظها بها يعود الى اعتقادها ان هــذه (**القطعة**) قد تحتاج اليها في المستقبل كدواء ·

تظاهرت بعدم الاقتناع بما قالته الزوجة ، وصممت على استحضارها للادارة الجنائية للتحقيق معها ·

لقد جعلت قطعة المخدر الصغيرة التافهة سببا لتوقيف الزوجة لأن توقيفها يتيح لي اوسع الفرص ، للتعرف الى احوال زوجها ، والتثبت من حركاته ابان وقوع القتل ، وهكذا اقتدت الزوجة ، وباشرت التحقيق معها فورا ··

سألتها اسئلة كثيرة بعيدة عن موضوع الجريمة ، ومن هذه الاسئلة ، توصلت الى سؤالها عن قصة زوجها ، وحياتها مع زوجها ، فكانت أجوبتها تنم عن حذر ، وعن رغبة في تضليل التحقيق، وكأنها شعرت او تحسست ما اهدف اليه، ولكني تابعت استرسالي في الاسئلة حتى وصلت الى علاقتها مع (**السمان المغدور**) وقصة طلاقها، فانكرتها انكارا تاما ، ولكن انكارها لم يقنعني لان الارتباك كان باديا على قسماتها ، والرجفة كانت تهز كل اجزاء جسمها ·

وفيما انا احقق مع الزوجة ··· دخل غرفتي رجل مضطرب ·· يحاول ان يظهر كل رباطة جأش ·· وقال :

انا دعبول ·· وهذه زوجتي ·· سمعت انكم تسألون عني ·· وها انا بين يديكم·

★ ★ ★

لقد قال لي دعبول هذه الكلمات · بينما كانت عيناه تتفحص احوال زوجته ، وكأنه يحاول ان يقرأ من وجهها كل ماقالته لنا ·

★ ★ ★

اخرجت الزوجة من غرفتي · **وجلست مع (الدعبول) احقق معهبشكل غير مباشر·**
سألته العديد من الاسئلة ، حتى دلفت الى الحادثة الاخلاقية التي وقعت لزوجته ، مع السمان (**ابو حلقة**) ·

لقد طرحت السؤال ، ورحت ادرس التطورات ، التي قد تطرأ على وجه **(الدعبول)** ولكن ظني قد خاب ··· لان من احقق معـــه ، ظل عاديا ، رابط الجأش ، طبيعيـا في اجوبته ، التي كانت كلها انكارا للحادثة ، واستغرابا لسؤالي عن موضوع لم يسبق ان مر بحياته بصورة مطلقة ·

★ ★ ★

امام هذا الانكار · استدعيت الزوجـــة ، وواجهت الاثنين بكامل معلوماتي عن القصة ، وهددتهما بمقابلتهما مع شهود الواقعـــة ·· فاضطرب الاثنـان · وتغيرت اشكالهما ··· ولاذا بالصمت العميـق ، الـذي انتهى الى الاعتـراف الذي اقتـرن بالكلمات التالية :

قال دعبول :

الحادثة وقعت منذ عدة سنين · وقد انكرتها حفظا على كرامتي ، الا انها سويت ، وقد هجرنا الحي ، لننسى كل ماوقع ، وقد نسيناه وعشنا بعيدا عن اجوائه · ولم نعد نرى او نشاهد (**ابو حلقة**) منذ زمن طويل ··

★ ★ ★

- اخرجت الزوجة من غرفتي ·· **واظهرت المفك الحديدي، وعرضته على (دعبول)·** فلم يتعرف عليه ، **وانكر ملكيته له** ·

★ ★ ★

قلت له :

هذا المفك ، يعود الى سيارة شوفرولية انكليزيـة ، كالتي كنت تملكها ســـابقا ولا يستعمل الا في تصليح السيارات التي هي من نوع سيارتك ·

فقال لي :

- عدة سيارتي كاملة ··· وهذا المفك لايخصني ··· ابحثوا عن صاحبه ·

★ ★ ★

قلت له :

- في أي مكان صلحت سيارتك ، اخر مرة ·

فقال :

- في كراج نونه ···

وفيما انا ادقق معه دخل غرفتي عدد من كبار الضباط ، وباشروا **التحقيق معـه** في موضوع مقتل (**السمان ابو حلقة**) فانكر معرفته بالحادثة ، اوصلته بهـا ، وبـدأ يحدد مكان وجوده ساعة وقوع الجريمـــة ، ويقيم على اقواله الدليـــل والبـرهان · والشهود العدول ·

★ ★ ★

قال لي رؤسائي (كبار الضباط)

ـ هذا الرجل بريء ٠٠٠ وهذه قناعتنا٠وعليك ان تتجه بالتحقيق اتجاها جديدا٠ وقد طلبوا مني اخلاء سبيله مع زوجته فورا ٠

* * *

امتثلت الى اوامر رؤسائي (**عن غير قناعة**) ٠ وأخليت سبيل **(الدعبول وزوجته)**، وفيما كان (دعبــول) يغادر باب دائرة الشرطــة الخارجي قال بصوت هامس (**يارب عصفور وفلت من القفص**) ٠

* * *

لقد نقلت الي كلمات الدعبول ، وابتهالاته الى ربه ٠ وهو يغادر دائرة المباحث ٠ فازداد اعتقادي بانه هو القاتل ، واتجهت ـ خلافا لتعليمات الرؤساء ـ الى حصرالتهمة به ، ولكنني قلت انني مدعو لتعزيز شبهتي بالدليل المادي ٠

* * *

حملت المفك ٠٠ وذهبت فورا (**الى مرآب نونه**) وعرضتهعلى معلمالورشة وعمالها، فلم يتعرف عليه احد منهم ٠٠٠ عندها كان لابد لي من الانفراد بالعمال ٠٠ واستجواب كل منهم على حدة ، وبعد اخذ ورد ، وجهد متواصل ، اعترف لي احد العمال ، ان المدعو (**دعبول**) قد حضر الى المرآب بسيارته منذ اسبوع ، وقد اعطاه (**هذا المفك**) ليرص له بعض (**البراغي**) الموجودة في اسفل السيارة ٠ وان (**المعلم**) طلب منه ومن زملائه كتم هذه الحادثة لئلا يؤدي اعترافهم الى مشاكل هم بغنى عنها ٠

لقد كان اعتراف (**العامل الميكانيكي**) سببا لاعادة التحقيق مع **(دعبول)** فتوجهت فورا الى داره فلم اجده ، فعدت الى تفتيشها بدقة وامعان ، وفيما انا ابحث وانقب ، عثرت على فردة (**جراب**) عليها (**بقع من الدم**) فقلت للزوجة ٠٠٠

ـ هذه (جراب) عليها بقع من الدم ٠٠٠

فقالت لي :

ـ انها جراب زوجي وقد جرحت رجله ٠٠ وهذه البقع هي من آثار دماء الجرح ٠

قلت لها :

ـ لماذا لم تغسلي الجراب ٠٠ وخبأتيه داخل المسندة ٠٠٠

قالت :

ـ لا لسبب ٠٠ سوى اني كنتاحشو المسندة بالشراطيط فوضعت الجراببينها٠

* * *

حملت الجراب ، وصممت على فحص الدم الموجود عليه ، واقتدت الزوجة ثانية،

لاباشر التحقيق معها من جديد ... وللمرة الثانية .. دخل غرفتي زوجها .. وقال :
سمعت انكم سألتم عني .. وها قد جئتكم .. ماذا تريدون ..

* * *

لقد حاول (**دعبول**) بحضوره الى مكتبي ثانيـــة في الادارة الجنائية ان يوهمني ببراءته ، وان يدخل في روعي ، انه لو لم يكن بريئا لما حضر لعندي ثانية ، ولكان قد توارى عن الانظار .

الا ان هذه الحركات ، وهذا الاسلوب في التضليل لم يخدعني ، لأن الدليل المادي اصبح في يدي ولأن تجاربي الكثيرة ، تقول لي ان اسلوب (**الدعبول**) هو تضليل بارع من نوع جديد ..

* * *

تركت الزوجة وشأنها ، ورحت احقق مع (**دعبول**) ..
سألته عن سيارته ، فقال انها في الشارع امام الادارة الجنائية .

ارسلت احد رجال المباحث لاحضار عدة السيارة (**المفكـات والمفاتيـح وادوات التصليح**) وفي خارج غرفة التحقيق خلطت (**العدة**) العائدة لسيارة الدعبول ، بعدة اخرى تعود لسيارات الشرطة ، ووضعت بينها (**المفك**) الذي استعمل في **(جريمة القتل)** واستحضرت (**الدعبول**) وقلت له :

ــ افرز عدة سيارتك من هذه الموجودات .
فبادر الى فرز ما يخصه ... ثم امسك (**بالمفك**) وقال .. هذا لا يخصني ..
قلت له : عندما صلحت سيارتك آخر مرة، الم تعط هذا المفك الى العامل الميكانيكي (حسن) ليشد لك (البراغي المحلولة) .
قال : لا .. وبدأت عليه علائم الاضطراب ..
قلت له : سأقابلك به عما قريب ..

* * *

ثم اعطيته الجراب .. وسألته عن بقع الدم الظاهرة عليه .
فقال : هذا الجراب عائد لي .. وهذه البقع هي من جرح حدث في رجلي . فتفحصت رجله فلم اجد اثرا للجرح ..

اظهرت له (فردة الحذاء) الذي تلبسه الان في رجليك ...
فقال ــ ليست لي ...
قلت له : من اين تشتري احذيتك ..
قال ــ من عند السمور ..

* * *

استدعيت (**الكندرجي السمور**) وعرضت عليه الحذاء ، فتعرف عليها ، وقال انها من صنعه ، ثم اردف يقول :

منذ مدة أتى لعندي دعبول وادعى ان فردة حذائه قد ضاعت منه ، فصنعت له فردة جديدة ·· هي في رجله الآن ··

★ ★ ★

عندها استدعيت **الكلاب البوليسية** ، ووضعت دعبول بين عدد من الشرطيين في وسط باحة السجن وتركت الامر لمدرب الكلاب البوليسية ، ليقوم بدوره في البحث عن صاحب الحذاء ··

شم الكلب البوليسي الحذاء ، واتجه فورا الى الدعبول ، وامسك به ··
كررنا العملية ثلاث مرات فلم يخطيء الكلب البوليسي ··

★ ★ ★

لقد ازداد يقيني ان دعبول هو القاتل ·· ولكني كنت اجده مصرا على الانكار ··

عندها أرسلت (**الجراب والملف**) الى مخابر التحليل ، لتحليل الدماء الموجودة عليها ، فجاءت نتيجة التحليل ان الدم من زمرة تخالف (**دم الدعبول**) وانها من زمرة دم القتيل · كما جاء في التحليل المخبري ان دم (**الدعبول**) لا يتفق مع الدم الموجود على الجراب ·

رغم هذه الادلة التي تدفعني للايمان ، بان دعبول هو القاتل ، كنت اجدها غير مقنعة امام القضاء ، فسعيت الى تطوير التحقيق ··

★ ★ ★

استدعيت اولاد المغدور ، وباشرت التحقيق معهم ، فعلمت منهم انهم يعرفون من قتل (امهم واباهم) اذا ما شاهدوه لانهم استيقظوا بعد وقوع الجريمة ··

★ ★ ★

عندها غيرت ملامح دعبول ، ووضعته بين جمهرة من رجال المباحث واشخاص آخرين وفي وسط باحة السجن ايضا وجئت بالاولاد ليتعرفوا على غريمهم ، وما كانوا يلمحون الواقفين ، ويتفحصون وجوههم ، **حتى اشاروا بايديهم على (الدعبول)** ·

★ ★ ★

اخرجت جميع من في غرفتي ·· واختليت بالمتهم ، وبدأت احدث دعبول عن الجريمة ، واوضح له انها وقعت ثأرا للشرف ، وبدأت اخفف من وقعها في نفسه ·· وبعد جهد طويل ، وحديث مستفيض ، انهار (**الدعبول**) واعترف لي بتفاصيل الجريمة ، وبشركائه ، وأبدى استعداده لتمثيلها كما وقعت ···

رحت استوضح المزيد من المعلومات من (**الدعبول**) فسرد لي الوقائع التالية :

* * *

في منتصف ليل (١٩٥٨/١١/٣) اجتمعنا نحن الاربعة (**انا ، وابو فشرة ، وابو دنو ، وثالث لا أعرف اسمه**) بعد مداولات طويلة بيننا ، وصممنا على قتل السمان (**ابو حلقة**) انتقاما لشرفي الذي هدره ، توجهنا الى داره ، فدخلنا اول الأمر الى غرفة الانتاج الزراعي المهجورة ٠ وبدأنا نتوازع الادوار ، وبعد الاتفاق اتجهنا نحو الدار ، ودخلنا حديقتها من الجهة الغربية ، فوجدنا (**ابو حلقة**) يجلس في غرفته ، وبجانبه زوجته على سريرها ٠

نقر احدنا الشباك ٠ فخرج (**ابو حلقة**) ليستطلع الخبر ٠ فضربه رفيقنا بالمفك فأرداه قتيلا فنهضت زوجته لانقاذه فنالها ما نال زوجها ، واخفاء لمعالم الجريمة ، سارع رفيقنا (**ابو فشرة**) وصب (**الكاز**) على اطراف الغرفة واثاثاتها واشعل النار فيها ٠٠ وقد هربنا نحن الاربعة وذهب كل منا الى داره ٠

اما انا فقد ذهبت الى داري ، حيث غسلت يدي ووجهي ، وغيرت ملابسي ، وركبت سيارتي واتجهت الى دمشق ، لافراغ ما فيها ٠٠ وعند وصولي الى محطة بشارة عند جسر تورا ، شاهدت النيران المندلعة من دار (**ابو حلقة**) وشاهدت رجال الاطفاء ورجال الشرطة ، فوقفت بينهم اشاهد نتائج عملي ، ثم تركتهم وتابعت مسيرتي الى دمشق ، حيث أفرغت حمولة سيارتي ، ثم سافرت الى (بانياس) لاجلب حملا جديدا ٠٠

* * *

بعد هذا الاعتراف الكامل ، سارعت فورا لالقاء القبض على شركائه الذين عدد **اسماءهم ، وهتفت لقاضي التحقيق استحضره للاشراف على التحقيق بنفسه ، كما قابلت** الضباط الذين برؤوا ساحة الدعبول من جريمة القتل ، ووضعت بين يديهم نتائج التحقيق ، فتراجعوا ، وشكروني على ما بذلته من جهد ٠٠

* * *

لقد طال التحقيق مع القاتل وشركائه ، واختلفت اقوالهم ، بعد تمثيلهم الجرم ، واخذ كل واحد منهم يلقي التبعة على زميله ، الا انى استطعت بعد جهد طويل ان احدد دور كل واحد منهم واقدمهم جملة الى العدالة لتقول كلمتها ٠٠

وقد مثلوا فعلا امام محكمة الجنايات ولاقوا منها الجزاء العادل ٠٠ الا ان الاوراق ارسلت برمتها الى محكمة النقض في القاهرة ابان الوحدة ٠ وفي عهد الانفصال اعيدت الاضبارة ببراءة المتهمين واخلي سبيلهم ٠ ثم رفعت اضبارة التحقيق والمحاكمة ثانية الى محكمة النقض السورية ، التي وجدت بعد الدراسة والتمحيص والتطبيق القانوني ان الجرم يحيط بالمتهمين احاطة السوار بالمعصم وقد استدعاني رئيس محكمة النقض وطلب

مني ملاحقة المتهمين قائلا لي بأن الجرم ثابت عليهما وينبغي القبض عليهما فورا وقد زودني بمذكرتي اخذ وقبض نفذت بالثاني اما الاول فقد استحصل على جواز سفر جزائري وسافر بحرا الى الجزائر ٠

هذا وقد ثبت حكم الاعدام بحق الاثنين ٠

★ ★ ★

بعد سرد وقائع الجريمة ، ودوري مع رجالي (الذين اعتز برجولتهم ، ونباهتهم ، وخبرتهم ، وهم السادة : **اسماعيل مخللاتي ، دياب متبني ، سعد الدين خماش ، نسيم خوري**) لابد لي من خلاصات اهديها لكل رجال المباحث الجنائية ، ولكل العاملين على تتبع الجريمة ومكافحتها ، وهي :

١ ــ أن الجاني أو الجناة ، مهما احتاطوا ، وبرعوا وتفننوا في تنفيذ جريمتهم ، لابد الا ان يتركوا توقيعهم في مكان وقوع الجريمة (والتوقيع كما سبق ان قلت هو الاثر الذي يدل على المجرم) والتوقيع الذي تركه لنا الدعبول ٠٠٠ هو (**المفك**) الذي رماه في الحديقة ٠ وفردة الحذاء التي سقطت منه بدون ارادته ٠٠

★ ★ ★

٢ ــ ان الدراسات التي قمت بها حول سيرة المغدور ، وماضيه ، هي التي اوصلتني الى معرفة الحادث الاخلاقي ، الذي دفع (**الدعبول**) الى جريمة القتل ثأرا للشرف ٠

★ ★ ★

٣ ــ أن التحقيقات التي قمت بها في أوساط (**مصلحي السيارات**) هي التي هدتني الى العامل الذي تعرف على (**المفك**) ودلني على صاحبه ٠

٤ ــ ان التحريات الدقيقة التي اجريتها في دار (**الدعبول**) هي التيهدتني الى مشاهدة فردة (**الجراب**) التي وجدت عليها آثار الدماء ٠

★ ★ ★

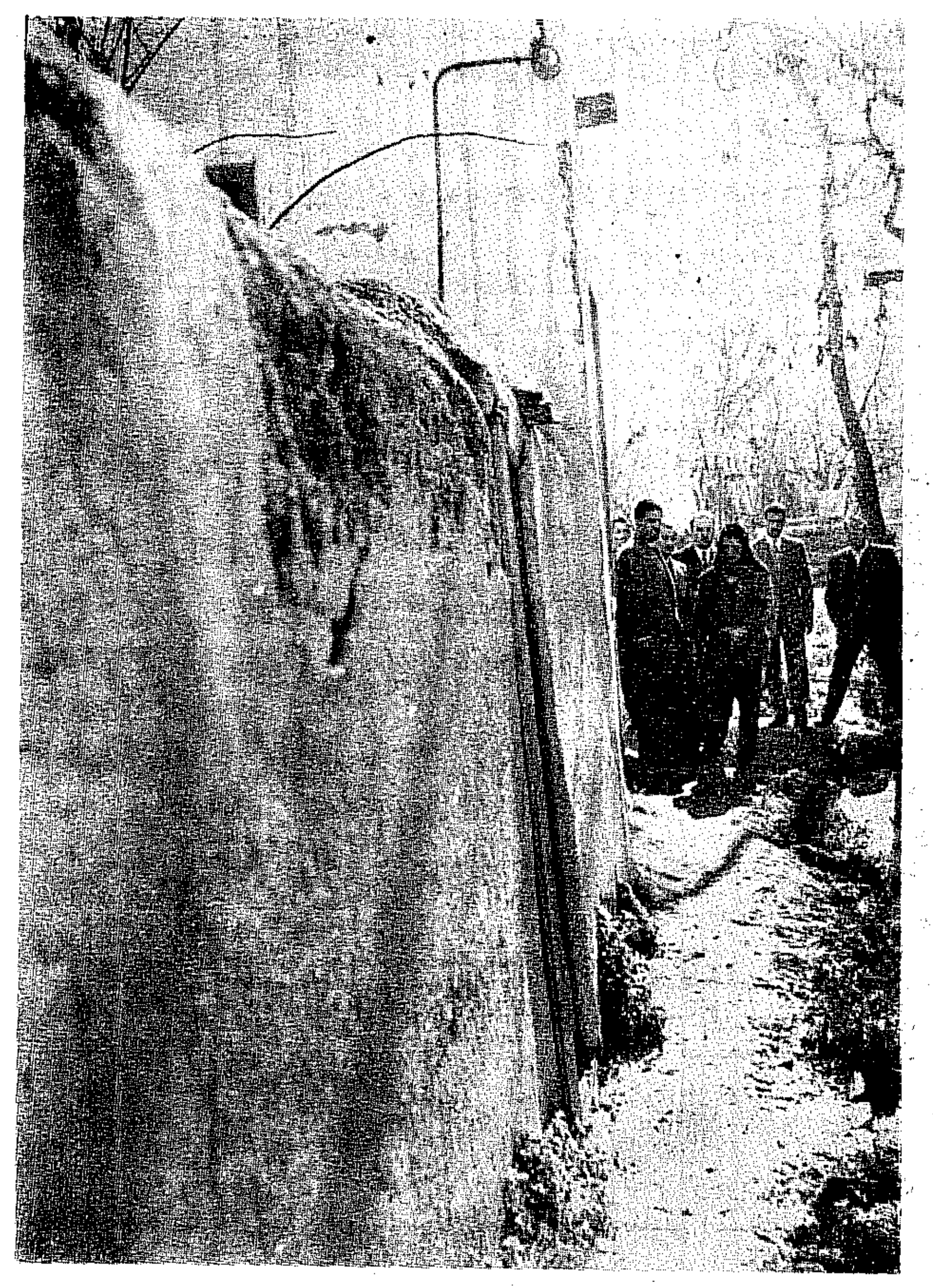
٥ ــ ان العزيمة التي باشرت بها التحقيق ، وقناعتي الوجدانية في سلامة سلوكي بالتحقيق ، هي التي دفعتني الى الاستمرار في العملية رغم نصيحة بعض الضباط لي بضرورة سلوك طريق آخر ٠

★ ★ ★

٦ ــ ان دور الكلب البوليسي ، والتحليل المخبري لآثار الدم الموجود على (**المفك والجراب**) زادت في يقيني ان (دعبول) هو القاتل وجعلتني اتمسك به ٠

★ ★ ★

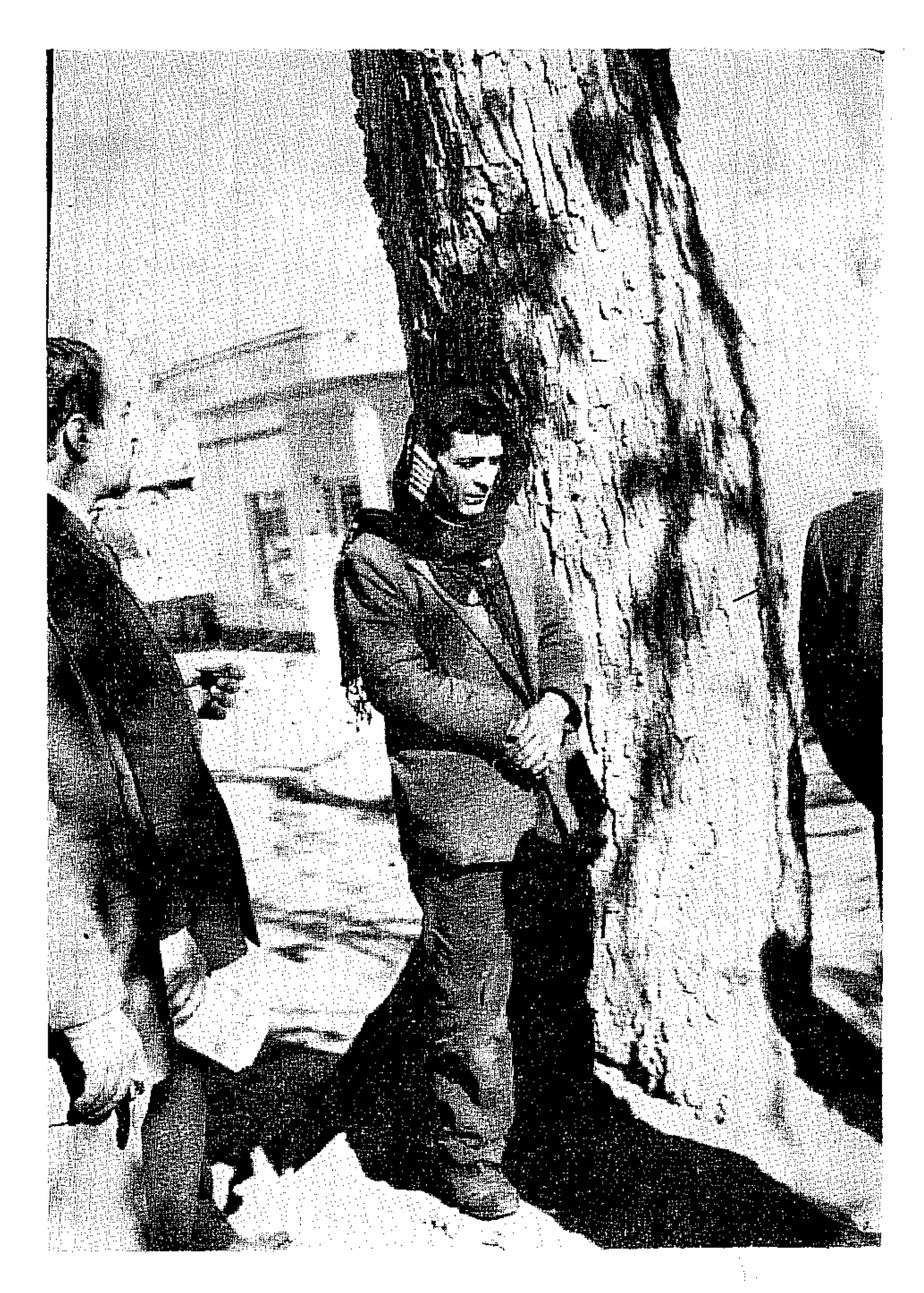
٧ ــ ان الكتمان الشديد الذي احطت به التحقيق هو الذي سهل مهمتي ومنع تسرب اخبار تحرياتي الى المتهمين ٠٠



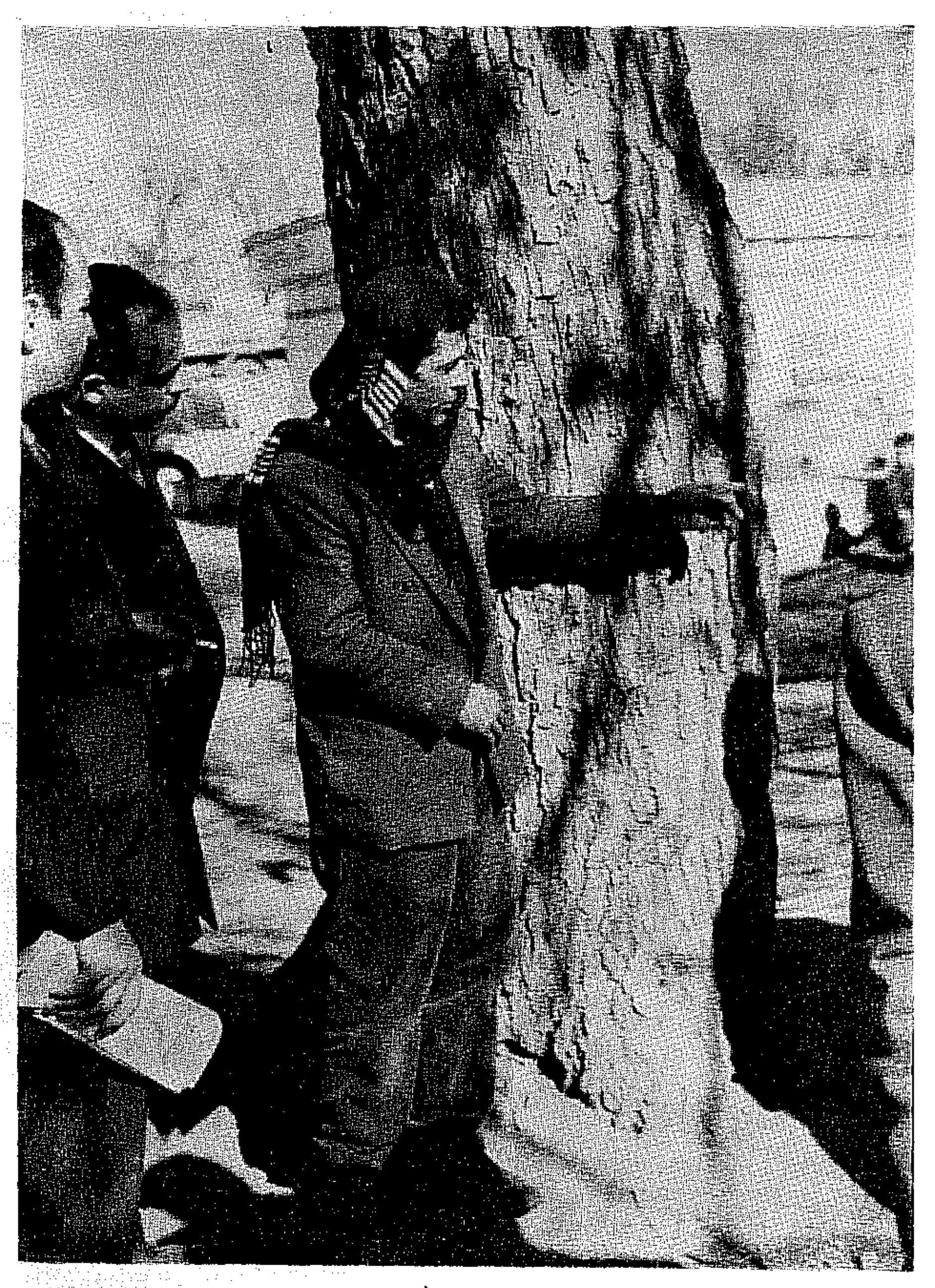
وفي ليلة ممطرة من ليالي الشتاء القارصة كان دعبول ورفيقاه يتلصلصون من جوانب الدار



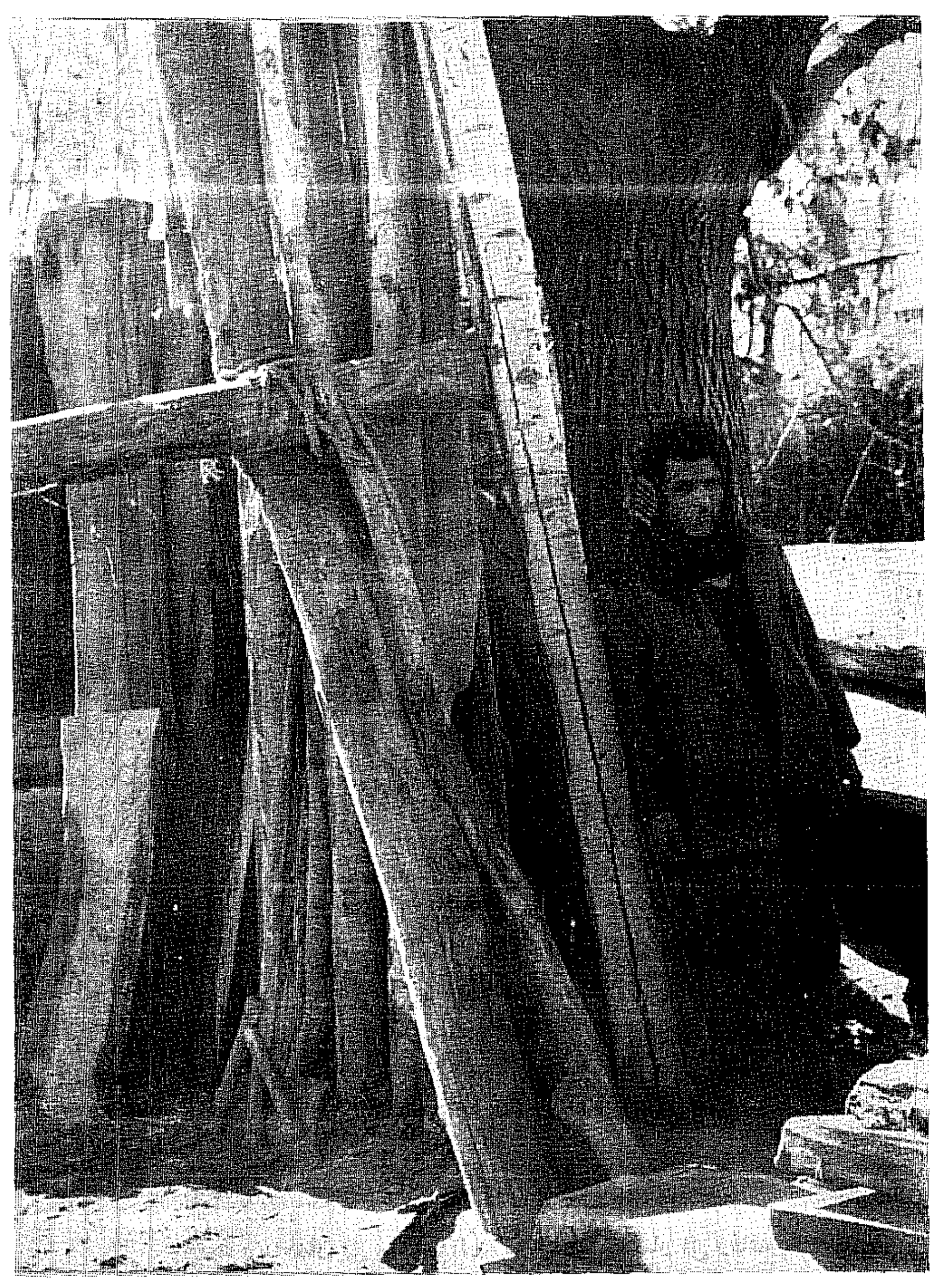
دخل ابو حلقة الدار ووقف وراء جزع شجرة يرقب حركة صاحب الدار



واخيرا صمم على ارتكاب الجريمة واتجه لتنفيذها تحت جنح الظلام



وبعد أن اطمأن الى سكون الحركة في الدار اشار الى رفاقه
ليلحقوا به ويساعدوه في جريمته



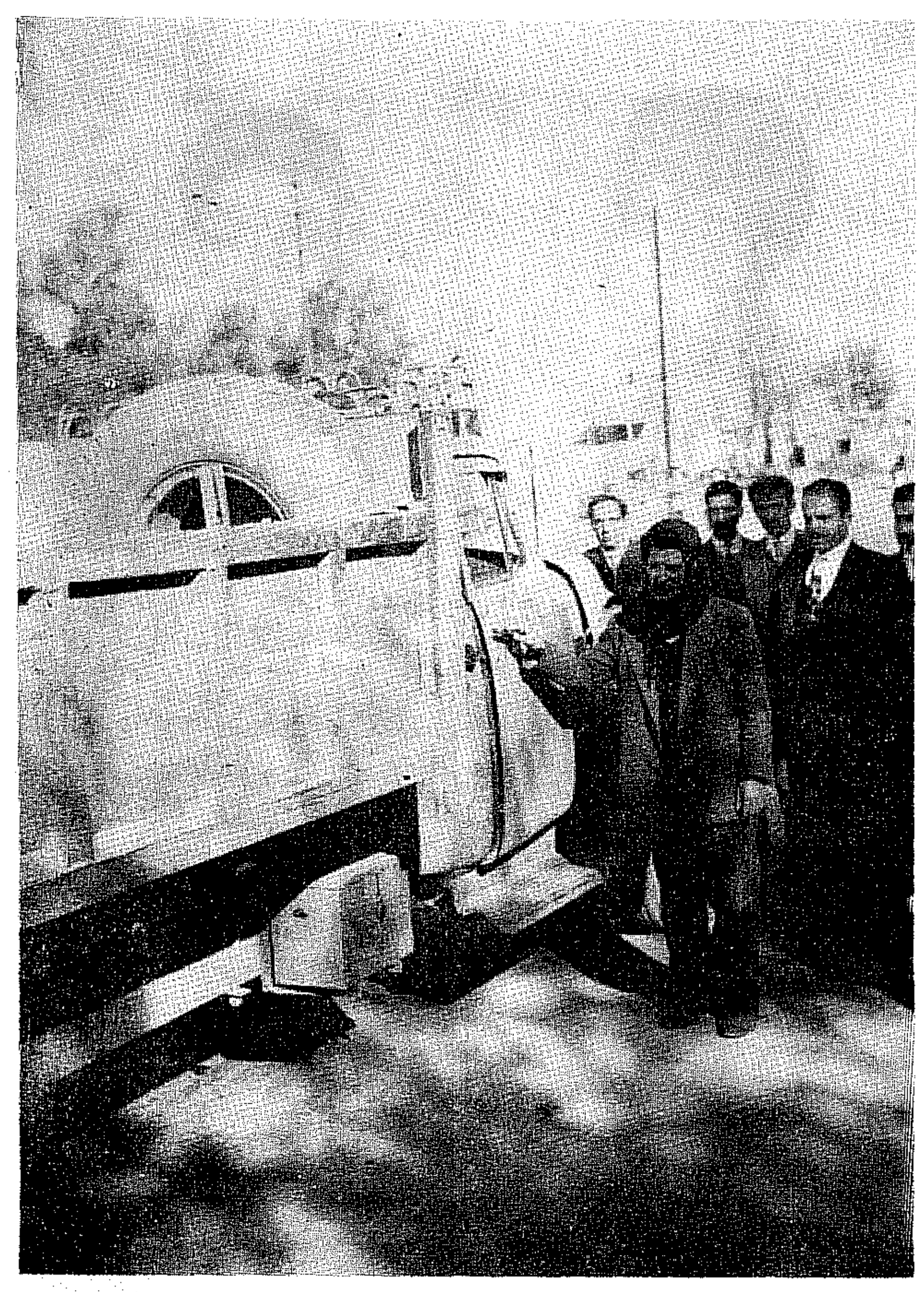
وهنا وقف وجها لوجه أمام الباب مستعدا للانقضاض على الضحية



وخرج صاحب الدار من باب غرفته فتلقى الطعنــة الاولى ، فلحقت به زوجته وصاحت فتلقت الطعنة الثانيــة بينما بدأ رفيق الجاني يصب الكاز على انحاء الدار ويحرقها ليخفي جريمته



ومن هنا خرج دعبول مسرعا بعد ارتكابه الجريمة فترك فردة حذائه
بين سياج البستان المحيط بالدار ، وهي التي كانت احدى الادلة الجرمية

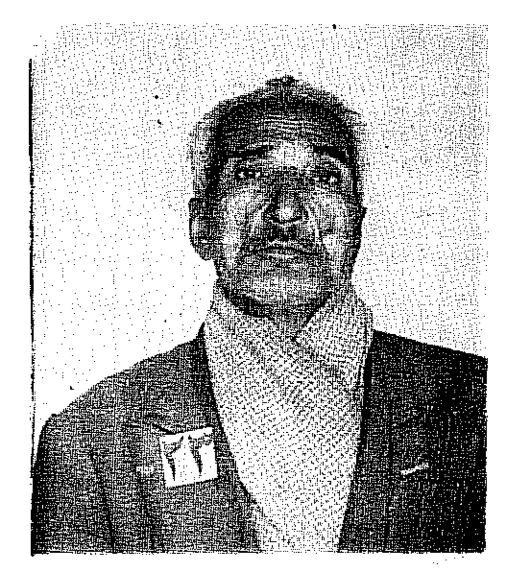


وبعد ساعة من ارتكابه الجريمة اوقف سيارته بجانب مكان الحادث ووقف يرقب ما صنعت يـداه

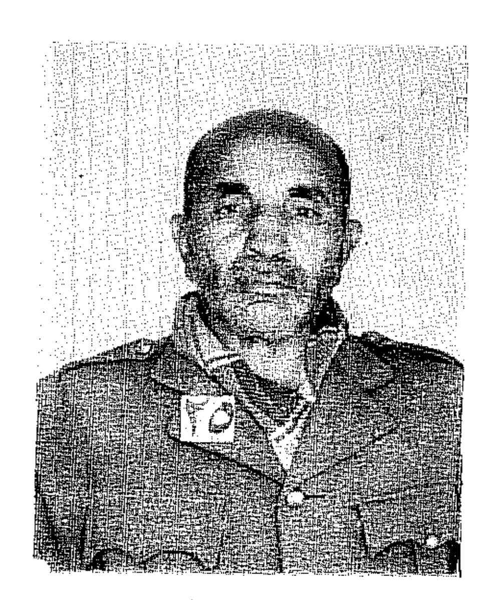




دعبول بطل الجريمة



الشريك الاول



الشريك الثاني

القصة الرابعة

من جرائم القتل الغامضة

من اجل لقمة العيش

أبو عمشه ۰۰۰ رجل طاعن بالسن ، تسلق أبواب الستين من عمر حافل بالمعاصي والموبقات مترع بكل ما حرمه الله ، وكثار أولئك الذين تابعوا السير في المسالك الوعرة ، ولم يستحوا ، من بياض الشيب الـــذي يكسو رؤوسهم ، أو عوارض الشيخوخة التي تقوس ظهورهم ، هؤلاء ، هم الذين قال الله تعالى ۰۰۰۰ انهم يردون الى أرذل العمر ۰

* * *

سكر في النهار ، وحشيش مكيف في الليل حتى مطلع الفجر،هذا هو العمل اليومي الذي يقوم به (**أبو عمشه**) ولتحقيق هذه المكيفات المهلكة ، لابد من المال ۰۰۰ والمال مفقود بسبب حب البطالة ، اذن ۰۰۰ فالاعتمــــاد كل الاعتماد على مساعي الزوجـــة (**أم رصاص**) فهي حرة في مساعيها تفعل ماتشاء ، من أجل (**بللوزة العرق**) ودرهمي حشيش كل يوم ۰

* * *

و « **ام رصاص** » امرأة عادية ، نشأت في أحضان زوج ، فضل شهوته على نخوته ، فسبحت في بحر الظلمات ؛ مدة ثلاثين عاما كاملة ، حتى أصبحت من المحترفات ، ذات السوابق والسجلات في دوائر الأمن ، ذات الاختصاص بمكافحـــة التبذل ، والانحطاط الخلقي ، وعلى الرغم من بلوغها سن الخامسة والاربعين ، فقد ظلت تمتهن حرفة « بهائم الليل » وكل دعواها أنها ترتكب الاثم لتقدم لقمة العيش للاولاد ، وللزوج ۰

قد يكون ادعاؤها صحيحا ۰۰۰ وقد تكون لديها بعض الاسباب القاهرة ، لكن كل هذا ، لا أجده مبررا للانزلاق في جرائم الفحش ، لان القادرة عـــلى سلوك هذا الطريق المعوج المخزي قادرة على كسب لقمة العيش بعرق الجبين ۰

كان (لأم رصاص) ابنة يافعـــة ، تزوجت من شرطي ، وغادر جو الفساد الذي نشأت فيه ، الى جو آخر تتلمس فيه الهدوء والستر وكفاف العيش ۰

كما كان (لأم رصاص) شقيق يعمل عتالا في المنطقة الحرة ۰



أبو عمشة رجل طاعن بالسن تسلق ابواب الستين عن عمر حافل بالماضي والموبقات .. اولاده وراءه يتضورون جوعا وزوجته سارحة في الشوارع

أنا لا أستطيع أن أحدد الزمن الذي اكتشف فيه ، **صهر (ام رصاص)** وشقيقها ، انها تتعاطى الفحش السري ، ولكن السجلات الرسمية تدل على أنها تمتهن هذه المهنة منذ ثلاثين عاما ، لذلك لا أتصور ان عملها كان مستورا ، أو خافيا عن أهلها وذويها طوال هذه الحقبة الطويلة من الزمن ، سيما وأن الزوج بطال ، والعائلة ليس لها مورد ، والاخ لا يهتم بأخته ٠

* * *

ولكن الذي ثبت لدى نتيجة التحقيق ، ان صهر ام رصاص **(حودة)** وأخيها **(كاعود)** تواعدا على سكرة في خمارة **(أبو هاني)** مساء يوم من الايام ٠٠٠ ومن البديهي ان تكون الخمرة أم الموبقات ، ومفتاح باب الجرائم ، وهكذا كان ٠٠٠ كاس جر كاس ، وبطحة زاحمت بطحة ، وحديث جر حديث ٠٠٠ الى أن قال حودة ٠٠٠

ـ **كاعود** ٠٠٠ روح لملم أختك من على حافة بردى ٠٠٠

ـ **حودة** ٠٠٠ عم تحكي جد ٠٠٠٠

ـ **جد ونص ٠٠٠**

ـ **والله لا أخلي السكين تزلغط بمصرينها ٠٠٠**

* * *

وبعد حوار طويل جرى بين **(كاعود وحودة)** على رنين الكؤوس ، وعلى مستوى **(القبضايات)** نهض الاثنان وكلهما تصميم على قتل **(ام رصاص)** الخوانة ، ودفن عارها ٠

* * *

سار الاثنان باتجاه ضفاف نهر بردى ، والشرر يلمع في عيونهما ، بعد أن لعبت الخمرة دورها الهائل ٠٠٠ وبدءا يبحثان ، ويترصدان ، حتى عثرا على ضالتهما ، وهي تفترش الارض ، وتنتظر **(سائحا تائها)** يغوص في **(الحفرة القذرة)** ٠

لقد شاهداها ٠٠٠ فابتعدا عنها ، وبدءا يرسمان خطة تصفية الحساب ٠٠ وفيما هما منهمكان في التخطيط ٠٠ نهضت ام رصاص ٠ وسارت الى دارها مثقلة الخطى ، تجر أذيال خيبة يومها حتى وصلت الى دارها ، فدخلتها ، والتجأت فورا الى فراشها ، وبجانبها كل من كان في البيت نياما ٠٠

تبعها **(الاخ والصهر)** بسيارة استأجراها لتحقيق الغرض ، حيث أوقفها الصهر الذي تولى قيادتها أمام الدار ، ودخل الاثنان ، بأرجل خفيفة الوطأ ، لئلا يشعر أحد بهما ٠٠٠

صعد كاعود الى غرفة شقيقته ، وشدها من شعرها بعد ان كم فمها ، واقتادها الى صحن الدار ، حيث تعاون مع صهره على بطحها على **(بلوعة الدار)** واستل الصهر موسا حادة ، وذبح حماته من الوريد الى الوريد ، وقام الاثنان بتصفية دمها ، ثم عبآها في كيس تمهيدا لقذفها أو دفنها ٠



بعد كؤوس خمر في حانة ابي هاني ذبحوا الضحية وادعوا ان وحشا افترسها

وفيما هما خارجان شعرا ان الاولاد قد استفاقوا على الجريمة ، وان الـزوج قد شاهد العملية من بدايتها حتى نهايتها ·

ارتد الجانيان الى الاولاد والزوج ، ومارسا عمليات التهديد والوعيد ، بالمصير الذي لاقته **(ام رصاص)** لكل من يحاول ان يتلفظ بكلمة أو يبوح بالسر ، وبعد ان اطمأنا الى من في البيت حملا الجثة ، ووضعاها في السيارة ، واتجها الى أرض خالية ، بجانب مطار دمشق ، حيث **عملا على تشويه الجثة ، فجردا لحم الرأس ، ولحم الفخذ الايسر واليد اليمنى ،** رغبة منهما في ان تبدو لناظرها وكأنها فريسة احد الوحوش الكاسرة ، وتركاها على حالها ، وقفلا راجعين **(لا من حس ··· ولا من دري)** ··

بعد أربعة أيام من وقوع الجريمة ، ورد لنا أخبار من جيران المنطقة ان في أرضهم جثة مشوهة، ربما كانت احدى فرائس الوحوش ·

* * *

توجهنا الى مكان الحادث ، وباشرنا التحقيق المعتاد ، فكانت كل الظواهر الاولية تدل على ان الجثة هي لامرأة وقعت في يد وحش كاسر شارد ، لم يترك من معالمها مايدل على هويتها ··

* * *

هذه كانت مطالعة المحققين ، وفراسة بعض رجال المباحث ، أما أنا فقد كان ضميري غير مرتاح ، وتصورت ان في الحادث جريمة يجب أن تكشف ··

* * *

حملنا بقايا الجثة الى المستشفى ··· ورحت أنا أفتش جوانب الارض التي وجدت عليها الجريمة ، فعثرت **على موس كباس عليـه آثار دماء ،** فهتفت لفوري ، ان تشويه الجثة مفتعل ، وان الموضوع ينطوي على جريمـة نكراء ، ويجب ان نكشفهـا ونقبض على الفاعلين ·

* * *

توجهت مع الجثة المحمولـة الى دار التشريح ، واشتركت في عمليات الطبيب الشرعي ، وفيما أنا منهمك في العمل ، **وجدت ورقة مطوية تحت ثدي الجثة ،** فالتقطتها ، وأخذت أقرأ ما فيها ، فاذا هي ورقة **(دعوة)** صادرة عن احدى المحاكم الجزائية ، تدعو « أم رصاص » **للمثول أمامها بجرم الفحش السري ·**

* * *

عندها تعرفنا الى « هوية الجثة » بشكل مبدئي ، واتجهنا لدراسة أوضاعها عـلى ضوء الواقع الذي تعيشه ، وعلى هدى مالدينا من أضابير وسجلات رسمية· وهكذا فعلنا·

* * *

فبالنسبة لسجلاتنا تمكنا من رسم صورة واضحة لها منذ أن كان عمرها خمسة عشر عاما الى أن بلغت سن الخامسة والاربعين ، حيث قضت نحبها،على الشكل المقدرلها.

* * *

أما بالنسبة لواقعها في محيطها ، فقد اتجهنا الى دارها،حيث طالعنا زوجها العجوز، وقد ناء الدهر عليه بكلكليه ، حتى تقوس منه الظهر ، وكاد يعش منه البصر .

سألناه عن زوجته ... **فقال :**

ــ خرجت منذ أيام ، ولم تعد ، ولا أعرف مقرها أو مستقرها .

ــ قلنا له :

وهي من عادتها ان تتغيب عن الدار ؟.

ــ قــال :

ربما ... (وبلع ريقه ، كأن يدا شيطانية تقبض على لسانه تمنعه من الكلام).

ــ قلنا لــه :

ولاي غرض تتغيب زوجتك عن الدار ...؟!

ــ قــال :

لتخدم في البيوت ، وتساعدنا على الحصول على لقمة العيش .

ــ قلنا لــه :

واذا طال غيابها ... ماذا تفعلون ؟!

ــ قــال :

نصبر ... حتى تعود ...

* * *

ــ قلنا لــه :

ان زوجتك وجدت مقتولة ، ومشوهة ، ومرمية على أرض المطار ...

فتظاهر بالالم ، والاضطراب ، وخنق العبرات التي انحدرت على خديه ، ولكنهأصر على التظاهر ، بأن الخبر مفاجأة له ، وقام بحركات تمثيلية مصطنعة ، ليؤكد لنا ان الخطب جلل ، والمصاب يعقد اللسان ، والكارثة صاعقة .

* * *

أما نحن ، وقد حنكتنا التجارب ، فأبعدتنا عن خداع المظاهر . فلم نحفل بكل ما شاهدناه من مسرحيات على هامش المأساة ، فاصطحبنا الرجل العجوز الى مركز الادارة الجنائية ، وباشرنا تحقيقا غير مباشر معه .

كان بوسعنا ان نمارس اسلوب الضغط والارهاب ، أو العنف والاكراه ، لانتزاع الاعترافات ولكننا لم نفعل ، لاعتقادنا ، ان هذا الاسلوب لا يحقق لنا الغاية المرجوة ، وكثيرا ما يضلل المحقق ويكون وسيلة لانكار المجرم أمام القضاء .

فكثار من المجرمين ، اعترفوا اعترافات كاملة ، ثم جاؤوا الى ساحة القضاء ينكرون كامل اعترافاتهم ويدعون ، انها انتزعت منهم بالضغط والاكراه ، فيكون ادعاؤهم عاملا أساسيا في ابعادهم عن الجريمة ، ثم تبرئتهم ٠

وعلى هذا الاساس ، أستطيع أن أؤكد ، لكل زملائي المحققين ، والباحثين من رجال المباحث الجنائية ، أنني لم أعمد في كافة تحقيقاتي ، لاساليب التعذيب أو الارهاب ، بل كنت أنتزع الاعترافات ، باسلوب الثقة المتبادلة ، وجو الطمأنينة الذي أتبعه أمام المحقق معه ٠ ولقد كنت ولا زلت،أجمع الخيوط الرئيسية لكل جريمة،قبل الشروع في التحقيق، وكنت ولا زلت أدرس ظروف الجريمة وملابساتها ٠ والاسس التي انبثقت عنها ، وأكون الدليل ، الى جانب الدليل ، والبرهان الى جانب البرهان ، ثم اتجه الى التحقيق المباشر ، لاضع المتهم في دائرة مغلقة يصعب عليه التخلص منها أو تجاوزها، وقبل أن أعود الى سرد القصة ، لابد لي من تحذير ألقي به همسا في آذان زملائي ، وكل العاملين في نطاق مكافحة الجريمة ، وهو أن الضرب أو التعذيب اذا ما مارسه المحقق مع المتهم ، فلربما يقضي عليه، أو يحدث فيه عاهة مستديمة ، وعندها ينقلب رجل القانون ، الحامي للعدالة ، متهما يحاسبه القضاء على فعلته ٠

والآن أعود الى سرد القصة ٠٠٠٠

قلت اننا شرعنا بتحقيق غير مباشر ، مع الزوج العجوز ، ورغم صبرنا ، وسلوكنا مختلف السبل لم نصل الى نتيجة ، عندها وجدت ان الواجب يدعو الى توسيع رقعة الطمأنينة والثقة ، فلم أجد بدأ من تأمين بللوزة من العرق ٠ وقطعة من الحشيش المخدر، للزوج العجوز ، لاؤكد له صداقتي ٠ وهكذا فعلت ، فسكر صاحبنا ، وكيف ، ثم شرع يحدثنا حديث الجريمة من تلقاء نفسه ٠

قـــال :

ان زوجتي (**ام رصاص**) قد قتلت ذبحا كما تذبح النعاج في داري ، وصفي دمها على (**البلوعة**) ووضعت في كيس حمله أخوها وصهري وذهبوا به ، الى حيث وجدتموه، وقد هددانى والاولاد بمصير مماثل ان أبحنا بالسر ٠

* * *

عندها اتجهنا فورا الى الدار ٠ واجتمعنا بالاولاد ، وبعـــد حديث مطمئن ومشجع وعاطفي ، استطعنا ان ننتزع اعترافاتهم كاملة ٠ وبعد ان تجمعت لدينا كافة المعلومات التي تدين المتهمين الاصليين ، طلبت توقيف الصهر « **الشرطي** » وسارعت الى توقيف الاخ كاعود ٠

الا أن الشرطي ، الذي أنكر بادىء الامر ، وحاول الافلات من قبضتنا ، اتجهنا الى توقيفه مرة ثانية بعد اعتراف الاخ ــ كاعود ــ اعترافا كاملا ٠ ولما وصلت برقيتنا السرية الى مكان عمله ، وشعر انه سينزل بساحة القضاء ، أطلق النار من بندقيته على رأسه من تحت ذقنه ، فانقطع لسانه ، وأصيب بشلل كامل ، ولكنه لم يمت ، فنقل الى المستشفى

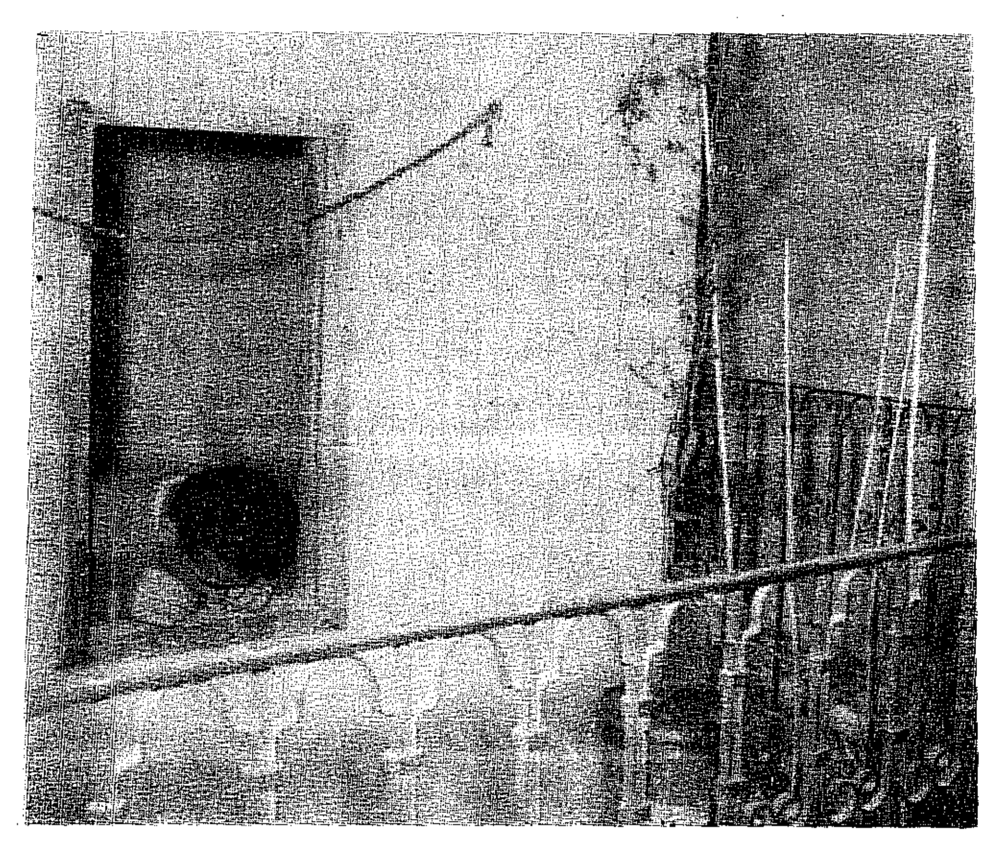
ومكث فيه زهاء أربعين يوما يذوق ألوان العـــذاب ، الذي فرضـــه الله عليه في الدنيا قبل الآخرة ٠

وخلال هذه المدة ، كنا نتردد على المستشفى نحاول انتزاع اعتراف من ـ الصهر ـ المنتحر ، ولو بحركات ايمائية ، فكنا نفشل ، لانه مصمم على أن يموت ، ويدفن سره معه، وهكذا كان ، فقد مات بعد أربعين يوما ، وبعد ان اعيى نطس الاطباء ٠

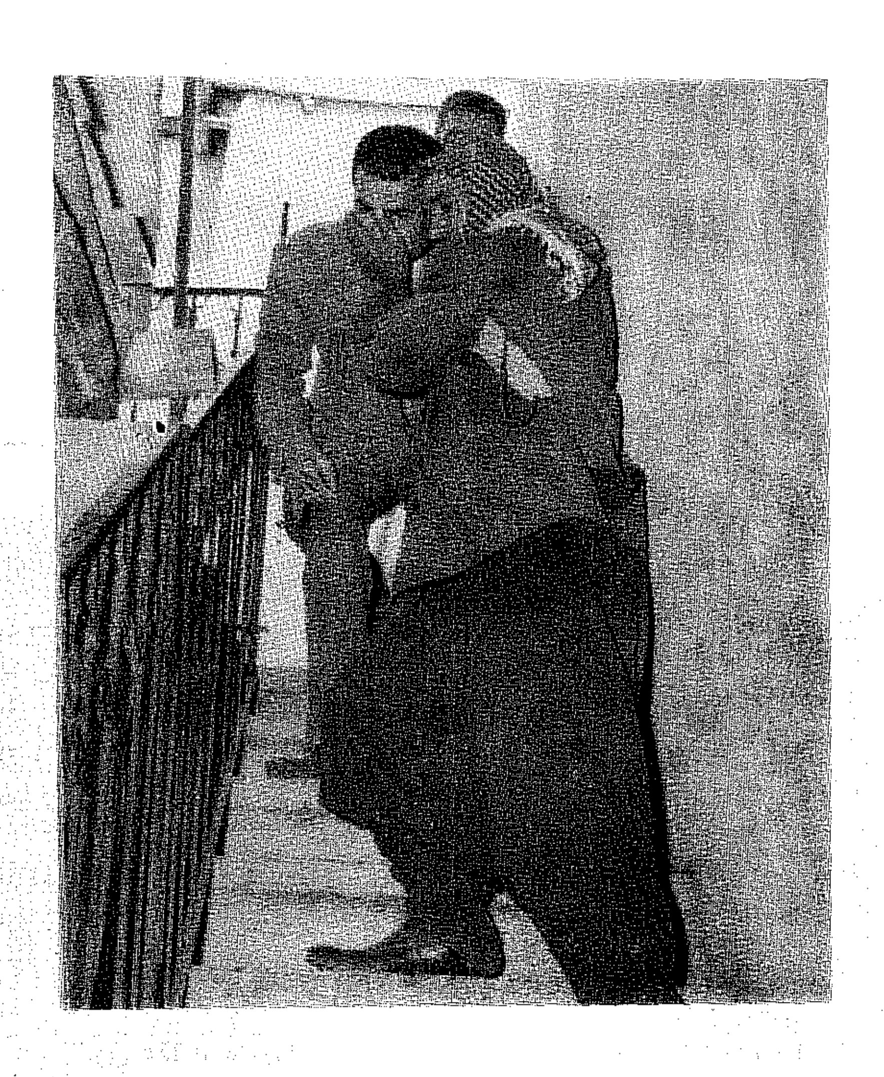
أما الاخ ، فقد قدمناه مع الضبوط والدلائل المادية الى القضاء حيث نال جزاءه ٠ وهو السجن المؤبد ٠

* * *

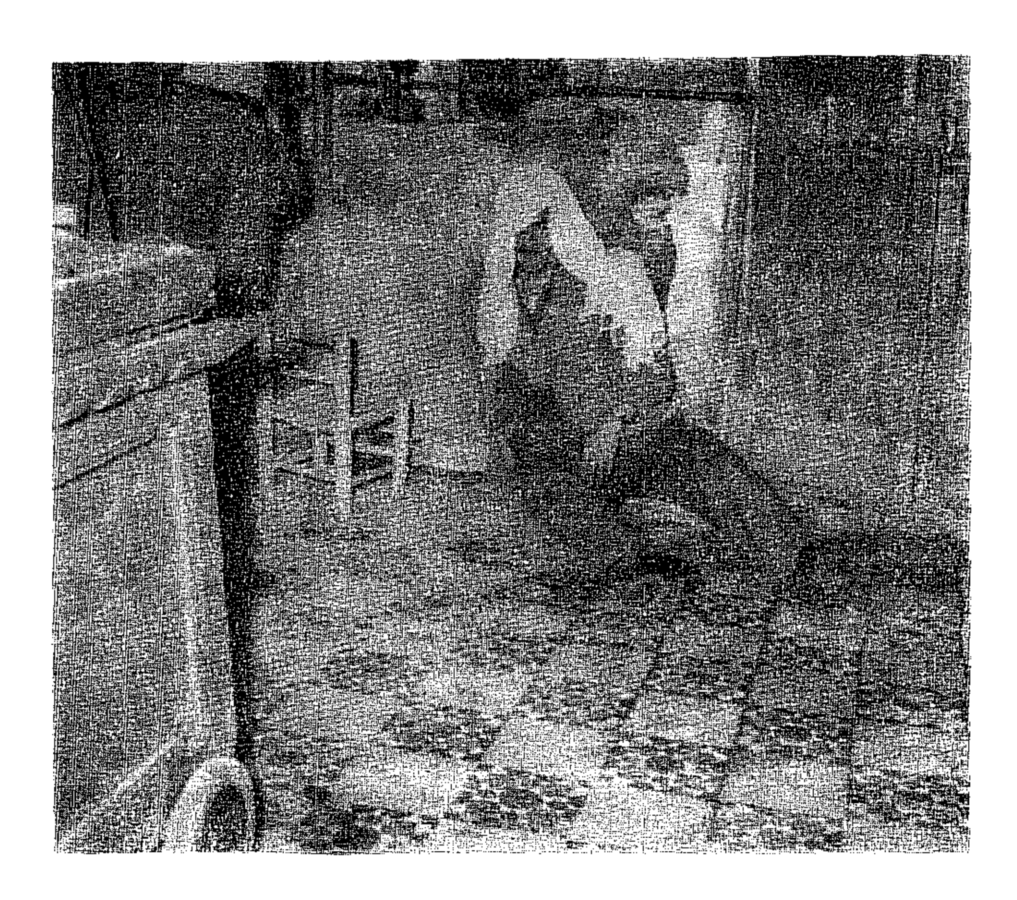
لا أريد التعليق على هذه الحادثة الجرمية سوى بكلمة واحدة ، وهي ان كل جريمة في بلدنا مهما حاول مقترفها اخفاءها ، وتفنن في وسائله الجرمية ، فلابد لنا من كشفها٠٠



لقد راقب المجرم ضحيته حتى استقر بها المكان في الدار فقفز عليها ليبدأ جريمته



ثم كم فمها واقتادها الى صحن الدار ليذبحها ذبح النعـاج
(المشهد تمثيلي)



وفي هذا المكان رماها أرضا وذبحها على مرأى من اطفالها وزوجها



وبثياب المغدورة كان القاتل يمسح الارض من الدماء التي نزفت من الضحية

لقد شوهوا جسم القتيلة فكشفوا جلد رأسها وسلخوا لحم ســاقها وتركوها طعمــة للوحوش

بهذا الشـكل الوحشي ترك الجرمان الجثة اعتقادا منهما انهما بمنجاة من يـد العـدالة



بعد أن شوه جسم الضحية ورمى بها في ارض خلف المطار
جلس يفكر في طريق الخلاص

القصة الخامسة

من جرائم القتل الغامضة

سفاح الغلمان الثلاثة

قبل ان ابدأ بسرد تفاصيل جريمة هذه القصة ، لابد لي من وضع مقدمة بسيطة أشرح بها دوري في كشفها ، ولست اقصد من وراء ذلك ، الظهور بمظهر البطل الذي لا يجارى ، او التحري الذي يعلم الغيب ، او الانسان الذي يحل الالغاز والمعميات ..

كما اني لا أستهدف المزايدة على غيري ، او ان اسلك سبيل الاستعلاء . فحاشى لله ان يتملكني الغرور ، أو ان تحدثني نفسي بما قد يخطر على بال غيري ، ولكنني اذ اسرد الواقع بلغة الارقام واتمسك بحبل الصدق ، ارمي الى القول ، ان البحث عن الجرائم الغامضة يتطلب القبض على الخيوط الرئيسية ، للوصول الى الاصل ، ويتطلب دراسة ظروف الجريمة وملابساتها قبل الشروع بالتحقيق الاولي ، كما يحتم جمع المعلومات من مختلف المصادر ، وغربلتها وتمحيصها ، على ضوء الواقع الذي يقره العقل والمنطق ، ومتى تكونت الافكار التي ترسم دائرة مغلقة حول الجريمة امكن للمحقق ان يخوض بالموضوع بشكل مباشر ...

* * *

ومن ناحية ثانية :

اقول بكل فخر واعتزاز ، وبكل ثقة وايمان ، انني أؤمن بواجباتي ، واعمل على ترجمة هذا الايمان ، الى واقع ملموس ، وهذا ما يدفعني الى القيام بالعمل « **المباحثي** » بنفسي ، لا الاكتفاء بتوزيع الاوامر ، وصرف الارشادات للمرؤوسين ، فانا اعتبر نفسي كفرد من افراد المباحث الجنائية ، عليه ان يؤدي واجبه كاملا بنفسه ..

* * *

وعلى هذا الاساس :

لقد كلفت من قبل رؤسائي باكتشاف جريمة قتل وقعت في منطقة اللجاة — **في حوران — من قبل سفاح مجهول سفك دم ثلاثة غلمان** — ظلما وعدوانا .. وعجزت الدوائر المسؤولة عن اكتشافه . وقد شعرت ان انتدابي لهذا العمل ، كان بمثابة



الفقر والجهل عاملان اساسيان من العوامل التي دفعت بالسفاح لقتل الغلمان الثـلاثـة

اختبار لي ، او كان تحد يهدم كل ما سبق ان سجلته من اعمال ، لان الهدف لم يكن سوى اقصائي في حالة ثبوت العجز ، ولو لم يكن الذنب ذنبي ٠

ولكن الله سلم ٠٠ وايد « عبده بنصره » ووفقني لكشف الجريمة ، والقبض على الفاعل ، وتحديد مسؤوليته بالواقع والادلة الدامغة ، التي ادت الى الحكم عليه بالاعدام، وتنفيذ الحكم به ٠

★ ★ ★

والان ـ وبعد هذه المقدمة الصغيرة ـ اعود الى سرد تفاصيل القصة :

★ ★ ★

حيث يعم الجهل ـ وتبسط « الامية » جناحيها، تبرز الشعوذة، ويرتع الدجالون، وتتفشى الجريمة ٠٠ في اللجاة ٠٠ الجرد الجبلي الصحراوي من حوران ، يقيم اناس ، لم تشرق عليهم شمس المدنية، وكأنهم يعيشون في عالم لم يتعد حدود القرون الوسطى٠

ليس الذنب ذنبهم ، فهم مواطنون عرب ، « **سوريون** » انما التبعة كل التبعة ، نلقيها كاملة على كاهل الحكام ، الذين تعاقبوا على سورية منذ فجر الاستقلال ، والذين احترفوا السياسة لمغانمها ـ وملذاتها ـ وحولوها الى اداة سيطرة على الشعب ـ فابتعدوا عن الهدف الاسمى الذي من اجله رفعهم الشعب الى سدة الحكم ٠٠ ولعل العزاء اروعه واجعله ، ان القوة التي دفعت بهم الى سدة السدارة ، ومراكز القيادة ، هي نفسها التي ابعدتهم ٠ وجاءت بالأنبياء الحقيقيين ، الذين استطاعوا بعمق ايمانهم ، وصلابةعقيدتهم، وصدق عزيمتهم ، ونبل مقصدهم ، ان يكتشفوا المتهم ، في قرارات نفوسهم ، ويعطوها الصورة الصادقة الجميلة لرسم التاريخ ، ويدفعون ارض الـوطن الى التموج بايمـان عميق،فهزتها الاحداث المتلاحقة والتضحيات الجسام،لتأخذ مكانها اللائق تحتالشمس٠

كان بودي ـ قبل ان اسرد قصة ـ **سفاح الغلمان الثلاثة** ـ في منطقة اللجاة ، ان اضع بين يدي القراء صورا « **زينية** » واقعية عن هذه المنطقة ـ **ليدرك بحسه** ـ مـدى تأثير البيئة على المجتمع وليشعر بوجدان عميق مسؤولية من حكموا سورية **(قبل ثورة الثامن من آذار عام ١٩٦٣)** ولكنني مضطر للابتعاد عن الخوض ، في مثل هذه المواضيع الحساسة ، لأني ، بالدرجة الاولى ، لا أرغب في الخروج عن دائرة اختصاصي ، ولأني لا اسعى ، لنبش الماضي ، وفتق الجروح ، ومن ناحية ثانية ، اخشى ان يتهمني بعض ذوي السياسة المفرطة ، باني امالىء ، او امسح الجوخ **(لثوار الثامن من آذار)** وهـذا طريق ما اعتدت سلوكه ، بل وما فكرت في السير عليه طوال حياتي ، ولعلي دوما اتمثل بالقول المأثور ـ **رحم الله امرءا عرف حده فوقف عنده** » ٠

★ ★ ★

اعود الى اصل الموضوع ٠٠ الى منطقة اللجاة ٠٠ اسرح ببصري بين البيوت المهدمة ٠٠ والمغاور المتداعية ٠٠ والزرائب التي يعيش فيها الانسان الى جانب الحيوان ٠٠ ولا يميزه عنه سوى نطقه ٠

ثم اسرح ببصري في هذه المنطقة ، **لاستعرض جو البؤس والشقاء الذي يخيم على اهلها ، وصور الفاقة والعوز** ، ثم أرفع بصري الى السماء ، فاقول بقلب مفعم بالايمان ، **سبحان من قال بالاشتراكية ، لانها غاية الكفاية والعدل ، وسبيل الحياة الافضل لجميع المواطنين لا لطبقة دون اخرى** » .

★ ★ ★

في هذا المحيط .. **وفي عام ١٩٥٩** .. ظهر في اللجاة شاب في العقد الرابع من عمره ، بعيد في عقليته وفطرته ، وخط سيره عن اهله وذويه ، لقد امتهن الشعوذة والدجل ، ودفعه الشعور بالخفة والشطارة الى السرقة والاجرام .

★ ★ ★

ولعله من الطبيعي ، ان يصبح « خزاعة » محط انظار عشيرته ، لأنه بفضل بهلوانياته ، استطاع ان يقنع من حوله ، بأنه **متصل بسلطان الجن** « **شمهورش** » وبواسطته يمكنه ان يفعل المعجزات ، ويأتي بالعجائب ، فكانت تحج اليه النسوة ، لتحمل من يده « **الطاهرة** » حجابا ، يرزقها طفلا بعد عقم ، او يقرب منها زوجها بعد تنافر ، او يبسط الرزق لزوجها ، او يسيل المطر على ارضها ، وبهذا الاسلوب الملتوي الخادع .. كان خزاعة يبتز الاموال من ضعاف النفوس ، ويقضي « **الوطر** » مع من شاء القدر ان يقعن في شباكه ..

لقد امضى « **مشعوذ اللجاة** » ردحا طويلا من الزمن ، ويد القانون بعيدة عنه ، **لان** يد الاصلاح الاجتماعي كانت بعيدة عن منطقته ، ولكن الله ــ جلت قدرته ــ **يمهل ولا يهمل** ــ فلقد زينت له نفسه الخبيثة ، الرغبة في الاجرام ، فامتدت يده الى حظيرة جاره، وسرق منها « جملا » وذبحه وباع لحمه .

★ ★ ★

وتشاء الصدف ــ ان يفتضح امره لابن جيرانه « **محمد** » فيفشي سره بين العشيرة وينتقل خبر السرقة على كل شفة ولسان ..

وخزاعة .. الذي اعتاد ان يكون موضع ثقة قومه ، لم يرق له ان يتهم بالسرقة، فاستدرج الغلام وقتله خلسة تحت جنح الظلام ، وغيبه في ارض الله الواسعة ، ليستر بجريمته الجديدة ما سرقه في الماضي .

★ ★ ★

وتضج العشيرة لفقدان الغلام (**محمد**) وتنطلق الندابات ، وتدمع عيون الثكالى، ولكن دون جدوى ، لان القاتل مجهول ، والشبهة لا تكفي بالعرف العشائري المتبع ، للادانة ، ولكن أصابع الاتهام ترتفع من كل جانب تشير همسا الى الجاني ، الذي بقي بمنجاة من يد العدالة .

وتمر الايام مسرعة ‥ والمجرم اشبه بلاعق المبرد بلسانه ، يلعق دمه ، ويشعر بلذة ، ولكنه لايدري انه يسعى بيده الى حتفه ‥ وانه ينصب لنفسه « انشوصة الاعدام » لان القاعدة تقول « بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين » ٠

★ ★ ★

مضت فترة من الزمن ٠ وقد اختفى الحديث عن الغلام القتيل ‥ وعاد **«خزاعة»** ليتربع من جديد على عرش الشعوذة والدجل ، لابتزاز الاموال ، وانتهاك الاعراض والحرمات ، ولكن نزعة الشر والاجرام ، لم تختف من نفسية القاتل ، بل نمت وترعرعت ، واخذت تفكر بانتقام جديد ، يشبع الغريزة الوحشية ، المرذولة ، التي تأصلت في وجدانه ٠

★ ★ ★

وفي يوم من الايام ٠٠٠

كان ثلاثة صبية يلعبون في الدار هم **ياسين (ابن خزاعة)** وصديقاه **احمدومحمود**٠ وهما من اولاد من قيل انهم وشوا بجرم سرقة الجمل ، التي سبق ان ارتكبها **(دجال المنطقة)** ‥ وفي الطرف الثاني من الدار كانت **(فطمه)** بنت الجيران ، تحمل « تنكة الماء » لتملأها من البئر المجاور للقرية لتسقي الحيوانات ‥

وفي الغرفة التي تتصدر الدار يجلس **(خزاعة)** وقد ركن الى تفكير عميق ، يرسم مخططا لم تفك الغازه الا بعد ثلاثة سنوات ‥

★ ★ ★

وتحمل الامرأة ، وعاء الماء على رأسها ، وتغادر الدار ، فيلحق بها الصبيان **(ياسين واحمد)** ويبقى الثالث ، يتابع العابه لوحده ‥

وبعد فترة من الزمن ، تعود **(فطمة)** وهي تترنح تحت **(تنكة الماء الملأى)** ومن حولها الصبيان يتضاحكان ، ويتجهون الى سقاية الماشية ‥ وفيما هم منهمكون في عملهم ، يتفقدون زميلهم الثالث الذي تركوه في الدار ، فلم يجدوه ‥

فيسأل احمد ، عن اخيه محمود ، **فيقول له خزاعة :**

ـ ذهب من الدار بعد خروجكم منها مباشرة ٠

فيقول احمد : سألحق بأخي ‥

فيرد عليه خزاعة : تعال يا ولدي ‥ لقد كتبت **(حجابا لامك)** فخذه معك ‥

ـ سمعا وطاعة يا عم ‥ ويجلس احمد بجانب خزاعة ‥ ويتطلع الى عملية لف الحجاب ، بينما اتجه ياسين الى **(غرفة المؤونة)** ليأكل رغيفا من الخبز ٠٠٠ اما **«فطمه»** فقد انتهت من السقاية وغادرت الدار ‥

★ ★ ★

وما هي الا دقائق معدودات ، حتى يدخل ياسين الى غرفة ابيه ، فيجد صديقه احمد ، ممددا على الارض لا حراك به ، فتجمد اعصابه لهول ما رأى ، وتدور بينه وبين أبيه القاتل المحاورة التالية :

ياسين : مجرم يابا ·· الله يجازيك ··

خزاعة : اخرس يا ولد ·· كلمة ثانية ، امددك بجانبه ··

ياسين : حرام عليك يابا ·· هذا طفل بريء ·· خاف الله يابا ··

خزاعة : نفسي تحدثني ان افك رقبتك يا ·· كلب ·· اخرس ·· ولا كلمة ·

ياسين : يا ويلك من عذاب ربك ···

* * *

وهنا يسارع الاب القاتل ، لانهاء هذه المحاورة ، فيقول لولده :

ـ هاك تبنية شعير ··· ازرعها بالحاكورة ··

ويمتثل ياسين ، خوفا ورهبة لامر ابيه ، ويحمل الشعير ، ويباشر بعملية الزرع ·· وما ان انتهى من عمله ، حتى ارسله والده الى السوق ليشتري (**سكرا وشايا**) للعشاء ··

سكر وشاي من أجل العشاء ·· مـــين له نفس للأكل ··· يا ويل ابي من عذاب ربه ·· ويش عمل احمد ·· حتى خنقه ابي ···

مددك يارب ·· محمود فين اراضيه ·· لا يكون « **ودره** » ابي السفاح ··

الله يجزيه بشر اعماله ···

ـ بهذه الكلمات كان (**ياسين**) يخاطب نفسه في الطريق ذهابا وايابا ·· ثم يصل الى الدار فيقذف بالسكر والشاي الى ابيه ، ويأوى الى فراشه ، يبلل وسادته بدموع اللوعة ، والحزن والاسى على صديقه (**الضحية البريئة**) ثم يغط في نـــوم عميق حتى تباشير الصباح الباكر ، ومع خيوط نور الفجر ، يفتح (**الصبي الثاكل**) عيناه ، فيبصر ابيه السفاح داخلا من باب الدار ويداه معفرتان بالدماء ·· وثيابه ملطخة ، فيقول لابيه:

ـ هالدم من مين يابا ··

ـ فيرمقه الاب السفاح بنظرة قاسية ·· ويتجه بصمت كله اجرام وحقد الى الماء ، فيغسل يديه ، ثم يخلع ثيابه ، ويرتدي بدلا عنها ، ثم يشعل سيجارة ، ليعب منهـــا دخان انتصار الانتقام ·· فيتقدم الصبي من ابيه ليسأله عن مصير زميليه ، فيعقد الحزن والخوف لسانه ، وفي هذه اللحظة الحرجة تدخل ام الطفلين المفقودين تسأل عنهما ، فيبادر (خزاعة) الى القول :

ـ والله ما شفناهم ·· روحوا البارحة عصريات ···

وترد الام قائلة :

ـ فطمة قالت لي انها تركتهم بالدار عندكم ..

ـ خير ... والله روحوا من البارحة .. وما ندري خبارهم ..

★ ★ ★

وتقفل الام راجعة ، تبحث عن اولادها بين الندب والعويل ، ويشيع نبأ فقدان الغلامين **(احمد ومحمود)** وتنطلق الشائعات في كل مكان ان خزاعة قد قتلهما ولكن ليس من دليل يؤيد هذا الزعم ..

وتقوم دوائر الشرطة والقضاء بتحقيقات مطولة ، وينتهي الضبط كالمعتاد بان الفاعل مجهول .. ولقد اعقب التحقيق الاداري والقضائي ، تحقيق عشائري اجراه مختار القرية ، ولم يصل الى نتيجة عملية لان الجاني مصر على الانكار ، انكارا لا يقبل الشك ، ولا يدع مجالا للشبهة .

★ ★ ★

وتمضي الايام ، ويغيب اثر الحادث من القرية ، ثم يبعث فجأة على يد احد رعاة الاغنام ، الذي شاهد في **(الجرود)** بين الصخور عظاما تدل على ايد وارجل مقطعة ، ولكنها صغيرة الحجم تدل على انها ايدي وارجل غلام .. ويتجه خيال الراعي الى الغلامين المفقودين ، فينحدر الى بيت والد **(احمد ومحمود)** ويخبره بما شاهده ... فتتفتق جروح الأب ، وتتجدد دموع الأم ، يذهب الجميع الى مكان العظام ، فيجمعونها بالعباءة ، ويدفنونها تحت التراب ، ثم يركعون امام عرش الله القاهر الجبار ، ويسألونه ثأر السماء لولديهما ..

ثم يعود الاب والام الى دارهما ، **ويذبحان رأس ماعز ، ويوزعانه على الفقراء ، وهي عادة عشائرية تعني ان الابوين قد عرفا غريمهما ..**

★ ★ ★

كل هذا يجري ، والجاني الاثيم في منجاة من يد العدالة ، لان الدليل مفقود ، والجرم غامض ، وتشاء المقادير ان يرتكب **(خزاعة)** جرم تزوير ويساق الى سجن درعا ، ليمثل امام القضاء ، وفيما هو في السجن كانت اضبارة جرائمه الاولى تأخذ طريقها الى الادارة الجنائية لاعادة التحقيق والكشف عن الفاعل ..

★ ★ ★

ولاشك ان الذين قذفوا بهذه الاضبارة الى رئيس المباحث الجنائية بعد مرور ثلاث سنوات عليها ، استهدفوا الاحراج والتحري ، ولكن الله دوما نصير الحق ، ومع الذين يؤمنون بقدسية الواجب ..

★ ★ ★

تسلمنا الاضبارة ودرسنا وقائعها ، واوفدنا على الفور **النقيب هيثم شورى معاون مدير الادارة الجنائية** على رأس مفرزة من رجال المباحث الى مكان وقوع الجريمة لاعادة التحقيق ولجمع المعلومات الاولية ، وقد بذل **النقيب شورى** جهودا جبارة ، الا انه لم يستطع ان يحصر المسؤولية لعدم وجود اثر او دليل ينير سبيل التحقيق ..

عندها وجدت نفسي مجبرا على دخول المعركة بشكل مباشر ، وركزت جهودي بادىء الامر على المخبرين والمرشدين السريين ، وليس سرا اذا قلت ، ان المدة الطويلة التي سلخت في ادارة المباحث الجنائية ، لفت حولي جمهرة كبيرة جدا من المخبرين والمرشدين ، والاصدقاء المتبرعين ، في كل ناحية من بقاع سورية ، ومن ناحية ثانية تركز اهتمامي على دراسة كافة الخلافات التي وقعت بالمنطقة منذ خمس سنوات خلت ، وامعانا مني بالبحث والتدقيق ، فقد درست احوال المجني عليهم واوضاع اقربائهم ، وكذلك من تحوم الشبهات حولهم .. وكانت نفسي تندفع عفويا لصب التهمة على (**خزاعة**) نزيل سجن درعا في قضية تزوير ..

★ ★ ★

فيما انا غارق بدراساتي وتحقيقاتي غير المباشرة دخل علي (**مخبر صديق**) وقال لي :

★ ★ ★

علمت انكم تحققون سرا في قضية مقتل الغلمان الثلاثة الذين فقدوا منذ ثلاث سنوات .. وانني اقول لكم ان القاتل هو (خزاعة) وان شاهد الاثبات هو ولده ياسين ، فاقبضوا عليه ، وحققوا معه فلسوف تصلون الى نتيجة عاجلة ..

★ ★ ★

ما كدت اسمع رواية (**المخبر**) حتى نهضت على الفور ، واصطحبت معي عددا من رجال المباحث ، وتوجهت فورا الى (**اللجاة**) واستدعيت (**ياسين**) وبدأت احقق معه ..

★ ★ ★

لم الجأ الى اسلوب العنف والشدة ، بل كنت احقق باسلوب العاطفة ، والاغراء ، والترغيب ، وبعد اخذ ورد ، شرع (الصبي ياسين) يسرد لنا مشاهداته ومعلوماته ، وكانت هذه الشهادة هي بمثابة (**انوار كشافة**) على الجريمة ..

ومن افادة (**ياسين**) تدرجنا الى ضبط افادة (**الامرأة فاطمة**) و (**الراعي**) وعددا آخر ممن لديهم معلومات تستند الى السمع والروايات ..

اما الدليل الذي لم يدع مجالا للشك ، على ان خزاعة هو الذي اقترف جرائم القتل الثلاث (**قول ولده**) انه ذهب يوم الجمعة الماضي لمقابلة والده في سجن درعا ، فوجده يلف رأسه (**بحطتين**) احداهما للغلام احمد (**القتيل**) ..

عندها اصطحبنا والد القتيلين (**احمد ومحمود**) الى سجن درعا واستحضرنا

القاتل (**خزاعة**) وسحبنا (**الحطتين**) من على رأسه ، فتعرف الاب المفجوع على احداها وقد اغمي عليه لهول المفاجأة ..

* * *

في هذه اللحظة الرهيبة ، فاجأنا المجرم بجرائمه ، وباعتراف ولده ، واعترافات غيره من الاهل والجيران .. فانهار .. وارتعدت فرائصه .. وتصبب العرق من جبينه، واخذ يسرد اعترافاته كاملة . محددا الزمان والمكان ..

* * *

حملنا الجاني الى مكان وقوع الجرم ، وكلفناه ان يدلنا على الامكنة التي دفن فيها الغلمان وان يمثل امامنا تفاصيل جريمته ..

كان ينتقل بنا بين الصخور والمغاور المهجورة ، ويشير اليها بيده قائلا **(هنا قطعت جثة احمد ، وهنا قطعة جثة محمود وهنا وزعت حطام جثة محمد)** وكنا ندخل المغاور التي يشير اليها فنجد بقايا عظام تدل على انها عظام اطفال . فجمعنا هذه العظام المتناثرة وسلمناها الى ذويها لتدفن بجانب العظام التي سبق ان وجـدها الراعي ، ثم باشـرنا بتسطير الضبط اللازم بحضور قاضي التحقيق ، وقد تضمن الضبط الجديد افادة كاملة تدين المجرم ادانة كلية بما اقترفت يداه .. وما ان انتهينا من التحقيق الاولي ، حتى شرعت محكمة الجنايات بالنظر بالدعوى ، حيث ثبتت الادانة واصدرت حكم الاعدام ، الذي نفذ شنقا بالجاني الاثيم .

* * *

ملاحظات عابرة اسجلها حول جريمة سفاح الغلمان الثلاث :

١ ـ ان الجريمة مهما كانت غامضة ومهما تقادم العهد عليها لابد الا ان تنكشف وينال المجرم عقابه العادل .

٢ ـ ان المجرم لابد الا ان تظهر عليه اثار جريمته والاثر الذي تركته الجريمة عـلى الجاني (**هي حطة الغلام القتيل التي يلف بها راسه**) .

٣ ـ ان دراسة الخلافات الناشبة في المنطقة هي التي دفعتنا لحصر التهمة (**بخزاعة**).

٤ ـ مهما كانت الصلةوثيقة بين المجرمواهله او اصدقائه فانهميتخلون عنه ويستجيبون لصوت الضمير ويفضحون الاسرار وهكذا فعل (ابن الجاني).

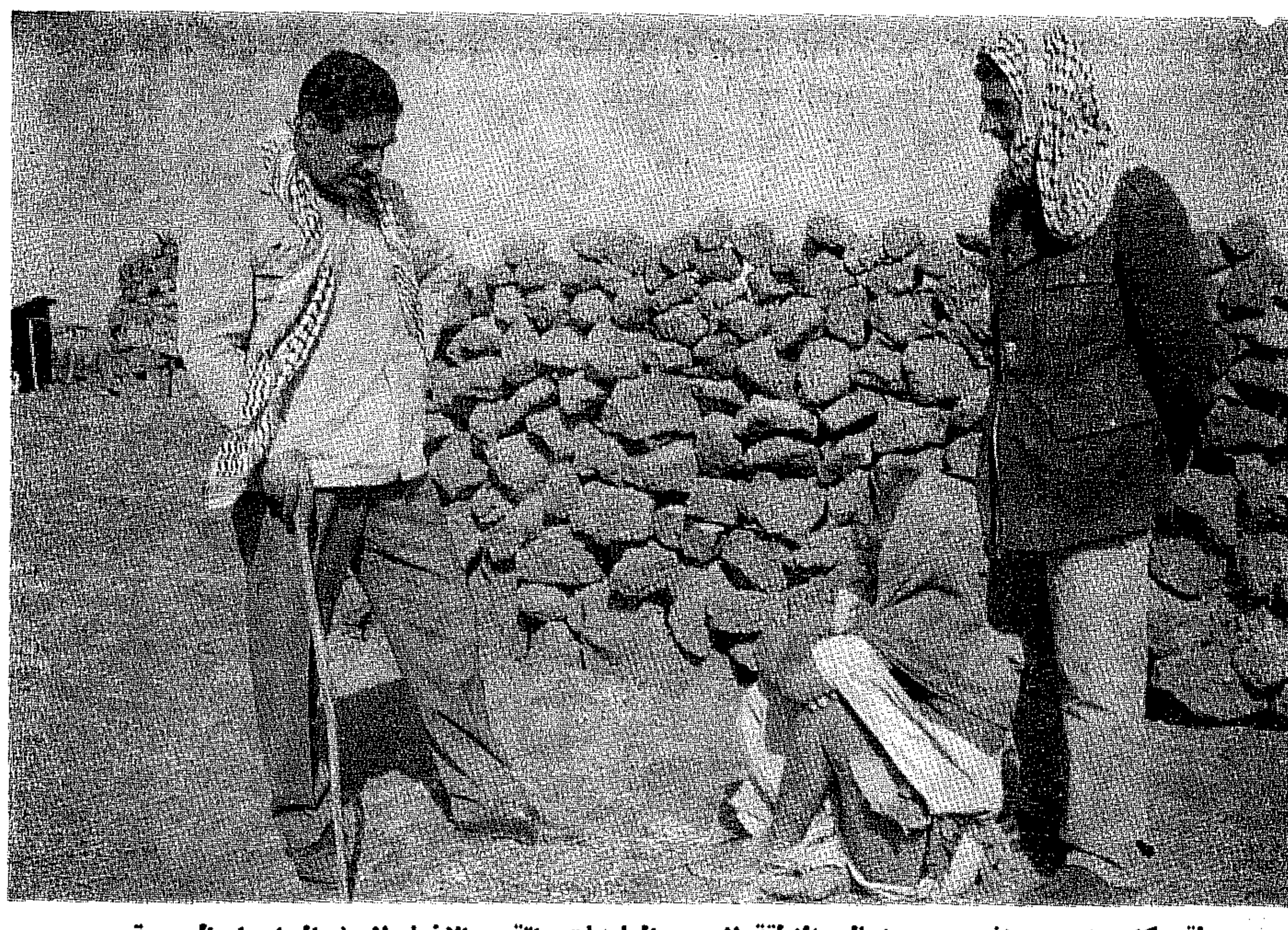
٥ ـ ان القضاء السوري الذي ادان المتهم ونفذ فيه حكم القانون . دلل على حزم وعزم وعدل ونزاهة وتجرد وليست هذه هي المرة الاولى التي ارى فيها ان من واجبي ان اشيد بعدل القضاة السوريين ، بل ان احتكاكي بهم الطويل عمق الايمان في نفسي بهم وجعلني دوما انحني اجلالا واكبارا لعدلهم .

* * *

٦ ـ وقعت الجريمة عام ١٩٥٩ واكتشفت في اواخر عام ١٩٦٢ .



كان من واجبي وزملائي ان ارتدي زي المنطقة وهكذا فعلت
لاخفي شخصيتي تسهيلا لمهمتي



لقد كنت اجوب بنفسي بين اهالي المنطقة لاجمع المعلومات واتقصى الاخبار لاصل الى اسرار الجريمة ولاعرف كل شيء عن ملابساتها وظروفها



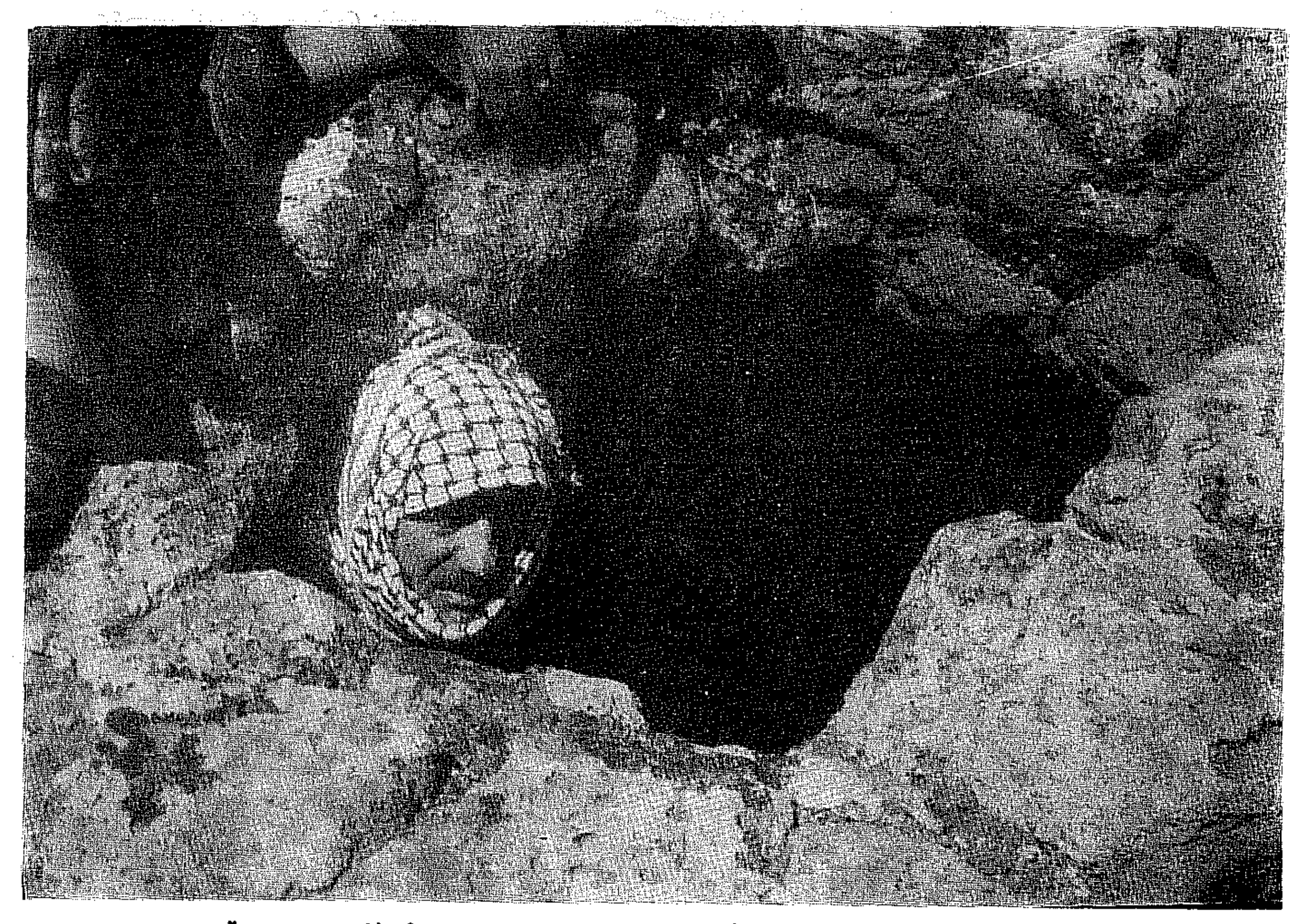
وبعد بحث طويل توصلت الى « ياسين » ابن القاتل وبدأت اسمع منه تفاصيل جرم ابيه سفاح الغلمان الثلاثة



قادني ابن القاتل الى الاماكن التي اخفى فيها والده اوصال الغلمان وكان يحدثنا بألم عن رفاقه الذين ذبحهم أبوه

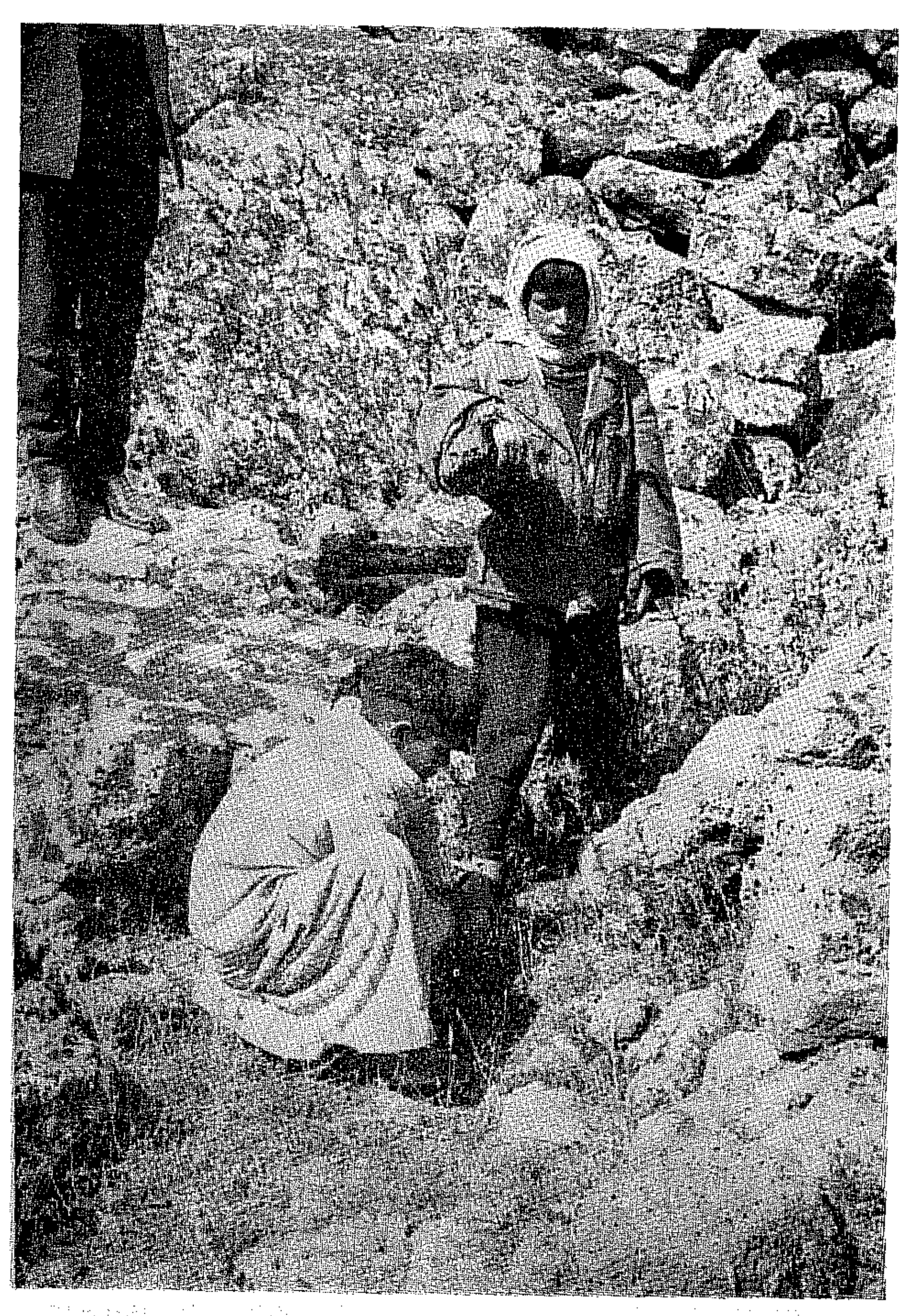


**هكذا اضجع الطفل ياسين أمامنا ليمثل لنا كيف شهد « رفيقه » مذبوحاً
ومرمية في الغرفة الداخلية للدار**

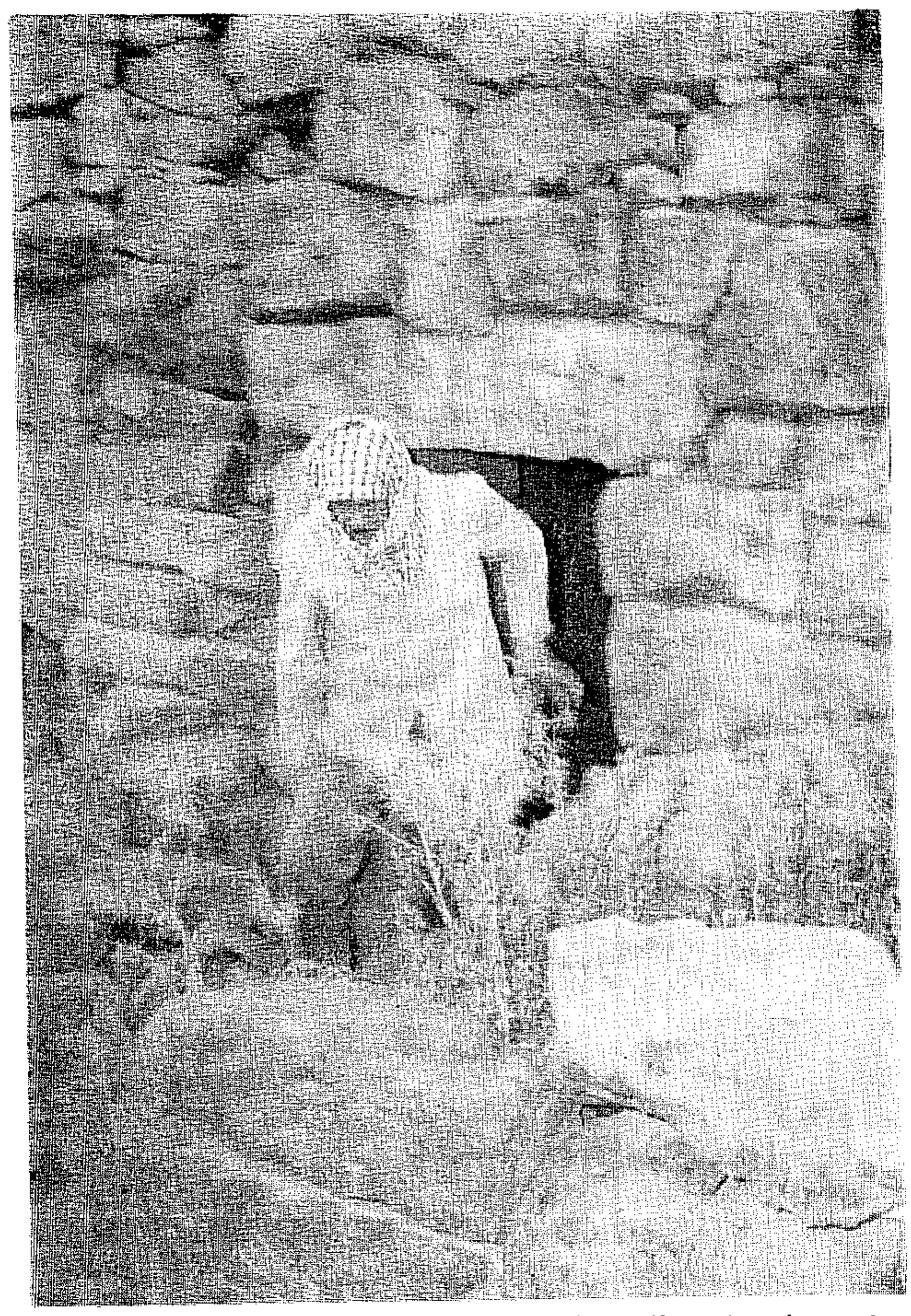


في هذه المغارة الموحشة عثرت على بقايا عظام الاطفال ، حيث رماهم السفاح بعيدا عن قريتهم

هذه بقايا الجماجم المشوهة وجدناها مع الملابس الممزقة مطمورة بين الصخور ومرمية في عقر المغاور



الطفل ياسين ابن القاتل وشقيق المقتول يبحثان معنا عن عظام الاطفـــال المرميـــة بين الصخـــور



كنت ادخل بنفسي المغاور والكهوف في الجبال للبحث عن آثار الغلمان المفقودين



بعد أن جمعت المعلومات والادلة الجرمية جلست في دار القاتل املي
كتابة ضبط التحقيق لاقدم القضية برمتها الى القضاء

القصة السادسة

من جرائم القتل الغامضة

من آثار النكبة

من أدب القصة ان ندخل الموضوع بشكل مباشر ، وبدون مقدمات ...
ولكن هنا ادون مذكرات (**اقصد منها الدرس والعبرة ، واستخلاص النتائج**) .
لذلك اجد نفسي مضطرا لبعض اسطر القي من خلالها الاضواء ..

ان الجريمة التي سأسرد تفاصيلها للقراء بطلها **(لاجيء فلسطيني)** لم يولد مجرما، ولكن ظروف النكبة ، وعفن الضمير العالمي الاستعماري ، هو الذي دحرج هذا الانسان ، بشكل عفوي الى مزالق الجريمة .

واقول الضمير العالمي ، لأني اراه مجسما **في هيئة الامم المتحدة** ، وفي دولها الكبرى، حاملة الوية السلام ، واعلام العدالة والحرية ، **التي ساهمت مع الصهيونية العالمية في تشريد مليون عربي ، تشريدا عدوانيا لئيما ، بعيدا عن كل مفهوم انساني ووجداني ،** وتركتهم فريسة هينة ، للجوع والعرى ، والفاقة والعوز ، بل وهيأت بعضهم ، للجنوح الى الجريمة ، دون تصميم ارادي ، وهذا ما يجعلني دوما احني بالمسؤولية واللائمة على كل من كان سببا او ساهم ، بشكل مباشر او غير مباشر في اقامة النكبة التاريخية ، وتشريد السكان العرب الاصليين عن ديارهم (**فلسطين**) .

* * *

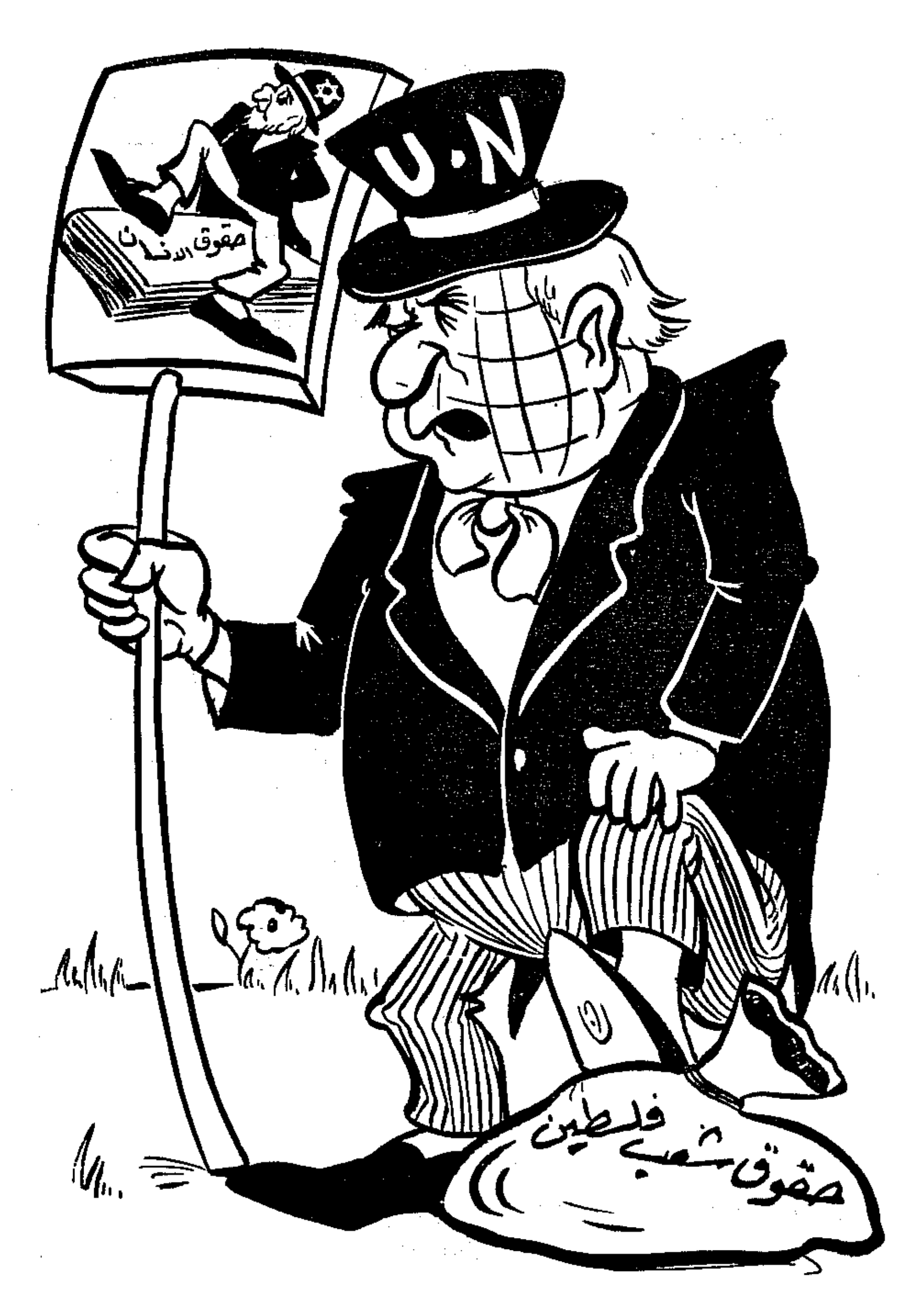
بعد هذه المقدمة الموجزة ادخل الى صلب الموضوع ..

* * *

فؤاد شاب فلسطيني في العقد الثاني من عمره..ضاقت به سبل العيش ،وحاصرته هموم الدهر ، فتسرب الى مقهى فلسطين – على ضفة نهر بردى بدمشق – ليرفه عن نفسه ، فلم يجد وسيلة لاشباع نهمه ، وقتل اوقاته الا بلعب الميسر .

ولمائدة الميسر زملاؤها ، وابناء عشيرتها ، فتعرف على رجل (**ابن المهنة**) يدعى (**فهمي**) في العقد الرابع من عمره ، وهو ايضا من ابناء النكبة ..

رتع الزميلان ردحا طويلا من الزمن **(رغم فارق السن)** فكان الثاني يحتضن الاول، ويحيطه بالمزيد من العطف والرعاية ، لغايات كامنة في نفسه .



(بطلها لاجىء فلسطيني لم يولد مجرما ، ولكن ظروف النكبة ، وعفن الضمير العالمي الاستعماري ، هو الذي دحرج هذا الانسان بشكل عفوي الى مزالق الجريمة ٠

وفي ليلة من ليالي الصيف ، حيث الحر والملل ، وجو المقهى الخانق ، دعى **فهمي** عشيره فؤاد ، لمسيرة على ضفاف بردى ، للتمتع بجمال الطبيعة ترويحا عن النفس ،ولبى فؤاد رغبة صديقه ، وسارا الهوينا تحت ضوء القمر **(يكرعان جرعات خمر ممزوج)** ويتحدثان حديث الهوى والشباب ٠

وتحط رحال الصديقين بجانب بستان في زقاق الصخر ، ويجلس بجانبهما الشيطان ، ليوسوس لاحدهما السوء ٠

وعلى اعتبار ان « **الخمر** » **مفتاح الشر** ، وباب الجرائم ، فقد لعبت دورها في اقامة عداوة طارئة بين السامرين ، ادت الى شجار انتهى بعدة طعنات قاسية سجلها فؤاد بجسم صديقه فهمي فارداه قتيلا ٠ ثم لاذ بالفرار بعد ان لطش منه محفظة تحوى ست ليرات سورية وساعة يد ٠

تضرج القتيل بدمه ، وبدأ يلفظ انفاسه بصوت عال وهو يردد **(قتلني فؤاد ٠٠ فؤاد ٠٠)** ويلتحق الحارس الليلي ، بمكان الجريمة ، ولم يستطع فهم أي شيء سوى ان القاتل اسمه فؤاد ٠

★ ★ ★

وحسب العادة ، عندما تقع اي جريمة غامضة٠٠يبدأ عمل رجال المباحث الجنائية، فقد التحقت بمكان الحادث ، وباشرت مع هيئة الضابطة والطبيب الشرعي ، شؤون التحقيق ، ولاول وهلة لم نصل الى نتيجة ٠٠ اذ لا اثر للمجرم ٠٠ والمجنى عليه قد لفظ انفاسه قبل وصولنا ٠

★ ★ ★

لقد تعرفنا الى هوية القتيل ، وفهمنا من الحارس الليلي انه كان يردد اسم **(فؤاد)** ولكن من هو **(فؤاد)** بين مليون نسمة في دمشق ، فهذا ما ستكشفه التحريات الدقيقة والابحاث المستمرة والعيون المرصودة ٠٠

★ ★ ★

عدت الى مكتبي في الادارة الجنائية لادرس بواسطة المخبرين قصة حياة القتيل لاتعرف الى اصدقائه ورفاقه واعدائه وابناء عشرته ٠

★ ★ ★

وبعد مضي ساعات اصبحت على المام **(بعض الشيء)** بسيرة **(فهمي)** لقد فهمت انه لاجيء فلسطيني ، ومن رواد مقهى فلسطين ٠

استدعيت صاحب المقهى ، وبدأت امطره بسيل من الاسئلة :

ــ ماذا تعرف عن فهمي ؟ ٠٠

ـ من يجلس معه في المقهى ؟
ـ الى اي مكان يذهب بعد مغادرته المقهى ؟ ٠
ـ من هم اصدقاؤه ومن هم اعداؤه ؟ ٠٠

★ ★ ★

فكانت اجوبة صاحب المقهى مبهمة غامضة لا تساعد التحقيق ، ولا تنير اي سبيل من سبله ، ثم تدرجت بالاسئلة عن (**فؤاد**) ٠٠ بل عن هوية كل (**فؤاد**) يدخل المقهى او يجالس فهمي فلم يتعرف الى احد ٠٠ واكتفى بالقول ٠٠ ان اصدقاء القتيل كثار ٠ وليس له اعداء ٠ وانه يجهل اي شخص اسمه (فؤاد) تربطه بالمجنى عليه اي رابطة ٠٠

★ ★ ★

ازداد الموقف غموضا بعد افادة صاحب المقهى ٠ وبدأت اشك في رواية الحارس الليلي ، ولكني صممت على المضي في الطريق حتى نهايته ٠

★ ★ ★

توجهت الى شعبة الامن العام (**المسماة بشعبة فلسطين**) واخرجت جدولا باسماء كافة اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في دمشق وضواحيها والذين يسمون (**فؤاد**) **وقد** تجمع لدي ما يزيد عن ثلاثماية اسم وبدأت باستدعائهم واحـــدا واحدا ، وعرضهم على صاحب المقهى ، وقد تمكنت من استعراض الجميع الا شخصا واحدا اسمه **(فؤاد خشبه)** لم اتمكن من العثور عليه ، ولم اعثر له على اثر ، فحامت شبهتي حوله (**ولكنها شبهة حول مجهول**) مجهول الهوية ٠ ومجهول الاقامة ٠ ومجهول الشكل ٠

عندها لجأت الى حيلة شيطانية ، اعتبرتها بمثـابة حرب اعصاب عـلى الجاني ، المجهول ، المختبيء فاستدعيت احد الصحفيين وطلبت منه ان ينشر في جريدته تفاصيل الجريمة ، وان يشير الى ان رجال الامن (**المباحث**) قد اكتشفوا اسم الجاني وعرفوا انه (**فؤاد**) وهم جادون في تعقيبه ٠٠

وخرجت الجريدة في الصباح تحمل المعلومات التي تعمدت اعطاءها للمخبر ، والتي اعتبرت اسلوبا جديدا في تطبيق الحلقة على المجرم ٠٠

وتشاء الصدف ٠٠ او تشاء ارادة الله ، ان تنجح حيلتي ، فقد وصلت الجريدة الى يد الجاني (**فؤاد خشبة**) وقرأ فيها تفاصيل جريمته ، واسمه المبرز بعناوين عريضة ، فيرتعد وينهار ، ويضطرب ، ويتوجه فورا الى ابن عمه (**المستخدم في فندق فؤاد الاول ٠٠ فيطلعه على الجريدة ويطلب منه مساعدة مادية ليتيسر له سبيل الهـــرب من دمشق ٠**

وفي الدقيقة التي كان الحوار فيها يدور بين القاتل وابن عمه ، بشكل لا شعوري، كان بجانبهما شرطي يمسح حذائه ، فيسمع الحديث ، وعلى اعتباره (**شرطي مبتدىء**) لم يفكر بالقبض عليهما ، بل سارع لاخبار المباحث الجنائية بما سمعه فورا ٠٠

وهكذا دخل الشرطي مكتبي وقص علي ما سمعه ٠

لم اتريث لتذكير الشرطي بواجباته، ولم افكر في تأنيبه لتقاعسه في القبض عليهما، بل سارعت بنفسي فورا الى فندق فؤاد الاول ، فقبضت على المستخدم ، ووجدت ان (**فؤادا**) قد فر قبل مجيئي بدقائق الى مكان مجهول ٠٠

ارسلت من يتبع الاثر ، ولكن دون جدوى ، لان فؤاد مجهول بالاساس من قبل رجالنا ٠٠

باشرت التحقيق مع المستخدم ، فاعترف لي دون عناد ، **ان ابن عمه (فؤاد خشبة) قد حضر لعنده منذ مدة قصيرة ، واخبره بارتكابه جرم قتل صديقه (فهمي) واطلعه على الجريدة التي فضحت امره ، واستدان منه عشر ليرات سورية وذهب ٠**

★ ★ ★

بعد هذه المعلومات الجديدة ، ابرقت الى كافة مخافر الامن في (**الداخل وعلى الحدود**) للقبض على شخص يدعى (**فؤاد خشبه لاجيء فلسطيني**) وارسلت مفارز المخبرين السريين لتبحث عنه وللاسف ، ذهبت كل هذه المساعي الفورية ادراج الرياح، فقد سافر (**فؤاد خشبه**) الى حمص على متن احدى الشاحنات ، ومنها تسلل الى بعلبك في لبنان ، ثم استقام في بيروت ، حيث تعرف الى صديق جديد ، صاحب مقهى في البرج، عطف عليه واطعمه من جوع وآمنه من خوف ، واسكنه في داره ٠

★ ★ ★

لقد اصبح فؤاد خشبه في لبنان ، في مكان يبعد عن يد رجال المباحث الجنائية ، وقد غير اسمه واستحصل على هوية لبنانية باسم (**الياس**) وبدأ يعيش في جو يلفه الغموض وتكتنفه الراحة ٠٠ ولكن ٠٠٠

قتل الانسان ما اكفره ٠٠

وصدق من قال (**جبلت النفس الخبيثة على حب الاساءة لمن احسن اليها**) ٠

لقد استغل (**فؤاد ٠٠ او الياس**) **غياب صديقه الجديد** ، ومعيله ، عن داره ، فتسلل الى زوجته ، وبدأ يراودها عن نفسها ، ويحاول اقامة علاقات غرامية معها ، بعد ان وعدها بالزواج ، فاستطاع ان يحول العش الآمن الى جحيم متأجج ، كاد ينتهي بجريمة جديدة ، يذهب ضحيتها (**الزوج المخلوع**) بصديقه البائس الذي احتواه واسكنه فسيح داره ٠

★ ★ ★

كان قد مضى على وقوع الجريمة سنة كاملة ، وكنت غير قانط من القبض على المجرم وتقديمه الى العدالة مهما طال الزمن ٠٠

لقد فكرت انه نزح عن سورية• وتوجست ان يكون قد تسلل الى بيروت، وتمشيا مع تفكيري فقد ارسلت بعض رجالي يبحثون في بيروت عن الجاني الاثيم •

وذهب رجال المباحث الجنائية يضمون مساعيهم الى جانب زملائهم رجال المباحث الجنائية في لبنان وخلال خمسة ايام كان الفشل حليفهم ، لأن بيروت واسعة ، ومكتظة بالسكان ، وفؤاد الذي نبحث عنه معروف باسم (**الياس**) ••

في اليوم السادس •• جاءني مخبر من لبنان يضع امامي اوسع التفاصيل عن قصة (**فؤاد خشبة**) وما قام به مع صاحب المقهى الذي أكرمه وانعمه ••

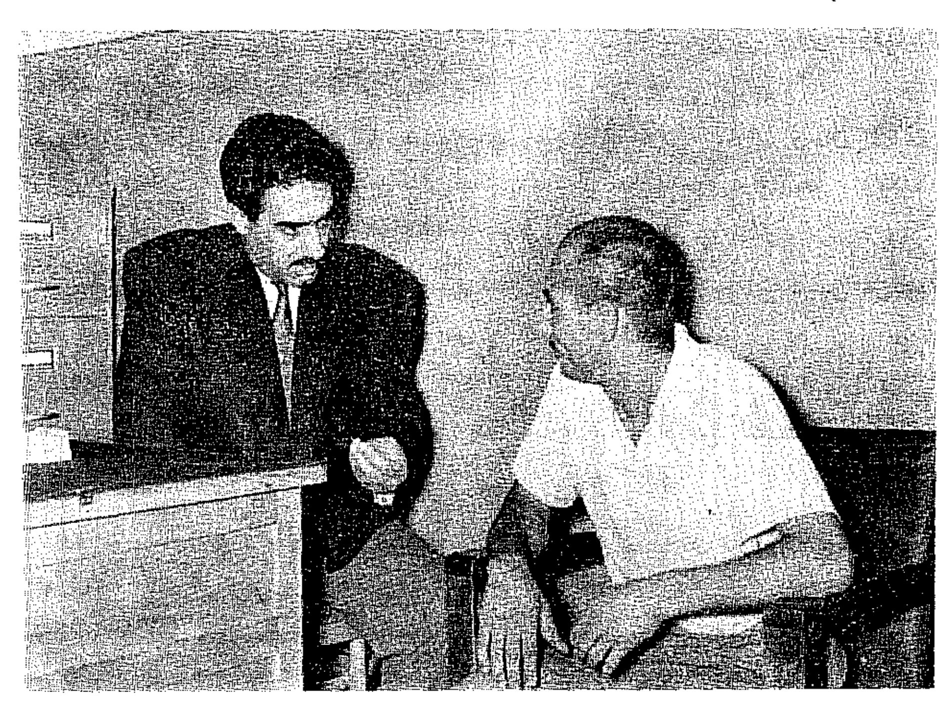
استدعيت رجالي من لبنان ، ورسمت لهم خطة محكمة سيرا مع المعلومات التي حصلت عليها ، وارسلتهم مجددا مزودين باضبارة استرداد من النيابة العامة بشكل رسمي ••

وفي الساعة التي وصلوا بها الى بيروت توجهوا رأسا الى المقهى وتعرفوا الى صاحبه، وما جرى له مع (**فؤاد**) وبواسطته استدلوا على طريد العدالة وقبضوا عليه ، واقتادوه الى دمشق ، ومثل أمامي ليسرد لي اعترافاته كاملة ، ويقوم بتمثيل جريمته إبتداء من المقهى وانتهاء بقصة صاحب المقهى في لبنان ••

★ ★ ★

سجلت الضبط الرسمي ، وقدمت الجاني الى القضاء ، حيث نال جزاءه العادل ، خمسة عشر عاما في السجن •







أجلست القاتل امامي في مكتبي وبدأت انصحه ليقول الحق لان الاعتراف
يخفف من شدة الحكم امام المحكمة

القصة السابعة

مسؤولية الأب في جريمة الولد

حسب العادة ، عندما تقع جريمة غامضة • ويكون الفاعل مجهولا ، يأتي دور المباحث الجنائية ، لتقوم بواجبها في الدراسة والتحقيق حول ملابسات الجريمة ، ثم تعقيب الفاعل والقبض عليه ، وتقديمه للعدالة •

* * *

وهكذا وردتني برقية من قيادة الشرطة ظهر يوم من ايام الشهر الاول من عام (١٩٦٢) تشعرني بوقوع جريمة قتل في احد المتاجر المحاذية لاحدى الدوائر الرسمية في دمشق •

* * *

سارعت فورا الى مكان وقوع الجريمة ، وقد رافقني **ضباط الادارة الجنائية وعدد من أفرادها** ، فاذا بنا في متجر « **ابي رغال** » الذي تتكدس فيه اجمل زجاجات الخمور ، وأطيب انواع السكاكر والموالح ، الى جانب الكتب والمجلات والصحف ، التي تستهوي المراهقين اكثر مما تجذب الباحثين •

وفي اعلى المتجر « سقيفة ذات سلم خشبي » تدحرج من اعلاه ، قطرات دماء غزيرة، صعدت السلم ••• واذا بي امام انسان « **عاري الجسم** » وقد سجلت يد أثيمة في رقبته وصدره ، وبطنه عدة طعنات قاتلة بآلة حادة ، أدت الى نزيف دمه ، ثم وفاته •

* * *

كان يشاركنا في التحقيق حسب الاصول المتبع كل من **(قاضي التحقيق ، والطبيب الشرعي ، ورجال الادلة القضائية ، ومفرزة الكلاب البوليسية، وعدد من رجال الشرطة•** وكان في بداية الامر كل شيء غامض ، الا من الاعتراف الاولي الذي ادلى به المستخدم في المتجر **(سعيد)** ••• ولنسمع اليه وهو يلقي الاضواء الاولية على الجريمة •••

قال :

حوالي الساعة الواحدة والنصف ، اعطاني معلمي **(ابو رغال)** ليرتين وطلب مني ان اذهب الى موزع الصحف « نظام » في « المرجه » واشتري عددا من صحف لبنان لبيعها في محلنا وقد نفذت طلب معلمي ، وذهبت مسرعا وعدت حوالي الساعة الثانية

(اي بعد نصف ساعة) فوجدت **باب « الدكان البللوري »** مغلقا ، فقلت في نفسي، عسى ان يكون معلمي قد ذهب لقضاء حاجة تخصه ، او ربما كان نائما ، وقد اغلق عليه الباب، ومن عادة معلمي ان ينام ظهرا ، في السقيفة ، وان ابقى انا في المحل او زميلي « **محمود** » نتناوب الخدمة وعمليات البيع • لــذلك جلست عــلى **(باب المحل)** انتظر عودتــه ، او استيقاظه •

وحوالي الساعة الثانية والنصف ، فتح باب الدكان ، وخرج منه **شاب في العقد الثاني** من عمره ، متدثر بمعطفه ، وقد وضع يداه في جيوب بنطاله ، وقال لي :

ـ معلمك عاوزك ، اشوف شو بدو •••

ـ دخلت الى الدكان ••• فوجدت الدماء تتقــاطر من السقيفة ، وصعدت اليهــا فوجدت معلمي مذبوحا ، فصرخت ، وحاولت اللحاق بالشخص الذي خرج من الدكان فلم اعثر له على اثر رغم اني تابعت الجهة التي اتجه اليها **(وهي البحصة)** عندها اتصلت بالشرطي الذي يحرس المبنى الرسمي ، واخبرته ، فطلب مني ابلاغ شرطة القسم او النجدة ، ففعلت ••• وهذا كل ما لدي من معلومات ••

★ ★ ★

لقد سمعت افادة المستخدم **(سعيد)** كما سمعها كل المحققين المهتمين بالجريمــة معي ، وقامت الادلة القضائية بفحص الاثار ، والبصمــات ، ولعبت الكلاب البوليسية دورها ، فلم نصل الى نتيجة • لان الاوصاف التي اوردها سعيد عن القاتل ، أوصاف عامة ، تنطبق على كثير من الناس •

★ ★ ★

اذن •• نحن امام جريمة غامضة ، وقاتــل مجهول ، لابــد من البحث عنه • فما العمل وكيف نبدأ ؟!؟•

★ ★ ★

تصورت ان الواجب الاولي يحتم علينا دراسة اوضاع « **الضحية** » وظروفهــا • والملابسات التي أدت الى وقوع الجريمة • وهكذا فعلت ، ولنسمع القصة من اولها •

★ ★ ★

نشأ **(ابو رغال)** نشأة من يحاول الحصول على **(المال)** و **(اللذة)** عن اي طريق وبأي وسيلة ، لذلك مارس مهنة تهريب وبيع المخدرات ، والدخان الاجنبي الممنــوع ، والكتب الجنسية المنوعة ، والصور الخلاعية المرذولة •

ان من يتعاطى ، هذا النوع من التجارة ، لابد الا ان يكون زبائنه من **(نوع خاص)** اكثرهم من الخارجين على القانون ، ومن الذين زلت بهم القدم ، فضلوا الطريق السوي، وانحدروا في مطاوي الرذيلة ، ومنحدرات الاثم •

وهكذا وردتني برقية هاتفية تشعرني بوقوع جريمة قتل في احد المتاجر المحاذية لاحدى الدوائر الرسميـة في دمشـق

كما أن عشاق اللذة ، والمجون ، وأرباب الشذوذ الجنسي ، **لابـد الا ان يكون** زملائهم من النوع ، الذي تهون عليه كرامته ، بعد ان يجف ماء الحياة من وجهه ٠

★ ★ ★

اذاً لنبحث عن هذه الفئات، ولنستعرض في ارشيفنا الفكري، وسجلاتنا الرسمية، صورهم ، وأسماءهم وأشكالهم ، ومدى صلتهم (**بالقتيل**) ٠

★ ★ ★

وفيما أنا أسبح في أفكاري ، واستعرض الوجوه المشبوهة في مخيلتي ، لاحت لي فكرة تفتيش (**المحل**) ، ودراسة واقع الحال بعد وقوع الجريمة ٠

★ ★ ★

صعدت الى السقيفة ، ورحت ابحث بين البضائع المكدسة ، وصناديـق الوسكي المرصوفة ، فوجدت قميصا ملطخا بالدماء ، وبداخله (**موس كباس**) لازالت عليه آثار الدماء ، كما وجدت الالبسة الداخلية (**للضحية**) مبعثرة بين البضاعة ٠ فحملتها بيدي، واخذت اتفحصها، فاهتديت الى أنصاحب القميص الملطخبالدماء هو شاب صغيرالجسم، ارتكب جريمته وهو بحالة غير طبيعية ٠ ولكنه مجهول ٠

★ ★ ★

حملت القميص والموسى والالبسة العائدة للقتيل ، وضممتها الى اضبارة التحقيق ، ثم تابعت تفتيش المحل ٠

عثرت في الصندوق الحديدي على لائحة اسمية ، تصورت أنهـا تحوى (**اسمـاء اصدقاء ابي رغال**) ، فاستعرضتها، واذا بي امام اسماء لعدد من الشباب الذينيستحيل ان يرقى اليهم الشك او تحوم حولهم الشبهات ٠ ولكن تجاربي تقول لي دوما ٠٠٠ ان الواجب يدعو لدراسة وضع هؤلاء الاصدقاء بصورة اجمالية، عسى ان يكون بينهمبغيتي٠ وقد سرت في هذا الاتجاه ٠ ولكنني كنت أدور في حلقة مفرغة ، توصلني الى دوامة من القصص والاحاديث والوقوعات لاعلاقة لها بموضوع الجريمة ٠

★ ★ ★

مضى على وقوع الجريمة شهر كامل دون أن أصل و (**جميع اجهزة الامن العاملة**) الى بصيص من نور يكشف اثر الفاعل ٠ والجدير بالذكر ان الرؤوساء حريصون على أن لاتبقى جريمة غامضة ، لذلك كانوا يلاحقونني بشدة ، ويؤكدون لي اني (**مسـؤول لوحدي**) عن كشف الجرائم مهما لفها الظلام والغموض ٠

كما أن الرأي العام لايرحم ٠٠٠ فالجريمة فظيعة في حد ذاتها ٠٠٠ لقـد ارتكبت في دمشق وفي وضح النهار ، وبجانب دائرة رسمية محروسة ٠ وبشكل جعلها حديث المجالس ، لذلك كنت اسمع من كل صديق وزميل سؤالا واحدا هو :

ـ ألم تكتشفوا سر جريمة قتل ابي رغال ...؟!
ـ ألم تقبضوا على الفاعل .؟!
ـ متى كانت دمشق تنام على مجرم !؟!
ـ وين شطارتك يا أبو عبدو .

* * *

والواقع ، أن هذه الكلمات لم تخلق الحماس اللازم عندي ، بل كان الواجب يدفعني ويحفذني الى مزيد من البحث والتحري والتحقيق ، لانني اخدم مصلحة الامن في البلد ، وارعى شرف العدالة ..

كنت أواصل الليل بالنهار ، وانا جاد في اثر المجرم المجهول ...

كنت أوزع (**رجالي الاشاوس**) الذين اعتز بزمالتهم، واباهي بخبرتهم ورجولتهم، وايمانهم المطلق في مكافحة الجرائم ، أوزعهم في كل مكان .في المقاهي والملاهي ،والحانات ودور البغاء ، وكل مكان .

كنت اوزع الدوريات في الشوارع ، لتراقب المشبوهين ، وذوي السوابق ،وترصد حركاتهم ، وتتسقط اخبارهم .

في هذا الظرف بالذات ...

وقعت جريمة سرقة في زقاق الجن لاحدى المتاجر التيتبيع قطع تبديل السيارات، وقد عبئنا لهذه الحادثة جهودا مركزة ، فاستطعنا خلال ايام القبض على اللصوص ، واسترداد المسروقات وقد قدمنا الجناة الى القضاء .

وبعد عدة ايام من توقيفهم **تم اخلاء سبيلهم بالكفالة** ، ويظهر ان القضاء كان بهم رحيما ، حيث استعمل القاضي المختص المادة القانونية التي تجيز اخلاء سبيل المتهم بكفالة ، رغبة منه في افساح المجال امام المشتبه به في اثبات براءته ، او أملا في أن تكون مدة التوقيف الموقتة كافية لردعه .

ومع اني لست من رأي القاضي في استعماله حقه المطلق في اخلاء سبيل المتهم بكفالة ، لاعتقادي الجازم ، بأننا لا نقدم لصا او مجرما الى القضاء الا بعد ان يدان بالتحقيق الاولي ، ادانة كاملة ، وبعد ان يمثل جريمته بنفسه وبكل حرية .

كما اننا لسنا خصوما لاحد ، ولا نضمر العداء لاي كائن من كان . فنحن حراس القانون ، ونحن سيف العدالة المسلط على رؤوس المجرمين ، ضمن حدود المنطق والحق والعدل .

* * *

ومع ذلك ...

فالقاضي حر تمام الحرية في استعمال حقه ، وحر في ان يدرء الحدود بالشبهات ،

بل ملزم أدبيا ان يفسر الشك في أكثر الاحيان لمصلحة المتهم ، وان يخلي سبيله اويبرئه، لان القاضي يحكم على القضية ، وهي كائنة بين يديه ، ولم يلزمه الشرع او القانون بدراسات او تحريات بعيدة عن حدوده ..

★ ★ ★

وتشاء الصدف ... ان تهب على حي المهاجرين بدمشق موجة ثانية من السرقات **على الطريقة الامريكية** ، اذ كان اللصوص يتشكلون على هيئة عصابة مسلحة ، مقنعة ، تداهم المحلات ليلا وتسرقها . وقد انحصر نشاط هذه العصابة في **(المهاجرين)** حيث ينام بعض الباعة في دكاكينهم ، فكان افراد العصابة يداهمونهم ، ويشهرون السلاح في وجه صاحب الدكان ، ثم يسرقون النقود الموجودة ، والدخان ، والمعلبات ، وكل ماخف وزنه وغلا ثمنه .

★ ★ ★

وما ان وردني خبر هذه السرقات ، حتى وجهت عنايتي نحو مقترفيها . وكان عدتي عدد من رجال المباحث الجنائية اذكر منهم : **الرقيب صلاح الدين الايوبي ،العريف علي شحادة ، اديب اورفه‌لي ، محمود شاويش ، محمود الحبال ، عبد الحي بللو ، نسيم خوري وغيرهم ..**

وقد وزعوا بشكل دوريات في احياء المهاجرين ، يجوبونها ليل نهار بقصد المراقبة والترصد .

وبعد فترة من الزمن ، وبينما كانت احدى الدوريات تجتاز شارع شورى بالمهاجرين ، اذا برجل يناديها من احد الدكاكين ويقول لها :

ــ انظروا ... هذا الشاب المسرع ....

لقد رمى ــ حين شاهدكم ــ هذه العلبة ، انها علبة سيكارات ال.م ... والغريب انها ملء بالسكاير ، فما الذي دفعه لقذفها .

★ ★ ★

اسرع رجال المباحث الجنائية في القبض على الشاب المسرع ، واقتادوه الى الادارة بقصد التحقيق معه لمعرفة كل ما اقترفت يداه من جرائم وآثام ... وبعد أخذ ورد . اعترف بكل المحلات التي سرقها ، ودل على اسماء شركائه ، ومكان وجود المسروقات ، التي تم استرداد معظمها .

★ ★ ★

وفيما انا مع اللص المذكور في معرض التحقيق كنت اتفحص وجهه وهندامه ، وادرس نفسيته ، واستعرض الاوصاف التي رويت امامي عن المجرم الذي ارتكب جريمة (قتل ابي رغال) .

كانت نظراتي حادة ••• وأسألتي كثيرة ومتنوعة •••

كنت استدرجه ليقول لي كل حادثة مرت في حياته •

فيما انا احقق مع اللص شعرت ان العرق بدأ يتصبب من جبينه ، وان الارتباك قد بدا جليا على لسانه ، وحركاته • ولمحت في محياها أوصافا كنت ولازلت ابحث عن صاحبها • ومع ذلك لم أذكر له شيئا عن (**جريمة القتل**) بل كنت احوم حولها من بعيد ••

★ ★ ★

خطر في بالي ان استدعي مستخدم ابي رغال (**المدعو سعيد**) وان اعرض عليه من القيت شبهتي **عليه** ••

نفذت الفكرة ، وجئت بسعيد ، الذي ما أن رأي اللص (**عكورة**) حتى همس في اذني على الفور ••

ـ هو ••• هو بعينه ياسيدي •••

★ ★ ★

عدت الى مراجعة الاوصاف الذي سبق ان ذكرها سعيد بالتحقيق الاولي لجريمة القتل ، فوجدتها تنطبق تماما على (**اللص عكورة**) •

شاب طويل القامة ، مكزبر الشعر ، عيونه سود ، اسمر اللون •

★ ★ ★

في هذه المرحلة ، تحول شكي الى يقين ••• فأخليت غرفتي ، وجلست مع (**عكورة**) اسامره ، وقد بذلت جهدا حتى هدأت من روعه ، ونزعت الرهبة من قلبه •

لقد قدمت له سيجارة ، وفنجان قهوة • ورحت أسأله عن جريمة (**ابي رغال**) ، وأسئلتي كانت كمن يواجه محدثه بواقع الحال الذي لامهرب منه •

★ ★ ★

تهالكت اعصاب (**عكورة**) • وعاد العرق يتصبب من جبينه ، لانه كان في مرحلة عذاب الضمير ، الذي لن يوقف حدته الا بالاعتراف • فانفجر باكيا ، وقال :

ـ عمي ابو عبدو ••• انا قاتل ابي رغال ••• واسمحلي أن اقص عليك الحكاية من اولها لآخرها •

★ ★ ★

بدأت بتلطيف الجو ، واتجهت الى مسايرة الجاني ، فوضعت امامه علبة سجاير ، وزدت في اكرامه باقداح الشاي والقهوة ، ثم هتفت الى قاضي التحقيق ، استدعيهلتدوين اقوال المعترف ، ولمشاهدة تمثيل الجريمة •



مال واغراء وتفكير فيما حرمه الله يؤدي الى عملية غدر مفاجئة

وصل على الفور قاضي التحقيق الاستاذ هيثم المالح ، واشترك معي في التحقيق ، ولنسمع ما قاله **(عكورة)** • ثم لنشاهده وهو يمثل جريمته بنفسه امام **(كاميرا الادلة القضائية)** •

قال :

كنت أتردد على **(ابي رغال)** لشراء الدخان ، وبطحات العرق ، وبعض الروايات البوليسية ، والكتب الجنسية •

كنت أدفع القيمة نقدا ، واحيانا كنت احصل على طلبي **(بالدين)** •

وبعد فترة من ترددي على دكان ابي رغال ، قامت بيني وبينه صداقة شكلية ، ومجاملة تقتضيها ظروفي ، ورغبتي في الحصول على ما ارغب دون ان ادفع الثمن • وقد تطور الحديث الى مزاح ، وانتهى المزاح الى طلب (اللذة والمتعة) •

كنت اعلم حقيقة ما يدور في خلد ابي رغال ، ولكني كنت كثير التجاهل الى حد الصراحة ، والرفض ، الا أن صاحبي كان كثير الالحاح ، مغريا في عرضه ، مدفوعا بجوع جنسي نحوي بشكل غريب ••

ومن خلال وقفاتي في الدكان ، وسماعي للاحاديث والعروض ، كنت اشاهدالاموال بكثرة في الصندوق ، وفي آخر مرة لمحت الكثير منها ، فصممت على سرقتها وقتل صاحبها ، وبذلك احصل على المال ، وانتهي من صاحب عروض **(اللذة)** •

* * *

تظاهرت بالقبول ••

وقلت لابي رغال ••• اذا اردت ان نجتمع سوية ، فانني سأتيك غدا ، شريطة ان تصرف المستخدم حتى لايشعر بنا •

فقبل ابي رغال ••• وفي اليوم الثاني ، حيث حددنا الوقت بالساعة الواحدة والنصف ، وقفت على الرصيف المقابل **(للدكان)** وارسلت اشارة بيدي ، ففهم **(ابو رغال)** واخرج من جيبه ليرتين واعطاهما الى مستخدمه وصرفه •

* * *

دخلت الدكان • فسارع ابو رغال الى اقفالها من الداخل ، ووضع المفتاح في جيبه ، وصعدنا بسرعة الى السقيفة •

ـ **قال لي** ••• اخلع ثيابك •••

ـ **فقلت له** ••• انت أولا ••••

فقبل ••• وبدأت أتظاهر بخلع ثيابي •

كان في جيبي موس كباس ، اشتريته من **(احد البسطاطية)** وسننته عند اللحام، لاني صممت على قتل غريمي ٠

★ ★ ★

وفي خلال دقائق ، ظهر ابي رغال عاريا ، فطلبت منه ان يستلقي على وجهه ففعل ، وبسرعة فائقة استللت الموس من جيبي ، وسددت له طعنة في عنقه قطعت له الوريد ، فالتفت علي ومسك بحد الموسى ، فسحبته بشدة قطعت اصابعه ، وانهلت عليه طعنا في كل مكان يتاح لي ٠

وبعد معركة استمرت دقيقة ، تكاثر النزف فهمدت الجثة ٠ اخذت قميص ابي رغال ومسحت به يدي ولففت به الموس ورميته بين صناديق الوسكي ، وارتديت بذتي بدون ملابسي الداخلية لاعتقادي ان الوقت لايسمح لي ، واخذت مفتاح الدكان وساعة القتيل من جيبه ، كما اخذت كافة الدراهم الموجودة في الصندوق الخشبي ، وتدثرت بالجاكيت ، ووضعت يدي في جيوبي لئلا تظهر عليها آثار الدم ، وخرجت مسرعا ، فأبصرت المستخدم جالسا امام الدكان وبيده جرائد ، فقلت له :

ـ معلمك يناديك فاصعد اليه ٠٠٠

واسرعت في السير نحو البحصة ، فدخلت احد الفنادق الموجودة فيها ، حيث غسلت وجهي في دورة المياه ، ثم توجهت الى المرجة فامتطيت سيارة منها القتني الى الحدود اللبنانية ، وهربت الى لبنان حيث اودعت المال عند احد اقربائي وعدت لدمشق لاتابع عملي في السرقة املا في ان احصل على المزيد من المال واعيش في لبنان بعيدا عن جو دمشق ورقابة المباحث الجنائية ،ولكنني مع الاسف وقعت اول مرةوقد اخلي سبيلي، فكررت الجرم ، واذا بي رغم كل حيطة وحذر اقع ثانية في يد رجال الامن وتنكشف سوابقي ٠

امر قاضي التحقيق بتدوين اقوال **(عكورة)** ثم اصطحبناه حيث مثل الجريمة كما وقعت ، وقبل ان اودعه السجن جئت به الى مكتبي في الادارة الجنائية ، لابحث معه ، اسباب جنوحه الى الشر والرذيلة ، فسألته ان يذكر لي صورة مصغرة عن حياته٠فقال:

★ ★ ★

نشأت في دار أبي الذي يعمل معلم مدرسة ، وقد تمكنت بأعجوبة من الوصول الى الصف العاشر ، لان والدي كان ممسك اليد ، اكره شيء عليه ان نطلب منه ربع ليرة سورية ٠

وقد تفتحت غرائزي الجنسية بشكل مبكر، فكنت شديد التعطش لقراءةالروايات الجنسية والبوليسية ، كما كنت مندفعا لتقليد الشباب في حياة اللهو والمجون ، ولكن البخل والامساك كان يكبت مشاعري ، ويهدم احلامي،ويخلق في وجداني العقدالنفسية، ويولد عندي الحقد على أبي والكره للمجتمع الذي اعيش فيه محروما ٠

والذي زاد في آلامي هو استئجار أبي لخدامة صغيرة في الرابعة عشر من عمرها ، لتخدمنا ، وكانت جميلة المحيا ، بارزة النمو ، حلوة المعشر ٠

وقد ولد التآلف بيننا حبا سكبت فيه كل أنواع العواطف التي تقع بشكل طبيعي بين شاب وفتاة يعيشان تحت سقف واحد ٠

الا أن والدي كان اسبق مني في غرامه للخدامة ، فهام بها رغم كرهها له ولكبر سنه ، وتزوج منها وطرد امي ، ثم شردنا من الدار حرصا منه على زوجته الجديدة ٠

* * *

وهكذا بين عشية وضحاها أصبحت في الشارع الى جانب أقرباء السوء ، وقد تركت المدرسة ، واتجهت بكليتي الى غرائزي اشبع نهمها ، واندفع وراء متطلباتها دون ان اجد من يردعني ، او يدلني على طريق الرشاد ٠

* * *

لقد ساقني القدر الى التعرف على (**ابي رغال**) فهو بائع دخان ومسكرات ، وروايات جنسية ، وكل ما يتطلبه شاب مثلي ، وقد ادت هذه المعرفة الى ماذكرت لكم من تفاصيل الجريمة التي ارتكبتها ٠

والذي يزيد في ألمي أنني بعد أن ارتكبت جريمة القتل ، عدت لمزاولة الاجرام ، مدفوعا بنهم غريب اليه، لاني لم أجد من ينبهني الى الطريق المستقيم، فارتكبت وزملائي سرقة (**زقاق الجن**) حيث قبضتم علينا ٠ وقد تعمدنا في حينها ان نسرع باعترافاتنا ، خوفا من ان ينكشف امري في جريمة القتل، وقد اودعنا القضاءواخلي سبيلنا بالكفالة٠ وقد سافرت عقب خروجي من السجن الى لبنان ، حيث عشت في بيروت قرابة ستة شهور بعيدا عن انظاركم وملاحقاتكم المستمرة ٠ ولكن سوء طالعي دفعني للعودة ثانية وللاشتراك في سرقة محلات حي المهاجرين، فساقني القدر الى ماكنت احذر منهواتحاشاه٠

* * *

ملاحظاتي حول هذه الجريمة :

١ ــ رغبة مني في قول كلمة الحق ، فانني اعلن ان الجهد الذي بذله زملائي ضباط المباحث الجنائية امثال النقيب هيثم شورى ، والنقيب عبد المنعم ياسين ، والملازم الاول سالم عبد البر ، وباقي الموظفين العاملين ، كان له أكبر الاثر في كشف هذه الجريمة الغامضة ٠

٢ ـ ان النظرة الواعية لملابسات الجريمة تظهر لنا ان جميع الذين يمارسون الشذوذ الجنسي ويسلكون الطرق المعوجة في حياتهم ، ينتهون الى مصائر مفجعة كالذي حدث لابي رغال ٠

٣ ـ ان التعمق في دراسة وضع الجاني تظهر لنا ان سلوك والده هو العامل الاساسي في دفعه الى الجريمة ٠

ولم يخطىء الذين قالوا ان البيت هو المدرسة الاولى والاساسية للانسان ٠

٤ ـ كنت أود ان لا أذكر حقيقة ابي رغال بعد ان طوى الموت عاره ، وبعد ان نال جزاءه ٠ ولكنني تقصدت العبرة من واقع الحال ٠ فعمدت الى كشف الاوراق بدون (رتوش) ، لاهز عصا النهاية لجميع المنحرفين ،والغارقين في لجج الأثام، ولاقول لهم ان الطريق السوي ، أنصع للمرء مهما قست أجواؤه ٠

٥ ـ ارجو ان يسلم معي كل الذين اعتادوا تتبع الجرائم ، انه لايمكن ان تبقى في سورية جريمة غامضة مهما طال الزمن ٠

* * *



القاتل ومن حوله رجال المباحث يقتادونه ليمثل جريمته بالشكل التي ارتكبها



مشاهد مختلفة للقاتل اثناء تمثيل جريمته وفي الجانب الايسر
تشاهد جثة القتيل قبل رفعها من مكــان وقوع الجريمة

القصة الثامنة

مهر العروسة

في منعطف وادي بردى الرقراق ، وعلى امتداد النهر الخالد ، الذي أبدع **(شوقي أمير الشعراء)** في وصفه ، تقبع قرية جميلة ، منحها الله وافر عطفه الالهي ··· في الجمال والروعة ، فغدت كلها رياض زاهرة ، وباسقات مثمرة ، وخمائل مفردة · الى جانب الحور العين ، اللواتي يصطدن الاسد وهي نفور ·

انها قرية « **بسيمة** » التي تعشقها العم الجزائري الوقور **(أبو صابر)** ، وجعلها مرتعا لشيخوخة طوت خمسا وثمانين ربيعا ، تحت راية البر والتقوى ، وعبادة الله ·

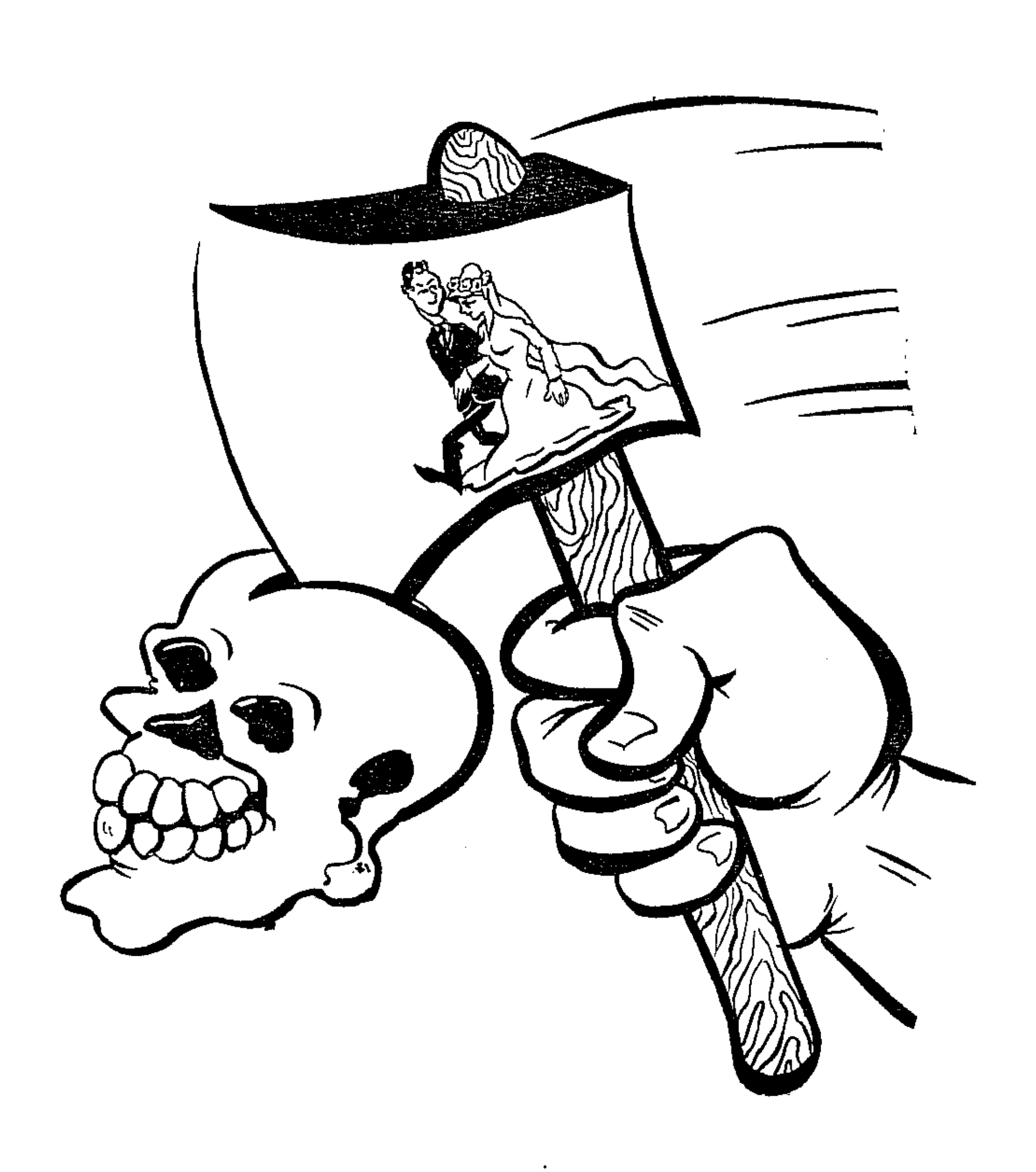
* * *

كان العم أبو صابر محبوبا في القرية ، لانه شيخ الدراويش في ربوعهـا ، ولانه صديق أفراحها ، والحزين على أتراحها ، فكان موضع ترحيب النسوة ، وهن واردات على النهر ، ومجال تأهيل الشباب عندما تنتصب حلقات السمر ، بين النرجيلة والقهوة العربية ، وكاسات الشاي · وكان عقدة الحديث في مجالس الشيوخ ، عندما كان يتطاول الكلام الى غابر الزمان ·

والعم أبو صابر ··· واحد من الزمرة التي تؤمن بالمثل القائل **(خبىء درهمك الابيض ليومك الاسود)** ، لذلك كان يتمنطق دومـا بحصيلة جهـاد السنون البالغة **(١٥٠٠ ل·س) و (٢٢) ليرة ذهبية** · وبالقدر الذي كان يحرص فيه على **(ثروته الضئيلة)** ·· كان يفشي سر وجودها لابناء قريته · وكثيرا مافك بها عسرة معسر ، أو ساهم في رد لهفة ملهوف ·

* * *

وفي الطرف الآخر من القرية يقطن **(حميدو)** شاب في العقد الثالث ، بجوار أبيه وأمه ، وعلى مرمى حجر من جارته الغندورة الدلوعة (هدلة) التي خلبت لبه واستولت على مشاعره ، وتركته أسير سراب من أوهام الشباب ، يعلو به حنيا في أجواء الاحلام ، ويهبط به في أكثر الاحيان الى دنيا الواقع ، حيث يبقى الغرام ، بعيـدا عن الوصال ، وقريبا من الهجر والبعاد اذا لم يدعمه المال ···



التفكير بالحصول على المال بطرق غير مشروعة لتأمين
مهر العروس ادى الى جريمة القتل

ومن أي طريق يحصل (**حميدو**) على المال ••• وهو من عائلة نشأت على الكفاف، خبزها من غلال أرضها ، عاماً يسد الرمق ، وعاماً آخر يتدبر الله الامر •

لقد كان باستطاعة (**حميدو**) أن يحصل على المال بالوسائل الشرعية ، وعن طريق الكسب الشريف ، كان بامكانه ان ينزل الى المدينة ، ويعمل فيها ، ويكد ويكدح، ويقدم مهرا « **لرفيقة العمر** » التي يحلم بها • ولكنه عمد للوصول الى الهدف عن أقرب طريق ، وباسلوب الشيطان ••

* * *

لعن الله ابليس ••• انه يزين للطائشين الحرام في ثياب الحلال ، حتى اذا مازاغت أبصارهم ، وانزلقوا في هوة الاجرام ، وقف على « منارة الشماته » يهلل ويكبر ، ويضحك سخرا واستهزاء وكبرياء •

* * *

لقد فكر حميدو بأساليب الاحتيال ، وبمشاريع السرقة ، ثم انتهى به المطاف الى القتل ••• وبالهول ماجنت يداه •

انه بحاجة الى المال ••• فليحاول استدانته ممن يملكه ، أو ليسعى الى سرقته ممن يملكه ، وليس في القرية من هو أسهل في هذه التجربة من العم أبو صابر ، الذي يتمنطق بأمواله ليل نهار •

اذن ••• لتكن التجربة مع (أبي صابر) •

* * *

وفي مساء يوم من الايام ••• كانت قرية بسيمة كلها تزدان بحلل البهجة والسرور ، وترقص على أصوات الطبل والمزمار ، لان فيها عرس لاحدى بنات القرية على أحد شبابها •

في هذا اليوم ••• تربص حميدو أمام دار العم (**أبي صابر**) حتى خرج منها ، فدعاه الى زيارة داره ، **لان المشمشات قد نضجت ، ولان حميدو شديد الرغبة في جلسة صفاء مع (العم) لشرب كاسة شاي عجمي •**

والعم أبو صابر ، ماتعود ان يرد دعوة ، أو يعرض عن مكرمة ، وكيف لا يلبي رغبة شاب هو من زينة شباب القرية •

فقبل الدعوة ••• وتدرج نحو دار مضيفه على مهل ، وقد أرخى الليل سدوله ، وحط الظلام رحاله ، وفرغت القرية الا من حركة العرس المقام في احدى ضواحيها •

دخل العم أبو صابر دار حميدو ••• وجلس على عتبة الغرفة الداخلية ، يرقب

صحن المشمش ، وكاسة الشاي ، **وقد أمسك بسبحته الطويلـة ، يسبح الله ويستغفره ويحمده ويشكره** ·

أما حميدو ··· فقد تظاهر بتحضير الشاي فترة قصيرة ، ثم دخـل الغرفة فجأة **وبيده بلطة تكسير الحطب ، فانهال بهـا على رأس العـم أبي صابر حتى هشمه** ، وتركه جثة هامدة · وفي أسرع من لمح البصر ، امتدت يده الى (زناره) **فأخرج (١٥٠٠ ل·س) و (٢٢ ليرة ذهبية)** · ثم جاء بكيس جنفيص ووضع الضحية فيها ، وحملها الى مكان خارج الدار وبعيدا عنها وقد سورها بالحجارة ، ثم عاد الى الدار فغسل آثار الدماء ، ونظف ملابسه ، وارتدى بدلا عنها ، واتجه الى حيث تقام أفراح العرس،فجلس بجانب أمه وأبيه ، وقد بدت من أمامـه المعشوقة هدله وأهلهـا يشاركون الافراح والليالي الملاح ·

اشتبكت عيون الحالمين بالسعادة ، وارتفعت البسمات بين **(حميدو وهدلة)** ، وتعلل كل واحد منهما يوم قريب ، تقيم فيه لهما أفراحا مماثلة ··· وأخيرا اتجه حميدو الى والده وفاتحه بغرام **(هدلة)** وطلب منه ان يخطبهـا من أبيها في الحال ، مبديا استعداده لتحقيق كل الواجبات والفروض ·

نزل الاب عند رغبة ولده ، ونهض الى والد **(هدلة)** يعرض عليه حلم ابنه ، فقبل الاب ، وقرأ الحاضرون الفاتحة ، وأصبح العرس عرسان · ونهض **(حميدو)** يدفع علنا مهر **(محبوبته)** لاهلها ، ثم ودعهم وانصرف متظاهرا بالتعب والرغبة في الراحة ·

* * *

عاد حميدو الى الدار التي تفوح منها رائحـة الجريمة ، واستلقى على الفراش وتظاهر بالنوم ·

وما هي الا ساعة كاملة حتى حضر الاهل ، والسرور يطفح على وجوههم ، فلقد كانوا في عرس ، وبعد أيام سيحتفلون بعرس ولدهم ·

وعلى الرغم من حيرة الاهل في موضوع المال الذي قدمه ولدهم لعروسته بالسرعة غير المنتظرة ، فانهم كتموا الامر بانتظار الصباح ليصلوا الى مزيد من الايضاح ·

وهكذا استلقى الاهل وناموا كما نامت القرية بكاملها بعـد ساعات طوال من التعب والسهر ·

* * *

أما حميدو ··· فقد رفع رأسه ليتأكد من استغراق أهله في النوم العميق ، وقد بدأ يراقب بصمت وصبر حركات كل من في الدار ، حتى اذا ما اطمئن ، وأدرك أن سلطان النوم يخيم على الاجواء ، نهض الهوينا متسللا الى خارج الدار · واتجه نحو مكان الجثة

وحملها الى خارج القرية ، مسافة كيلو مترين ، حيث يوجد بئر ماء تشرب منه القرية فدس به الجثة في هدأة الظلام ... ثم عاد من حيث أتى واندس في فراشـــه ليغط في نوم عميق .

لقد فكر أنه أخفى معالم الجريمة ...

لقد تصور أنه وصل الى ما يبغيه دون ان يشعر به أحد . وقد فاته ان عين الله القاهر الجبار سترقبه ،وستفضحه ، وستنزل به عقاب القانون العادل .

* * *

لقد أشرقت الشمس ، واتجه بنات القرية وسط الاهازيـــج الشعبية ، والزغاريد المألوفة ، ليملأن الجرار من ماء البئر ، وما ان وصلنه **حتى شاهدن الدماء تلوث فوهته، فارتعن ، وبدأن التشاور والنقاش حول قصة الدماء على فوهة البئر** ، وأخيرا ، نادين حارس القرية ، وأطلعنه على واقع الحال . والحارس حسب العادة ، أبلغ الشرطة ، ثم ادارة المباحث الجنائيـــة ، **فسارعت قوى الامن** ، بحضور قاضي التحقيـــق والطبيب الشرعي ، **ورجال الاطفاء** ، الى مكان الحادث ، وبعد مداولة بسيطة انتشلت الجثة من البئر ، ولدى فحصها تبين أنها **العم أبو صابر الجزائري** ، فعم الحـــزن القرية وساد الوجوم على وجوه أهلها ، وأخذ النسوة يذرفن الدموع ، حسرة ولوعة ، على فقدان انسان عرف بالنبل وكرم الخلق والتقى والورع .

* * *

كان الجرم غامضا . والقاتل في مأمن من يد العدالة ، وكان على الادارة الجنائية أن تلعب دورها للقبض على الجاني الاثيم .

لقد درست الموضوع عن كثب مع ضباط الادارة الجنائية السادة : **النقيب هيثم شورى ، والنقيب عبد المنعم ياسين ، والملازم الاول سالم عبد البر** ، ثم وقع اختياري على النقيب عبد المنعم ، لانه أهل لكل ثقة ، ولانه من الضباط الذين تفخر بهم الادارة الجنائية كفخرها بكل زملائه . وأرسلته على رأس قوة من رجال المباحث للبحث عن القاتل المجهول .

* * *

لقد كانت توجيهاتي الاولية ، هي احضار كل من له علاقـــة من قريب أو بعيد بالضحية ، وبصورة خاصة . أؤلئك الذين اتصلوا به يوم الحادث .

توجه النقيب عبد المنعم ياسين الى قرية بسيمة ، وباشر دراساته وتحقيقاته ، حتى تمكن من تكوين فكرة عامة عن الموضوع ، ثم عاد الى الادارة وبرفقته عدد من شبان القرية المشتبه بهم حسب التوجيهات والتعليمات المتفق عليها .

* * *

وضعت المقبوض عليهم في صف مستقيم أمامي ، وبدأت أفحص وجوههم ، وأدرس

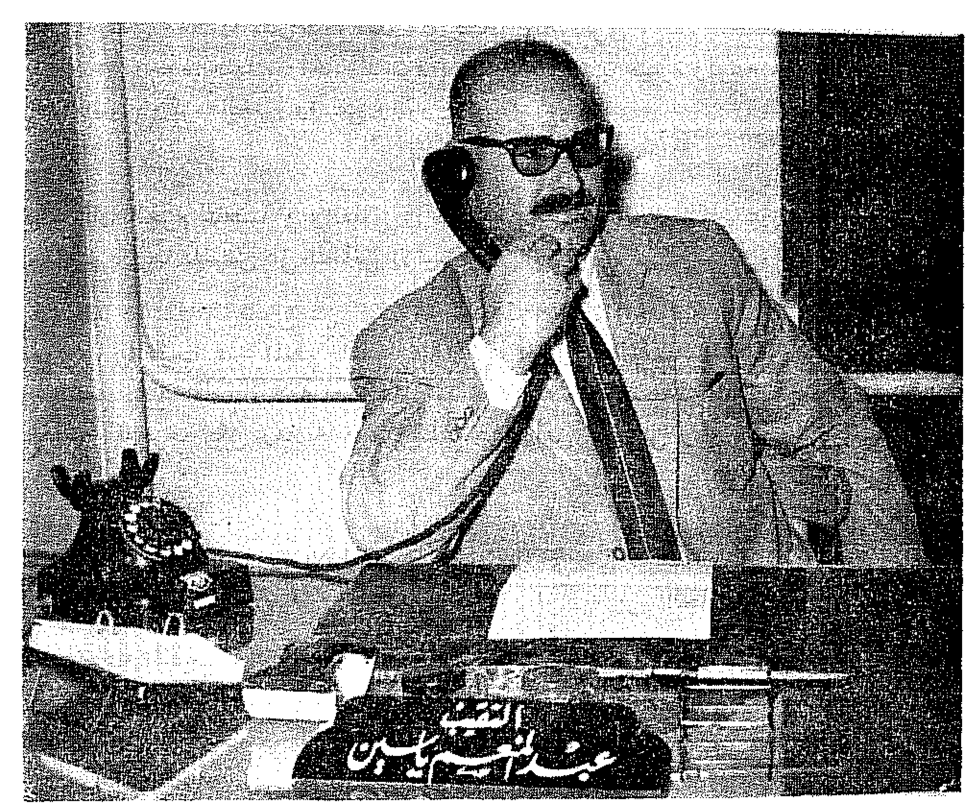
انفعالاتهم ، وحركاتهم ، وبدافع من الحس والتجربة **اهتديت رأسا الى المجرم (حميدو)** وقلت بأعلى صوتي ٠٠٠

ـ هذا هو القاتل ٠٠٠ اتركوا الجميع يذهبون ٠

وما ان لفظت هذه الكلمة ٠٠٠ حتى انهار حميدو على الفور ، واعترته الرعشة ، وتملكه الخوف ، لانه أصبح بين فكي الرحى ٠٠٠

لقد استيقظ ضميره ، وبدأ يؤنبه بعنف وشدة على ما اقترفت يداه ٠

كما بدأ قلبه يخفق بسرعة رهيبة من ساحة القضاء وهول حكم القانون ٠ فجلس القرفصاء محاولا انكار ما نسب اليه مدللا على انه لم يرتكب الجريمـــة بل كان ساعة وقوعها في العرس ، الا أن التحقيق مع أهل العرس أكد أن الجاني جاء متأخرا وذهب مبكرا ٠ الامر الذي لم يعد يفد الانكار معه ٠٠٠ ولما لما يجد مجـــالا للاستمرار بالانكار انهال باعتراف كامل موضحا جرمه كما ارتكبه ٠ عندها استدعيت قاضي التحقيق ، الذي قام بدوره في ضبط افادة الجاني ، ثم شهدنا تمثيل الجريمة في مكان وقوعها ، بينما قمنا باستدعاء والد (**العروس هدلة**) واستعدنا المهر منه٠وقدمنا القاتل للقضاء٠



النقيب عبد المنعم ياسين الضابط الذي قبض على مجرم بسيمة

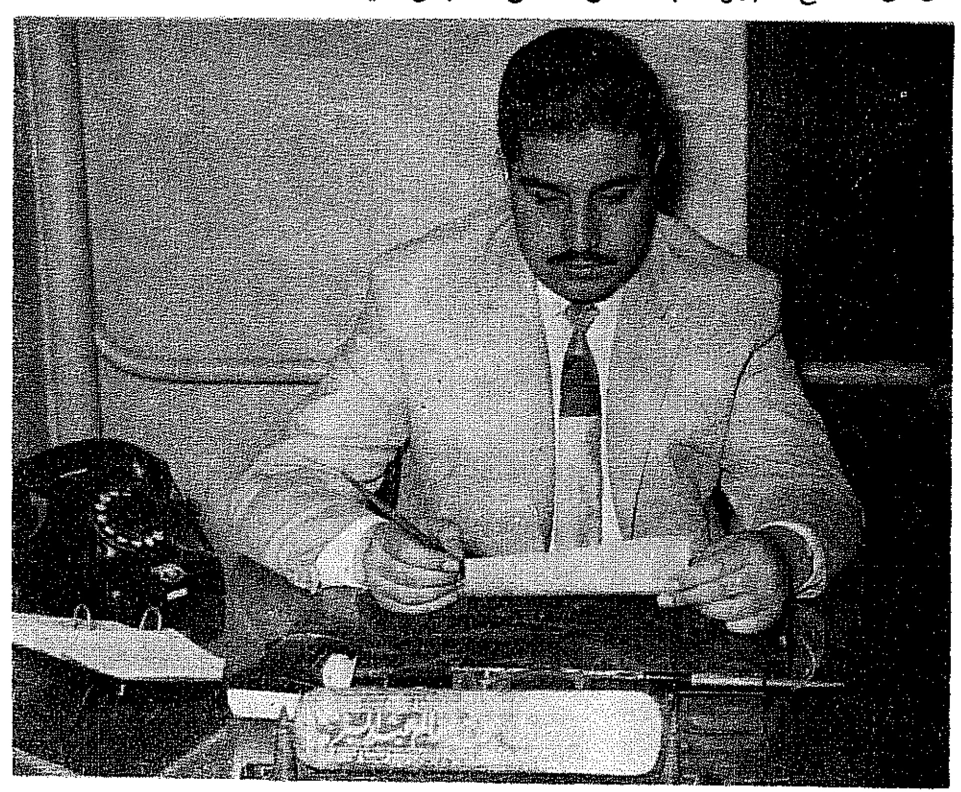
ملاحظاتي حول هذه الجريمة أدونها على الشكل التالي :

١ ـ ان جريمة القتل وقعت لان شابا متهورا أحب فتاة ما وسعى للحصول على مهرها بالطرق الملتوية غير المشروعة • وان تاريخ الجرائم حافل بأمثال هـذه القصص بألوان مختلفة ، وحسبي هنا أن أشير الى أن التشريع الاسلامي الذي أقر المهر **(الصداق)** حبذه أن يكون درهم فضة معجل ومثلة مؤجل ، كما انبرى رسول الله (ص) يعلمنا اسلوب تزويج بناتنا ، فيقول :

(اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه)

ولم يشر (الرسول محمد) الى المال لاعتقاده ان المال لايشيد سعادة زوجية ، ولا يبني عشا هادئا مزدهرا •

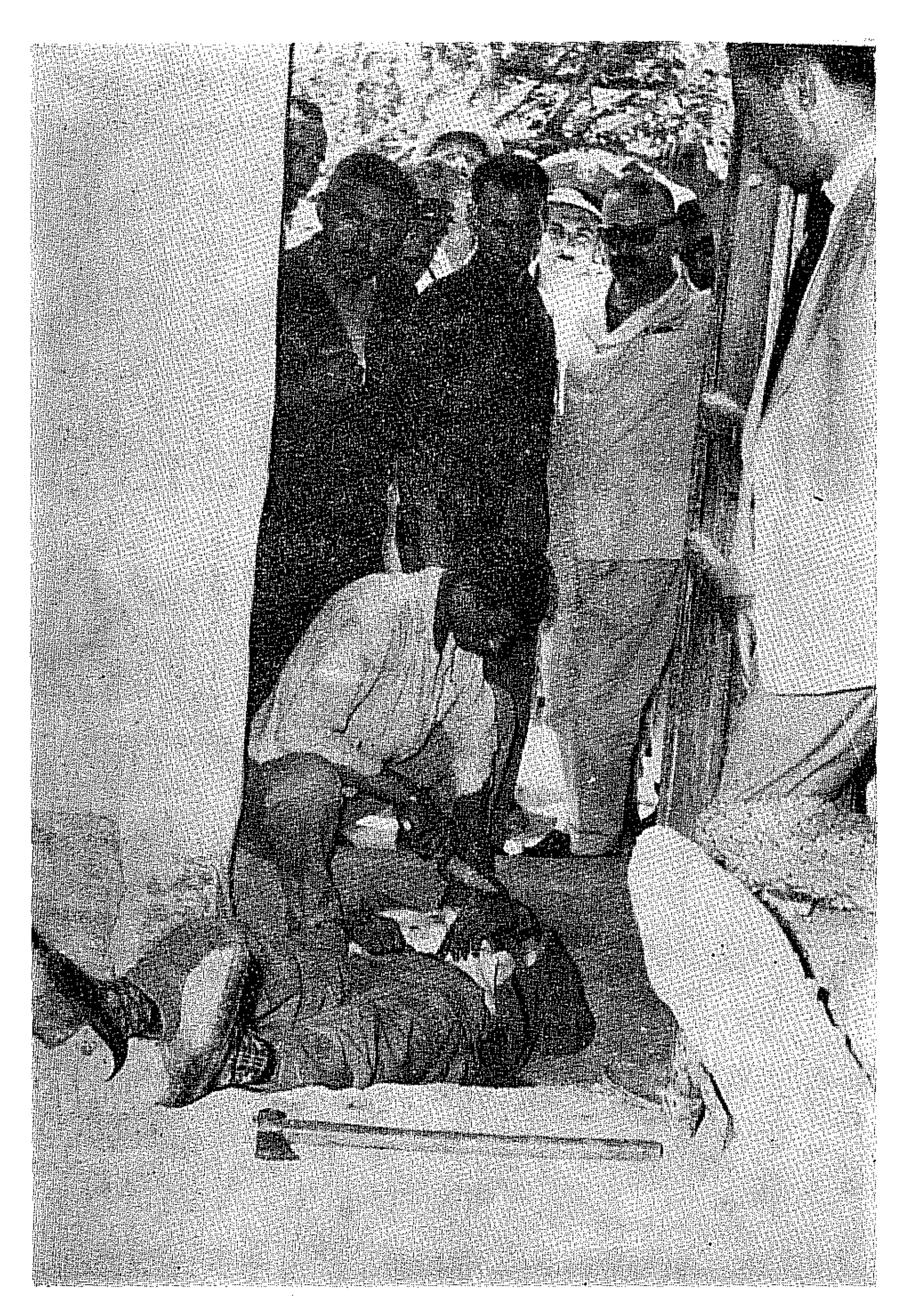
٢ ـ ان المجرم مهما حاول اخفاء جريمته ، فان الله له بالمرصاد ، لابد الا أن يفضحه ويسوقه صاغرا الى ساحة العدالة • المجرم في هذه القصة لم يتنبه الى انــه ترك آثار الدماء على فوهة البئر الصغيرة ، فكانت هذه الدماء سببا مباشرا في افتضاح الامر ، مما أدى الى اندفاع الاجهزة للبحث عن الفاعل والقبض عليه •



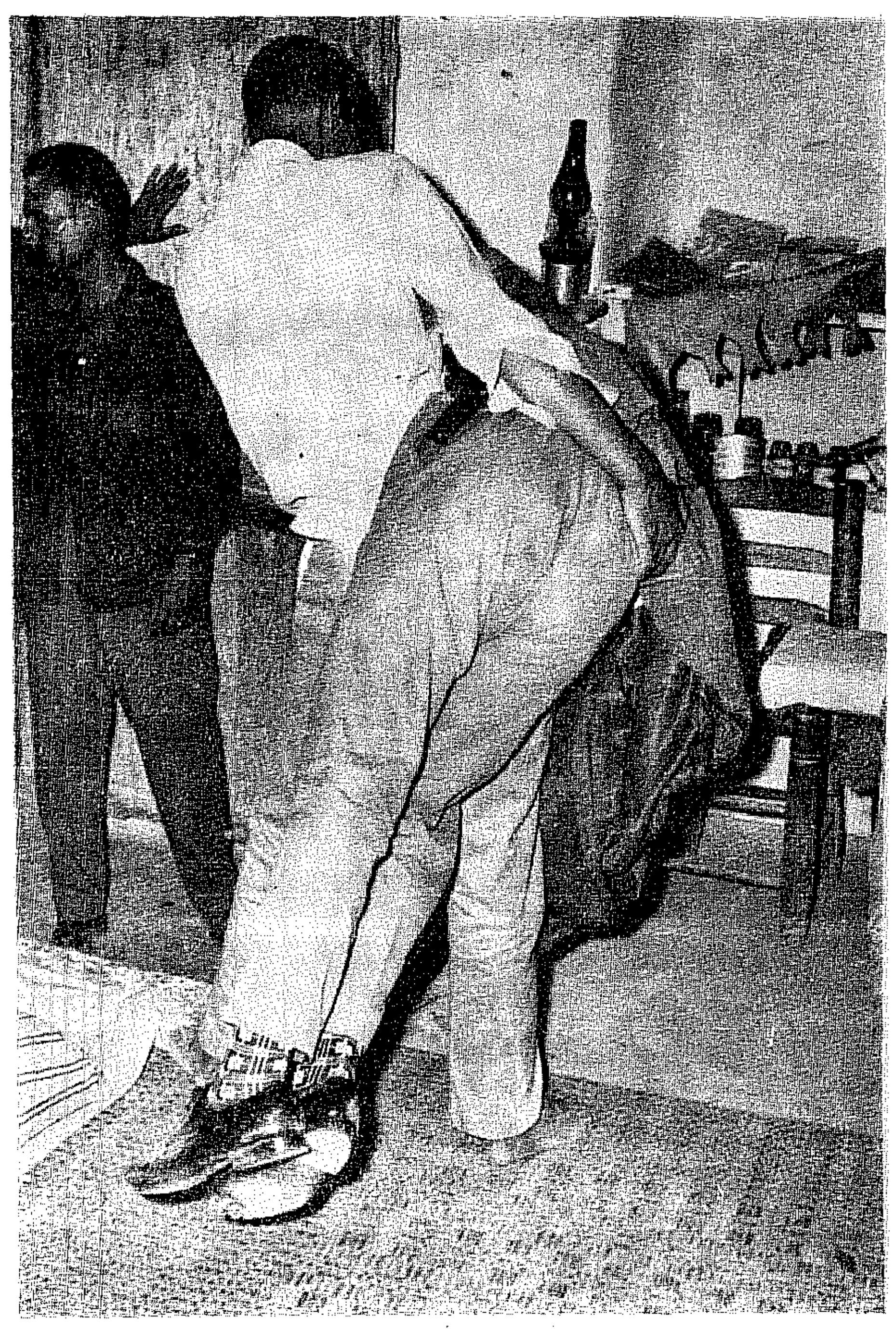
الملازم الاول سالم عبد البر الضابط الذي ساهم في التحقيق



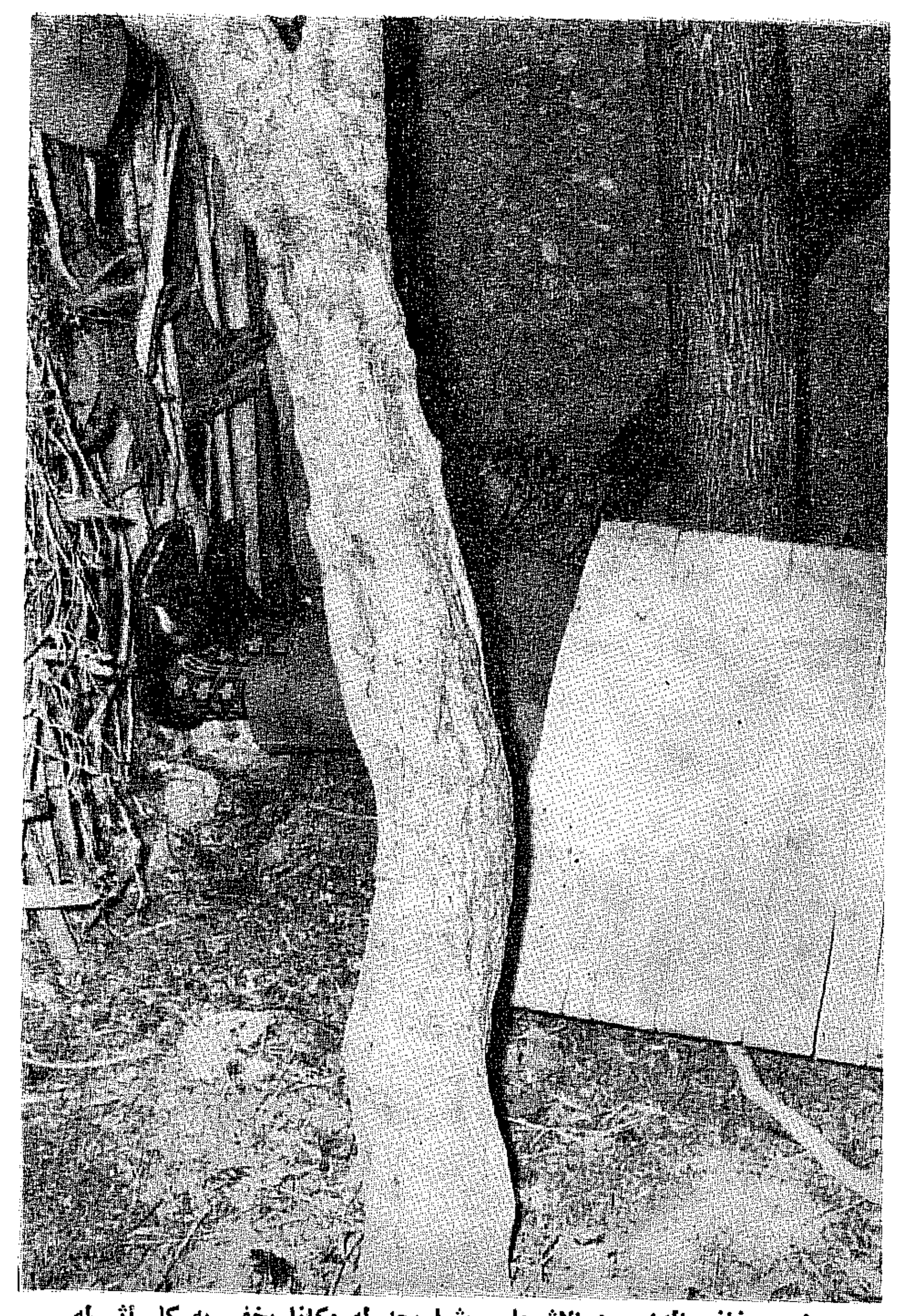
دخل الغرفة فجأة وبيده بلطة تكسير الحطب فانهال بها على رأس
العم (ابي صابر) حتى هشمه ..



ثم استل سكينا حادة وذبحه من الوريد الى الوريد

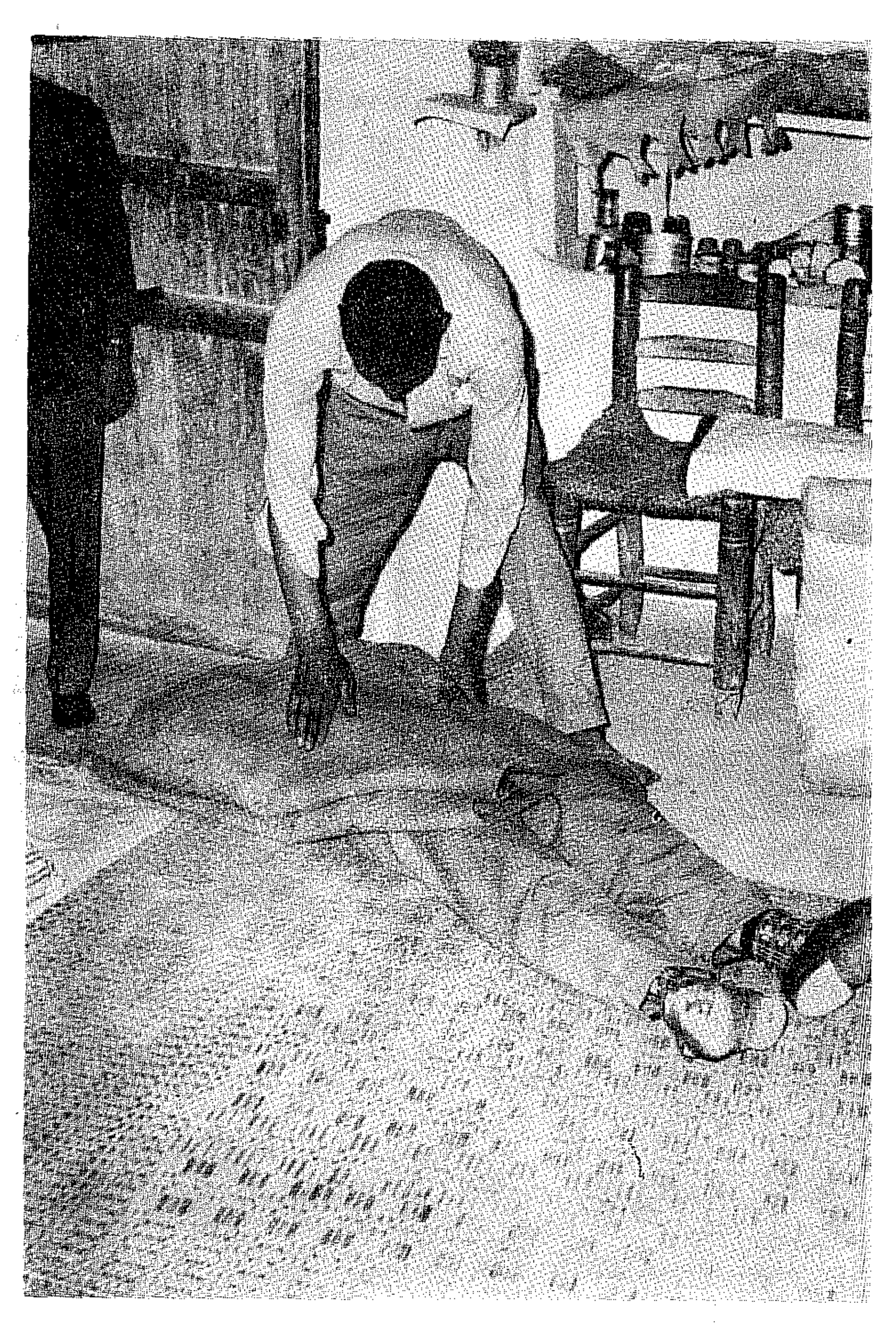


ثم حمله من الغرفة وسار به الى صحن الدار ليخبئه بصورة مؤقتة



وضعه خلف الدار بين الاشجار ريثما يجد له مكانا يخفي به كل أثر له

اعاد الجثة الى داخل الدار وبدأ يعدها ليضعها في كيس (جنفيص)



هنا تبدأ عملية وضع الجثة داخل الكيس تمهيدا لحملها والقائها في مكان بعيد



وهنا في هذا البئر رمى القاتل (حميدو) الضحية البريئة (ابي صابر)
ولكن آثار الدماء على جوانب البئر فضحت الجريمة

بعد ان انتهى القاتل من جريمته عاد بكل هدوء الى غرفته فأصلح فراشه ونام فيه ملء جفونه

من جرائم القتل الغامضة

من ثوب الامارة الى حبل المشنقة

كان يحلم بالثراء ، ويتطلع بنهم – يغـذيه الجوع الجنسي – الى دنيـا الملذات والمجون ، لان مفاهيمه للحياة لا تعدو حدود كأس خمر وغانية ٠

★ ★ ★

كان يعمل في وظيفة بسيطة على الحدود (السورية – الاردنية) تمكن عن طريقها من التعرف الى عصابات « المهربين » وتجار « السم الابيض » ٠ وقد سال لعابه للمال الحرام الذي كان يتراقص بين ايدي الخارجين على القانون ٠ فصمم عـلى الدخول في حظيرتهم ، وحمل كرامته ، ومستقبله على كتفه ، كما يحمل الدلال سلعته ، وراح يطوف بها في المحافل والمجامع مناديا ، من منكم ايها المهربون ، وتجار المخدرات يتعامل معي ، أو يستخدمني ، لعلي أعيش معكم (في مملكة العصاة) ردحا من الزمن ، أعوض ما فاتني ، وأسد فراغ العظمة الذي يجسد في الحياة ، وكأنها زهر وخمر ، وكأس وعطر ٠

★ ★ ★

لقد كان من الطبيعي ان توجد شروط للانتساب لعصابة المهربين ، أبسطها اقتناء سيارة تحمل المهربات عبر الحدود ، وفي الصحاري ، ومن اجل تحقيق هذا الشرط الاولي ، لابد من المال ٠ لذلك سافر « عقله » الى ديار اهله « عرب النعيم » حيث يخيمون في بادية حمص ٠ واخذ يطلب منهم المال لشراء سيارة ، فكان يرد طلبه ، لان السيارة في نظرهم لايركبها الا شيخ العشيرة أو أميرها ، الا أن « عقله » الذي يحلم بحياة الامراء سطا في ليلة مظلمة على غنم عشيرته ، فسرقها ، واتجه بها نحو السلمية حيث باعها هناك بمبلغ (٥٠٠٠) ليرة سورية ، وقفل راجعا لفوره الى دمشق ٠

★ ★ ★

وفي دمشق اشترى افخر الثياب ، وأجمل الحلل التي يتزي بها الامراء ، ولبسها ولم يغفل شراء المسدس وحمله لانه من متممات الامارة ، ثم حل في فندق « سمير » باسم الامير (فدعان) وهذا الاسم موجود على هوية مفقودة من احد ابناء عشيرة النعيم ٠





حلم القاتل بالمال وبملكية السيارات الفخمة فارتكب جريمة القتل
وانتهى الى حيث ينتهي كل مجرم

لم ينس (عقله) أو الامير المزيف (فدعان) ان يحيط نفسه في الفندق بمظاهر العظمة والترف المصطنع ، امام خدم الفندق ، كيما تتجه اليه الانظار ، وكلها اجلال واحترام ٠

★ ★ ★

وتمشيا مع سياسة البذخ والترف فقد اتجه « عقله » الى « الكباريهات » وعلب الليل يجالس فيها الغانيات ، ويبدد الاموال بدون حساب ، حتى ان تجار الرقيق الابيض اتجهوا اليه ، يعرضوا عليه « بضائعهم » وكأنهم يتزاحمون ٠

★ ★ ★

ولقد وقع اختيار « الامير المزيف » على واحدة من المعروضات السريات (كانت زوجة لاحد القوادين المشهورين) ٠ وقد حملها في احدى سيارات التاكسي المرابطة امام الملهى ، وسافر معها الى السويداء ، ودرعا ، ليتفقد « رفاق الغد » ٠ وليعرض عليهم صور الامارة الجديدة التي آل اليها امره ٠

وبعد مداولات واحاديث ، قفل « عقله » راجعا الى دمشق ، واعاد الامانة الى صاحبها دون ان يمسها ، وقد أكرمها اكثر مما تم الاتفاق عليه ، ليرمي احترامه في قلبها ٠

★ ★ ★

اما القواد فقد استغرب وضع الامير بعد أن افضت له (زوجته) بواقع الحال ، واخذت الشكوك تلعب في قلبه ، اذ لاعهد له برجل من هذا النوع ، يتسلم امرأة دون ان يمسها ٠ فدفعه الفضول الى تتبع الامير ، ومعرفة الفندق الذي يحل به أملا في ان يجعله زبونا دائما ٠

★ ★ ★

امسى المساء ، وارخى الليل سدوله ، فاتجه « عقله » مجددا الى ملهى سميراميس واخذ يعب فيها كؤوس « الوسكي » بنهم غريب حتى قاربت الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، فنهض متثاقلا من سكره ، وتبعه « الجراصين » يشيعونه حتى الباب املا في البخشيش ٠

وعلى باب الملهى ، بدأ عقله يتفحص السيارات الواقفة ، ويفاوض سائقيها ، لايصاله الى منزله في القطيفة ، فكان أكثرهم يرفض السفر ، لانه سائق ، ولا يملك الاذن بالعمل الا داخل دمشق ، الا ان احد السائقين ممن يمتطون سيارة « شيفروليه » انتخى للامر ، وتطوع لايصاله الى القطيفة لقاء مبلغ ثلاثين ليرة سورية ٠

★ ★ ★

ركب عقله السيارة الجديدة ، وانطلق بها السائق (وحيد) ينهب الارض نهبا ، حتى وصلا القطيفة بعد نصف ساعة تقريبا ٠

وفي القطيفة ··· قال عقله للسائق وحيد :

– ان عشيرتي تقيم بجانب حمص ، واذا كنت على استعداد لايصالي سأنقدك ثلاثين ليرة اخرى ·

قبل « وحيد » العرض الجديد ، واستلف ثلاثين ليرة ثانية ، وتابع طريقه الى حمص ·

وعند مفرق (تدمر) قال الامير لسائقه ، ان مضارب عشيرته تبعد عشرين كيلومترا عن الطريق ، وان « السكة معبدة » ·

فقال له وحيد :

– نحن اتفقنا لحمص ·· واذا اردنا تجديد الاتفاق فعليك ان تدفع دفعة جديدة·

* * *

وهكذا تم الاتفاق على عشرين ليرة اخرى ، فقبضها (وحيد) وتابع سيره ··· الا ان العشرين كيلو مترا امتدت الى مسافة اكثر ، وظهر ان الطريق غير معبد ، فبدأ السائق يتململ ، خوفا على السيارة ··· وبعد أخذ ورد ، استل « عقله » مسدسه واطلق اربع عيارات نارية على (وحيد) فأرداه قتيلا · ثم امتد اليه ، فسحبه من السيارة ، وشوه معالم وجهه وجسمه · وقذف به بين المزروعات بعيدا عن الطريق العام · وكله اعتقاد ان جريمته قد طمست معالمها ، لان الضحية قد جردت من كل أثر يدل عليها ، بعد ان شوهت ، سيما وان الوحوش والكواسر سوف يتقاسمونها بعد ساعات ·

* * *

وفي جو هذا الاعتقاد ، امتطى « عقله » السيارة الشيفروليه ، وتوجه الى مضارب اهله (عرب النعيم) في ربوع تدمر ، واعلن انه اشترى سيارة من اموال استدانها من بعض اصدقائه ·

* * *

اصبح الصباح ، وهب الفلاحون الى حقولهم ، يتفقدونها ، ويتعهدونها ، وبينما كان الشيخ مصطفى يتجول في ارضه ، اذ شهد جثة منفوخة ومشوهة ، ومضرجة بالدماء، فارتاع لهول المشهد الاليم ، وسارع لاخبار الشرطة ، التي خفت على الفور ، واجرت التحقيقات الاولية المعتادة ، ثم حملت الضحية الى مستشفى حمص ليصار الى تشريحها، ثم عممت برقية على قوى الامن بتفاصيل الحادث ·

* * *

تلقت الادارة الجنائية بدمشق ، برقية قيادة شرطة حمص ، بعد يومين من وقوع الجريمة ، وعندما عرضت علي (كمدير للادارة) ادركت انني امام ضحية مجهولة

الهوية ، وامام قاتل مجهول ، فقلت في نفسي لنبحث في محيطنا عن شاب افتقده اهله • وفيما انا اقلب البرقية ، واتصور الجرم في مخيلتي ، دخلت علي (امرأة وقور) تشكو فقدان ولدها منذ أيام •

فقلت لها :

ـ وماذا يمتهن ولدك ••• قالت :

ـ سائق سيارة

ـ قلت لها : وما اسمه ••• قالت « وحيد » •

ـ قلت لها :

وردتنا برقية من حمص تفيد ان ولدك قد ارتكب جرم دهس ، وهو موجـود في المباحث الجنائية في حمص ، فاذهبي فورا الى هناك ، وتفقديه •

★ ★ ★

اتجهت الام مع عدد من الاهل الى حمص ، واتصلت انا بالمباحث الجنائيـة في حمص ، اخبرهم بقدوم امرأة تريد التعرف على القتيل ، وقد طلبت من رجال المبـاحث مرافقتها والتروي في اطلاعها على الخبر ، خوفا من الصدمة الاليمة •

★ ★ ★

وصلت الام الى حمص ، واتجهت الى المستشفى فتعرفت الى ولدهـا القتيل ••• ويالهول المشاهدة ••• ياللفاجعة الاليمة ••• كان الله في عون الاسرة المفجوعة ، والام الثكلى ، وكان الله في عون رجال الامن ، ليستطيعوا القبض على القاتل المجهول •

★ ★ ★

في اليوم الرابع من وقوع الجريمة ، وبعد ان تعرفت الام الى ولدها القتيل ،وردتني برقية ثانية من قيادة شرطة حمص ، توضح لي اسم القتيل (وحيـد عـزت) وصنعته سائق سيارة تاكسي في دمشق •

★ ★ ★

في هذه اللحظة ••• بدأ عمل الادارة الجنائية في كشف الجريمة الغامضة ، وبدأ دوري في التفكير والتدبير •

★ ★ ★

كان اول عمل قمت به هو استدعاء صاحب السيارة التي كان يعمل عليها المجنى عليه « كسائق » • للتعرف منه على شخصية (وحيد) ، والمكان الذي يقف عادة فيه • وكل الذي تمكنت من معرفته ، هو ان السيارة كانت آخر مرة قبل وقوع الحادث امام ملهى السميراميس ، حوالي الساعة الثانية عشرة ليلا •

بحثت عن كل السائقين ، الذين يقفون ليلا امام الملاهي ، وباشرت التحقيق معهم ، الى ان توصلت الى معرفة حقيقة تلقى اضواء بسيطة على الجريمة ، وهي ان (وحيد)اتفق مع امير من امراء العرب على ايصاله الى القطيفة لقاء ثلاثين ليرة سورية ، كما علمت ان الامير المذكور خرج ثملا من ملهى السميراميس حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل، كما تمكنت من معرفة اوصاف الامير المذكور ٠

★ ★ ★

اما العمل الثاني الذي قمت به ، فهو جمع كافة الذين يتعاطون الوساطة السرية بين الجنسين ، واخذت استعلم منهم عما اذا كان قد اتصل بهم شيخ من شيوخ البدو (أوصافه كذا ، طوله كذا ، لباسه كذا) وبعد تحقيق استمر ساعات افادني واحد منهم يدعى (ابو صرصور) بأن الشخص الموصوف كان قد اتصل به منذ ايام ، واصطحب معه زوجته الى السويداء ، نهارا كاملا دون ان يمسها ، وقد اعطاه مئة ليرة سورية ، وقد لفت نظره ، فتبعه الى ان عرف انه ينزل في فندق سمير ، وان اسمه (الامير فدعان من عرب النعيم) المخيمة في بادية حمص ٠

★ ★ ★

هتفت بيني وبين نفسي ، بصوت خافت ، لقد عثرت على القاتل ، الا ان زيادة في التثبت والاستيضاح استدعيت موظفي فندق سمير ، وتعرفت منهم أكثر فأكثر على اوضاع واوصاف (الامير فدعان) ٠

★ ★ ★

جهزت على الفور حملة من رجال المباحث الاشاوس ، واصطحبت معي بعض ضباط الادارة ، الذين اعتز بمقدرتهم وخبرتهم ، ورجولتهم ، واتجهنا نحو حمص ، ثم عرجنا على طريق البادية ٠ ماكدنا نتوغل حوالي العشرة كيلو مترات داخل ارض البادية ،وكانت الساعة تقارب الثانية عشرة ليلا ، حتى شهدنا سيارة شيفروليه معطلة ، وجميع ركابها نيام من حولها ٠

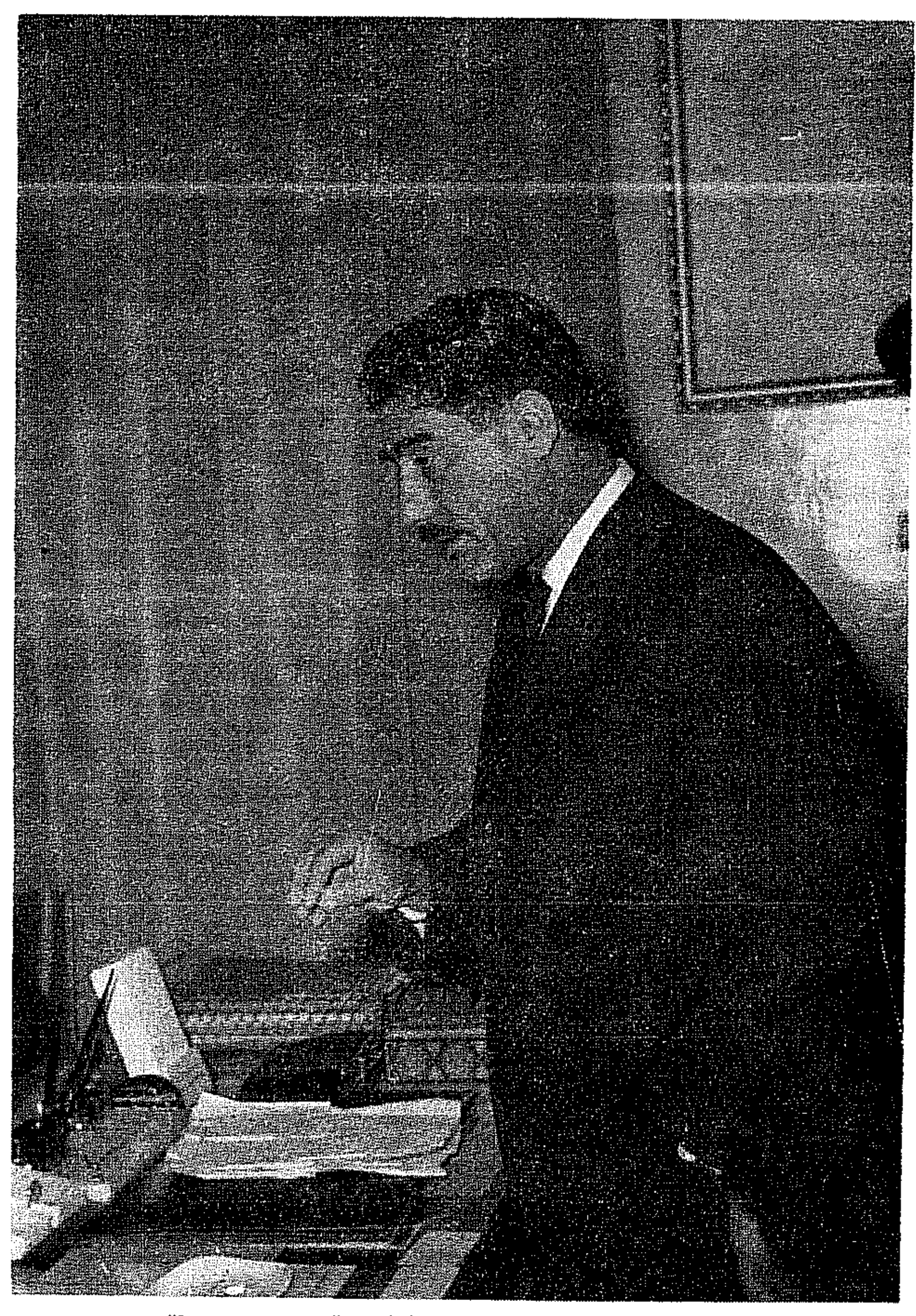
★ ★ ★

استوقفنا سيارتنا ونزلنا نتفحص الوجوه، ونستطلع حقيقة الخبر ، وكان برفقتي (ابو صرصور) وصاحب السيارة ٠

اما صاحب السيارة فقال هذه ليست سيارتي ٠٠٠

اما أنا فقد بدأت اوقظ النيام ، وكان اول من ايقظته منهم يحمل اسم (فدعان من عرب النعيم (، فقلت سبحان الله ، رمية من غير رام ٠ لقد قبضنا على القاتل دون عناء ٠

★ ★ ★



هتفت بيني وبين نفسي ، بصوت خافت لقد عثرت على القاتل

استدعيت (ابو صرصور) وقابلته (بالبدوي فدعان) فلم يتعرف عليه وقال :
ــ سيدي مو ٠٠٠ هوى ٠٠٠
ــ قلت للبدوي :
ــ هل يوجد في عشيرتك من يحمل اسما مثل اسمك ٠٠٠
ــ قال ٠٠٠ لا ياسيدي ٠ ثم اطرق يفكر ٠
ــ قلت له : بماذا تفكر ياولد ٠٠
ــ قال : اظنكم تبحثون عن سيارة مسروقة
ــ قلت : نعم

ــ قال : ان سارقها (عقله) ، وهي موجودة في بيت شعر في مضارب عرب النعيم على بعد عشرين كيلومترا تقريبا ٠ ثم قال : ان هويتي ضائعة وربما كان قد لقيها عقله ووضع صورته تزويرا عليها واستعملها ٠

★ ★ ★

اصطحبت مع (جمعنا) ، البدوي فدعان الحقيقي ، وطلبت منه ان يدلني رأسا على مكان وجود السيارة ، ثم على مكان وجود سارقها (عقله) ٠

★ ★ ★

وصلنا مضارب عرب النعيم حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وأوقفنا سيارتنا بعيدا عن مضارب العشيرة ، وتوجهنا مع دليلنا الجديد رأسا الى مكان وجود السيارة ، التي ما لمحها صاحبها حتى تعرف عليها ٠ وقد شاهدنا الزجاج الامامي قد اخترقته عدة رصاصات ٠

استولينا على السيارة المسروقة ، وتدرجنا نحو المكان الذي ينام فيـــه (عقله) السارق ٠ وفيما نحن قادمون لمحت انسانا متمددا على فراش خارج بيت الشعر ، وقد رفع لحافه الى فوق رأسه ، فانحنيت عليه ، ومددت يدي بسرعة تحت وسادته فأخرجت (مسدسا) ثم رفعت اللحاف ، فانتصب امامي شاب ، ما ان رآه (ابو صرصور) حتى سماه رأسا (بالامير فدعان) ٠

★ ★ ★

اخذ المجرم (عقله) يرتجف امامي ، وقد امتقع لونه ، وارتعدت فرائصه ، ثم قال:
ــ انا قاتل ٠٠٠ انا سارق ٠

★ ★ ★

اصطحبت (الامير المزيف) الى خيمة من بيوت الشعر ، وبدأت بتسجيل افادته ..
وقد فاتني ان احتاط للطوارىء والمفاجئات .

لقد اخذتني دهشة الانتصار ، وصرفت عن تفكيري حلاوة النصر بالقبض على المجرم الاثيم ، ضرورة توزيع رجالي كدائرة حول مضارب البدو ، تحسبا لعملية غزو مفاجئة تخلص المقبوض عليه من يدنا .

لقد ارتد الي صوابي بعد برهة من الزمن ، فصحت في رجالي ان يتصرفوا ، وان يكونوا على حذر ، واخذت اسرع في قفل محضر الضبط لسوق المجرم الى حمص .

* * *

ان ماقدرته كان صحيحا ...

لقد بدأت العيون تتغامز من حولنا ، وكان الهدف (كما علمت وشاهدت) ان يتجمهر النسوة من حولنا ، ثم ينطلقن بالصراخ ، والولوله ، وهذه الاصوات كافية لاستفزاز نخوة الرجال ، فيهجمون علينا ، ويخلصون (عقله) من يدنا .

* * *

نهضت على الفور ، واقتدت عقله امامي مكبلا بالحديد ، وفي حينها انطلق النسوة يولولن ، فشهرت سلاحي ، واطلقت في الهواء العديد من العيارات النارية التي سمع لها دوي هز البادية ، وترك الارض امامي قفراً يلقعاً لا أثر فيها لاحد .

* * *

امتطيت والجاني السيارة ، وتابعت ورجالي اطلاق النار في الهواء ، الى أن ابتعدنا عن مضارب العشيرة ، وتابعنا السير فوصلنا حمص مع شروق الشمس ، حيث رمينا بالامير المزيف امام يد العدالة لتقول فيه كلمتها العادلة .

* * *

ليس لي من تعقيب على هذه الجريمة الا بقول عامي مأثور هو :

(حساب القرايا ، مابينطبق على حساب السرايا) .

* * *

(وقعت حوادث هذه الجريمة عام ١٩٦٣) .

* * *

من جرائم القتل الغامضة

نهايـــة الضـــلال !..

في كل مرة استعمل فيها كلمة « شقي » او « مجرم » لادلل على بطل الجريمة التي اسرد قصتها ، اشعر بألم نفسي عميق ، لاني ماتعودت الا الفخـر والاعتزاز بأمتي ، ومواطني ، ولاني اؤمن ان العربي ، من الخليج الى المحيط ، يملك كل مقومات الشرف، والشهامة ، والمروءة ، والرجولة ، هذه المقومات الخالدة في متون الكتب ، خلود الامـة العربية العظيمة ، هي التي دفعتنا للاعتزاز دوما وابدا بقدسية الرسالة العربية الخالدة، وهي التي ملأت الدنيا بأسرها حضارة ، ونورا ، واشراقا ، بدد مظالم القرون الوسطى، ونسف جهالات الامم ، وشيد مكانها صروح العلم والعرفان ، والعدل والحرية والمساواة..

★ ★ ★

في كل مرة اسمي فيها الاشياء بمسمياتها ، واضع النقـاط على الحروف ، اجـد لنفسي مبررا طبيعيا وبدهيا ، هو أن اي امة من الامم مهما تعاظمت وارتقت ، وتألقت، في مدارج الحضارة ، وتأنقت في بروج النور ، لابد الا أن يقع في محيطها جريمة ، وان، يكون بين افرادها مجرمون ، بصرف النظر عن الاسباب والمسببات والدوافع والعوامل، وتأثيرات المحيط او البيئة .

فالجريمة وجدت مع وجود الانسان ، وتطورت مع تطورات العصور والدهور ، فلا حرج ، ولا غرابة ان يكون بين خمس ملايين سوري يضاف اليهم مليون لاجىء ، ونصف مليون اجنبي ، عشرة مجرمين أو عشرين مجرما .

واذا أردنا ان نقارن مقارنة علمية قائمة على الارقام والاحصائيات ، بين الوضع، الاجتماعي في سورية ، وبين الاوضاع الاجتماعية في ارقى بلاد الدنيا ، كأمريكا ، او ايطاليا ، او غيرها من الدول الاوروبية ، لوجدنا ان سورية بلد نموذجي ، تكاد الجريمة، تنعدم فيه ، واذا ما وقع القدر ، وحصلت جريمة غير عادية ، فان وقوعها يكون نوعا من، الشواذ المستهجن لدى المجتمع ، حيث يساهم افراده الى جانب رجال الامن بالكشف عن، الفاعلين ، بل وفي حث القضاء ليكون حكمه رادعا وسريعا، يؤدي غرضه في الدرس والعبرة.

بعد هذه المقدمة البسيطة اقول :

(شويت) ، شاب غادر قرية نوى في حوران ، واتجه الى دمشق ليعمل في اسواقها وشوارعها بأعمال السخرة ، مرة ــ عتال ــ ومرة أخرى ــ فاعل ــ في ورشات البناء .

(شويت) وقد جلس على كرسي الاعتراف يسرد تاريخ حياته ومراحل الجريمة التي ارتكبها

لقد فطرته ظروفه الاولية ، على جفاف النفس ، وانحراف الخلق ، فلم يكن له أب عاقل يحسن تربيته ، ولم تكن له أم تؤدبه في مدرستها الاولى • وترضعه لبان الفضيلة، ومقومات الكرامة الانسانية •

وارجو ان اكون معذورا ، اذا قلت ان الحكومات السابقة كانت مقصرة الى حد بعيد حيال ابناء الريف ، فلم تجبرهم على التعلم ، ولم تضع امامهم الامكانات الضرورية، التي تؤهلهم لمواجهة المجتمع الانساني ، بما يتطلبه من علم وفهم وكياسة ، وما الفئات التي كسرت طوق الجهالة المفروض عليها في الريف ، وتزودت بزاد التقوى والصلاح والعلم ، واندفعت تساهم بشرف ونبل واخلاص في بناء هذا الوطن ، الا اولئك الذين سلخوا زهرة شبابهم ، والريق من عمرهم ، وهم منكبون على الدراسة والتحصيل ، يعيشون عيشة الفقر والكفاف من اجل مستقبل امتهم ومجد وطنهم •

هؤلاء ••• هم بحق مفخرة جيلنا العربي الناشىء ، الذين يجسمون اوسع معاني النضال الصامت الجريء ، سعيا وراء حياة افضل ، لا أثر فيها للغرور ، او الاثرة او الاستعلاء •

* * *

مرة ثانية ••• اعود الاصل الموضوع ••• فأقول :

(شويت) ، عرف في دمشق بالشقي العريق ، والمجرم المزمن ، وقد مكث في السجن العديد من المرات ، بجرائم مختلفة ، وقد حطت به الرحال في دار (امرأة)فاسقة من (دور النساء) ، وما هي الا ايام حتى (وافق شن طبقة) • وعاش (شويت)، (وزمردة) خليلين تحت سقف واحد في دار متداعية في احدى احياء دمشق القديمة •

* * *

مضى شهر كامل على العلاقة بين (شويت وزمردة) اكتشف خلالها ان في البيت (ثالثة) قطعت السبعة عشر ربيعا ، وقد مهرها الشباب الغض ، بالحيوية والاغراء ، فاندفع اليها باسم الزواج ، وبعد العديد من المحاولات ، تمكن (خليل الام) من التسلط على الابنة زهرة بعقد شرعي •

ولما كان الوضع الجديد يحتاج الى اثبات الموجودية ، فقد انصرف (شويت) الى اعمال اللصوصية ، واخذ يسطو على البيوت ، والجيوب ، ويضع حصيلة ما اثمت به يداه امام (زهرة وامها زمردة) •

لقد كان يلقى الوجه الباسم من زوجته الصغيرة ، التي تجهل كل شيء عن حقيقته • بينما الام (العجوز المتصابية) أخذ الغيظ يتملكها ، والحقد ينضخ صدرها ، والغيرة القاتلة من ابنتها تدفعها الى تقليب المجن للصهر الغارق في جرائمه من اجل ستر طابقه •

* * *

لقد امضى « اللص » شويت عدة شهور بعيدا عن قبضة العدالة ، وأخيرا وقع في الفخ نتيجة اقدامه على بعض السرقات الموصوفة ، فقبضنا عليه وأودعناه السجن بعد ان حكمت عليه محكمة الجنايات بالحبس ثلاث سنوات ٠

* * *

كانت زهرة تتردد على زوجها السجين ، وصلا للود القديم ، ورعاية للجنين الذي بدأ يتحرك بين احشائها ٠

بينما الام ، الخائنة المجرمة ، استعدت لعملية جديدة ، اخذت تروض ابنتها على قبولها ، وقد مهدت لها بتقديم شاب يملك الاستعداد لسد الفراغ الذي احدثه دخول (شويت) السجن ٠

* * *

لقد صدق رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، عندما قال :

(ما اجتمع رجل وامرأة قط ، الا وكان الشيطان ثالثهما)

لقد كانت العجوز الشمطاء ، تجمع الشاب بابنتها وتخلي بهما المكان ، وتولد عندهما الرغبة ، وتخلق الاستعداد ، ولما كانت النظرية التقليدية تقول :

(نظرة ، فابتسامة ، فسلام ، فكلام ، فموعد ، فلقاء) ، فقد تم اللقاء الفعلي بين الابنة والشاب على فراش الزوجية ، هذا اللقاء الذي اقام سدا منيعا بين زهرة وزوجها السجين ، وابعده نهائيا عنها ، ودفعها في المزالق الخطرة ، التي تتردى فيها عادة كل فتاة تزل بها القدم ٠

* * *

وعلى اعتبار ان القاعدة تقول (اذا قل ماء الوجه قل حياؤه) فقد شعرت زهرة بحاجة الى الطلاق من زوجها السجين ، رغم وجود طفل منه ، لا يعرف حيلة على ربه ٠ ولقد دعمت الام المتصابية هذه الرغبة عند ابنتها ، بمفاوضات بدأت تجريها مع (شويت) وهو في سجنه ليطلق الابنة ٠ ولكنها كانت تلاقي في كل مرة عنادا واحدا على استمرار الزوجية ، سيما وان همزة الوصل طفل صغير يجب ان يشعر بعطف الابوين ٠

وبعد كثير من المغريات ، وعديد من العروض السخية ، وبعد يأس كلي من جانب الزوج السجين ، قرر المتآمرون الثلاث ، (الام والابنة والعشيق الجديد) التخلص من الطفل ، لأنه الجسر الذي يصل بين (زهرة وشويت) ٠ وفي ليلة مظلمة امتدت يـد (زمردة الشمطاء) الى الملاك البريء فخنقته ورمت به في نهر بردى ، ثم اعلنت الحداد عليه ، وابلغت اباه السجين النبأ الفاجع ، واشاعت في الحي ان الطفل مات بالسكتة القلبية فجأة ، وانهم اضطروا لدفنه (بالدحداح) ٠

* * *

لم يصدق (شويت) ان فلذة كبده قد مات بشكل طبيعي ، لان مفاوضات الطلاق سبقت الوفاة المزعومة ، ولان الاخبار التي كانت ترده من الاهل والجيران ، تؤكد له ان (حماته زمردة) هي التي خنقت الطفل ، ورمت به في نهر الزبلطاني ، لذلك عقد العزم على الانتقام مهما طال الامد ، وصمم على الثأر ، لطفله ، ولقلبه المحطم ، ولشرفه الملوث •

★ ★ ★

اما (زمردة) فقد تصورت ان الجو قد خلا ، لها ولابنتها ، فراحت تسبح في بحر الفسق والفجور على هواها ، وبالشكل الذي يحلو لها • واطلقت العنان لابنتها ،لتشبع نهمها مما حرمه الله ، وحلله الشيطان •

★ ★ ★

مضت فترة من الزمن ••• وقضت ظروف عليا بأن يصدر عفو عام عن المساجين، وقد استفاد (شويت) من هذا القرار ، وغادر سجن القلعة ، يبحث عن زوجته ،ويحاول اعادة بناء كيانه العائلي المهدم ، ولو باللجوء مرة ثانية الى الجرائم والسرقات •

★ ★ ★

وفي الطريق ، من باب سجن القلعة ، الى دار الزوجية ••• كان (شويت) يفكر في طفله الذي قيل ان حماته قد خنقته ورمت به في نهر بردى •

كان يفكر في زوجته التي دفعتها امها للرذيلة ، والتي كانت اخبارها ترده تباعا وهو في سجنه •

لقد تجسمت في مخيلته (المترعة بالاجرام) تفاصيل مؤامرات (زمردة) عليه ولعب الشيطان دوره الهائل في ضمير (الخارج من السجن) حتى زين له حب الثأر والرغبة الجامحة بالانتقام المريع •

★ ★ ★

وصل (شويت) الى دار الزوجية ، فوجده مغلقا موصدا ، فعالجه (بمفك براغي) كان في جيبه حتى تمكن من فتحه دون ان يحدث ضجة ((حسب الاسلوب اللصوصي الذي يسلكه في حالات ارتكاب جرم السرقة •)

وهكذا دخل الدار ، وهو يمشي الهوينا وكأنه يريد ان يفاجيء من فيها ليعلم الحقيقة بنفسه •

فتح باب الغرفة التي تعود ان يعاشر بها (حماته) فوجدها (عارية حتى من ورقة التين) وبجوارها شاب تعرى من ملابسه واستلقى بجانبها •

جمد شويت في الباب ، واخذت الشتائم تنهال من فمه على كل من في البيت • بينما سارع الشاب الى الهرب من النافذة ساترا عورته بملابسه ، بينما نهضت (زمردة)

لتدخل معركة مع صهرها ، سلاحها فيه حذاؤها (ذي الكعب العالي) ، وسلاحه هو (مفك البراغي) الذي فتح به الباب •

★ ★ ★

تعاركت (الحماة مع الصهر) ، وأخيرا استطاع ان يطعنها عدة طعنات قاتلة (بالمفك) في عنقها ، وصدرها ، وبطنها ، فأرداها جثة هامدة وسط بركة من الدماء ، وزيادة في الحقد والكراهية سدد لها (طعنة الرحمة) ،وترك المفك داخل بطنها من الاسفل •

★ ★ ★

بعد ان ارتكب (شويت) جريمة قتل (حماته) اندفع لاخفاء معالم الجريمة ، فحمل (تنكة الكاز) وصب ما فيها على كل انحاء الدار ، واشعل النار فيها وغادر المكان الى حيث تدعو الحاجة الى الاختفاء والابتعاد عن عيون ، وشكوك رجال الامن •

★ ★ ★

شبت النار في البيت ، وارتفعت ألسنتها الى العنان ، وبدأ صراخ الجيران ،وقدمت الاطفائية ، والشرطة • وتم اطفاء الحريق ، وانتشلت من تحت الانقاض جثة اتى الحريق على معظم انحاء جسمها فتركه اسود ، مشويا ، كأنما وضعت في وعاء ماء حار شديد الغليان ثم اخرجت منه (مسلوقة مهلوطة) •

★ ★ ★

وردتني اخبار عن حادث الحريق ، وعن الجثة التي وجدت محروقة تحت الانقاض ، وقد وصف لي ان حادث الحريق يكاد يكون طبيعيا ، الا انني لم انسق مع هذا الزعم ، وطلبت ان يبقى كل شيء في مكانه ريثما احضر بنفسي لاطلع على واقع الحال •

★ ★ ★

وفعلا فقد توجهت برفقة الطبيب الشرعي وقاضي التحقيق الى مكان الحادث ، فلم نجد أثرا لجريمة ، انما وجدنا امرأة محروقة (اسمها زمردة كما قال الجيران) •

★ ★ ★

ـ من هي زمردة ؟!
ـ ما هي أوضاعها ، واخلاقها ، ومن هم اهلها ؟!
ـ هل الحريق حدث طبيعي ، ام انه وليد جريمة ؟!

★ ★ ★

هذه هي الاسئلة التي نطرحها على بساط البحث ، ولقد كان الاتجاه الاولي ، لدى الجميع ، ان الحادث طبيعي ، وان لا دليل يقوم على وجود جريمة ، الا أن ضميري لم يرتح رغم كل القناعات المنطقية التي تمركزت في مخيلة الهيئة الموجودة بكاملها •

قلت : اطلب تشريح الجثة ، وفحصها فحصا دقيقا عسى ان تكون الوفاة قدحصلت قبل الحريق ، وان يكون الحريق عملا استهدف اخفاء الجريمة ٠

★ ★ ★

استجاب الطبيب الشرعي لرغبتي ، وحملت الجثة الى دار التشريح ، وبوشر بفحصها ، وتشريحها ٠ وما ان لعب مبضع الطبيب في جسم الضحية حتى ظهر (مفك البراغي) في اسفل البطن ، فبدت الرغبة واضحة ، وظهر الحريق المفتعل ، واصبح من واجبنا البحث عن المجرم الاثيم ٠

★ ★ ★

عدت الى مكتبي استجمع افكاري من اجل الوصول الى الحقيقة ٠ وبعد القيام (بعملية حسابية) معتادة ، انطلقت ورجالي الى مكان الحادث اسعى لجمع اوسع المعلومات عن الضحية فتوصلت من الجيران الى معرفة النقاط التالية :

١ ـ ان للقتيلة بنتا متزوجة من شاب شقي يدعى (شويت) وقد دخل السجن بجرم سرقة ، وخلال وجوده في السجن مات طفله بشكل غامض ، وجرت محاولات من الضحية لفصل الابنة عن زوجها !

٢ ـ ان اخلاق الضحية لم تكن من النوع العادي ، وقد كان لها شاب معروف يتردد عليها ٠ وقد كان في دارها قبل الحادث ٠

★ ★ ★

استدعينا الابنة وقمنا بتحقيق مفصل معها توصلنا بنتيجته الى الصراع الذي كان بين الصهر (شويت) والحماة (زمردة) كما استطعنا ان نتبين معالم الطريق التي سارت عليها الابنة بعد دخول زوجها السجن ، كما تمكنا من الحصول على هوية الشاب الذي قيل انه كان يتردد على الام حتى يوم وقوع الحادث ٠

★ ★ ★

فتشنا عن الشاب الصديق للضحية ، واسمه قاسم ، وبعد جهد متواصل تمكنا من العثور عليه ، والتحقيق معه ، فأخبرنا بالتفصيل ما شاهده منذ اقتحم (شويت) الدار ، حتى ساعة اشعل بها النار ٠

★ ★ ★

بعد هذه المعلومات اتجهنا للبحث عن القاتل (شويت) ففتشنا عنه في كل مكان في سورية فلم نقع له على أثر ، فاتجهنا الى لبنان ، حيث اوفدنا عددا من رجالنا لتعقب اثر الجاني الاثيم ، وقد استطاع رجالنا العثور عليه في (صيدا) يعمل في احد اسواقها (كعتال) وينتمي في محيطها الى سياسي معروف بنفوذه ليحميه من يدالعدالة ٠

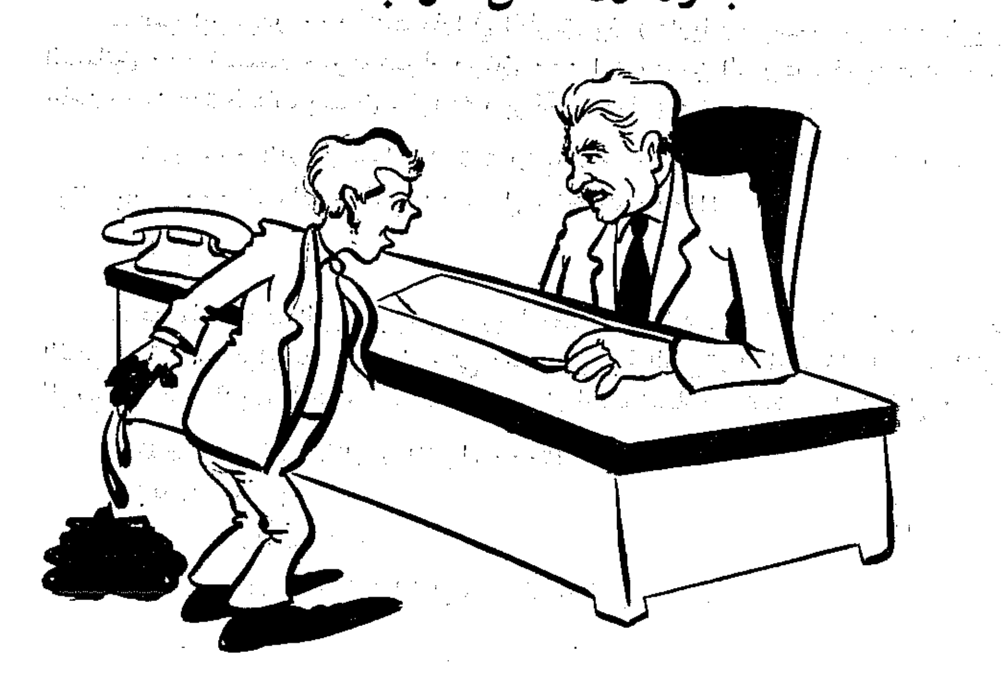
توجهت بنفسي الى بيروت ، واتصلت بادارة المباحث فيها ، وتفاهمت معهم حول موضوع الشقي (شويت) الذي يطلبه القضاء السوري ، وقد اصطحبت معي حسب الاصول القانونية اضبارة استرداد صادرة عن النيابة العامة في دمشق ٠ ولقد كان الزملاء الاكارم في لبنان متعاونين معنا لابعد الحدود ، فسهلوا لنا القبض على من نحن في صدده ، رغم معارضة السياسي الذي صمم على حمايته من حكم القانون ٠

وهكذا اقتدنا شويت الى دمشق ، وباشرنا التحقيق معه فاعترف لنا بكامل جريمته وقام بتمثيلها امام قاضي التحقيق ومصور الادلة القضائية ، وقد سطرنا الضبط القانوني اللازم واودعناه السجن حيث مثل امام محكمة الجنايات ونال منها القصاص الحق العادل ٠

★ ★ ★

من جرائـم القتل الغامضة

دبـور ون عـلى خراب عشـه



يداه ملطختان بالدماء وجاء ليمثل دور المخبر الشريف
فكان كدبور ون على خراب عشـه

طويت نهاري ، واستقبلت الليل ، قابعا وراء مكتبي امارس العمل المعتاد ، الذي وهبته الريق من شبابي ، والهنيء من سعادتي ·

كانت ليلة ممطرة ، مزمجرة ، كان حوارا قاسيا قائم بين السماء والارض ، ولكنه دوما يحمل الخير وبشائر السعادة والازدهار لبني البشر ·

لقد انتصف الليل ، وهدأت الحراكة ، وآوى الناس الى بيوتهم ، وقد شعرت أن لجسمي علي حقا ، وأن من واجبي بعد جهاد ست عشرة ساعة مستمرة ان اعود الى بيتي، والى عيالي وأولادي ، اشعرهم بوجودي ولو كانوا نياما · وفيما أنا أتهيأ للرحيل دخل

علي شاب تبدو عليه علائم الالم المصطنع ، والغيرة المفتعلة على مصلحة الامن ، ولكنه تظاهر بالجدية ... والبساطة ... وانسدح يقول :

* * *

ــ عمي ابو عبدو ...

ــ نعم ياعين عمك ...

ــ عمي ابو عبدو ... كنت مارا في الطريق بين (داريا وكفرسوسة) ... طريق البساتين ... فسمعت صوت شجار رجلين ... اقتربت من الصوت ، فوجدت احدهما يطعن رفيقه عدة طعنات بسكين ، فيدعه (بركة من دماء) . ثم يهرب .

ــ قلت ... اللهم لا حول ولا قوة الا بالله ... هذه جريمة في آخر الليل ... عونك يارب ... ثم ماذا ياولدي .. أكمل ، تحدث ...!!!

ــ قال :

ــ عندما شهدت الرجل يرتمي صريعا مضرجا بدمائه ، تملكني الخوف ، وعقد الذعر لساني ، فتراجعت على مهل حتى وصلت بداية الطريق العام ، فأسلمت ساقاي للريح ، وقد اهتديت اليك ، لاخبرك بما حصل لعلك تسارع وتقبض على القاتل .

ــ قلت : أتعرف القاتل أو المقتول ...؟!

ــ كلا ياسيدي !!

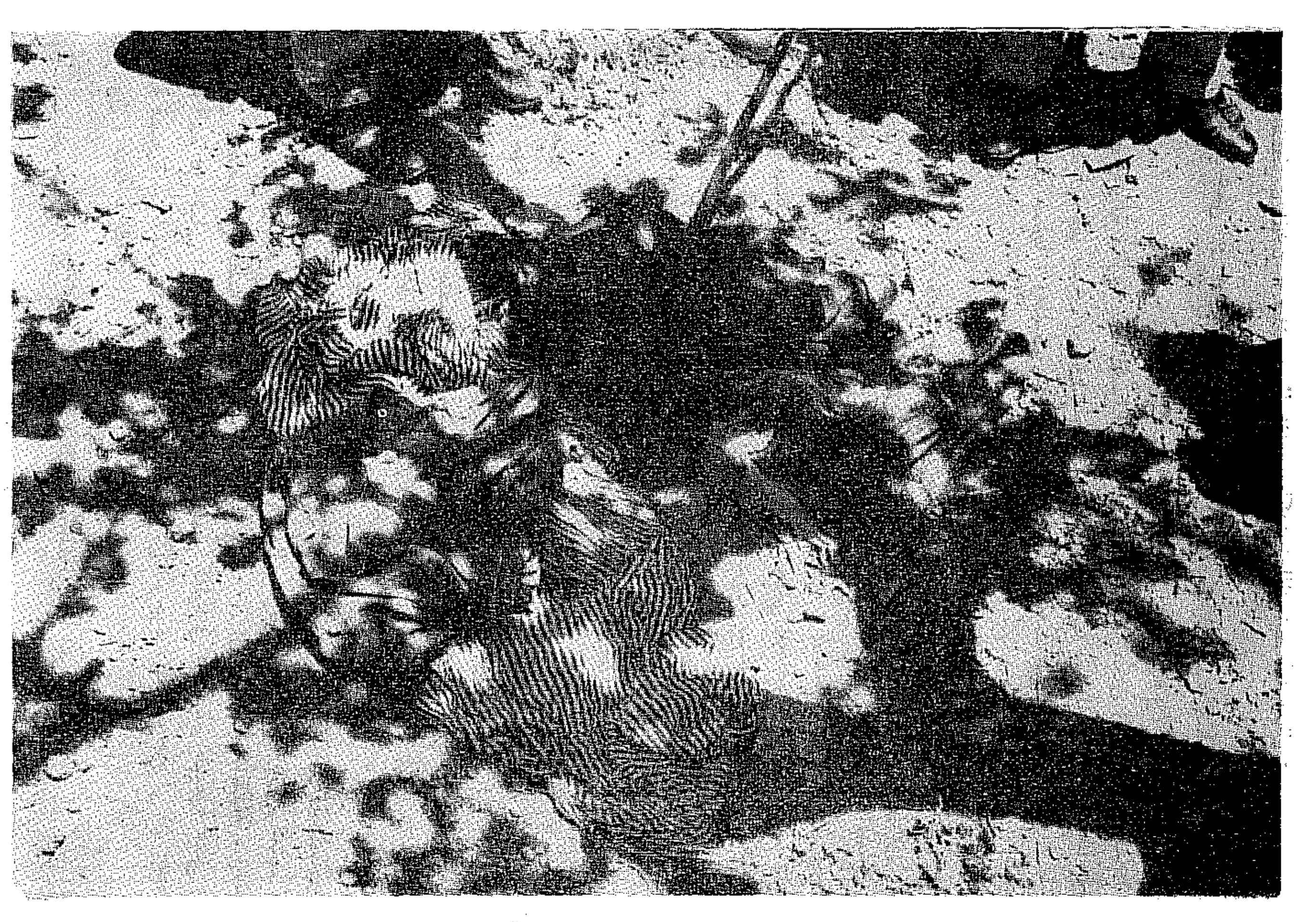
ــ ألم تتبين ملامحهما ؟!

ــ كلا ياسيدي ... الدنيا ليل ، والمطر نازلة بشدة !!!

* * *

رانت على الموقف فترة صمت ، كنت خلالها اتصور الحادث ، وادرس الجريمة على ضوء المعلومات الاولية ، فاندفعت بشكل لا شعوري اردد قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) . ثم رفعت بصري الى المخبر ورحت اتفحص هندامه ، ووجهه ، وأدرس انفعالاته ، وحركاته ، وفي أقل من طرفة عين شعرت ان خيوط الجريمة هي في يدي ، وانه لابد الا أن تكون للمخبر علاقة بالجريمة ، ولو من بعيد ، كما شعرت ــ بحكم تجاربي الطويلة ــ أن الذي يصطنع البساطة ، ويلبس ثياب الحملان الوديعة امامي ، له يدان ملطختان بالدم ، وان غباءه ــ الاحتيالي ــ هو الذي ساقه دون شعور منه الى القفص ، ومع ذلك تركت محدثي يشعر انه « بلغني » او « خدعني » وابتسمت له ابتسامة التصديق والرضا ، والاستحسان ... وقلت له :

ــ بارك الله فيك ... انك شاب نبيل ، غيور على أمن المواطنين وسلامتهم ، وان امامك واجبا جديدا هو أن تدلنا على مكان الحادث .



مشهد الجثة وهي مضرجة بالدماء

ـ اضطرب المخبر ، وتغيرت ألوانه ، ولكنه تمالك اعصابه وقال :

ـ امرك عمي ابو عبدو ··· انا تحت تصرفك ·

* * *

جهزت دورية ، أرفقتها بالمخبر ، وامرتهم بالتوجه الى مكان الجريمة ، وقد اشرت لرجالي ـ بطرف خفي ـ ان يعيدوا المخبر معهم · واتصلت بشرطة داريا اخبرها بوقوع جريمة في منطقة عملها ، وطلبت منها حسب الاصول البحث عن الجاني الاثيم ·

* * *

ذهب الجميع ، وبقيت في الغرفة لوحدي (أضرب اخماسا بأسداس) ، وأقدح فكري حول ظروف وملابسات الجريمة كما يصورها لي خيالي ، فكنت اسائل نفسي عن السر الذي دفع المخبر للاخبار في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، فلم أجد تفسيرا لهذه (الحمية المصطنعة) سوى انه شريك في الجريمة ، وان عمله هذا نوع من التمويه ، ودفع الشبهة عنه بالمستقبل ، وفيما أنا غارق في ابحاثي الخاصة ، ودراساتي الاوليــة لاوضاع الجريمة عاد الذين ارسلتهم ، ومعهم المخبــر ، يصفون لي وضعية القتيــل ، والطعنات الظاهرة على جسمه ، ويؤكدون لي ان الشرطة قد تولت التحقيق ، وفرضت الحراسة على الجثة ريثما يصل الطبيب الشرعي ، وقاضي التحقيق ·

* * *

اخرجت رجال المباحث من غرفتي ، وطلبت من المخبر ان يجلس امامي ، ورحت احدق في وجهه ، بعينين معبرتين وفم مغلق ، كنت اوحي له اني عرفت اسرار الجريمة ، وعرفت الفاعلين ، كنت اصطنع معه حربا نفسية (**بلغة العيون**) ··· وكان النجــاح حليفي ، لان العرق بدأ يتصبب من جبينه ، كما بدأت ألوان وجهه ، تكشف الستارة عن المسرحية من اولها لآخرها ·

* * *

لقد شقت حجاب الصمت المخيم على الغرفة ، حركة غير عادية في الغرفة المجاورة ·· ثم مالبث الباب ان انفرج ، ودلف منه عدد من رجال شرطة مخفر داريا ، وبرفقتهم ثلاثة اشخاص احدهم على حطته بقع من الدم ، وقيل لي ··· ان هؤلاء هم القتلة ، والعلامة (بقعة الدم على ثياب احدهم) · كما قيل لي انهم كانوا في حالة غير طبيعية عــلى بعــد مسافة قصيرة من مكان وقوع الجريمة · نظرت الى الوجوه ، فلم توحي لي ان اصحابها مجرمون ، قتلة ، فقلت :

ـ اخرجوهم ، اتركوهم ، ليسوا القتلة ، القاتل انا اعرفه ···

* * *

كنت اصطنع معه حربا نفسية (بلغة العيون)

خرج الجميع ، وهم في ذهول تام من تصرفاتي ، بينما (المخبر) انهار على مقعده ، وفتح فمه على لسان متخاذل ليقول :

ــ سأعترف لك بكل شيء ••• اعطني الفرصة ، اعطني الامان •

ــ جلست على مقعدي وقلت : تكلم بصدق ، لاني عرفت الحقيقة •

فقال :

انا ورفيقي أحمد نقطن قرية زملكا ، ومهنتنا حفر الآبار • وقد كانت لنا جولات ليلية حمراء ، حافلة بالخمر والنساء ، وكان استمرارنا على هذه الحال يحتاج الى المزيد من المال ، فاتجهنا الى البحث عنه ولو باسلوب غير مشروع •

لقد ساقتنا الاقدار الى التعرف على (ابي دياب) صنعته (حداد) ، وقد جرفه تيارنا المغري الى مصاحبتنا في خلواتنا بين البساتين في الدور • حيث كنا نشرت ونطرب• وقد لفت نظرنا ان محفظتهمترعة بكميات كبرى من النقود (ومن ذوات المئة ليرة سورية)، فأغرانا بريق النقود ، وتحركت في نفسينا نزوة الشر ، فأخذنا نتغامز ونستعد لجريمة فورية ، وقد كان تصميمنا الاولي (أنا ورفيقي أحمد) ان نقتل (ابو دياب) ونرميه في بئر من آبار القرية ، ولكننا لم ننجح لان الظروف لم تكن مواتيه ، فأجلنا العملية الى مناسبة ثانية •

وفي صباح هذا اليوم ، جاءني احمد وقد صمم على التنفيذ ، بعد أن تأكد أن (أبا دياب) يملك كمية وافرة من المال ، وقال لي : ندعوه لبساتين كفرسوسة ، وهناك بعد (كم كاس) نصفي حسابه •

★ ★ ★

اتفقنا على الجريمة ، ووضعنا تصاميمها ، وذهب احمد لعند (ابي دياب) وقال له : (دبرنا واحدة حلوة ••• آكاس ومازاوات بحبها قلبك) •

فوافق ابو دياب على مصاحبتنا ، واغلق دكانه وســـار الى جانبنا ، ومن دكاكين (المرجة) اشترينا (المشروبات والمازاوات) واتجهنا رأسا الى بستان في كفرسوسة ، وبدأنا نشرب ونأكل •

كان ابو دياب يسأل بين حين وآخر ••• « وين الحرمة ••• وين المرأة » ••
وكان أحمد يرد عليه (هلأ بتجي) •

وبعد أن دارت الخمرة في الرؤوس ، مد أحمد يده الى جيبه وكان فيه كيس صغير مملوء (بالصفية) • فأخرجه على حين غره ، وقذف بمحتوياته في وجه (ابي دياب) بينما انا احتضنته من الخلف لئلا يقاوم • وبأسرع من لمح البصر استل موسه وطعنه في رقبته وصدره حتى تركه جثة هامدة •

وما ان تأكدنامن موته حتى فتشنا جيوبه، فعثرنا في محفظتهعلى مبلغ (٧٠٠ل٠س) اخذناها ورمينا بالمحفظة بين الاعشاب ، وتركنا البستان الى الطريق العام حيث ركبنا الباص حتى محطة الحجاز ٠٠ وهناك افترقنا ٠

وفيما أنا في الطريق الى داري فكرت في ان احضر لعندك واخبرك لامحو عن نفسي الشبهة وهكذا فعلت ، ولكني وقعت في الفخ ٠ وهذه ارادة الله ٠

★ ★ ★

ما ان أتم المخبر « المجرم » حديثه حتى سارعت لتدوين اقواله وتنظيم الضبط الرسمي ، ثم اخبرت قاضي التحقيق الذي حضر على الفور ، وتابع مجرى التحقيق القضائي بنفسه على ضوء الاعترافات والمشاهدات في مكان وقوع الجريمة ، ثم اتجهنا الى البحث عن « المجرم الثاني » الذي هو الاساس في الجريمة ، ففتشنا داره وبحثنا عنه في كل مكان فلم نجده ، وكل الذي استطعنا جمعه من معلومات عنه ، انه سافر الى حلب ومنها الى تركيا ، وترك أغراضه كلها في الدار التي كان يستأجرها في زملكا ٠

★ ★ ★

انتدبت عددا من رجالي الذين اثق بهم لمراقبة الدار ، وكذلك (كاراجات الانطلاق لسيارات حلب ــ دمشق) للتعرف على الاشخاص الذين سيرسلهم (احمد) لجلب اغراضه من داره ٠ وبنفس الوقت عممت برقية (حسب الاصول) على كافة قوى الامن تتضمن اوصاف القاتل ومفصل اسمه والطلب بالقبض عليه ٠

مضت أيام ونحن بين البحث والترصد ٠٠٠ وفجأت تهبط في (كاراج باصات حلب ــ دمشق) امرأة ، وتبادر الى السؤال عن قرية زملكا كانت لهجتها (حلبية) وشكلها موضع ريبة من (رجل المباحث المكلف بالمراقبة وهو السيد شريف ديركي) فترصدها وتبع خطاها ، حتى وصلت الى دار (احمد) وجمعت اغراضه وقفلت راجعة الى حلب ٠

تبعها ٠٠٠ موفدنا (شريف ديركي) الى حلب ، منزويا في مؤخرة السيارة ، وكان يرتدي الثياب البدوية الرثة ، وبعد سبع ساعات وصلت السيارة الى حلب ، حيث اتجهت المرأة فورا الى دار في محلة السفاحية ٠٠٠ ولما طرقت الباب ٠٠ صاحت بصوت خافت ٠٠٠ (افتحوا لقد عدت من الشام) ٠ وما ان فتح الباب ، حتى سمع (موفدنا) صوت رجل تصوره انه هو المقصود فاقتحم الدار ، واشهر مسدسه في وجه



الخمر باب الموبقات والطريق الى الجرائم الكبرى

الرجل ، وعرفه على هويته بأنه من رجال المباحث ، وبين العويل والصراخ والولولة ، اقتاد رجل المباحث (الجاني احمد) الى اقرب مخفر للشرطة حيث اتصل بي من حلب وشرح لي ما توصل اليه ، فطلبت منه جلب المجرم مخفورا الى دمشق وهكذا كان ٠

ولعلها مناسبة ان اثني على رجولة رجل المباحث السيد شريف ديركي ، فلقد سجل بطولة نادرة في عمله هذا ، ولكنه بنفس الوقت ارتكب عدة اخطاء كانت بمثابة السيئات التي تمحوها الحسنات ٠ وهذه الاخطاء اذكرها على سبيل المثال خوفا من أن يقع بها غيره ٠ وهي كما يلي :

١ ـ لقد اقتحم الدار لوحده ، دون ان يكون لديه اذن رسمي من مقام النيابة العامة بحلب ، وهذا تحد لمنطوق القانون لا أريد لاحد من رجال الامن أن يقعوا به ٠

٢ ـ لقد اقتحم الدار بمفرده ، ولو كان للمجرم اخوان او اصحاب مسلحون لكانوا اعتدوا على رجل المباحث وقتلوه بداعي انهم لايعرفوه ٠ ولكن الذي حمى (شريف ديركي) رجولته وايمانه بواجبه ، فله الشكر وله مني شخصيا العذر ٠

والان اعود الى صلب الموضوع ٠

وصل المجرم احمد مخفورا لدمشق ، واعترف امامي بتفاصيل جريمته بعد أن عرف ان رفيقه قد اعترف اعترافا كاملا ، وقد قام المجرمان بتمثيل الجريمة وسطرت لهما الضبوط اللازمة وقدمتهما الى العدالة حيث قالت كلمتها الفاصلة ٠

★ ★ ★

فلقد حكم على الاول بالاعدام ونفذ فيه الحكم ٠ ونال الثاني خمسة عشر عاما سجنا مع الاشغال الشاقة ٠

★ ★ ★

من جرائـم القتل الغامضة

دفاعـاً عن الشرف

جرائم القتل دفاعا عن الشرف او ثأرا للعرض الملوث ، كانت فيما مضى جرائـم عادية ومألوفة ، وذات صدى مستحب في كثير من الاوساط ، حتى ان القاتل رغم تواريه بين قضبان السـجون ، كان اهله وذووه ، يضفـرون بألسنتهم أكاليل الغار عـلى جبينه ، ويلبسونه ثياب الابطال لانه غاسل العار ، ومحرر الاسرة او المجتمع مما علق به من شوائب · ولعل هذا المفهوم الخاطىء قد انتقل الى العصر الحاضر تدرجا من عهود الظلام ، ابتداء من العصر الجاهلي الذي سبق الاسلام ، يوم وأد سيدنا عمر بن الخطاب ابنته وهي على قيد الحياة تداركا لعار تخيل انه سيلحقه منها في المستقبل ·

وعلى الرغم من انبثاق نور الاسلام ، واتخاذ القرآن الكريم شريعة فيهـا النـور والهدى ، والحق والعدل ، فان جرائم القتل دفاعا عن العرض والشـرف ، ظلت من العادات السائدة في دنيا العرب ، نظرا لاعتزاز العربي بشرفه ، واستماتته في الدفاععنه·

اما الان وقد ساد المنطق الحضاري المعزز بروح العلم ، والمتوج بسيادة القانون ، فقد حظر المشرع ارتكاب اي نوع من الجرائم مهما كانت المبررات لها وجيهة ، لانه اوجد العقوبات الرادعة ، والاصلاحات المنطقية ، لكل من زلت به القدم في مستنقعات الرذيلة، وقد يسأل سائل عن سر عدم اعدام اي قاتل ارتكب جريمة قتل دفاعا عن الشرف او غسلا للعار ، او تشديد العقوبة عليه · وجوابنا على هذا السؤال (رغم قصر باعنا في المجالات الحقوقية والقانونية) هو ان القاتل يحكم بالاعدام اذا كان قد ارتكب جريمته بدافع اجراميوبدون مبرر معقول، وكانت فعلتهعمدا مع سابق اصرار وتصميم واشباعا لنزوة خاصة ، اما القاتل دفاعا عن الشرف او غسلا للعار ، فان ارتكابه للجريمة يكون بدافع غريزي ، المجتمع من أكبر اسبابه الموجبه ، فمن لوث العار وجهـه لايمكن ان يستقيم له عيش رغيد حتى يمحو عاره ، ومن ناحية ثانية ، قد لايكون هنـاك مدع شخصي يطلب العقاب للقاتل ، اذ قد يتفق الاهل على تبرير العملية من اساسها ·

* * *

نحن لاندافع عن القاتل مهما كانت الدوافع والاسباب الموجبة • كما أن القضاء السوري بعدله وحكمته ، يطالعنا بأحكام رادعة ، حفظا على انسانية الانسان ، ومنعا للتفكير في الجريمة ، في ظل السلطة ، وتحت راية القانون •

ونحن نرى ان الحق كل الحق بيد القضاة ، لان كثيرا من المجرمين ارتكبوا جرائم فظيعة وقاسية ، وادعوا كذبا وزورا ان اسبابها الدفاع عن العرض او الثأر للشرف •

* * *

وبعد : سنتحدث عن جريمة اتخذنا لها عنوانا (دفاعا عن الشرف) ونحن اذ نرويها مغفلين الاسماء والزمان والمكان ابتعادا عن التشهير ، فاننا نسردها كجريمة غامضة قامت الادارة الجنائية بكشفها رغم مرور سنة ونصف على وقوعها ، ورغم عدم وجود اثر يدل عليها •

اما خلاصتها فهي كمايلي :

* * *

من عادة بعض الفلاحين ، عندما تمحل المواسم الزراعية ، ان يضعوا اولادهم وخاصة (البنات) خدما في دور الاغنياء في المدن • وعلى الرغم من ان هذه العملية هي نوع من الاسترقاق ، او السخرة غير المشروعة ، فانها عادة متبعة منذ قديم الازمنة •

واذا كان للسوري العربي مجال للفخر ، فمجاله رحب بعد ثورة الثامن من آذار المباركة ، التي حررت العامل والفلاح من ظلام الاستعمار الطبقي ، وردت له في ظل الاشتراكية القائمة على العدل ، انسانيته وكرامته وعزته ، ودفعته للشعور بحقوقه وواجباته ، بل وحفظت له حقوقه بسياج من القانون ، والتنظيم الثوري ، الذي نسف الاستغلال ، وحطم قيود الاسترقاق ، واعطى ماللقيصر لقيصر •• وما لله ••

* * *

قلنا ان من عادة الفلاحين ان يستخدموا بناتهم في المدن ، وهكذا فعل جورج مع شقيقته جورجيت •

امضت جورجيت ثلاثة شهور في (احدى الدور) تقوم بواجب الخدمة ، بينما كان اخوها ، يتنسم عن كثب اخبارها ، فكانت ترده بعض المعلومات التي لا تشجعه على الاستمرار في استخدام شقيقته ، فنقلها الى دار ثانية ، ثم ثالثة ، وأخيرا شعر أن العلة خبيثة ، والداء بدأ يستفحل ، فلم يجد بدا من القيام بعملية الرقابة والترصد ، لجمع المعلومات الصحيحة البعيدة عن الكلام المنقول او الصور المحرفة •

وفي يوم من الايام شاهد الاخ اخته متأبطة ذراع شاب في وضح النهار ، يتبختر واياها في الشوارع دون ان تقيم وزنا لاي اعتبار ، مسقطة من حسابها كل عرف أو تقليد • فتبعها متخفيا متسقطا الحديث ، شاهدا ما وراء الحديث ، حتى انتهى المطاف، وتخلت عن رفيق الطريق ، فتقدم منها ، وافهمها ماسمعه عنها ، وما شاهده بأم عينه ، وطلب منها سترا لواقع الحال ان تغادر المدينة ، وتعود الى القرية ، تمنعت جورجيت من الذهاب في بادىء الامر ثم نزلت عند الامر الواقع ، ورضخت لمشيئة شقيقها، واتجهت لجمع حقائبها من الدار التي تعمل بها •

وفي هذه الفترة اجرى جورج اتصالاته مع بعض النسوة المطلعات على بواطن الامور ، فتأكد ان شقيقته قد هوت في مزالق الرذيلة ، ولم تعد عذراء ، عندها ضمر الشر اشباعا للغريزة الجاهلية ، التي تقول بضرورة غسل العار ، ولكنه كظم غيظه وتظاهر بنسيان ماحدث ، حتى ادخل الطمأنينة الى نفس جورجيت •

★ ★ ★

وبعد أيام توجه الاخ واخته الى القرية ، وقبل الوصول الى مشارفها دعى الاخ اخته للمرور في (كرم التين) لان الطريق اقصر وايسر الى القرية ، فلبت الاخت دعوة اخيها ، وسارت الى جانبه مطمئنة هانئة ، وبجانب جذع شجرة ، حيث لا عين ترى ، ولا أذن تسمع ، قفز الاخ على اخته وطعنها بسكين حادة ثم وأدها في حفرة وواری جسدها في التراب ، ودخل القرية ليشيع بعد أيام ان اخته مفقودة ، وانه يجهل كل شيء عن مكان وجودها ، وانه يتقصى اخبار هربها ليعيدها الى حظيرة الدار •

مر العديد من الشهور ، وانقضى على الجريمة سنة ونصف ، وعممت حسب الاصول البرقيات اللازمةعلى قوى الامنبفقدان الابنة جورجيت، وانقطعت اخبارهانهائيا•

وفي يوم من الايام جاءني مخبر يروي لي قصة القتل ويحدد لي مكان وجودالجثة• توجهت فورا الى القرية ، استدعيت (الاخ) للتحقيق معه ، فأنكر الجريمة من اساسها وسلك معي اسلوبا قوامه التمويه والمراوغة ، وعلى الرغم من متانة اعصاب القاتل كان ايماني يؤكد لي بشكل جازم بأنه هو مرتكب الجريمة •

اخذت ابحث وانقب ، وانبش الحفر التي اشتبه بها ، فلم أصل الى نتيجة، واخيرا قلت لابد الا أن يكون (خوري القرية) على علم بالجريمة وكذلك الحال مع (مختار القرية) استحضرت الاثنين ، وبدأت احقق معهما بمعزل عن القاتل المنكر ، فلم أصل الى نتيجة ، فهددت باستعمال الشدة والعنف ، وماكدت الوح بالعصا بوجه (المختار)حتى

انفجر معترفا بتفاصيل الجريمة ، مدعيا ان جورج هو الذي باح له بالسر ، وطلب منه **كتمانه** ٠

اصطحبت الثلاثة (المختار والخوري ، والقاتل المشتبه) الى مركز الادارة الجنائية وفيما انا في الطريق اعتذرت للخوري وافهمته ان اصطحابهمعي هو لمساعدتي في الوصول الى الحقيقة لا اكثر ولا أقل ، فشكرني وصمم على دعم موقفي ٠

وفي مكتبي في الادارة الجنائية اجريت التحقيق والمقابلة الوجاهية بين المختاروالاخ القاتل ٠٠٠ وما ان سمع جورج اعتراف المختار ، حتى انهال عليه بالتوبيخ لافشائه السر بعد ان قطع له العهد والوعد ، والتفت الي ليقول لي ٠٠

ـ عمي ابو عبدو ٠٠ انا القاتل

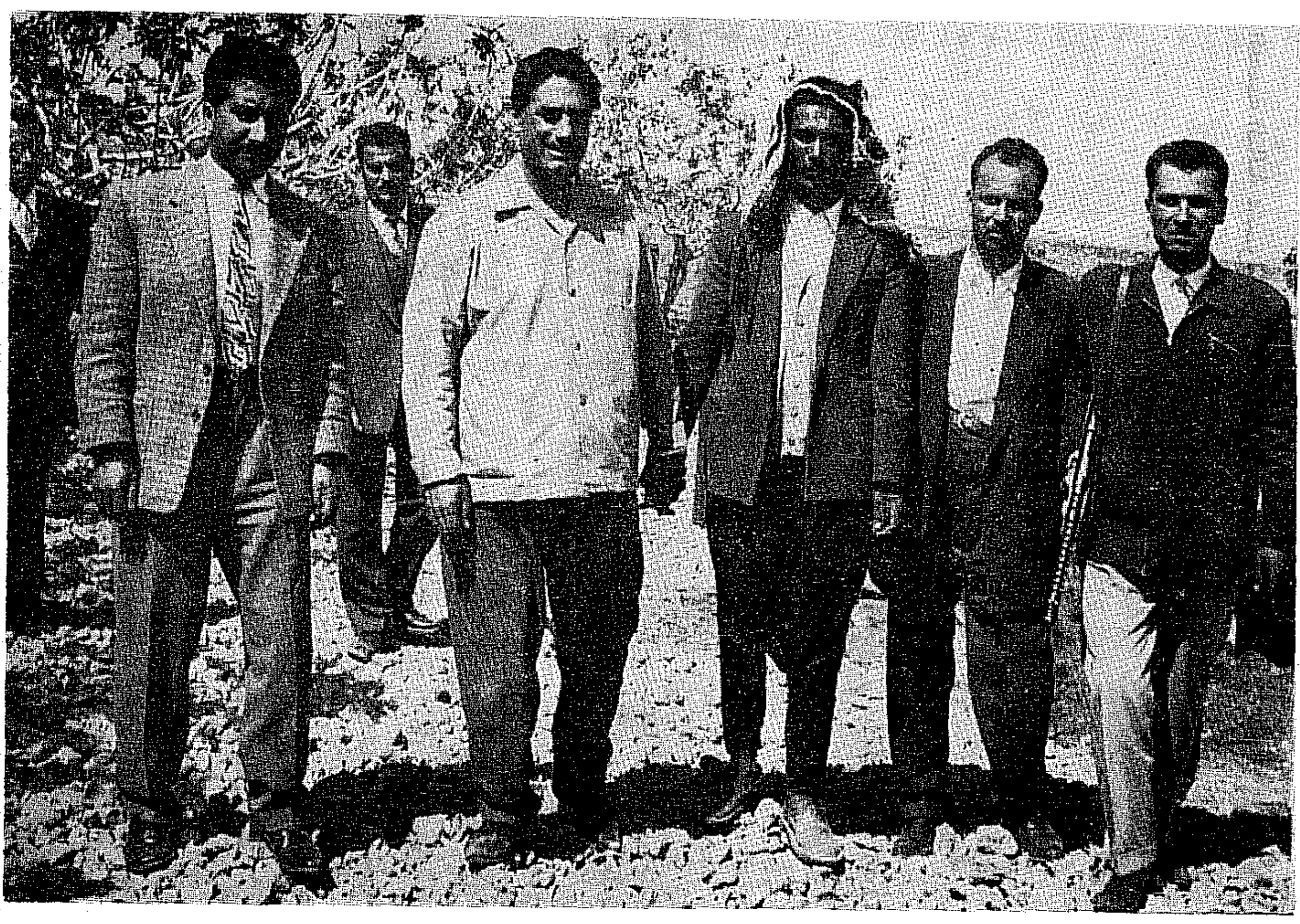
ـ وذهبنا سوية مع هيئة الكشف وقاضي التحقيق والطبيب الشرعي سوية الى حيث ترقد الجثة في حفرتها (بكرم التين) فوجدت الذباب الازرق يحوم فوق الحفرة مما يدل على وجود الجثة ٠ فنبشنا الحفرة ، واخرجنا الجثة ، واجرينا التمثيل لواقع الجريمة كما حدثت ٠ وعدنا ثانية الى الادارة الجنائية لنسطر الضبط اللازم ونقدم الجاني للقضاء الذي قال فيه كلمته العادلة ٠

* * *

هذه جريمة اكتشفت بعيدا عن مهارة رجال المباحث ، لان المخبر لعب فيها الدور الرئيسي ومع ذلك فان السير بالتحقيق باسلوب مركز ادى الى كشفها بشكل واضح بداية ونهاية ٠٠ وبالمناسبة لايسعني الا ان اثني على النشاط والجهد الذي بذله النقيب هيثم شورى ورجال الادارة الجنائية خلال البحث والتنقيب حتى اصبحت الجريمة مكشوفة بالنسبة لنا ٠



القاتل ينبش الحفرة ليخرج منها الجثة وذلك اثناء تمثيل الجريمة



انتهت مرحلة تمثيل الجريمة وها نحن في الطريق الى حيث يلقى الجاني وجـه العــدالة

من جرائم القتل الغامضة

الحسود

لله در الحسد ما أعدله ، بدأ بصاحبه فقتله ....

مرت بدمشق ، وغوطتيها الجميلتين سنين قحط عجاف ، ابتدأت عام ١٩٥٦ ، وتضاءل بردى ، فلم يعد يروي الزرع ، ولا يشفي غليل الضرع ، وغدا كل فلاح أو مزارع يفكر في حفر بئر في ارضه ليروي زرعه .

وهكذا فعل (احمد) في كرمه في داريا ، وقد جاد عليه رب السماء بالماء الغزير ، فسقى ارضه ، وباع جيرانه .

الا أن جاره « صطوف » حفر عدة حفر لم يرزق بواحدة منها الماء الذي ابتغاه ، فتطلع حسدا الى جاره ، وقال له : يجب أن تشاركني في الماء ، لانها هبة رب العالمين ، والهبات السماوية لايمكن ان يحتكرها انسان لوحده .

فقال له أحمد :

لقد حفرت أرضي ، وصرفت الاموال الطائلة على تجهيزات البئر ، ولا يعقل ان أجعل لانسان شراكة معي في ارضي ، أو فيما رزقني ربي .

الا أن « صطوف » اصر على طلبه ، وبدأ يهدد ويتوعد ، ويرغي ويزبد ، بينما أحمد أدار له ظهره ، واعتبر كلامه (نباحا بدون صدى) .

وفي يوم من الايام ، كان أحمد يتجه الى مزرعته ، ممتطيا دراجته العادية ، فربض له جاره ، ورماه بعدة طلقات من بندقية صيد أرداه قتيلا ، واسلم ساقاه للريح .

* * *

شاع الخبر في قرية داريا ، وانتقل الى اسماع سلطات الامن ، ودوائر النيابة العامة ، فصدرت الاوامر بالقاء القبض على الجاني الاثيم ، وبدأت الشرطة تطارده حالما تسمع بمكان وجوده .

اما « صطوف » فقد استطاب « الشقاوة » ووجد في الاجرام لذة ، فشكل عصابة ،

واخذ يسطو على أموال الناس وأرزاقهم واعراضهم ، مهددا ، بقتل ونسف كل سلطة تسعى للقبض عليه .

وتسمع السلطة المسؤولة بأخبار القاتل الذي اصبح زعيم عصابة ، ويشاء وزير الداخلية أن يحملني مسؤولية القبض على الجاني ... فيستدعيني ويسلمني أمرا اداريا وآخر قضائيا بالقبض على (صطوف) حيا أو ميتا .

تلقيت الامر وكلي ثقة بالله ، واعتداد بالنفس ، الا أن بعض الزملاء نصحوني بعدم تعقيب هذا الشقي ، لانه من النوع الخطر ، ولانه انسان اتخذ القتل شريعة ، فأجبتهم، أن حياتي هي ملك لامن بلادي ، وان وجودي لامعنى له مطلقا ، والشقاة يسرحون في ربوعي .

لقد كانت نصيحة الزملاء بمثابة حافز لي للمزيد من العزم والتصميم على ركوب المركب الخشن ، واندفعت مع عدد من رجالي الاشاوس امثال النقيب هيثم شورى ، والسادة : نسيم الخوري ، اسماعيل مخللاتي ، عبد الحي بللو ، وغيرهم . كما ارسلت العيون السرية ترصد مكان وجود المجرم ، فجاءتني الاخبار الاولية ، انه يقيم معءصابته في ارض الغوطة الغربية ، فتأهبت للقائه بعد منتصف الليل ، ودخلت .. مع رجالي أرض الغوطة من ناحية (القدم) وبدأنا نبحث بين الكروم والبساتين حتى أشرقت الشمس ولم نصل الى نتيجة ، وفيما نحن نهم بالعودة ، لمحنا رجلا مسنا في حالة غير طبيعية ، اقتربنا منه بعد ان همس هامس في اذننا (ان هذا الشخص المسن هو والد القاتل الذي نبحث عنه) ، وقلنا له :

ـ صباح الخير ياعم .
ـ الله يصبحكم بالخير
ـ صطوف تعرف أراضيه
ـ لا والله
ـ ألست ابوه
ـ نعم أنا أبوه ولكن لا أعرف له أثر .

* * *

لقد كان لابد لي من توقيف الاب ، واستجوابه ، لايماني بعلمه مكان وجود ولده وهكذا فعلت ... وأحضرت الأب لمكتبي وباشرت التحقيق معه ، وبعد أخذ ورد ، قال الأب :

لقد علمنا بتحركاتكم منذ وصلتم منطقة القدم ، وقد كنت اترقبلكم شخصيا ، فأنا أب ، ومن الصعب علي ان اسلم فلذة كبدي لحبل المشنقة ، حتى ولو كان مجرما قاتلا

شقيا • الولد قطعة من الكبد يا أبو عبدو • وهكذا اعلمت ولدي فهرب الى دوما ومنها سيسافر فورا الى الاردن ، واغلب ظني انه وصل الان الى عمان •

* * *

تركت الأب ، وشأنه ، ورحت ابحث باسلوب (المخبرين والمرشدين) بطرق سرية لمعرفة مكان وجود القاتل (صطوف) وبعد يوم وليلة جاءني هاتف من احد المخبرين يقول لي ان مرشدا يعرف مكان وجود القاتل ، ومستعد للدلالة عليه ، ينتظرنا في مقهى (دوما) ،يلبس حطة حمراء على رأسه ، وسروالا أزرق ، وفيه من العلامات الفارقة كذا وكذا ، وبيده (سبحه حمراء لها شرابة •

* * *

نهضت من وراء مكتبي مسرعا حيث امتطيت السيارة ، وكان بصحبتي كل من نسيم الخوري واسماعيل المخللاتي ، واتجهنا فورا الى مقهى دوما ، فوجدنا الشخص الذي اعطيت لنا أوصافه بالهاتف ، فحييناه وجلسنا بجانبه ، وبعد ان تم التعارف بيننا قال لنا :

ـ ان الذي تبحثون عنه هو القاتل صطوف ، وقد التجأ الى عرب الشعلان قرب قرية عدرا ، وهو حاليا موجود في احد بيوتهم، وانني اعرفها، وسيسافر اليوم الى الاردن•

ـ قلت له : وهل لك ان ترافقنا وتدلنا على المكان لئلا يقع معنا ما يضللنا •

ـ قال : والله انني اخاف ، لاني اذا سلمت من القاتل ،لا أسلم من (عرب الشعلان) فهم جماعة مسلحة •

ـ قلت له : سترافقنا شئت ام أبيت ، واذا كان توجيهك لنا توجيها كاذبا فلسوف نحاسبك •

* * *

رضخ « الدليل » للامر الواقع، ورافقنا الى مكان وجود ضالتنا، كان الحر شديدا، وكانت شمس الظهيرة ترسل القيظ وكأنه « لفح الهاجر » • وما ان شارفنا على المكان المقصود ، حتى اشار الينا دليلنا بقوله :

ـ هناك ••• في هذه الخربه ، يجلس صطوف ، وبعض (العرب المسلحين) •

* * *

في هذه اللحظة شعرت اني بدون سلاح ، وان خروجي على عجل أفقدني الوعي

حتى نسيت سلاحي ، اما الشرطيان المرافقان لي فكانا يحملان مسدسين فقط ٠ فقلت في نفسي (الله معنا) الله ناصرنا وحامينا ٠

تسورنا حول البناء المهدم أو (الخربة ـ كما يسميها الفلاحون) ، وأخذنا نتلصلص على من فيها فشاهدنا صطوف نائما وعلى ذراعه بندقية حربية المانية وبجانبه (ثلاثة من عبيد الشعلان) نائمين ايضا يتأبط كل واحد منهم (مدفعا رشاشا) ٠

أمرت مرافقي أن يشهر كل منهما مسدسه ويتسلق جدارا من جدران (الخربه) وان يطلق النار لدى اي حركة ، ثم تسللت (الهوينا) حتى صرت فوق رأس النيام ، وقبضت على البندقية الحربية ، وجعلتها سلاحي ، ثم ركلت برجلي (صطوف) ففتح عينيه ليرى بندقيته مصوبة الى صدره ، فعقد الخوف لسانه ، فأشارت له على الفور ان ينهض صامتا دون كلمة ٠٠٠٠ ففعل ، واقتدته أمامي ، بينما بقي حراسه الثلاثة يغطون في نوم عميق ٠٠

وعلى بعد مئة متر من الخربه حيث صرنا بجانب سيارتنا فتشت (صطوف) تفتيشا دقيقا ، ثم وضعت (الجامعة) في يده واقتده الى الادارة الجنائية حيث سطرت الضبط اللازم وأودعته القضاء حيث نال الجزاء العادل ٠

وقبل ان انهي سرد هذه القصة ، لابد لي من كلمة صغيرة ، وهي اني ارتكبت خطأ كبيرا عندما تعقبت المجرم في اراضي (دوما) دون ان يكون معي سلاحا ودون ان يكون معي قوة كافية ٠ وانني اعترف ان (يد الله كانت معنا) وقوة الله القاهرة هي التي القت النعاس على المجرم وحراسه ، حتى ناموا فداهمناهم نياما ، اذ لو كانوا متيقظين لوقع اصطدام بيننا ، ربما ادى الى مقتل واحدا أو اكثر منا ٠ ولكن الله ـ جلت قدرته ـ حفظنا وكان معنا في خدمة الحق والعدالة ٠

★ ★ ★

المخدرات وأسلوب مكافحتها

المقدمـــة :

لقد بدأت معركة الخير والشر منذ الازل ، وقامت الحرب على الجريمة منذ خلق البشر ، والمخدرات لون من الوان الشر الموجود على ظهر البسيطة ، وبلاء عام أبتلي به ابناء الإنسانية فمنهم من اعتصم بالله فآثر ان يحيا حياة كريمة في ظل الفضيلة حتى يكون مواطنا صالحا في محيطه ووطنه ، ومنهم من آثر الحياة الدنيا فعبث وتولى وظل يطلق للنفس عنانها في ملذاتها وشهواتها غير عابىء بما يصيبه او يصيب مواطنيه من اضرار طالما استشعر الخير ولو كان زائلا على حساب ودمار هؤلاء المواطنين وهلاكهم ، ومن هؤلاء الطغمة الفاجرة مهربو المخدرات ٠

والواقع ان تعاطي المواد المخدرة والادمان عليها له اتصال وثيق بكافة الجرائـم التي تختل بسببها النظم الاجتماعية كالقتل والسرقة والنصب والاختلاس فضلا عما تجره وراءها من تفكك في الاسر بسبب مايقع من حوادث التفريق وما يتبعه من تفريط في الاعراض وتشريد للاولاد ، وما تلحقه من دمار وانحلال في معنويات الشعوب ، وما الدافع الرئيسي لتهريب هذه المواد الا جني الارباح الخياليــة غير المشروعة في غمضــة عين ، تدفعهم الى شراء الذمم واضعاف الضمائر الحية ناشرين معهم جرائم الرشوة لكل من يكفر برسالتهم ، ويبيع نفسه بيع الهوان ممن قد تزل قدمه في أغوار الجريمة والرذيلة ٠

وهكذا استيقظ الوعي الانساني العام وفطن الى خطر المخــدرات وضررها مـع انعدام فوائدها ماعدا استعمال بعضها طبيا في الحالات المرضية احيانا ٠٠٠ انها صحوة كلها صيحة تتجلى في اهتمام الامم المتحدة بمشكلة المخدرات والتعمق في مكافحتها عـلى ضوء دراسة ايسر السبل في هذا المضمار ومن ثم فتح المجال أمام الصحافة العالمية لنشر آراء الاجتماعيين والاداريين ورجال الدين وعلماء النفس والاطباء وغيرهم ٠٠٠ صحوة كلها استنكار عارم يتمثل بصورة عملية في الجمعيات التي تعمل جاهدة لمكافحة المخدرات وعلاج مدمنيها والمؤتمرات الدولية والنداءات العالمية من خطر محرق تدق أجراسه عنان السماء لانقاذ جحافل الابرياء ٠

١ ـ بحث تاريخي وعلمي واجتماعي وديني والدوافع التي مهدت لانتشار هذه المخدرات على اختلاف انواعها ودور الامم المتحدة باقامة تعاون دولي للرقابة على المخدرات

آ ـ في العصور القديمة :

منذ قرابة ٥٠٠٠ سنة قبل مولد المسيح ، سجلت اول بيانات في التـاريخ عن المواد المخدرة ، في المنطقة التي تعرف في العصر الحديث باسم « العراق » ٠



رئيس قسم المخدرات في الادارة الجنائية النقيب ابراهيم العاسمي

وقد اوصى الطبيب اليوناني الكبير « ابو قراط » ، الذي عاش في القرن الرابع قبل المسيح ، باستعمال عصائر الخشخاش البيضاء في علاج بعض الامراض • كما قطن قدماء المصريين وغيرهم من الشعوب المتقدمة التي عاشت في العصور التاريخية الاولى ، الى الفوائد الطبية الهامة لبعض المواد المخدرة •

ولاحظ الاسبانيون اثناء غزوهم امريكا اللاتينية واستكشافها ، ان مضغ اوراق الكوكا يبعث النشاط في السكان الوطنيين ، ومن هذه الاوراق استمد الكوكائين اسمه فيما بعد •

الا أنه يبدو ان احدا لم ينتبه الى الاضرار التي تنجم عن سوء استعمال المواد المخدرة الا في القرن الثامن عشر ، عندما حظر الامبراطور الصيني « يونج شن » تدخين الافيون • وكان استيراد الافيون الى الصين قد انتشر انتشارا كبيرا ، حتى اصبح تجارة رابحة ، بسبب تفشي الادمان بين الصينيين الا ان قرار الحظر الذي اصدره امبراطور الصين لم يكن له اي اثر في مكافحة هذه الآفة وقتئذ •

اما الحشيش فأول ماعرف في اسبانيا بالمناطق ذات المناخ المعتدل ثم زرع في بلاد



استعمال المخدرات يؤدي بالانسان الى هذه النهاية المحزنة المفجعة



صورة محزنة عن ادمان المخدرات في الصين ... بهذا السلاح
استطاعت بريطانيا ان تستعمر الصين ردحا طويلا من الزمن

اخرى كثيرة الا انه عرف وانتشر أمره بعد زراعته بالهند وتعاطيه خصوصا في الحفلات الدينية حتى انه سمي فيما بعد (بالقنب الهندي) ومن ثم شاع في بلاد ايران والعراق ومختلف البلاد العربية والمكسيك والولايات المتحدة ويطلق عليـه في الهند (الجانجا والكاراس والبهانج) وفي امريكا (ماريهوانا) وبروسيا (أناسكا) وتركيا (اسرار) وفي تونس (تكروري) وبمصر (الحشيش والبانجو الخ) ولبنان حشيشة الكيف ·

ب ـ المخدرات والمجتمع :

ان للمخدرات اضرارا اجتماعيةترتبط ارتباطا وثيقابالاضرار الصحية والاقتصادية وكثيرا ما يتعرض المدمن لها كفرد ، والاسرة كوحدة اجتماعية · والوطن كمجموعة · فمن الناحية الاقتصادية نرى المدمن يهدم بادمانه كفايته الانتاجية مما يترتب عليـه انخفاض الاقتصاد العام للدولة ـ الذي يقوم اول مايقوم ، على ارتفاع مستوى الكفاية الانتاجية للافراد ، فضلا عن هبوط اجرة المدمن لضعف انتاجه ، لذا فالادمان يستنفذ الجانب الاكبر من هذا الاجر الضئيل ، اضف الى مايتعرض له من بطالة بسبب العجز· ولايخفى على البال مايصرف لجلب المخدرات بصورة غير مشروعة ، وماتنفقه الدولـة سنويا من اموال طائلة في مكافحتها ، ومحاربة الاتجار والتعاطي في وقت كان من الافضل توجيه هذه النفقات والجهود للنواحي الاجتماعية الاخيرة ·

والواقع ان موضوع المخدرات واثره على المجتمع ، لعنة تصيب الفرد وكارثة تحل بالاسرة في الرزق والعرض والصلات الزوجية وخسارة محققة يتحملها الوطن في ابنائه وامواله دون فائدة ما · والاثر الاجتماعي لهذا الوباء من الانتشار بتعاطيه يمكن تفسيره بأنه مضيعة للمال والوقت والجهد ، كما انه معول هدام للاسرة وخاصة لدى فقيري الحال الذين ينتج عن ادمانهم انصراف عن العناية بافرادها الى اشباع رغبتهم ، وكثيرا ما يدفع هذا العمل بالاسرة الى العيش بطرق غير مشروعة واي طريق غير طريق الجريمة والتفريط بالعرض · وبذلك يظهر لنا بكل وضوح ان المخدر هو من اكبر اسباب زعزعة المجتمع وافقاره ودفعه في طريق الانحطاط والفناء ·

ج ـ نظرة الدين للمخدرات وسبب تحريمها :

اكرم الله الانسان بعقل يميز به بين الخير والشر والصالح والضار واستخلفه في الارض ليؤدي رسالته على أكمل وجه تمشيا مع سنة الارتقاء وحفاظا على البقاء الذي دفعه لتحريم كل ما يهدد وجوده وكيانه وهنا جاءت نظرة الكتب السماوية التي تنص على هذا التحريم واعقبتها سنن الرسل صلوات الله عليهم اجمعين مفسرة ومتممة لها وقد حرم القرآن الكريم الخمرة وسائر المخدرات وقياسا على ذلك فهي محرمة دينيا حيث انها تقود المرء للتهلكة ، وجاء في الاحاديث النبوية الشريفة كل مفتر حرام وكل مسكر حرام « وما اسكر كثيره فقليله حرام » ·



مدمن على المخدرات يزرق يده بالمادة المخدرة تمشيا مع العادة
المميتة التي درج عليهـا

وها هو نص فتوى رسمية لدار الافتاء بالقاهرة عام ١٤٩٠ تبين حكم الشارع في النقاط التالية :

١ ـ تعاطي المواد المخدرة :

مما لاشك فيه ان تعاطي هذه المواد حرام لمضارها الجسمية ومفاسدها الكثيرة ان في العقل او في البدن او في المجتمع وقد قال بعض علماء الحنفيه (ان من قال بحل الحشيش زنديق متبوع) ، وهذا دليل على حرمتها الواضحة نظرا لمخامرتها العقل وشعور متعاطيها بلذة تدفع الى الادمان ، وقال شيخ الاسلام ابن تيميه في كتابه السياسة الشرعية ما خلاصته : « ان الحشيشة حرام يحد متناولها كما يحد شارب الخمر ، وهي اخبث من الخمر من جهة انها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث ، ودياثه وغير ذلك من الفساد ، وانها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهي داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر ... »

وعن جابر رضي الله عنه ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر ، قال : امسكر هو ؟ قال : نعم ، فقال ـ كل مسكر حرام ـ ان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يارسول الله وماطينة الخبال ؟ قال عرق اهل النار ، او عصارة اهل النار ـ رواه مسلم ـ .



باز الافيون يجمع في أكياس وقد صوودرت من قبل قسم المخدرات



النقيب هيثم شورى معاون مدير الادارة الجنائية يقبض على مهربي الافيون ويصادر حمولتهم

وقد تكلم ابن تيميه رحمه الله عن الحشيشة ايضا في فتاواه ايضا ما خلاصته : « هذه الحشيشة الملعونة هي وآكلوها ومستحلوها الموجبة لسخط الله تعالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين ، المعرضة صاحبها لعقوبة الله ، تشتمل على ضرر في دين المرء وعقله وخلقه وطبعه وتفسد الامزجة ، حتى جعلت خلقا كثيرا مجانين ، وتورث منها مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك ما لاتورث الخمرة ، ففيها من المفاسد ماليس في الخمر ، فهي بالتحريم اولى . وكل ماورد عن العلماء في موضوع تحريم المخدرات هو الحق الذي يسوق اليه الدليل ، وتطمئن اليه النفس ولا يقتصر التحريم الذي ورد في الكتاب والسنة على الحشيش فقط ، بل تعداه الى الافيون وكافة المخدرات لما يترتب عليها من مفاسد تزيد على الحشيش ، وكيف تبيح الشريعة الاسلامية شيئا من هذه المخدرات التي يلمس ضررها البليغ بالامة افرادا وجماعات ، ماديا وصحيا وأدبيا ، علما ان مبنى هذه الشريعة قام على جلب المصالح ودرء المفاسد .

٢ ـ الاتجار بالمخدرات :

لنتأمل مليا الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام » وهنالك احاديث كثيرة

مفادها ، ان ماحرم الله الانتفاع به يحرم بيعه وأكل ثمنه ، ولما كان اسم الخمر يتناول المخدرات كما سلف شرعا ، فيكون بيعها واتخاذه حرفةمحرما تحريما لايرقى اليهالشك.

٣ ـ زراعة النباتات المخدرة :

ان زراعة النباتات المخدرة سواء بقصد الاستخراج او التصنيع او التعاطي او الاتجار محرمة للاسباب التالية :

آ ـ ماورد في الحديث الشريف « ان من حبس العنب ايام القطاف حتى يبيعه ممن يتخذه خمرا قد تقحم النار » . وهذا اكبر دليل على حرمة زراعة المخدرات بدليل النص المذكور .

ب ـ ان هذا العمل اعانة على المعصية فهو معصية ... الم تر ان الزارع قد مهد بزراعته المخدرات لتعاطيها والاتجار بها ، ومن مهد لمعصية كان له مثل ذنب فاعلها .

٤ ـ الربح الناجم من هذا السبيل هل حرام ام حلال :

ان الربح الناجم عن هذا السبيل حرام وكذلك الثمن لقوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » واخذ المال بالباطل قد يكون ظلما او سرقة ، وقد تكون عن طريق العقود المحرمة كالربا وبيع ماحرم الله الانتفاع به كالخمرة المتناولة للمخدرات فهو حرام ولو حصل عليه التاجر بطيب نفس الشاري ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله اذا حرم شيئا حرم ثمنه » . وقال ايضا : « ان الله طيب لايقبل الا طيبا، وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين » . فقال تعالى : « يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمة او تصدق به او أنفقه في سبيل الله جمع ذلك جميعا ثم قذف به في نار جهنم » .

د ـ اسباب انتشار المخدرات :

ان لكل ظاهرة في حياة المجتمع اسبابا ودوافع ، وتعاطي المخدرات هو ظاهرة اجتماعية هدامة لها اسبابها التي يمكن ان نجملها فيما يلي :

١ ـ الجهل وانحطاط المستوى الاجتماعي والاقتصادي .
٢ ـ انتشار بعض الامراض والاعتقاد بأن المخدر يخفف من حدة المرض .
٣ ـ البطالة ونتائجها .
٤ ـ الاعتقاد السائد بأن المخدرات غير محرمة شرعا .
٥ ـ الوهم الكاذب بأنها تقوي الغريزة الجنسية عند الرجل .
٦ ـ البحث عن نسيان الهموم من تعقد الحياة ومصاعبها .
٧ ـ عدم وجود مشروب شعبي سائد .



معمل لتحويل الافيــون الى باز

٨ ـ تشجيع الاستعمار ومحاولاته الدائمة لتسهيل تهريبه او زراعته او الدعاية لتعاطيه بغية اضعاف روح المقاومة لدى ابناء الشعب للتغلب على أمره والسيطرة عليـــه كمصر والصين والهند الخ ...

٩ ـ الاختلاط الذي تسببه الحروب بين الشعوب والجماعات ، كما حصـل نتيجـة الحربين العالميتين الاولى والثانية .

١٠ـ انتشار المقاهي والغرز (المحاششى) ومعاشرة رفاق السوء من المدمنين لاسباب عادية او صحية .

هـ ـ التعاون الدولي للرقابة على مكافحة المخدرات :

لقد لمس العالم اجمع بعد الحرب العالمية الاولى حاجته الماسة لاقامة تعاون دولي شامل للوقوف في وجه طغيان سيل المخدرات التي غزت فلولها معظم انحاء العالم وهي تنخر في هيكله وجسمه بغية الاجهاز عليه ... غارسة بذور الرزيلة التي تسبب تدهور الاحساس الخلقي وتنتشر عن طريق الاختلاط الاجتماعي لتؤثر فعلا على المجتمع الانساني كله بغية استنزاف نسيجه الخلقي وتلويث افراده واحدا بعد الآخر كالتفاحة العفنة في حمل من التفاح السليم .. وبتعدد الصيحات وتكرار النداءات وخروج الانسانية من اتون الدمار والخراب والحروب والويلات ... تلاقت الارادات الخيرة واستيقظ الضمير

الانساني فنشأ عن ذلك تفاعل عام لمكافحة التهريب الذي يعتبر مصدرا رئيسيا لايصال المخدرات للمدمنين ... ولقد حقق هذا التعاون الدولي المشترك نجاحا كبيرا من ناحية السيطرة على انتاج المواد الاولية وقصرها على الاغراض الفنية والعلمية ، وقامت لجنة المخدرات التابعة للامم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية والدول والافراد بجهود مثمرة وموفقة في هذا المضمار .

ولبيان مدى الجهود الدولية التي تبذل للرقابة على المخدرات نذكر فيما يلي المنظمات الدولية التي تعمل على علاج هذه المشكلة الانسانية .

١ ــ لجنة المخدرات ... التابعة للامم المتحدة وهي هيئة الاشراف ورسم السياسة العامة ، تقوم بملاحظة نشاط جميع الدول وتدرس وتوصي باجراءات الرقابة المجدية ، ثم تعبيء الشعور العام لتأييد اجراءات المكافحة .

٢ ــ مجلس الافيون المركزي الدائم وهيئة الاشراف على المخدرات ويتعاونان من ناحية وضع الاحصاءات والتقديرات المتعلقة بمختلف الحكومات كما تتابع نشاط الاتجار الدولي .

٣ ــ لجنة خبراء المخدرات التي قد تؤدي الى الادمان (وهي جزء من منظمة الصحة العالمية) وتختص بالجوانب الطبية للادمان .

٤ ــ أحد اقسام سكرتارية الامم المتحدة ــ قسم العقاقير المخدرة ــ ويعمل على وضع المعاهدات ، وتخطيط الاجراءات الاكثر فعالية ويتولى البحوث العلمية .

هذا وقد عقدت عدة اتفاقات دولية اشهرها الاتفاقية الوحيدة ، حيث دعت الامم المتحدة لعقد مؤتمر لبحث مشروع الاتفاقية الموحدة للعقاقير المخدرة . وقد عقد هذا المؤتمر في مقر هيئة الامم المتحدة بمدينة النيويورك في المدة من ٢٤ كانون الثاني الى ٣٠ آذار سنة ١٩٦١ . وحضره مندوبون عن ست وستين دولة واستغرقت اعمال المؤتمر شهرين كاملين ، وانتهت بموافقة ثمان وخمسين دولة على الوثيقة النهائية للاتفاقية التي صيغت من سبع وخمسين مادة .

وقد قصد بهذه الاتفاقية الجديدة ان تحل محل الاتفاقيات التسع السابقة التي ابرمت ما بين سنة ١٩١٢ وسنة ١٩٥٣ ، عدا اتفاقية سنة ١٩٣٦ الخاصة بالعقوبات . على أنه اذا اختلفت نصوص اتفاقية سنة ١٩٣٦ مع نصوص اتفاقية سنة ١٩٦١ ، فان نصوص الاتفاقية الاخيرة هي التي تسرى .

واذا كانت هذه الاتفاقية تفضل الاتفاقيات التسع السابقة بما تضمنه من فرض الرقابة على انتاج المواد الخام للعقاقير المخدرة ، الا ان هذه الرقابة لم تبلغ حد الاحكام الذي كنا نرجوه لها في هذا الشأن .

ويلزم لسريان هذه الاتفاقية ان تودع ٤٠ وثيقة تصديق او قبولها لاحكامها ٠ وسوف يظل التوقيع عليها مفتوحا حتى اول آب سنة ١٩٦١ ٠ على ان هذا التوقيـــع لايغنى عن ضرورة التصديق الذي يقوم به رؤساء الدول عن طريق وزارة الخارجية ٠ كما تستطيع الدول التي لم توقع على الاتفاقية ان تنضم اليها ٠

وقد صيغت بعض مواد الاتفاقية بطريقة مقبولة لدى جميع الدول ، مع الاحتفاظ بالمبدأ الاساسي لنظام الرقابة على العقاقير المخدرة ، والذي ينحصر في قصر استخدامها على الاغراض الطبية والعلمية دون غيرها ، كما وضعته لجنة شنغهاي المنعقدة في سنة ١٩٠٩، وكما نصت عليه اتفاقية لاهاي المبرمة في سنة ١٩١٢، دون ان يمسه ادنى تغيير ٠

كما اوصت بتبادل المساعدة والتعاون بين الدول في تعقب مجرى المخدرات الدوليين، وفرضت عليها ايضا ان تساعد وتعاون المنظمات الدولية المختصة التي هي اعضاء فيها ٠

وبذلك تكون هذه الاتفاقية الجديدة قد سدت النقص ومنعت التناقض اللذين أسفر عنهما تنفيذ الاتفاقيات التسع السابقة : فجعلت الرقابة الدولية على المواد المخدرة تساير



نماذج من متعاطي المخدرات في تايلاند

نهـاية كل من يتعاطى المخدرات

التقدم الحديث ، سواء في ذلك التقدم الاقتصادي او السياسي او الاجتماعي او العلمي. كما نظمت وسائل هذه الرقابة ، بأن قررت مراقبة زراعة النباتات التي تستخلص منها المواد المخدرة ، وكذلك مراقبة صناعة العقاقير المخدرة والاتجار فيها ، ونصت على التدابير التي تتخذ لسد الاحتياجات المشروعة ، وعلى الخطوات التي تتبع لمعاقبة كل من يحوز هذه المواد بطريقة غير مشروعة او يتجر فيهـــا او يشتريها ، كما نصت عـــلى علاج المدمنين وتأهيلهم .

٢ ـ لمحة عامة عن موقع وموضوع المخدرات في انحاء الجمهورية العربية السورية

ان الجمهورية العربية السورية بحكم موقعها الجغرافي تقع بين دول منتجة للمواد المخدرة ومصدرة لها ودول أخرى مستهلكة او بالاحرى تعتبر منفذا استراتيجيا لدول مجاورة اكثر استهلاكا لهذه المواد المخدرة .

ان حدود البلاد السورية مترامية الاطراف ويقوم على حراستها نفر قليل من رجال الشرطة اذ لايقوم الجيش بحراستها الا في بعض المناطق التي تستدعي الضرورات الحربية مرابطة بعض قواته بها ويكون شغلها الشاغل حماية الحدود من الناحية العسكرية ، كما ان المنطقة الساحلية السورية يتولى حراستها الســلاح البحري الذي يوجــه جل اهتمامه ان لم يكن كله الى النواحي العسكرية الصرفة هذا ويبلغ طول الحدود السورية التركية حوالي ٨٣٠ كم ومعظم هذه الحدود مزروعة بالالغام والاسلاك الشائكة والمخافر التي لايبعد احدها عن الآخر اكثر من ٥ كم اضافة للقوات الاحتياطية في الخلف .

هذا وان غالبية طبيعة الحدود المشتركة مع تركيا ولبنان جبلية وعرة ذات مسالك صعبة ومتشعبة وممرات ضيقة ... كل هذا يعرقل سير المكافحة المجدية ويضعف من شأن استخدام الآليات التي يعوض عنها باستخدام الدواب وغيرها وذلك لمكافحة التهريب على اختلاف أنواعه كالحشيش من لبنان والافيون من تركيا لانعدام زراعتهما في سورية بموجب القوانين والتشريعات المعاقبة والتي حرمتها زراعة وتجارة وصناعة وتعاطيا الخ.

٣ ـ احداث قسم لمكافحة المخدرات مع تحديد اختصاصه ومدى نشاطه محليا ودوليا

ان تعاطي المخدر ينتهي غالبا الى ادمانه وادمانه يتهدد ضحاياه بأخطار فادحة . فالمخدر يتخلف تدريجيا وينتهي بعدد كبير من العاهات منهم الجنـــون كما دلت عـــلى ذلك الاحصائيات .

وهو يحدث أسوأ الاثر على المستوى الخلقي لضحاياه ، فيتميز أغلبهم بالاثـرة وانهيار العاطفة وعدم الاحساس بالمسئولية الاجتماعية والعائلية وضعف الارادة والجبن وكراهية العمل ، كما دلت على ذلك دراسات نفسية واجتماعية متعددة قام بهاالخصائيون في بلاد كثيرة . كما ان المخدر يهدم صحتهم الجسدية حتى ان المدمن تعرف حقيقته من اضمحلال صحته وشحوب وجهه وتعثر مشيته وضعف اعصابه . وهو يستنفذ الجزء

الاكبر من مواردهم فيورثهم الفاقه ويجنى على اسرهم ابلغ جناية وينتهي بالعدد الاكبر منهم الى حضيض الجريمة ومن هذه الزاوية نرى ان احداث قسم لمكافحة المخدرات لتنفيذ القوانين المتعلقة بمكافحة الاتجار والصناعة والزراعة والتعاطي وغير ذلك في جميع انحاء البلاد السورية لمنع التهريب برا وجوا وبحرا يعتبر وجوده وبقاؤه ضرورة فردية واجتماعية وقومية وانسانية ولم يكن وليد ساعة او صدفة وانما جاء نتيجة طبيعية لسد فراغ هائل واجتثاثا لجذور تسربت اليها عوامل الفساد حتى اصبحت مفسدة مما دفع المسؤولين ان ينتبهوا لنتائج هذا الوباء الشامل العام الذين اسندوا مكافحته لهذا القسم وكان أهلا لحمل عبء هذه الرسالة الخالدة بكل مافي هذا القول من معنى ۰۰۰ وهكذا فمنذ الوهلة الاولى لعمله فقد شمر عن ساعديه وكشر عن انيابه متأهبا للدخول في حلبة الصراع الدائر بين عالم الفضيلة واكواخ الرزيلة مبتغيا حماية الاولى ضد مقترفات الثانية بجوها المحموم وسهامسمومها المسعورة المصوبة الىصدور وقلوب ابناء الانسانية جمعاء دون تفريق بين عرق وجنس أو سن ولون ۰ وماجرائم مهربي المخدرات بشنهم حروبهم الشعواء بين الفينة والاخرى على ربوع المجتمع الانساني الا الدليل الماديوالمعنوي على تفاقم خطرهم بانغماسهم في خضم شهواتهم ومنافعهم غير عابئين بما يحل بغيرهم من شر او مكروه وتتجسم نتائج ذلك بدفنهم لضحايا الادمان المتهالك في لحود الحياة قبل الموت وهم لا يلوون على شيء من ارادتهم المسلوبة وامانيهم المنكوبة ۰

لتلك المعاني ومن هذه الزاوية برزت قيمة قسم مكافحة المخدرات الى حيز الوجود



باز الافيون موضوع في (قبقاب)

بمهمته الانسانية واهدافه السامية وسعيه حثيثا وراء كل مايمكن تسميته من تثبت لدعائم المثل العليا في نفوس المواطنين وترسيخ لاهداب الفضيلة في ربوع مجتمعنا الناهض الهادر بمعينه الذي لاينضب في دفع وتغذية مقومات قوميتنا العربية الفتية بتاريخها الحافل لتراث الاجداد وابداع الاحفاد في مثل هذه الظروف التي احوج مانكون اليها لربأ كل صدع قد يتسرب الى جسم امتنا التي تشق طريقها في الحياة بطاقاتها المتفتقة والمتجددة دوما بغية اشادة صرحها الشامخ شموخ وشمول تاريخها الطويل ومن اولى من قسم مكافحة المخدرات ان ينال قصب السبق في هذا المضمار بحظ وافر بميادين الانشاء والبناء وان يصبح الصخرة الاولى التي تتحطم على جوانبها مخططات وحيل وابداع مهربي المخدرات بمختلف انواعها والوقوف لهم بالمرصاد في كل سهل وجبل او صحراء وسماء وماء للقضاء على زراعة وصناعة وتجارة وتعاطي المخدرات ٠

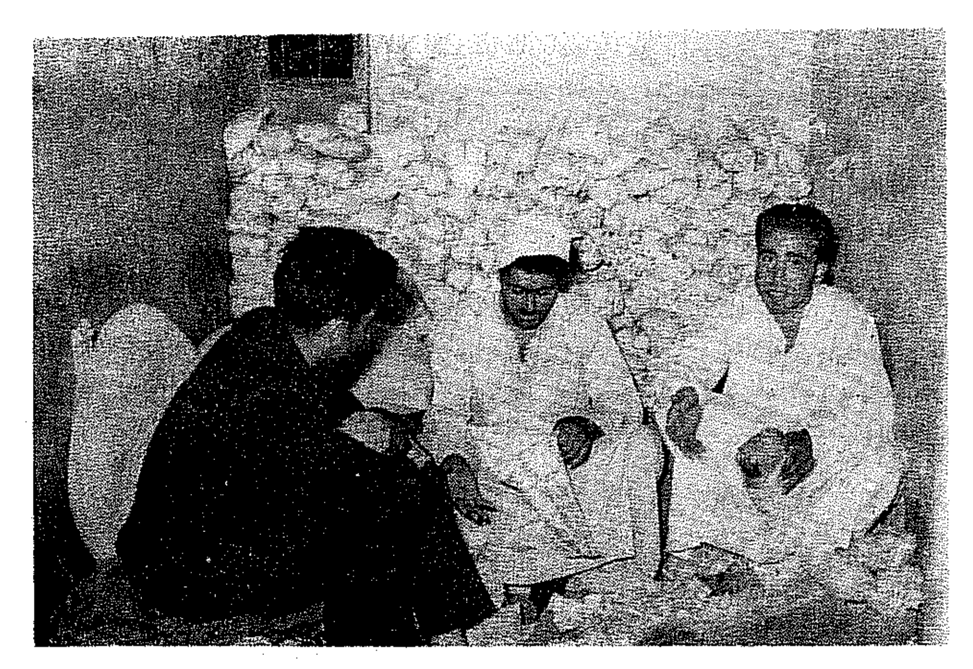
وهذا برزت جهود هذا القسم بعد أن نمى وترعرع وتمرس في امتهان مهنة المغامرات المحفوفة بالمخاطر والاهوال دون ان تلين له قناة او تضعف الايام قواه فهو ثابت كالطود في مهب الاعاصير يعطي أكله في كل حين وله فروع في معظم المحافظات والمناطق ٠

٤ ــ ذكر ملخص لعدة مواضيع مع تأمين الصور اللازمة

القضية رقم ١ :

المتهمون : ١ ــ محمد عبد الله حمره ٢ ــ عبد العزيز احمد عواد ٣ ــ احمد بن عبد العزيز عواد ٤ ــ عبد الجواد بن عبد العزيز عواد ٥ ــ محمد بكري الكنج ٦ ــ محمد عواد شاهين ٧ ــ عبد الله حسين حمره ٨ ــ حسين عبد الله حمره

بتاريخ ــ ١٩٥٩/٧/٣ وردت أخبار الى سلطات الامن المختصة عن وجود كمية من الافيون المخدر بدار المتهم الاول في قرية عسان التابعة منطقة جبل سمعان ــ محافظة حلب وعند مداهمة الدار المذكورة صودر منها كمية من الافيون المخدر بوزن ٧٣٥ كغ وتبين للتحقيق بان المتهم الثاني كان قد استورد هذه الكمية بمبلغ ثلاثين الف ليرة تركية من تركيا (بلدة عنتاب) وتم نقلها الى سورية بواسطة اشخاص اتراك لم يكشف النقاب عن هويتهم وكما نقلها من الحدود السورية المتهمون الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن وان هؤلاء الآخرين قاموا بتقطيع الافيون الى قطع وصرها بالورق ووضعها ضمن اكياس بغية تصديرها الى جهات لم تعرف وربما كانت للاردن او العراق ٠



ابطال القضية رقم (١)

جرى تقديم المتهمين الاول والثاني والثالث والرابع الى النيابة العامة بحلب مع كمية الافيون البالغة (٧٣٥) كغ على ذمة القضية رقم ٣١ تاريخ ـ ١٩٥٩/٧/٣ ٠

القضية رقم ٢ :

المتهمون : ١ ـ عبد الوهاب بن صادق النابلسي ٢ ـ عبد الله اسعد عبد الله ذو الغنى ملقب قشاط

في يوم ـ ١٩٦٠/٣/١٤ بناء على الاخبار الوارد الينا من مخبرنا الخاص من ان المتهم الثاني يقوم ببيع المورفين وقد باع لهذا المخبر زجاجتين بسعر الواحدة ١٢٥ قرشا سوريا حيث سلمها لنا واتفق معه على شراء ٢٠٠ زجاجة بنفس السعر على ان يرسل اي شخص كان من قبله يبرز له الاشارة المتفق عليها وهي نظارة المخبر وزجاجة واحدة من العينة اذا تعذر حضوره ٠ وقد كلف أحد رجال الامن بالذهاب مع المخبر للتعرف على محل البائع وبعد ان استدل عليه زود بمبلغ ٢٥٠ ليرة سورية والنظارة وزجاجة المورفين المتفق عليهما للتعارف وفي المساء اوفدت رجل الامن المذكور لمحل البائع ، بعد ان اخذت الاحتياطات اللازمة حول دكانه ودخل المكلف الى الدكان وسلم على البائع وابرز له النظارة وزجاجة المورفين وتبادلا الحديث برهة من الزمن ثم خرج وافاد أنه سوف يعود لعنده بعد نصف ساعة بناء على طلب البائع بحجة أن كمية المورفين لم تصل اليه بعد ٠ وفي

هذه الاثناء شاهدنا المتهم الاول المعروف لدينا بادمانه على المورفين يتجول امام الدكان وخشية من افتضاح أمرنا القينا القبض عليه وبتحري ملابسه عثر معه على علبة من الكرتون بداخلها ١٩٨ زجاجة من المورفين المخدر ٠

وبالتحقيق معه اعترف انها عائدة للمتهم الثاني الذي كلفه بنقلها والتجول امام محله ريثما يحضر الشخص المتفق معه على الشراء وفي الحال عدنا الى محل البائع المذكور (اي المتهم الثاني) فلم نجده حيث وجدنا دكانة مغلقة اجرينا البحث عنه فلم نتمكن من العثور عليه وفي اليوم الثاني قمنا بتحري داره فلم نعثر عليه او على اي شيء من المواد المخدرة ٠ احتفظنا بزجاجتين من المورفين في متحف القسم وثلاثة زجاجات ارسلت للتحليل ومئة وخمسة وتسعين زجاجة مع المتهم الاول ارسلت الى النيابة العامة بدمشق على ذمة القضية رقم ١٨ تاريخ ١٤/٣/١٩٦٠ قسم مكافحة المخدرات بدمشق ٠

★ ★ ★

القضية رقم ٣ :

المتهمون : ١ ــ عبد الرحمن كامل حمره ٢ ــ ديكران كيورك سانتيكيان ٣ ــ محمد قاسم حوراني ٤ ــ بشير جراده ٠

بتاريخ ــ ٣/٧/١٩٦٠ بينما كان رجال السلطة المختصة في مطار دمشق يقومون بتفتيش حوائج ركاب الطائرة السورية المسافرين الى القاهرة لفت نظرهم مجموعة من القباقيب الخشبية وزنها غير طبيعي ولما طلب من حاملها المتهم الاول كسر احداها افاد انها تخص المتهم الثاني الذي سلمه اياها لزيادة في الوزن بالنسبة لحوائجه ولما استدعي المتهم الثاني وجرى كسر احداها وجدت مجوفة وبداخلها كمية من الافيون ولدى كسر جميع القباقيب البالغ عددها خمسة ازواج وجدت كمية ٩٠٠ غرام من الافيون مخبأة ضمن زوجين منها وكمية ٧٥٠ غرام حشيش ضمن ثلاثة ازواج ٠ افاد المتهم الاول انه كلف من قبل الثاني باستلامها حيث ان وزن حوائجه تزيد عن الوزن النظامي ورغبة منه في اداء خدمة انسانية قبل ذلك ٠

وبالسؤال عن المتهم الثاني عن صحة اقوال الاول ايدها وأضاف بأنه كلف بنقلها من قبل المتهم الثالث لتسليمها للمتهم الرابع في مطار القاهرة وانه يجهل فيما اذا كانت هذه القباقيب تحوي الافيون والحشيش ٠ جرى البحث عن المتهم الثالث فلم يقبض عليه وبقي هاربا وارسلت برقية من قبل السلطات المختصة في مطار دمشق الى مطار القاهرة للبحث والقبض على المتهم الرابع ٠ علما أنه لم يعرف مصدر المخدرات هذه ولم تحدث أية مقاومة اثناء الضبط ٠

لذا جرى تقديم المتهمين الى النيابة العامة بدمشق والمخدرات ٩٠٠ غرام أفيون و ٧٥٠ غرام حشيش الى أمانة الجمرك على ذمة القضية رقم ٧٨ تاريخ ٣/٧/١٩٦٠ ٠



ابطال القضية رقم (٤)

القضية رقم ٤ :

المتهمون : ١ ـ حسن جميل طه ٢ ـ حسن محمد غجر ملقب عاقل ٣ ـ محمد عمر الرز ٤ ـ مصطفى محمد عبه داغلي ٥ ـ علي احمد طاشقن ٠

وردت معلومات الى رئيس مكتب مكافحة المخدرات بالسفارة الاميركية ببيروت المستر الفريد ويلسن ومساعده المستر كارلو دنلو ان كمية من باز الافيون يراد تهريبها من حلب لبيروت ومن ثم لاوربا فامريكا بعد اجراء التعديلات اللازمة عليها وذلك بواسطة تجار لبنانيين (بيروت) وسوريين (حلب) وقد حضرا الى المديرية العامة للامن العام بدمشق وعرضا الفكرة على سيادة المدير العام فأصدر أوامره الى مدير الادارة الجنائية ورئيس قسم مكافحة المخدرات لاستثمار الاخبار ٠ وبعد رسم الخطة واتخاذ الترتيبات اللازمة وبتاريخ ـ ١٩٦١/١٢/١٧ تمت مصادرة كمية ١٦٫٥٠ كغ باز افيون وزجاجتي كوكائين تزنا ٨٢ غرام قائم ضمن السيارة السائحة خصوصي رقم ٤٤٥٤٣ لبنان نوع لانسيا مع كل من المتهم الاول الذي اعترف ان مصدر البضاعة المتهم الثاني والثالث اللذان القي القبض عليهما مع المتهمين الرابع والخامس التركيين بينما كانا يصفيان حساب الصفقة مع الاتراك المذكورين اصحاب البضاعة المتهم الرابع والخامس وقد احضراها قبل يومين من المصادرة ومن ثم قاما بدور الوسيط بين المتهم الاول الذي دفع ١٤ الف ل٠س من ثمن البضاعة البالغة ٢١ الف ل٠س بسعر (١) كغ ١٤٠٠ ل٠س على ان يدفع

باقي المبلغ لدى وصول الكمية لبيروت بينما انكر الرابع والخامس ذلك كما انه لم تحدث مقاومة ما وقد نظم في القضية محضرا ضبط الاول بدمشق رقم ١٠٤١ تاريخ ١٧/١٢/١٩٦١ والثاني بحلب رقم ١٦٨ تاريخ ١٩/١٢/١٩٦١ وقدم الجميع على ذمة المحضرين الى القضاء ٠

هذا وقد زود المستر الفريد ومساعده بالصوروالبصمات والمعلومات اللازمة لاخطار رؤسائه بذلك ٠

* * *

القضية رقم ٥ :

المتهمون : ١ ـ عبد الفتاح بن محمد مجوز ٢ ـ محمد ديب بن بشير غزال
٣ ـ سليمان بن عبد القادر جبيلي ٤ ـ حمدو بن محمد حشكرلي
٥ ـ محمد بيك بن محمد سامي الصايغ

بتاريخ ٢١/١١/١٩٦٣ ورد اخبار الى سلطات الامن عن وجود كمية من باز الافيون المخدر بدار المتهم الاول وبنتيجة التحريات عثر هناك على أربعة عشر كيلو ومئتي غرام من هذه المادة وتبين من التحقيق بأن الاول استأجر دار المتهم الثاني وأعدها لعملية التحويل وبتفتيش الدار المذكورة عثر على ادوات التحويل وهي عبارة عن بابور كاز ـ



ابطال القضية رقم (٥)

واواني نحاسية ومطبخية وبرميل متوسط الحجم - ومكبس حديدي - وميزان ، واتضح للتحقيق بأن كمية الباز صنعها الاول لحساب الرابع والخامس لقاء اجرة معينة وان الثاني والثالث قاما بمساعدته اثناء الصنع علما أنه لم تحدث اية مقاومة اثناء الضبط ولم يعرف مصدر المخدر وحتى الجهة المزمع التهريب اليها حيث تولت النيابة العامة بحلب التحقيق مع المتهمين مباشرة ٠

لذا جرى تقديم المتهمين الخمسة وكمية الباز البالغة اربعة عشر كيلو ومئتي غرام مع الادوات المستعملة في التحويل الى النيابة العامة في حلب على ذمة القضية رقم ٢٣٧ تاريخ ٢١/١١/١٩٦٣ ٠





معرض لادوات المخدرات في قسم مكافحة المخدرات في الادارة الجنائية

الجانب الثاني من معرض أدوات المخدرات في قسم مكافحة المخدرات في الادارة الجنائية

مكافحة الرذيلة

الرذيلة :

في حياة الانسان دائرة من المحرمات تشمل انواع السلوك اللا اجتماعي التي يستنكرها المجتمع ، سواء اكانت من المعاصي التي ينهى عنها الدين او النقائص التي تنهى عنها الاخلاق او المباذل التي تنهى عنها الأداب او المهاذل التي ينهى عنها الذوق السليم • الا ان الافعال المكونة لهذا السلوك لا تتعادل في مدى خطورتها ، وبالتالي لا تقابل من المجتمع بعزم واحد في محاربتها •

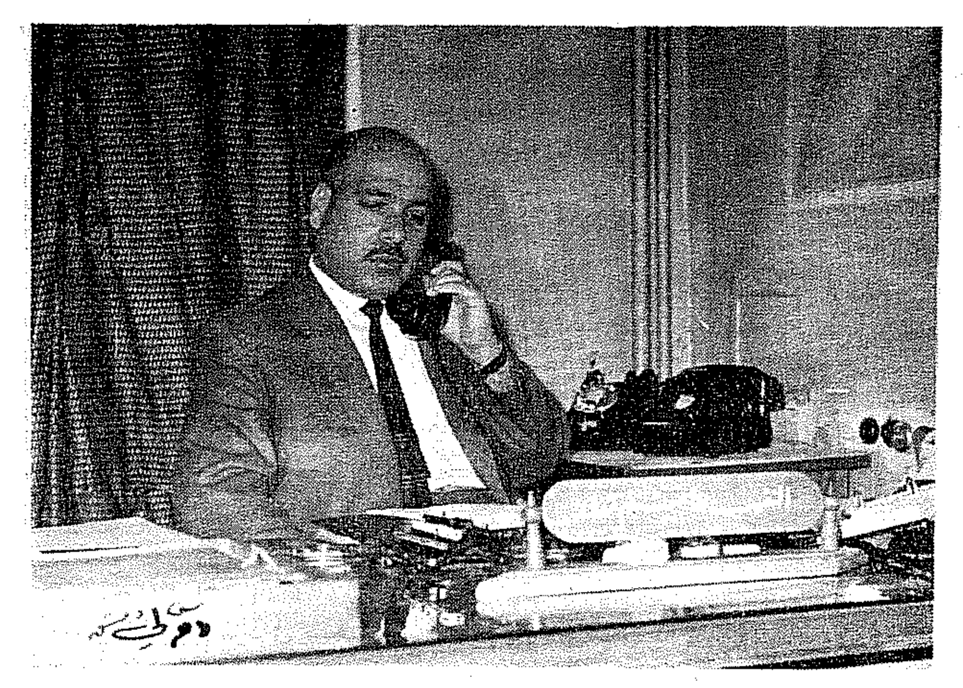
ومن هذه الافعال ما يعكر صفو الامن وتظهر فيه نية الاضرار بالغير ويهدد حياة الناس واموالهم ويكون اعتداء على حرياتهم ، فتصبح الدولة او السلطة الحاكمة مضطرة لان تؤكد تحريمها بالقوة • بأن تفرض عقوبات مناسبة على مرتكبيها • وهذه الافعال هي التي تدخل في نطاق الجريمة بمعناها القانوني بوصفها السلوك الذي نص القانون على تجريمه وعقاب مرتكبيه •

ومن الافعال الداخلة في دائرة المحرمات مايرى المشرع انها لاتخل بمصلحة اجتماعية ، فلا يجرمها ، ولا يشهر عليها سلاح العقاب مهما بلغ استهجان المجتمع لها ، وانما يقنع بحكم الناس على مرتكبيها بالازدراء والاحتقار ومثلها بعض صور النميمة والكذب ، وتناول بعض المأكولات المحرمة •

وبين هذه الافعال وتلك توجد محرمات من نوع آخر لاتظهر فيها نية الاضرار بالغير ولا تهدد الناس في حياتهم وأموالهم ، ويمكن للحياة ان تسير رغم وجودها ، الا ان الجماعة تعتقد ان ممارستها تخل بمصلحة اجتماعية ، اما لانه يتسبب عن انتشارها مايهدد النظام الاجتماعي، واما لجسامة الضرر الذي يلحق بالمجتمع نتيجة ممارسةالافراد لها ، أو لان ممارستها تشجع على ارتكاب أفعال أكثر خطورة • وهذا النوع من المحرمات هو مانعبر عنه بالرذيلة ، ومن أظهر أمثلتها : البغاء ، والميسر ، وتعاطي المخدرات ، وعلى قدر خطورتها وما تلحقه بالمجتمع من أضرار تتدخل السلطة الحاكمة لتوقف من حدتها • فقد تنظم ممارستها وقد ترى ـ في بعض الحالات ـ ان التنظيم وحده لايكفي لمكافحة انتشارها فتجرمها وتفرض عقوبات مناسبة على مرتكبيها •

والرذيلة والجريمة وان اتفقتا في كونهما سلوكا لا اجتماعيا وانهما قد يواجهان من المجتمع باجراءات متشابهة في مكافحتهما ، الا انهما تختلفان في النواحي الآتية :

* * *



النقيب هاشم مدور رئيس قسم حماية الآداب في الادارة الجنائية

أولا : ان افعال الرذيلة ـ اذا استثنينا حالات الاتجار فيها والتحريض عليها ـ تتسم غالبا ان لم يكن دوما بأنها من الافعال التي يقصد بها الكسب المادي ، او الاستمتاع والترفيه ، والغرض منها اشباع رغبة او لذة جسدية بطريق غير مشروع . بعكس الافعال الاجرامية التي يعتبر القصد الجنائي ركنا من اركانها وترتكب بنية الاضرار بالغير .

ثانيا : لايوجد في افعال الرذيلة بصفة عامة معتد ومعتدى عليه ، ذلك لان التعدي يحمل في طياته معنى الحاق الضرر بالغير . وهذا مايصعب تصوره في افعال الرذيلة المجردة ، فلاعب الميسر او متعاطي المخدر يعتبر جانيا ومجنيا عليه في نفس الوقت ، فهو الذي يرتكب الفعل ، وعليه يقع ضرره ، بعكس جريمة الضرب فهناك جان هو الضارب ومجني عليه هو المضروب ، وكذا الحال بالنسبة للسرقة والنصب ، وسائر الجرائم التقليدية . اما جرائم التزوير والتزييف ، وباقي الجرائم التي تمس كيان الدولة ففيها تكون الدولة هي المجنى عليها وأما أفعال الرذيلة فالمجنى عليه فيها هو المجتمع .

ثالثا : تختلف الجريمة عن الرذيلة في الاجراءات التي يتبعها المجتمع في رده على السلوك المتصل بهما . ولا خلاف في ان السلوك الاجرامي يقابل في جميع التشريعات

بالعقاب • وانما يظهر الخلاف في تقرير الفلسفة الاصلاحية في مواجهة السلوك المتصل بالرذيلة ، فكل مجتمع يعالجه بالطريقة التي يفضلها متأثرا في ذلك بتقاليده وعاداته ودرجة انتشار افعال الرذيلة ومدى خطورتها وضررها على المجتمع ، لذلك نرى بعض المجتمعات تبيح ممارسة انواع معينة من الرذيلة لانها لا ترى فيها مايضر بمصلحة اجتماعية ، ونرى بعضها الآخر يكتفي بتنظيم ممارستها أو باعتبار مقترفيها مرضى لا مجرمين فتودعهم المصحات للعلاج بدلا من حجزهم في السجون •

بينما تتشدد مجتمعات اخرى في مكافحتها اذا بدأت تهدد النظام الاجتماعي أو اصبحت تشجع على ارتكاب جرائم اخرى ، فنرى السلطات الحاكمة تجرمها وتفرض عقوبات قاسية على مرتكبيها •

الرذيلة وعلاقتها بالمشكلات الاجتماعية :

تثير الرذائل بمختلف صورها مشكلات اجتماعية متنوعة ، فادمان المخدرات واعتياد شرب الخمر ، ولعب الميسر ،والجرائم الجنسية المختلفة ، كلها تصيب المجتمع في صميم حياته الاقتصادية والصحية والاجتماعية •

فهي تصيب الفرد في صحته فيضعف انتاجه وتلحق به اضرارا ادبية ومادية فتتدهور حالته المالية وتصيبه في كرامته وعزته وثقته بنفسه ، ويصبح عضوا غير صالح في المجتمع • وهي بذلك تؤثر تأثيرا بالغ الخطورة في الاسرة وفي المجتمع الصغير ونواة المجتمع الكبير ، فالانغماس في الرذائل لاشك في انه يصرف رب الاسرة عن رعايته لذويه فيشبون من غير ما رعاية او رقابة فعالة فيجنحون نحو الجريمة وتنحل الروابط الاسرية التي هي من أقدس ماتعتز به المجتمعات الصالحة ، والنتيجة : ضياع طاقات الافراد ، وفقدان الاستفادة من الكفايات ، وفساد خلقي واجتماعي كما تصيب الامة بأسرها اضرار اقتصادية واجتماعية وصحية وسياسية •

والخلاصة ان الرذائل اصبحت خطرا يهدد النظام الاجتماعي ، ولايمكن اعتبارها من الامور الشخصية التي يصح ترك الافراد احرارا في ممارستها فقد وضح لنا بمالايقبل الشك ارتباطها بالجريمة وضررها البالغ على الفرد والاسرة والمجتمع ، لذلك اخذت نظرة المشرع تتجه اليها باعتبارها جرائم لا مجرد اعمال منافيه للاخلاق والآداب • وبدأت نظرة الشرطة للرذيلة تقوم على اساس من القانون ، وأصبحت تتولى امر مكافحتهابوصفها افعالا تستلزمتدخل السلطة العامة لقمعها، لا افعالا منافية للآدابيكفيان نقدم لمقترفيها النصح والارشاد •

الرذيلة والرأي العام :

كثيرا ماترددت بعض الآراء التي تنادي باباحة التعامل بالمخدرات مثلا ويؤيد أصحاب هذا الرأي وجهة نظرهم بأن كل محرم مرغوب ، وانه لو ترك الامر للمواطنين

لنبذوا تعاطيها من تلقاء انفسهم عندما يحسون بضررها عليهم ، وانه يجب أن تقتصر مهمة المجتمع على التوجيه والارشاد دون تدخل ايجابي من القانون ، وقد سمعنا بعدة حملات تشهير على شرطة الآداب وظهر من نادى بوجوب الغاء هذا النوع من الشرطة لما في أعماله واجراءاته من تعد على حريات الاشخاص ·

ولكننا نرى ان هذه الآراء على الرغم مما فيها من معاني الحفاظ على الحريات هي المعول الذي يعتمد عليه في دك صرح الفضيلة واقامة بناء الرذيلة شامخا · انه ينبغي ألا يقف القانون جامدا مكتوف اليدين حيال الاشخاص الذين تضعف ارادتهم امام الملذات الوقتية للرذيلة · خصوصا وان الضرر الذي يصيبهم يلحق بالمجتمع كله نتيجة ارتكاب هذه الافعال ، وفي هذا سند كاف لتجريم افعال الرذيلة ·

لكن مثل هذه الآراء لايصح ان تقابل بالتجاهل والاعراض ، ففي رواجها ما قد يخلق منها رأيا عاما ، وهنا يكمن الخطر ، لان الشرطة في أي مجتمع لاتستطيع ان تسيطر على الرذيلة ما لم يساندها تشريع يجرمها ورأي عام يناهضها ·

لهذا لايمكننا ان نغفل اثر الوعي العام لدى المواطنين كعنصر فعال في مكافحة الرذيلة ، ولكن هذا الاجراء لايصح ان يلقى به على عاتق الشرطة وحدها ، وقد سبق ان اوضحنا ان نظرتها الى مكافحة الرذيلة يجب ان تقوم على أساس من القانون اكثر من قيامها على مبادىء الاخلاق فالصفات الغالبة على وظيفة الشرطة هي منع الجريمة وضبطها بعد وقوعها · وكما سبق ان اوضحنا فانه يجب الا تطغى الوظيفة الاجتماعية للشرطة على وظائفها الاساسية الاخرى والا ادى بنا الامر الى اعتبار رجال الشرطة من المصلحين الاجتماعيين ·

ونرى انه يجب ان تقوم الهيئات الحكومية والاهلية المعنية بشئون الاصلاح بالعبء الاكبر في هذا الميدان · وعليها البحث عن الحلول والدعوة الى ان يتمسك المواطنون بتعاليم الدين ومبادىء الاخلاق ·

اختلاف النظرة الى الرذيلة :

رأينا اختلاف الرأي حول طبيعة افعال الرذيلة وتغير نظرة المجتمعات اليها تبعا لتغير المكان والزمان ، فمن اعمال الرذيلة ما يعتبر جريمة معاقبا عليها في دولة ولايعتبر كذلك في دولة اخرى – وقد تبيحه الدولة الواحدة في وقت ما ثم تعود فتجرمه بعد ذلك· وقد تجرمه الدولة بصفة عامة في جميع اقاليمها باستثناء مناطق معينة (كأن تجعل لعب الميسر مباحا في المناطق السياحية وقاصرا على الاجانب) · وهذا بلاشك أمر طبيعي ·فكل دولة تنهج الاسلوب الخاص بها والذي يتفق مع مصالحها عند تجريم أفعال الرذيلة أو عدم تجريمها · وهي تتأثر في ذلك بظروفها الاقتصادية والاجتماعية ، فمن الدول ماتعتمد باقتصادها على الارباح التي تجنيها من اباحة لعب الميسر في نواديها ، ومن الدول ماتبيح لعب الميسر وشرب الخمر في مناطق معينة استثناء من القاعدة العامة في تحريم هذه الافعال

لتجتذب اليها السائحين الاجانب ، وحتى الدول التي تجرم افعال الرذيلة نراها تختلف في تشريعاتها عند تقديرها للعقوبة التي تفرضها على مقارنة هذه الافعال متأثرة في ذلك بحجم الضرر الذي يعود على الامة نتيجة لانتشار هذه الافعال فيها • فبعض الدول تفرض عقوبة الاعدام على بعض حالات الاتجار في المخدرات او تعاطيها ، اذا وجدت في انتشارها بأراضيها مايهدد كيانها ، وبعض الدول حيث لا تشكل مشكلة المخدرات خطرا جسيما تكتفي بالنص على عقوبة الحبس او الغرامة على تجارتها وتعاطيها وهكذا •

* * *

هذا من جهة نظرة الدول الى أفعال الرذيلة ، اما نظرة الافراد انفسهم الى هـــذه الافعال فهي اشد اختلافا ، فمنهم من يرى ان واجب الشرطة ينبغي ان يقتصر على مكافحة الرذيلة في مظهرها العلني ، لان هذا المظهر وحده هو الذي يثير الرأي العام ، ويقولون في تبرير وجهة نظرهم ان الشرطة لن تستطيع ان تقضي على الرذيلة في كل مكـان وان امكاناتها مهما بلغت لن تمكنها من السيطرة على الاعمال المنافية للآداب والتي ترتكب في الخفاء والا كان في امكانها القضاء على الجرائم الاخرى كالقتل والسرقة ، اما الفريق الآخر فيرى انه يجب على الشرطة أن تعمل على القضاء على الرذيلة اينما كانت ، وهم يقولون بوجوب معاملة الجرائم الاخلاقية كما يعامل أي انتهاك للقانون ، وعلى الشرطة ان تبذل غاية جهدها لاستئصال شأفتها •

ولاشك في ان هذا الخلاف في الرأي بين المواطنين حول طبيعة ومدى القواعد التي يجب تطبيقها حيال الجرائم الاخلاقية ، يجعل مكافحة الشرطة للرذيلة أمرا شاقا •

وعندي انه مادامت الشرطة مسؤولة عن تطبيق قوانين مكافحة الرذيلة • فالواجب يقتضيها أن تعمل على تنفيذ كل أوامر هذه القوانين ونواهيهـــا ، وان توجه جهودهـا لاستئصال الرذيلة استئصالا تاما لا أن تسعى الى تحقيق حل وسط ، وألا تدع أي مجال للتساهل في مكافحة الرذيلة ، فتضطلع بعملها على نفس المنوال الذي تنتهجه في مكافحتها للجرائم الاخرى حتى تستطيع ان تؤدي واجبها في مكافحة الرذيلة على أكمل وجه ، ويحسن لذلك أن ننشيء جهازا خاصا لمكافحتها •

* * *

الاتجـار بالرذيلة :

يأخذ الاتجار بالرذيلة مظهرا اجراميا خطيرا ، وصورة هذا الاجرام ان يقوم شخص أو اكثر بتدبير وسائل ارتكاب الرذيلة أو يسهل ارتكابها مقابل الحصول على الربح ، ولاشك في ان هذا الطرف الثالث المستفيد يعمل على تنشيط عمليات الرذيلة وزيادة حجمها للحصول على ربح مضاعف • وهو بذلك يضاعف الشرور الاجتماعية المترتبـة عليها • ولاجدال في ان الاتجار في الرذيلة يلقى استهجانا من الرأي العام اكثر مما يلقاه اقتراف افعال الرذيلة ذاتها وذلك لما تنطوي عليه التجارة من أبشع صور الاستغلال لضعف

الاشخاص ولاشك في ان في حملات الشـرطة المستمرة على تجار الرذيلـة ما يقلل من أرباحهم ويخفف من حدة تأصل الرذيلة في المجتمع • وكلما قويت الجهود التي تبذلهـا الشرطة في مكافحة الاتجار بالرذيلة اضطر محترفوها الى التزام السرية في طرق ارتكابها، وبذلك تصبح الرذيلة أكثر خفاء وهذا بلاشك أمر مرغوب فيه لان ظهور الرذيلة يشجع على الانغماس فيها •

لذا يجب ان يلقى الاتجار في الرذيلة اهتماما رئيسيا من رجال الشرطة ، ولانعني بذلك التساهل في مكافحة الرذائل التي لا اتجار فيها ، ولكن يجب التسليم بأن القوة البشرية التي تملكها الشرطة محدودة ، وهي في حدود امكاناتها لن تستطيع استئصال شأفة الرذيلة كلها ، لذلك يجب عليها ان توجه اهتمامها الى اخطر الجرائم والا تبدد جهودها لمكافحة أعمال الرذيلة التي ترتكب في المنازل الخاصة فقط والتي لا يمكن أن تقاس الشرور الناتجة عنها بالشرور التي تنتج عن جرائم الاتجار في الرذيلة •

* * *

شرطة مكافحـة الرذيلة

لاشك ان مكافحة الشرطة للرذيلة تكون أجدى وأنفع اذا ماوجهت ضدتجار الرذيلة ومنظميها منها اذا ماوجهت ضد الاشخاص المنغمسين فيها فقط • ذلك لان هؤلاء التجار غالبا مايتوافر لهم المال والجاه الذي يمكنهم من أن يظلوا دائما بمنـــأى عن مســرح جرائمهم ، وهم يدبرون أعمالهم في الخفاء ويلقون في اتون الرذيلة بالكثيرين من الضحايا، ولاهم لهم الا الثراء وجمع المال ولايهمهم في قليل او كثير ما يصيب ضحاياهم من بؤس وشقاء ، ولايؤثر في نشاطهم ماتبذله الشرطة من جهد في ضبط معاونيهـم او ضحاياهم فهم على استعداد دائما بأن يزجوا في ميدان الرذيلة بغيرهم من الاعوان ماظلوا احرارا طلقاء وما دام لديهم المال الوفير الذي يساعدهم في نشاطهم الاجرامي واذا اريد للشرطة ان تقضي على الرذيلة فعليها الا ان تهتم بالقضاء على نشاط هؤلاء التجار ولا تقصر اهتمامها على ضحايا البغاء او القمار او مدمني المخدرات •

انه من واجب الشرطة ان تولي معظم اهتمامها لضبط اصحاب بيـوت الدعـارة والقوادين وتجار المخدرات وأصحاب بيوت القمار ، لا ان تضيع جهودها في الجري وراء البغايا ومدمني المخدرات ولعب القمار •

ولاشك في أن ضبط منظمي الرذيلة وتجارها يستلزم جهدا وعناء يفوق الجهـد اللازم لضبط عملاء الرذيلة وضحاياها • فالمسلم به ان هؤلاء التجار يكونون شديدي الحرص والحذر في مزاولة نشاطهم الاجرامي ، وتحتـــاج مراقبتهـم الى وقت طويل ويستلزم التحري عنهم وكشف حيلهم بذل المزيد من المال والجهد ، وقد يستدعي الامر في الكثير من الاحيان الزج ببعض افراد الشرطة في اوكارهم والتظاهر بالاشتراك معهم في نشاطهم اذا ما اريد الوصول الى معلومات دقيقة عنهم ، وقد يحتاج الامر الى ان يشترك

أحد افراد الشرطة في لعب القمار أو أن يعقد صفقة صورية لشراء كمية من المخدرات من احد تجارها ، أو يتظاهر بالخضوع لتحريض احدى البغايا بغية الحصول على أدلة كافية لضبط الجريمة ٠

* * *

التخصص في مكافحة الرذيلة :

تستلزم مكافحة افعال الرذيلة اجراءات قد تختلف اختلافا كبيرا عن تلك التي تستلزمها مكافحة الجرائم الاخرى ٠ وذلك لما يتصف به كبار تجار الرذيلة من حرص وحذر واستعدادهم الدائم لشراء الذمم وافساد اخلاق الرجال (اي رجال الشرطة) هذا فضلا عما يحتاجه ضبط قضايا الرذيلة من جهد ووقت طويل في اعمال المراقبة والتحري، والمام تام بجميع الحيل التي يتبعها تجار الرذيلة واحاطة تامة بمواد القانون الخاصة بجرائم الرذيلة وتعمق في دراسة تفسيرها ٠ وذلك مما لايتسع اله وقت ضباط الدورية او ضباط المباحث الجنائية لذلك فان انشاء فرق خاصة لمكافحة الرذيلة يجعلها اكثر فاعلية في اعمال المكافحة لانها تلتزم بمسؤوليتها وتتيح الفرصة لاختيار افراد تتوافر فيهم ميزات خاصة اهمها الكفاية والقدرة على المراقبة الطويلة والنشاط والنزاهة ٠ كما ان وجود فرق متخصصة لمكافحة الرذيلة يهيء الفرصة الاكبر قدرا من التعاون بين افرادها ويسهل اجراء تدريبات خاصة لهم ، ويؤثر في الرأي العام ويجعله يرحب بالقضاء على الرذيلة ٠

* * *

فصل اجراءات مكافحة الرذيلة عن اجراءات ضبط الجرائم الاخرى :

يرى بعض فقهاء ادارة الشرطة أنه يجب الا يتولى ضباط المباحث الجنائية اجراءات ضبط وتحقيق جرائم الرذيلة ، ويبررون رأيهم هذا بأن الاشخاص الذين يعيشون في مسارح الرذيلة غالبا ما يكونون من المصادر الثمينة للتحريات والذين يعتمد عليهم ضباط المباحث في الحصول على المعلومات التي تفيد في كشف الجرائم الاخرى التي ترتكب ضد المال والنفس ، وان قيام ضباط المباحث لضبط قضايا الرذيلة يؤدي الى احد امرين كلاهما ضار بالصالح العام ، فهو اما ان يفقدهم صداقة هؤلاء الاشخاص ويحرمهم من مصدر خصيب للمعلومات واما ان يلجيء ضباط المباحث الى محاولة التوفيق بين الوضعين المتنافرين وهو ايضا امر غير مرغوب فيه ٠ وينتهي اصحاب هذا الرأي الى وجوب اعتبار ضباط المباحث الجنائية غير مسؤولين عن مكافحة الرذيلة ، وعدم مطالبتهم باتخاذ الاجراءات اللازمة لمنعها الا في الاحوال التي ترتكب فيها تحت بصرهم أي في أحوال التلبس بها ٠

* * *

ونحن لانتفق مع اصحاب هذا الرأي في وجهة نظرهم ، فما دام القانون يجرم الرذيلة ويفرض العقوبات على مرتكبيها فيجب ان تلقى نفس الاهتمام الذي تواجه به الجرائم

الاخرى ، ولاجدال في ان الرذيلة تعتبر من اهم مقدمات جرائم الاعتداء على النفس والمال، وان في القضاء عليها اقلالا لفرص الجريمة بشتى صورها •

ونرى انه يجب اعتبار ضباط المباحث وافراد قوة الدورية مسؤولين عن مكافحة الرذيلة بمناطق اختصاصهم • وألا يلقى بالعبء كله على عاتق الفرق المتخصصة في مكافحتها ، فمهما بلغت امكانات ادارة الشرطة في أي بلد من البلاد فلن يكون في الامكان تزويد فرق مكافحة الرذيلة بها بالطاقات المادية والبشرية التي تمكنها وحدها من السيطرة على الرذيلة ، على أنه في الاحوال التي تحتاج الى امكانات وجهد تنوء بها قوة الدورية او فرقة المباحث يجب عليها ان تقوم بابلاغها لشرطة مكافحة الرذيلة لضبطها •

★ ★ ★

شرطة حماية الآداب :

اما عمل الشرطة المتخصصة في مكافحة الرذيلة فيجب ان يقتصر على ضبط جرائم الاتجار بالرذيلة والجرائم الهامة لممارستها ، ثم تنسق العمل بين أقسام الشرطة العادية فيما يتعلق بأعمال مكافحة الرذيلة ثم توجيه هذه الاعمال ، وفرض الرقابة عليها ، حتى يتأكد للشرطة في هذا المجال السيطرة التامة وادراك الهدف •

★ ★ ★

اختصاص شرطة حماية الآداب :

تختص شرطة حماية الآداب بصفة عامة بالاعمال الآتية :

أولا : مكافحة جرائم البغاء بصورها المختلفة ، وما يتصل بذلك من جرائم أخرى من الافعال الفاضحة ؛ والتعرض للسيدات في الطرق العامة وعرض الصور الفاضحة ؛ وغيرها •

ثانيا : مكافحة جرائم القمار في البيوت والاندية ، والمحال العامة والملاهي •

ثالثا : مكافحة جرائم التسول التي يرتكبها اشخاص تتجاوز اعمارهم ١٨ سنة •

رابعا : ملاحظة سلوك الفنانين والفنانات وخاصة الاجانب ، وبحث الطلبات المقدمة منهم للعمل بالملاهي والمحال العامة ، وكذلك بحث الطلبات المقدمة من الوطنيين منهم للعمل لدى الهيئات الاجنبية •

خامسا : فحص الطلبات المقدمة للترخيص للاندية والملاهي والمحال العامة لتقديم الخمور لروادها • وكذلك فحص الطلبات المقدمة لفتح أندية او مكاتب للوسطاء في تشغيل الفنانين والفنانات •

★ ★ ★

مكافحـة البغـاء

تعريف البغاء :

البغاء لغة هو : (الاتصال الجنسي غير المشروع) وهو بحسب التعريف القانوني له (استخدام الجسم ارضاء الشهوات الغير مباشرة وبغير تمييز) .

ولم تتعرض رذيلة من الرذائل لمثل الجدل الذي تعرض له البغـاء عنـد تقرير سياسات الحكومات في مواجهته . وظهر في هذا الصدد ثلاثة مذاهب مختلفة . ينـادي اصحاب المذهب الاول بالتغاضي عن البغاء في ذاته ، ويقول اصحاب المذهب الثاني انه يجب تنظيم حرفة البغاء وفرض رقابة معينة على بيوت الدعارة وانه بهذه الوسيلة يمكن حماية النساء الشريفات والآداب العامة والامن العام . بينما يذهب اصحاب المذهب الثالث والاخير الى القول بتجريم البغاء والعقاب عليه .

الا ان الخلاف بين المذاهب الثلاثة على تجريم البغاء قابله اجماع على ضرورة العقاب عليه اذا أدت ممارسته الى : الاضرار بالسكينة العامة ، او الى ازعاج او اقلاق الناس ، او الى تصيد العملاء بالطرقات والمحال العامة او الى الاعلان عنه ، او الاخلال علنا بالحياء العام . ذلك لان البغاء في هذه الاحوال يخرج عن نطاق حق الانسان في التصرف في نفسه، الى نطاق الاعتداء على أمن وحياء الآخرين ، ولايصح حينئذ ان يجد حماية له في احكام التشريع الجنائي .

وقد كان من أثر اختلاف النظرة العامة في مواجهة البغاء وتباين التشريعات المختلفة في كيفية القضاء عليه ، ان تعذر وضع سياسة عامة تحدد دور الشرطة في جميع دول العالم لمكافحته . ذلك لان هذا الدور يتحدد تبعا للسياسة التي تتبعها الدولة في نظرتها نحو البغاء في ذاته وما اذا كانت تشريعاتها الجنائية تتغاضى عنه او تنظمه او تجرمـه وتفرض العقاب على مرتكبيه .

ونتناول فيما يلي شرح وجهات النظر المختلفة في مواجهة البغاءوبيان صور مكافحة الشرطة للبغاء والتي تقوم بها متأثرة بالقوانين والتقاليد والعادات التي تختلف في كل دولة عن الاخرى تبعا لنظرة المجتمع نفسه نحو البغاء في ذاته .

* * *

المذهب الاول : اباحة البغاء :

يستند اصحاب الرأي القائل بالتغاضي عن البغاء في ذاته الى الاعتبارات الآتية :

١ ــ ليس البغاء الا رذيلة كبقية الرذائل التي ترجع الى ضمير الانسان ولايجوز أن يحكم القانون الجنائي قواعد الاخلاق ، ولا يجوز له ايضا ان يتدخل بالعقاب على مخالفة هذه القواعد الا بالقدر الذي تتعرض فيه حقوق الغير للضرر ، وفي هذه الحالة الاخيرة فقط تعلو الارادة العامة على ارادة الفرد .

٢ – ان البغاء لايتضمن الا ممارسة الشخص لحق لايجوز اسقاطه ، وهو حق تصرف الانسان في نفسه، ذلك الحق الاولي الذي يلتصق بالانسان كحقه في الوجود والحرية .

ولذلك لايجوز عقاب الانسان على هذا التصرف ، سواء أحسن فيه أو أساء .

٣ – ليست البغى الا ضحية للمجتمع الذي تعيش فيه ، وقد دلت البحوث التي قام بها الافراد والهيئات الرسمية وغير الرسمية ، على ان اسباب البغاء اقتصادية ونفسية واجتماعية ، ونادرا ماتكون البغى مسؤولة عنها .

واذا كان هنالك من النساء من يحترفن البغاء حبا في الكسل او قعودا عن العمل ويتجنبن كل طريق للتوبة ، فان نسبة هؤلاء لاتتجاوز قدرا ضئيلا لايجوز حسبانه .

وعلى ذلك فالبغي مجنى عليها، ولايصح أن تتحمل البغي مسؤولية جناية وقعت عليها .

٤ – اذا كان علماء الاجرام يرون ان البغاء ظاهرة من ظواهر الاجرام فان هنالك فارقا لايزال ظاهرا يميز بين البغاء وبين غيره من الافعال التي تعتبر جرائم ، وهو أنه سلوك لايضر بشخص احد ، ولا يسلب احدا ماله أو حياته ، بل على العكس انه ترفيه في نظر الذين يقبلون على البغايا واذا قيل انه يضر بصحة هؤلاء اذ ينقل اليهم الامراض الزهرية ، فمن المسلم به انه لايعود بالضرر في هذه الحالة الا على الفاسقين الذين يلتمسون البغاء عمدا واختيارا ، ومن يوقع ضررا بنفسه لايصح ان نعامله معاملة الذين يوقعون الضرر بالغير ، ولذلك فانه لايجوز ان يفرض القانون احكامه لحماية الفاسقين ، بل عليه ان يصنع احكامه لحماية الناس عامة .

٥ – لايقع فعل البغاء الا في الخفاء ، ويقتضي اثبات وقوعه تدخلا خطيرا في حياة الناس الخاصة واتخاذ الاجراءات للتفتيش قد تهدر حرمات الشريفات بدون مبرر .

٦ – ان الاجماع منعقد على عدم العقاب على مجرد المواقعة غير المشروعة فما معنى العقاب عليها اذا اقترنت عنصر الاجرام او عدم التمييز بينما يتوافر سوء الاخلاق في الحالتين .

★ ★ ★

دور الشرطة في الدول التي تتغاضى تشريعاتها عن تجريم البغاء .

من القواعد المسلم بها أنه ليس للشرطة في اي بلد ان تتدخل في سلوك الناس الا بالقدر الذي يجرم فيه القانون سلوكا معينا ، وليس لها في غير هذا النطاق ان تتعرض لشؤون الناس وحرياتهم ، وليس من اختصاص الشرطة ان تعلم الناس مبادىء الاخلاق، فهذا من اختصاص السلطات التعليمية او الدينية او التربوية .

ومادامت القوانين الجنائية في هذه الدول لاتجرم البغاء في ذاته فان الشرطة فيها لاتقوم برقابة حرفة البغاء او تنظيمها ، بل تترك البغايا وشأنهن . وعادة ماتدار منازل

البغاء الا في أحقر الاحياء ويعرف العملاء الى أين يتوجهون• بذلك تقتصر المتاعب على مناطق صغيرة محدودة • أما اذا اقترن البغاء بعنصر آخر يخرجه عن نطاقه المحدد، وأدت مزاولته الى المساس بالواجب الاخلاقي مساسا خطرا يخدش الشعور الادبي العام أو ألحق بالغير ضررا أدبيا او ماديا كأن اضر بالسكينة العامة او خرجت البغي لتصيد العملاء في الطرقات، أو المحلات العامة ، وصاحب البغاء تحريض عليه او اعلان عنه ، فان الشرطة عندئذ تتدخل لتطبيق احكام القانون ؛ اذ يعتبر في هذه الحالة انه قد تجاوز حدوده وأدى الى الاعتداء على أمن الآخرين وحياتهم •

* * *

المذهب الثاني : تنظيم البغاء :

يرى أصحاب هذا المذهب ان البغاء رذيلة تمتد جذورها في المجتمع الى الاعماق وان الذين لايملكون الوسائل المشروعة لاشباع الغرائز الجنسية ليس امامهم الا البغاء• وقد يؤدي تجريمه الى الاعتداء على الاعراض ، والتغرير بالقصر ، وافساد الاخلاق ، وخلق أنواع الشذوذ الجنسي ، ونشر الامراض الضارة بصحة الافراد والجماعات ، والعلاج السليم في نظرهم هو ان تصدر الدولة تشريعا تنظم به حرفة البغاء حتى تنحصر أضراره في اضيق نطاق ، وحتى يجد طالبو الملذات الجنسية بغيتهم التي لايستطيعون لها ردا دون ان يلجؤوا الى أنواع اخرى من المفاسد اشد ضررا واكبر خطرا •

ويقول اصحاب هذا المذهب ان تنظيم البغاء يواجه ضرورتين :

الاولى : ضرورة اجتماعية :

اذ يترتب على تخصيص مجموعة من النساء لارضاء شهوات الرجال ان ينصرف هؤلاء عن البحث عن ارضاء هذه الشهوات بطرق اخرى تؤدي الى : التغرير بالنساء الشريفات ، والاعتداء على أعراض القاصرات ، وافساد المتزوجات • كما قد تؤدي الى انحراف الشهوات الجنسية انحرافا شاذا أو مخالفا للطبيعة ، بل ان في تخصيص هذه المجموعة من النساء وقصر نشاطها على منطقة معينة مايمنع انتشار البغايا في المناطق الاخرى وسلوكهن بالطرق العامة وفي مساكنهن الخاصة سلوكا يخالف الحياء العام • وهكذا يرى أصحاب هذا المذهب ان تنظيم البغاء هو السور الذي يحمي الاسرة والحارس الذي يدافع عن الآداب العامة ويحمي أعراض العذارى •

* * *

الثانية ــ ضرورة صحية :

اذ يترتب على توقيع الكشف الطبي على المومسات دوريا وعلاج المريضات منهن بأمراض زهرية او غيرها من الامراض المعدية مايضمن ايقاف انتشار هذه الامراض •

دور الشرطة في الدول التي تتبع مبدأ تنظيم البغاء :

ان تنظيم البغاء يعني الاعتراف بوجوده مع فرض الرقابة والتنظيم على مزاولته ، ومن مجموع القوانين واللوائح العالمية التي صدرت بتنظيم البغاء يمكن استخلاص الاحكام التالية التي تضمنتها وهي :

* * *

أولا : بيوت البغاء :

١ ـ لايجوز فتح بيت البغاء الا بترخيص ٠
٢ ـ لايجوز فتح البيوت الا في مناطق محددة ٠
٣ ـ لايجوز ان يستخدم صاحب البيب الا المومسات المسجلات ٠
٤ ـ لايجوز استخدام نساء قاصرات ٠
٥ ـ لايجوز للقصر الاقامة او العمل في هذه البيوت ٠
٦ ـ لايجوز لاصحاب المنازل استبقاء المومسات في البيوت وفاء لدين عليهن او اكراههن او الاحتيال على استبقائهن ٠

ثانيا : المومسات :

١ ـ لايجوز للبغى احتراف البغاء الا بعد تسجيلها طبقا لشروط معينة ٠
٢ ـ لايجوز تسجيل القاصرات ٠
٣ ـ المسجلات نوعان : مسجلات يقمن ويحترفن البغاء في البيوت التي سجلن فيها ، ومسجلات يحترفن البغاء خارج هذه البيوت ٠

٤ ـ لايجوز للمسجلات في البيوت مغادرتها الا في مواعيد معينة ٠ ولايجوز لهن اصطياد عملائهن في الطرقات ٠

٥ ـ لايجوز للمومسات غير المسجلات في البيوت احتراف البغاء بالقرب من المدارس او المعاهد او دور العبادة او المستشفيات أو المصانع او المعسكرات أو غيرها من المنشآت الحكومية او العامة ، ولايجوز لهن ارتياد الحدائق او دور اللهو او المقاصف او المعارض او الاسواق او غيرها من المحال او الشوارع او المناطق التي يحظر عليهن ارتيادها ٠

٦ ـ تتقدم المومس للكشف الطبي الدوري مرة او مرتين اسبوعيا ٠
٧ ـ كل مومس يثبت مرضها تحجز في احدى المستشفيات او العيادات الطبية حتى يتم شفاؤها ٠

٨ ـ لايجوز ان يقيم مع المومس طفل في سن التمييز ٠

وتختلف قوانين التنظيم في مدى العقوبة التي تطبق عند مخالفة احكامها فبعضها يفرض عقوبة المخالفة والبعض الآخر يفرض عقوبة الجنحة وذلك بجانب العقوبات التبعية او التكميلية ٠

ويتحدد دور الشرطة في البلاد التي تأخذ بمبدأ تنظيم البغاء في قيامها بتطبيق القوانين واللوائح المنظمة له • ومن أهم واجبات الشرطة في هذا المجال •

١ ـ قصر مناطق البغاء على الاماكن التي يحددها القانون ، وضبط البغايا اذا زاولن نشاطهن خارجها •

٢ ـ تسجيل اسماء البغايا لضمان فحصهن طبيا بانتظام في المواعيد المقررة ولتقييد دخول بغايا جديدات في المجتمع •

٣ ـ انشاء ملفات خاصة للبغايا يحتفظ فيها بصورهن وبصماتهن كعامل مساعد في تحقيق الجرائم •

٤ ـ صرف بطاقة شخص لكل بغى يرجع اليها الموظفون المسؤولون عن التفتيش والرقابة للتأكد من تنفيذها للالتزامات المفروضة عليها وخاصة فيما يتعلق بالكشف الطبي الدوري •

٥ ـ فرض رقابة مشددة على أماكن البغاء ، ومنع اعمال التحريض التي تلجأ اليها البغايا كاستدراج العملاء من طريق النوافذ او أمام الابواب او التسكع في الطرقات •

* * *

المذهب الثالث : تجريم البغاء

استندت التشريعات التي تجرم البغاء الى الاعتبارات الاتية :

١ ـ ان تجريم البغاء لايرجع الى عامل الرذيلة ، ولكن الى خطورته على الامن العام والصحة العامة والآداب العامة • وبصرف النظر عن اتصاله بالضمير ، فهو عمل ضار بالنظام العام • لانه بتقويضه فكرة نظام الزواج ، وتكوين الاسرة ، يهدد النظام الاساسي للمجتمع •

٢ ـ ان حرية الانسان في استخدام جسده سواء أحسن في ذلك أم أساء اصبح القانون الحديث لايسمح بها على اطلاقها ، ففي استعمالنا حق التصرف في اجسادنا يجب ان نلتزم الحدود التي قد تتعرض بعدها المصلحة العامة للخطر ، ويجب ان نضع في الاعتبار الفكرة المتزايدة حاليا للوظيفة الاجتماعية للملكية ، تلك الوظيفة التي فرضت كثيرا من القيود على حق تصرف الانسان بملكه •

وان المرأة باعتبارها عضوا اساسيا في المجتمع ، تجب حمايتها ضد كل تصرف من شأنه تحطيم الجسد والروح ، ولايكفي ان تحمى البغايا ضد الآخرين فقط ، ولكن ضد انفسهن ايضا • فلا حق لهن في بيع اجسادهن للفسق، واذا كان تهديد القانون لايمنعهن من السقوط ، فقد يحول هذا التهديد دون استمرارهن فيه •

٣ ـ اذا كانت هنالك نظريات تقول بأن البغاء وليد الظروف الاقتصادية ، والاجتماعية فان هذه الظروف ذاتها ـ في نظر علماء الاجرام ـ هي أهم اسباب الاجرام عموما • فاذا اتخذنا ذلك اساسا لترك العقاب على البغاء ، فلابد من اتخاذه اساسا لترك العقاب على سائر الجرائم ، وهو أمر لايسهل اقراره •

٤ ـ لايجوز تجريد البغاء من صفة الجريمة ، بدعوى أنه لايضر بشخص أحد ، ولا يسلب احدا ماله او حياته ، فان الفعل لايكتسب صفة الجريمة من كونه أضر بشخص معين أو بماله ، ولكن من كونه اضر بمصلحة عامة ، ولو لم يقع ضرره المباشر على شخص بذاته ، ولذلك تعاقب القوانين على التسول ، والتشرد ، وحمل السلاح ، وغيرها • وتعريض البغي صحة عملائها للضرر لايجوز ان يبقيها بمنأى من العقاب ، بدعوى ان عليهم وزر ما ارتكبوه من فسق • اذ لو صحت هذه الدعوى لاستحال عقاب تاجر الخمر المغشوش ، او بائعي المخدرات ، بمقولة ان عملاءهم من المدمنين عليها •

٥ ـ ليس البغاء وحده هو الذي يقع في الخفاء ، فهنالك جرائم اشد منه خفاء ، واستتارا ، ولم ينجها ذلك من الكشف عنها واقامة الادلة على وقوعها • وذهب اصحاب هذا المذهب في تفنيدهم للحجج التي استند اليها أصحاب مذهب تنظيم البغاء الى الاعتبارات الصحية والاجتماعية والقانونية الآتية :

أولا ـ الاعتبارات الصحية :

لم يفلح تنظيم البغاء في مكافحة الامراض الزهرية ، بل ان التنظيم في ذاته قد زاد من انتشار هذه الامراض في كثير من الظروف ، ويرجع ذلك الى اسباب شتى منها :

أ ـ ان نتائج الكشف الطبي على المومسات غير موثوق بها لما قد يكون من اهمال بعض الاطباء ، ولاخفاء المومسات دلائل المرض ، ولان النتائج الصحيحة تحتاج الى اجراء أنواع من التحليل المعملي يتعذر او يصعب اجراؤها على كل منهن مرة او مرتين في الاسبوع •

ب ـ قد تمرض المومس في الفترة بين الكشفين الطبيين ، فتنقل العدوى حتى يكتشف مرضها •

حـ ـ قد تحمل المومس جراثيم المرض دون ان تظهر علاماته عليها •

د ـ المومس وعميلها شريكان في نقل المرض فلا يجدي الاكتفاء بفحص احدهما دون الآخر •

ثانيا ـ الاعتبارات الاجتماعية :

كان من أهم المطاعن التي وجهت الى تنظيم البغاء مايأتي :
أ ـ ان تنظيم البغاء لايفلح في حماية الامن العام أو الآداب العامة ، بل كان على

النقيض من ذلك سببا اساسيا في الاتجار بالنساء والاطفال وفي تجارة الرقيق الابيض في العالم كله ٠

ب - ان القول بعزل البغايا في أماكن محددة كفيل بالقضاء على مزاولة حرفة البغاء خارجها مردود بأن الترخيص بادارة منازل للدعارة يضعف من مقاومة المجتمع لهذا النوع من الرذيلة، وقد لوحظ ان عدد البغايا اللاتي يحترفن البغاء خارج المناطق المخصصة للدعارة يكون اكبر من عددهن في المدن التي لايوجد فيها أصلا مناطق مخصصة للبغاء ٠

ح - يفترض التنظيم وجود نوعين من الاخلاق : فضائل يجب حمايتها ورذائل يجب الاحتفاظ بها ٠ واعتراف الدولة بوجود هذين النوعين من الاخلاق يلحق الضرر بليغا بالجيل الناشيء من وجهة النظر التربوية والثقافية ٠

د - ان تنظيم البغاء يعني : التحكم في النساء ، وتجريدهن من سمات الانسانية وجعلهن دمى بلا روح ، ومجرد ادوات تقدم الى الرجال لارضاء شهواتهم ٠

ثالثا - الاعتبارات القانونية :

ا - اذا كان القانون يتغاضى احيانا عن الرذائل ولا يتدخل فيها باعتبارها علاقة بين الانسان وربه ، فانه لايصح أن يعترف بوجودها أو أن يحميها والا فان الدولة باصدارها قانونا ينظم الرذيلة تعتبر مناصرة للرذائل ومشاركة في نشر الفساد ٠

ب - ان الدولة تستند في وجودها الى فكرة اخلاقية ، يقوم عليها أساس حقها في الحكم والعقاب ، فلا يجوز لها أن تسن قانونا يتعارض مع فكرة وجودها ٠

ح - ان البغاء ضار بالمجتمع ، لان الاسرة والزواج أساس المجتمع ، وقد فرض الدستور لها حماية خاصة ،واذن فالبغاء يخالف النظام العام والدستور ، ويمتد هذا الوصف الى منازل البغاء ٠

د - التنظيم هو تنكر لمبادىء العدالة والحرية والمساواة التي فرضتها الدساتير لكل من الجنسين على السواء ٠

وقد كان لهذه الحجج والاسانيد القوية اثرها في الرأي العام العالمي فاعتنقت معظم التشريعات الحديثة في العالم مذهب الغاء تنظيم البغاء وفي بعض الدول منذ اوائل القرن العشرين بدأت مكافحة البغاء تسير على طريقة عملية بتوقيع العقاب على من يمارس البغاء٠

دور الشرطة في الدول التي تجرم البغاء :

تقوم الشرطة في هذه الدول بمكافحة البغاء بنفس الطريقة التي تكافح بها اي جريمة أخرى ٠ فمادام البغاء عملا غير مشروع فانه يجب على الشرطة أن تعمل على استئصال شأفته بكل صوره واشكاله ٠ ولايصح ان يؤثر في هذا الواجب ما قد يقال

من أن البغاء كان ولايزال موجودا في البلاد التي تعاقب عليه ، فما من قانون أو اجراء استطاع في أي زمان أو مكان أن يقضي قضاء تاما على الجريمة في جميع صورها ٠

على انه من الواضح ان نطاق اختصاص الشرطة في مكافحة البغاء وضبط جرائمه يتحدد بما ورد في قوانين الدولة نفسها من نصوص متعلقة بحماية الآداب وقد تزيد أو تقل هذه الاختصاصات في الدول المختلفة تبعا لزيادة أو قلة النصوص الواردة في قوانينها٠

ونورد فيما يلي أهم أنواع السلوك المنافي للآداب والذي تكافحه شرطة الجمهورية العربية السورية ثم نعقب عليه ببعض صور السلوك الذي تكافحه الشرطة في بعض البلاد الاجنبية ٠

مكافحة جرائم الآداب في سورية

تكافح الشرطة الأنواع الآتية من السلوك المنافي للآداب :

اولا ـ جرائم البغاء :

يحظر القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٦١ سبعة انواع من الجرائم ٠

١ ـ تحريض الغير (ذكرا أو انثى) على البغاء او تسهيله له أو معاونته عليه أو الشروع في شيء من ذلك ٠

ويتضمن ذلك ادخال احد الاشخاص للبلاد بقصد البغاء أو اخراجه منها لهذا الغرض ، وهو مايعرف بالاتجار الدولي بالبغاء (وكان من قبل يطلق عليه الاتجار بالرقيق الابيض) ٠

٢ ـ استغلال البغاء :
ويقصد به الاستفادة المادية من ممارسة الغير للبغاء سواء أكانت هذه الفائدة في صورة مال أو مايقوم بمال ٠

٣ ـ فتح وادارة البيوت للبغاء :
والمقصود هو تجريم فتح وادارة أي مكان يستعمل لممارسة غير البغاء فيه ولو كان هذا الغير شخصا واحدا ، وعلى ذلك لايعتبر بيتا للبغاء البيت الذي يستعمله صاحبه لممارسته هو ذاته البغاء فيه ٠

وتعتبر جريمة فتح وادارة بيت للبغاء من جرائم العادة التي لاتتم عناصرها الا بتكرار الفعل ٠

٤ ـ تقديم الاماكن او استخدامها للبغاء :
ويتضمن ذلك : تقديم أو تأجير الاماكن او المساكن لاشخاص يمارسون البغاء فيها، وتسهيل البغاء في المحال العامة ، واستخدام من يمارسون البغاء في المحال العامة بقصد استغلالهم في ترويج هذه المحال ٠

وتختلف هذه الجرائم عن جرائم فتح وادارة بيوت البغاء ، في ان الجرائم الاخيرة لاتقع الا بتدخل الجاني تدخلا ايجابيا في ادارة حركة البغاء واستغلاله اما عن الجرائم الاولى فيكتفي فيها بالموقف السلبي من جانب الجاني مع علمه بممارسة البغاء ٠

٥ ــ الاقامة او الاشتغال في بيت البغاء :

والقانون في هذه الحالة يعاقب على مايعتبره قرينه على استغلال البغاء او المساعدة عليه ؛ فاقامة شخص في بيت يدار للبغاء يعتبر قرينه على أن هذا الشخص يستغل بغاء الموجودين في هذا البيت او يسهله لهم ، وكذلك الاشتغال في مثل هذا البيت ٠ وهذه الجريمة من جرائم العادة ايضا التي لاتتم عناصرها الا بالاعتياد ٠

٦ ــ الاعلان عن البغاء أو لفت النظر اليه :

والمقصود بهذا النص هو تجريم الاعلانات التي تدعو الناس الى بيوت البغاء أو مرتكبي البغاء ، سواء أكانت الاعلانات في ظاهرها مشروعة ، أي تخفي الغرض الحقيقي منها ، أم كانت غير مشروعة ، أي تكشف بصراحة عن هذا الغرض ٠

٧ ــ ممارسة البغاء :

وهي الجريمة الوحيدة التي نص عليها قانون مكافحة الدعارة في شأن من يمارس البغاء ٠ فهي لاتعتبرمن جرائم القوادة، وهي من جرائم العادةالتي لاتتم عناصرها الا بالتكرار ٠

ثانيا ــ الاخلال بالآداب علنا :

ويتضمن ذلك الجرائم الآتية :

١ ــ الفعل العلني الفاضح ٠

٢ ــ تحريض المارة على الفسق في طريق عام أو مكان مطروق ٠

٣ ــ التعرض لانثى بشكل يخدش الحياء بالقول أو الفعل في طريق عام أو مكان مطروق ٠

٤ ــ الجهر علانية بأغان أو بالصياح أو الخطابة اذا كان فيها ما يخالف الآداب ٠

٥ ــ الاغتسال في المدن أو القرى بحالة منافية للآداب ٠

ثالثا ــ المطبوعات والاشياء الفاضحة :

حرم القانون الافعال الآتية بالنسبة للمطبوعات او الاشياء الفاضحة أو المنافية للآداب ٠

١ ــ صنع هذه الاشياء أو المطبوعات ·

٢ ــ حيازتها بقصد الاتجار أو التوزيع أو اللصق أو العرض أو الايجار ·

٣ ــ استيرادها أو تصديرها أو نقلها لنفس الغرض ·

٤ ــ الاعلان عنها أو عرضها على أنظار الجمهور ·

٥ ــ بيعها او تأجيرها أو عرضها للاتجار ولو في غير علانية ·

٦ ــ تقديمها علانية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ولو بالمجان وفي اية صورة من الصور ·

٧ ــ توزيعها او تسليمها للتوزيع بأية وسيلة ·

٨ ــ تقديمها سرا ولو بالمجان بقصد افساد الاخلاق ·

والمفهوم ان اعتبار المطبوعات أو الاشياء المخالفة للآداب من الموضوعات الدقيقة التي تحكمها ظروف البيئة والتقاليد والثقافة في كل زمان ومكان ·

* * *

بعض صور السلوك المنافي للآداب في التشريعات الاجنبية :

تتوسع بعض التشريعات في تجريم أنواع أخرى من السلوك المنافي للآداب ومن أمثلة ذلك :

في الدانمرك : يعاقب القانون على تزي الرجال بزي النساء ·

وفي انجلترا : يعاقب القانون على اللواطة ومواقعة الحيوان ·

وفي فرنسا : يعاقب القانون على اشتهار المرأة بمصاحبة رجل واتخاذه رفيقا لها في اثناء غياب زوجها عن وطنه ولو لم يثبت زناها ·

وفي الولايات المتحدة : تعاقب قوانين الولايات على : مواقعة المحارم والحديث التليفوني الفاضح ، والتلصص على الناس من نوافذ مساكنهم الخاصة ، والمراسلات الفاضحة ، والعمل على مواقعة حيوان لحيوان آخر علنا ، والكتابة الفاضحة على الجدران والاسوار ، والانزال باليد، وهكذا ولاشك في ان مثل هذهالنصوص تضيف اختصاصات أخرى الى الشرطة يدخل في واجها مكافحتها والقضاء عليها ·



« في مغارة قدســيا »

يحز في قلبي أن أروي القصص المشينة ، التي تعكس صورا من الانهيار الخلقي والشذوذ الجنسي ، ولكني اجد نفسي بالمقارنة ، أنني اروي قصة عادية حدث افظع واعمق منها في أرقى عواصم العالم ، حدث مثلها في لندن ، وباريس ، ونيويورك وروما ، وحملت الينا صحف ومجلات العالم الكثير والعديد ، من الخبار المغامرين ذوي « الشذوذ الجنسي » الذين يعتدون على الاعراض ويسفكون دمها ، أو يمثلون بأجسامها ، ويقيني أن هذا المرض الزنيم، انتقل الى شرقنا العربي مع الاوبئةالتي وفدت لنا مع مدنيةالغرب·

★ ★ ★

قلت يؤسفني أن اروي قصصا « مخجلة » يكون مســـرحها أرض وطني ، ولكـــن ما حيلتي وأنا طبيب يشخص « الداء » بروح المصلح ، وايمان المخلص ، وعزيمة المؤمن الذي يسعى جاهدا للقضاء على الرذيلة ، ودفن معالم الاجرام والشقاوة ، واعلاء كلمـــة الحق ، وتحقيق مبدأ العدالة ، وتأمين سيادة القانون ·

★ ★ ★

لقد ترددت كثيرا قبل ان اكتب هذه القصة ، ولكن ضميري ووجداني ، أوحيا لي بأن اضعها مبسطة (بدون اسماء الضحايا) تحت سمع وبصر الرأي العام، للاسباب الآتية:

١ ــ لاحذر كافة الذين انزلقوا في تيارات الشذوذ الجنسي ، من أن يد القانون ، وسيف العدالة ، سيطالهم ، وسيكون حسابهم عسيرا ، وعقابهم صارما ·

★ ★ ★

٢ ــ لالفت نظر الآباء والأمهات ، الى ضرورة العناية ، بأطفالهم ، بأن يكونوا في منتهى اليقظة والحذر، وأن لايتركوا أولادهم يشردونفي الشوارع دون رقيب أو حارس·

★ ★ ★

٣ ــ لاؤكد لكل مجرم او خارج على القانون ، أنه مهما حاول اخفاء جريمته ، او تفنن في تغطيتها ، فلن يفلت من يدنا ، فنحن (ولا فخر) حراس الامن ، وعين السلطة الساهرة ، على راحة وأمن المواطنين ·

★ ★ ★

بعد هذه المقدمة ··· اسرد القصة على الشكل التالي :

وردت العديد من الشكاوي الى أقسام الشرطة في مدينة دمشق ، وكلها تفيد ان مجهولا اعتدى على طفلة في الخامسة او السادسة من عمرها ، وكانت هـذه الشـكاوى متشابهة في (رواياتها) اذ كان يدعى الاهل فقدان ابنتهم الصغيرة ، ثم يخبرون عن عودتها مهتوكة العرض ، ممزقة العفاف • والغريب في الامر ، أن جميع « الصغيرات » اللواتي اعتدى عليهن ، لم يستطعن معرفة الفاعل أو تحديد مكان ارتكاب الجرم ••• وهكذا كنا ندور في حلقة مفرغـة ، نبحث عن فاعل مجهول ، لا أثر له ، ولا دليـل يرشد عليه •

* * *

مضى شهر كامل ، وهذه الجريمة تتكرر مـرة أو مرتين في الاسـبوع ، ولايردنا للادارة الجنائية من اخبارها ، سوى برقيات رسمية ، ترسلها عادة أقسام الشرطة كلما وقع حادث ، أو حدث جرم • وفي يوم من الايام استدعاني سيادة مدير الأمن العام، العقيد عثمان كنعان ، وكلفني بالبحث عن (الجاني الاثيم) الذي بدأت تتحدث عنه دمشق •

ولقد تعودت ان تكون رغبات رؤوسائي ، أوامر، لامناص من تحقيقها بأقصى سرعة، وهكذا اندفعت بمعاونة كافة الضباط العاملين في الادارة الجنائية ، ابحث وانقب ، وابث العيون والارصاد ، وانشر المخبرين والمرشدين ، لاصل الى الهدف المنشود ، وكنت والحمد لله ، شديد الايمان بعدالة السماء ، لذلك لم يتسرب الي الشك بمقدرتنا في القبض على المجرم الوسخ •

* * *

الى جانب هذا النشاط في البحث والترصد ، كنت اتصل بجميع البيـوت التـي فجعت (باعتداء المجرم) واستمع الى الاوصاف التي ترويها (الصغيرات المعتدى عليهن) عن شكل المجرم ومكان وقوع الجرم ، وكنت اجوب المدينة شرقا وغربا ، أدرس خلالها أوضاع كل من أشك بأصابته (بمرض الشذوذ الجنسي) ••• وأخيرا تكون في مخيلتي (هيكل مجرم) اهتديت تدريجيا الى اسمه ، واحطته بسوار من العيون لتحصى عليـه انفاسه وحركاته •

وفي يوم من الايام ، ورد لنا اخبار يدعم المراقبة والترصد ويفيد ان شخصا يدعى (حموده) يلجأ الى مغارة في جبال (دمر) وكثيرا ما شوهد حاملا بنات صغاراً أو ساحبهن بيده ، مدعيا أنهن من قريباته •

* * *

بعد هذه المعلومات الجديدة ، قمنا باحكام عمليات الترصد حتى شاهدنا (حموده)

يهبط من (باص) أمام مقهى دمر ، وهو يحمل بين ذراعيه طفلة في السادسة من عمرها، متجها بسرعة نحو جبال قدسيا ٠ وقد وقف أمام احد الباعة يشتري قطعا من الحلوى والسكاكر للطفلة ، ثم يتجه بها بسرعة نحو (المغارة) التي كانت هدف عيوننا المرصودة ٠

* * *

وصل المجرم الاثيم الى (المغارة) وبدأت عملية العراك المخجل مع الطفلة ، التي شعرت بالوحشة ، كما احست ان الذي استدرجها الى هذا المكان يريد الاعتداء عليها ، فبدأت تصرخ وتعول وتستغيث ٠٠٠ بينما كان رجالنا يطوقون المغارة بقيادة (النقيب هيثم شوري) ٠ وما ان اصبح المنظر يشكل من الناحية القانونية (الجرم المشهود) حتى هب عليه رجال المباحث وقبضوا عليه (وعلى الادوات الجرمية ٠٠٠ التي اخجل من ذكرها وتعدادها) ٠ وفيما هم يقتادونه الى (دار التحقيق) افلت من يدهم ورمى نفسه في حفرة حجرية ، اخرج منها مهشما ، كأنما أراد رب السماء أن يبدأ عقابه سلفا مع المجرم ٠

* * *

رغم هذه المحاولة الانتحارية التي اقدم عليها المجرم ، لم يستطع الافلات من يدنا فلقد ضمدنا جراحه في المستشفى ، وباشرنا التحقيق معه ، حيث اعترف بسلسلة طويلة من الجرائم البشعة (حيث لازالت الضحايا في المستشفى) وقد اجريت المقابلات اللازمة وجرى التمثيل الشكلي لكل جريمة ، وسطرت الضبوط اللازمة ، وقدم الى القضاء لينال الحكم العادل ٠

* * *

لقد استمعنا الى رأي رجال القانون في هذا المجرم الرقيع ، فقيل لنا ان (حكمه) قد يتجاوز الخمسة وعشرين عاما ، ولكنه لن يحكم بالاعدام ، لانه لم يقتل ضحيته ٠

* * *

ان هذه الجريمة كثيرا ما تقع في ارقى عواصم الدنيا لذلك لاغرابة ان وقعت حادثتان مماثلتان في سورية خلال خمسة عشر عاما على وجه التحديد ، وهذا ما يؤكد لنا اننا نعيش في وطننا بمستوى اخلاقي يفوق بكثير مستويات الدول الكبرى وحتى المتمدنة -

* * *



الوحش البشري (حمادة) في المغارة يمثل جرائمه أمام النقيب هيثم شورى



سارق أعراض القاصرات أمام العقيد بهاء الدين الخوجه والملازم الاول سالم عبد البر يعلن ندمه ويشرح جرائمه

« المجرم يبرقــه »

منذ خمس سنوات على وجه التقريب ، ضجت دمشق ، بعدد غير قليل من جرائم الشذوذ الجنسي ، وكلها تدور حول مجرم اثيم يعتــدي (سرا وغدرا) عـلى صغيرات لاتتجاوز اعمارهن السادسة ، وكانت كل هذه الجرائم تتلخص في اختطاف البنات ، والاعتداء على عفافهن ، وسلبهن مايتزين به من ذهب وحلي (كحلق او سوار أو خاتم) .

* * *

صممت على القبض على الجاني الاثيم ، وبــدأت أترصد اخبــاره ، فجمعت كافــة البنات المعتدى عليهن ، واستمعت الى أوصاف (الجاني) فكانت كلها متقاربة ، ترسم امامي هيكل مجرم تعودت أن أجده بين الشقاة واللصوص من الرواد الدائميين للسجون .

اخذت ابحث في السجلات ، وانقب في ارشيف الصور ، فوجدت ان معظم الاوصاف التي سردت امامي تنطبق على (اللص) يبرقه ، الذي اودعته منذ سنة سجن دمشق ، بجرائم مشهودة وموصوفة ، فتوجهت فورا الى سجن دمشق ، لاتأكد من وجوده فيه ، فعلمت انه خرج من السجن مع من خرجوا من المحكومين بموجب عفو عام اصدرته الدولة ، في هذه اللحظة حصرت شبهتي (بالمجرم يبرقه) واصدرت تعليماتي بالقبض عليه اينما كان ، وبأي حال كان .

* * *

وفي يوم من الايام جاءني الرقيب خالد مسعود ، المكلف بمراقبة الاسواق التجارية ومعه شاب يعرض (حلقات واساور وخواتم) بنات صغار، يسعى لبيعها في سوق الصاغة .

قلت للشاب : لمن هذه (الحلقات والاساور الذهبية) التي تعرضها للبيع !؟

قال : أعطاني اياهــا صديقي (يبرقه) لابيعها له ، وقــد أعلمني انه حصل عليها من اقربائه .

قلت : واين هو يبرقه

قال : كان في الدار ثم سافر

احتجزت الشاب الذي يعرض الحلي الذهبية ، وارسلت دورية للبحث عن(يبرقه) في كل مكان في دمشق ، وقد دخل الايمان الى قلبي ، بأن (يبرقه) هو مرتكب الجرائم مع الصغيرات ، لان (الحلقات والاساور الذهبية) المعروضة للبيع هي نفس الحلقات والاساور التي فقدت من البنات المعتدى عليهن ، والتي لدينا اعدادها وأوصافها .

وبعد يوم كامل من بحث وترصد مستمر ، قبض رجالنــا عـلى المجرم يبرقــه ، وجاؤني به ، ولدى التحقيق معه اعترف بكامل جرائمه ، فنظم بحقــه الضبط الــلازم واودع محكمــة الجنايات حيث حكم خمسة وثلاثين عاما عـلى أن لايمسه اي نـوع من انواع العفو .

الطبيب المزيف

لقد اسهبت في الحديث عن الرذيلة ، ودرست بوضوح اسبابها ومسبباتها ، ولكني امسك على سرد الامثلة ، لما لهذا الموضوع من مساس بالاعراض والمحرمات ، ولكني اسوق مثلا يكاد يكون نوعا من الاتجار بالرقيق الابيض ، والهدف الذي أرمي اليه ، هو ان الدولة ، وأجهزة الامن فيها بصورة خاصــة ، تحارب بشــدة وعنف الرذيلة وأعشاش الفساد ، وتعمل بكل امكانياتها للقضاء على تجار الرقيق الابيض الذين قال فيهم الرسول الاعظم محمد (ص) ٠٠٠ القواد لايشم رائحة الجنة ٠

* * *

لقد نمي الينا بتاريخ ٣٠/٤/٩٥٩ ، بأنه يقع في احد احياء دمشق ، مركز لتجارة الرقيق الابيض ، يقوم عليه ، عدد من القوادين المحترفين ، همهم التغرير بالقاصرات وتدنيس حرمات الساذجات ، فأصدرنا الاوامر لرجال قسم حماية الآداب والاخلاق ، ليقوموا بمراقبة الدار المشتبه بها ، للقبض على المجرمين متلبسين بالجرم المشهود ٠

توجه رجالنا الى حيث وجهناهم ، فاذا بهم امام منزل يحمل اسم طبيب ، تدخله النسوة الداعرات ، ويتردد عليه عشاق اللذة الجسدية ، فبحثوا عن حقيقة اسم الطبيب فوجدوا انه اسما مزيفا منتحلا ، اتخذه الذئاب البشرية ستارا لعمليتهم الوسخة ٠

داهموا منزل الطبيب المزيف ، فوجدوا دارا مؤثثة ، وكأنها دار طبيب يتصدرها قواد معروف لبس الثياب البيضاء ، ووضع في رقبته سماعة الطبيب ، واتقن اسلوب الشعوذة اللا أخلاقية بشكل كامل ٠

عندها قبضوا على صاحب الدار ، بعد ان فتشوها التفتيش الدقيق حتى حصلوا على كافة الدلائل الجرمية التي تبين عدد الضحايا واسلوب التغرير وقدموه بالضبط اللازم الى القضاء لينال الجزاء العادل ٠

* * *

ملاحظة :

لدينا العديد من الجرائم اللا اخلاقية لم نجد داعيا لذكرها ، ولكننا بالمناسبة اذا ما أجرينا مقارنة بلغة الارقام بين الوضع الاخلاقي في سورية وبين الدول المجاورة او الدول الغربية ، نجد اننا في بلد يكاد يكون مثاليا من الناحية الخلقية ، لان عدد البغايا السريات والعلنيات يكاد يعد على اصابع اليد ، كما ان التدابير المتخذة والتشريعات التي تصدر حاليا تكاد تقضي على الرذيلة من اساسها ٠

قسم الاحصـــاء الجنائي

احدث قسم الاحصاء الجنائي بمديرية الامن العام في الجمهورية العربية السورية بالقرار الوزاري ذو الرقم (٤٩٨) تاريخ ١٣/٥/١٩٥٨ الصادر عن وزارة الداخلية . وينص القرار المذكور في مادته الرابعة البند الخامس – الفقرة و على مايلي :

قسم الاحصـاء الجنائي :

« يختص بدراسة احوال الامن العام في المحافظات والمقترحـات الخاصـــة بذلك وتنظيم احصاء الجرائم بأنواعها وتصنيفها وتجهيز كل مايراد أو يطلب من تقارير أو احصاءات خاصة بها ويقوم هـذا القسم ايضا باعداد البيانات اللازمـــة لتقرير الامن العام السنوي » .

عمل قسم الاحصاء الجنائي منذ نشوئه :

باشر قسم الاحصاء الجنائي عمله ابتداء من ١/٩/١٩٥٨ . وكان عليه قبل كل شيء تنظيم عملية الاحصاء وتأمين البيانات الاحصائية عن الجرائم المرتكبة في كل محافظة من محافظات الجمهورية العربية السورية ابتداء من أول عام ١٩٥٨ . ولذلك قام بمايلي:

١ – اتصل بجميع المحافظات ومختلف ادارات الامن العام واصدر تعليمات خاصـــة بشأن عملية الاحصاء .

٢ – وردت الى القسم معلومات وبيانات عن الجرائم المرتكبة ولكن بصورة غير واضحة اجمالية غير مفصلة وناقصة وذلك من نماذج كان القسم العدلي بمديرية الشرطة والامن بالاتفاق مع وزارة العدلية قد عممها على جميع المحافظات لجمع المعلومات عن بعض الجرائم . مما اضطر قسم الاحصاء الجنائي الى الاتفاق مـــع المسؤولين في وزارة العدل على زيادة بعض المعلومات الناقصة في هذه الجداول على ضـــوء ماجاء في مواد قانون العقوبات السوري . وأصبحت المعلومات ترد الى قسم الاحصاء ضمن الجدول المتفق عليه آنفا وهو انموذج رقم (١) .

وبهذا الشكل أخذت تتجمع لدى قسم الاحصاء معلومات وجداول احصائية عن الجرائم المرتكبة خلال العام .

٣ – وضع القسم تقريرا مفصلا منظما لعملية الاحصـــاء في المخفر والناحيـــة والمنطقـــة والقسم والمحافظة منذ وقوع الجريمة والاجراءات الواجب اتخاذها في كل من المخفر



الاستاذ موفق قولى رئيس قسم الاحصاء الجنائي

والقسم حتى يبت القضاء فيها والاعلام بصورة دائمة عما تم نحوها الى قسم الاحصاء الجنائي ٠

٤ ـ بغية اتمام المعلومات اللازمة لعملية الاحصاء الجنائي فقد أصدرت المديرية العامة للامن العام الامر الاداري رقم ٨/٣٧ تاريخ ١٩٦٢/١٢/١٦ عممت بموجبه على المحافظات انموذجي (تقرير الجريمة ـ ملحق تقرير الجريمة) اللذين جرى العمل بهما منذ ذلك التاريخ حيث أخذت ترد الى قسم الاحصاء الجنائي تفصيلات عن كل حادثة هامة تقع في أي جزء من اجزاء الجمهورية العربية السورية وذلك ضمن تقرير الجريمة (انموذج رقم (١)) ٠

اما اذا كانت المعلومات التي وردت في الانموذج رقم (١) لتقرير الجريمة غير كاملة فان الجهة المنظمة لتقرير الجريمة تتبع هذا التقرير بملحق تقرير الجريمة رقم(٢) الذي يحوي النواقص والتعديلات التي طرأت على الجريمة المرتكبة ٠

النظام المتبع في عمليـــة الاحصاء :

١ ـ عند وقوع الجريمة في المخفر او القسم يقوم رجال الشرطة باجراء التحقيق فيهـا وتنظيم الضبط اللازم وتنظيم انموذج تقرير الجريمة رقم (١) ·

٢ ـ يرسل المخفر او القسم صورة عن الضبط المنظم الى مديرية الناحية وهذه ترسله الى مديرية المنطقة التي ترسله بدورها ايضا الى قيادة شرطة المحافظة ·

٣ ـ تقوم قيادة شرطة المحافظة باخطار قيادة قوى الامن الداخلي برقيا عن كل ما يقع من جرائم هامة في منطقتها خلال الاربع والعشرين ساعة الماضية ·

٤ ـ تقوم قيادة قوى الامن الداخلي باصدار تقرير يومي عن الحوادث المعروضة برقيا من المحافظات وترسل نسخة منه الى قسم الاحصاء الجنائي بالامن العام ·

٥ ـ تقوم كل محافظة بعمل تقرير اسبوعي مفصل عما وقع ضمن دائرتها من حوادث خلال الاسبوع الماضي وترسله الى قسم الاحصاء الجنائي بالامن العام عن طريق قيادة قوى الامن الداخلي ·

٦ ـ في نهاية كل شهر ترسل قيادة شرطة كل محافظة جدولا احصائيا انموذج رقم (١) السابق الذكر يتضمن عدد الجرائم المرتكبة ضمن منطقتها خلال ذلك الشهر ·

٧ ـ عند وصول هذه الجداول الشهرية من المحافظات الى قسم الاحصاء الجنائي يقوم الموظف المختص بتفريغ هذه الجداول والبيانات في جداول انموذج رقم (٢) ·

٨ ـ يقـوم الموظف المختص في قسم الاحصـاء بمراجعـة الجداول انموذج رقـم (٢) وتدقيقها ومقارنتها بتقـارير الجريمـة الواردة من نفس الجهة وبعـدد الجرائم الواردة بالتقارير الاسبوعية الآنفة الذكر · فاذا ظهر اي خطأ او تضارب بالارقام يرسل كتابا الى قيادة شرطة المحافظة للاستيضاح عن ذلك ·

٩ ـ يقوم القسم في اول كل شهر بعمل بيان اجمالي بعدد الجرائم المرتكبة في انحاء الجمهورية العربية السورية خلال الشهر السابق مقابلا بما وقع من هذه الجرائم في نفس الشهر من العام الماضي لاطلاع المسؤولين عليه ·

١٠ ـ يقوم القسم باعداد كل مايطلب منه من تقارير او احصاءات الى الجهات المسؤولة او الهيئات الدولية ·

١١ ـ يطلب القسم في نهاية كل عـام من مختلف ادارات الامن العـام موافاته بتقرير

مفصل عن نشاط الاقسام التابعة لها والاعمال الجديدة والنظم الحديثة المتبعة خلال ذلك العام ٠

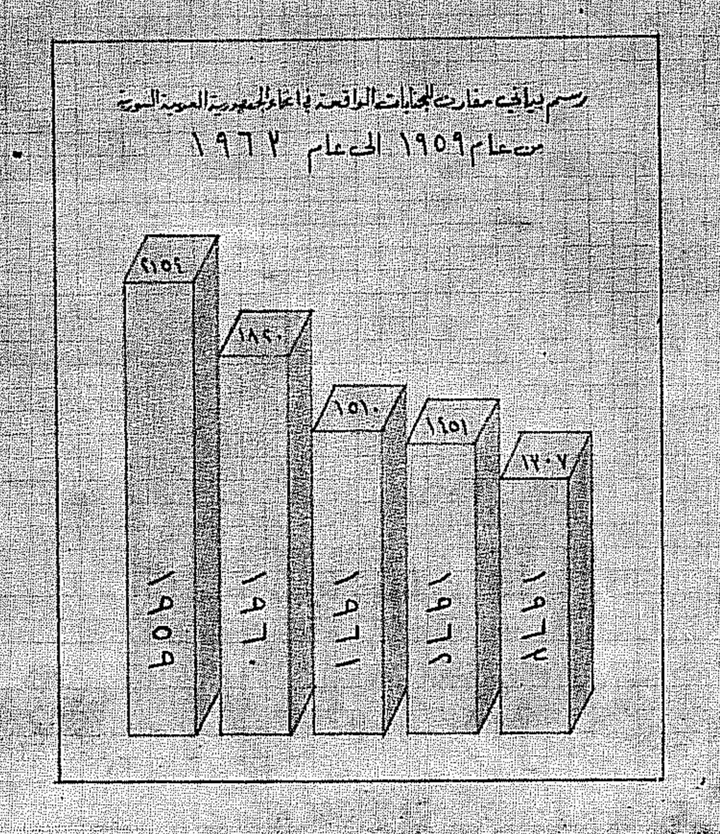
١٢ ـ يرد الى القسم في نهاية العام احصاءات سنوية من الاقسام الآتية : قسم مكافحة المخدرات ـ قسم التزييف والتزوير ـ قسم حماية الآداب والاحداث ـ قسم المباحث الجنائية ـ قسم الرخص ـ قسم البوليس الدولي الجنائي ٠

١٣ ـ يقوم القسم بعمل التقرير السنوي عن حالة الامن العام ٠ ويعتبر هذا التقرير هو العمل الرئيسي لهذا القسم ٠ حيث تظهر فيه خلاصة الاحصاءات الواردة من جميع المحافظات عن الجرائم المرتكبة فيها فتبوب حسب نوعها ان كانت جناية ترد في باب الجنايات وان كانت جنحة فترد في باب الجنح وجميع هذه الاحصاءات تدعم برسوم بيانية وخرائط تصويرية تبين نسب هبوطها وارتفاعها وقد صدر عن قسم الاحصاء الجنائي منذ نشوئه في عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٤ ستة تقارير سنوية بشكل كتيب يحوي ايضا نشاط المديريات والادارات التابعة لقيادة قوى الامن الداخلي ٠

وفيما يلي نورد بعض الاحصاءات عن الجرائم الهامة التي وقعت في الجمهورية العربية السورية مقارنة بما وقع منها في الاعوام الخمسة السابقة (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣) لقد بلغ عدد الجنايات التي وقعت في انحاء الجمهورية العربية السورية خلال الاعوام الخمسة السابقة كما يلي :

* * *

السنة	عدد الجنايات	نسبة الهبوط او الزيادة	
		هبوط	زيادة
١٩٥٩	٢١٥٤	—	٪ ١١
١٩٦٠	١٨٢٠	٪ ١٥	—
١٩٦١	١٥١٠	٪ ١٧	—
١٩٦٢	١٤٥١	٪ ٤	—
١٩٦٣	١٢٠٧	٪ ١٠	—



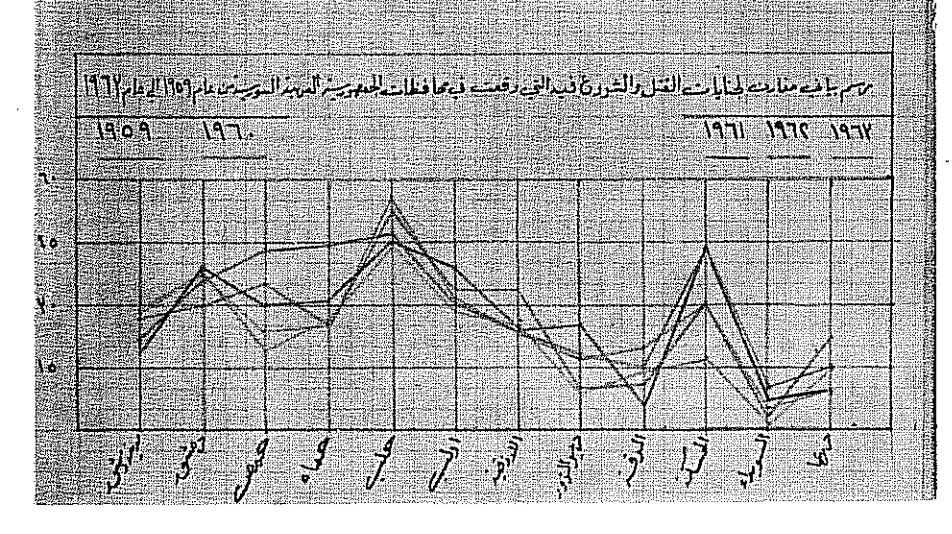
وفيما يلي نقدم بيان بأنواع الجنايات المرتكبة خلال الأعوام الخمسة التالية

انواع الجنايات	العدد				
	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣
قتل وشروع فيه	٣٤٦	٣٠٦	٣١٥	٣١٢	٢٦٥
ضرب افضى الى موت	٤٣	٥٦	٦٢	٩٠	٦٣
ضرب نشأت عنه عاهة دائمة	١٢٨	٩٤	٨٠	١١٩	١١١
خطف	١٩٨	١١٩	١٠٦	٩٩	٥٥
فسق وهتك عرض	٢٧٠	٢٥٢	١٧٦	١٤٩	١٢٣
سرقات وشروع فيها	١٠٩٧	٨٧٦	٦٦٩	٥٥٦	٥٧٥
حريق عمداً	١٨	٢٥	٢٤	٦٦	٦٤
رشوة	٢٦	٢١	١٣	٦	٧
اختلاس	٢	٥	٣	٢	٣
تزوير اوراق رسمية	٢٣	١٦	١١	٤	٧
تزوير اوراق مالية	١٤	١٢	٧	٢	٣
جنايات اخرى	٢٩	٣٨	٣٤	٤٨	٢٧
المجموع العام	٢١٥٤	١٨٢٠	١٥١٠	١٤٥١	١٣٠٧

اما الجنايات الهامة التي هي القتل والشروع فيه والسرقة والشروع فيها فقد بلغ ما ارتكب منها خلال السنوات الخمس التالية ١٩٥٩ - ١٩٦٠ - ١٩٦١ - ١٩٦٢ - ١٩٦٣ في محافظات الجمهورية العربية السورية كما يلي :

بيان مقارن لجنايات القتل والشروع فيه التي وقعت بمحافظات الجمهورية العربية السورية
من عام ١٩٥٩ الى عام ١٩٦٢

المحافظات	العدد				
	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٢
مدينة دمشق	٢٢	٢٨	١٨	٢٧	٢٩
دمشق	٢٦	٢٧	٢٩	٢٠	٢٨
حمص	٤٢	٢٤	٢٠	٢٥	١٩
حماه	٤٤	٢٥	٢١	٢٥	٢٦
حلب	٤٧	٥٦	٤٥	٥٢	٤٤
ادلب	٢٠	٢٢	٢٨	٢٢	٢٨
اللاذقية	٢٢	٢٢	٢٤	٢٢	٢٥
دير الزور	١٨	١٧	٢٥	١٠	٩
الرقة	١٥	٢٠	٦	١١	١٢
الحسكة	٤٢	٢٠	٤٢	٢٠	١٧
السويداء	١٠	٥	٧	٢	١
درعا	١٥	٩	٩	٢٢	١٥
المجموع العام	٢٤٦	٢٠٦	٢١٥	٢١٢	٢٦٥

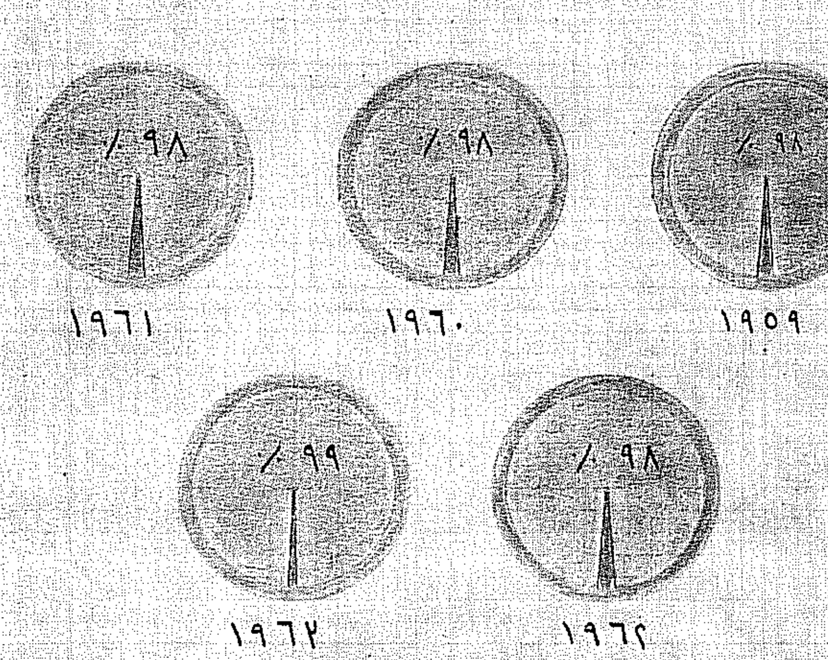


نسبة الحفظ في جنايات القتل والشروع فيه الواقعة في أنحاء الجمهورية العربية السورية

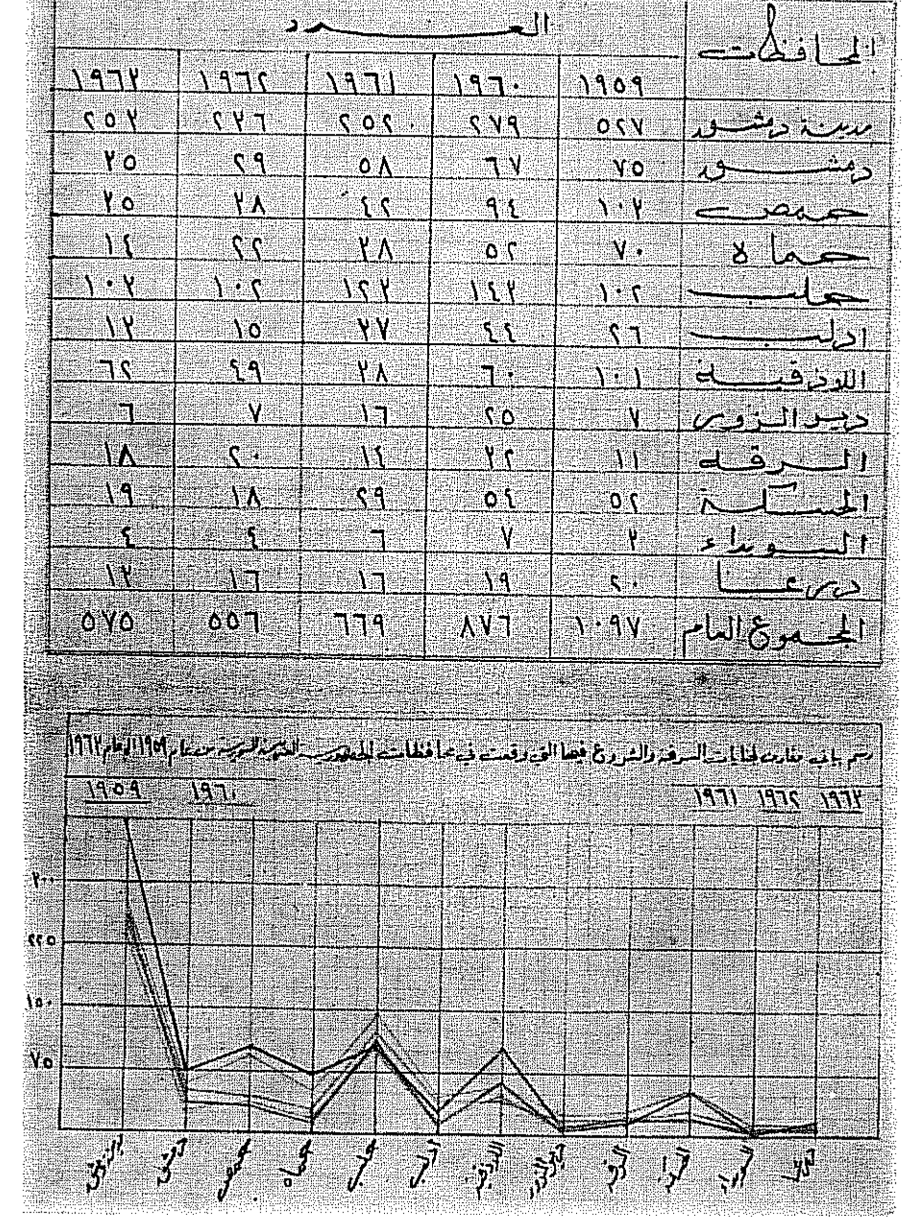
منذ عام ١٩٥٩ إلى عام ١٩٦٣

السنة	عدد جنايات القتل	عدد المحفوظ منها	النسبة المئوية %
١٩٥٩	٢٤٦	٧	٢ ٪
١٩٦٠	٢٠٦	٦	٢ ٪
١٩٦١	٢١٥	٧	٢ ٪
١٩٦٢	٢١٢	٦	٢ ٪
١٩٦٣	٢٦٥	٢	١ ٪





بيان مقارن لجنايات السرقة والشروع فيها التي وقعت بمحافظات الجمهورية العربية السورية من عام ١٩٥٩ الى عام ١٩٦٣ .

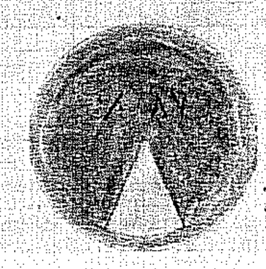


المحافظات	العدد				
	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣
مدينة دمشق	٥٢٧	٢٧٩	٢٥٢	٢٣٦	٢٥٣
دمشق	٧٥	٦٧	٥٨	٢٩	٣٥
حمص	١٠٣	٩٤	٤٢	٣٨	٣٥
حماه	٧٠	٥٢	٣٨	٢٢	١٤
حلب	١٠٢	١٤٣	١٢٣	١٠٢	١٠٣
ادلب	٢٦	٤٤	٣٧	١٥	١٣
اللاذقية	١٠١	٦٠	٣٨	٤٩	٦٢
دير الزور	٧	٢٥	١٦	٧	٦
الرقة	١١	٣٢	١٤	٢٠	١٨
الحسكة	٥٢	٥٤	٢٩	١٨	١٩
السويداء	٣	٧	٦	٤	٤
درعا	٢٠	١٩	١٦	١٦	١٣
المجموع العام	١٠٩٧	٨٧٦	٦٦٩	٥٥٦	٥٧٥

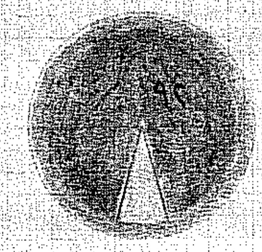
نسبة الحفظ في جنايات السرقة والشروع فيها الواقعة في انحاء الجمهورية العربية السورية منذ عام ١٩٥٩ الى عام ١٩٦٢

السنة	عدد جنايات السرقة	عدد المحفوظ منها	النسبة المئوية ٪
١٩٥٩	١٠٩٧	١٤٠	١٢ ٪
١٩٦٠	٨٧٦	٦٨	٨ ٪
١٩٦١	٦٦٩	٥٤	٨ ٪
١٩٦٢	٥٥٦	٢٥	٦ ٪
١٩٦٢	٥٧٥	٢٨	٦ ٪

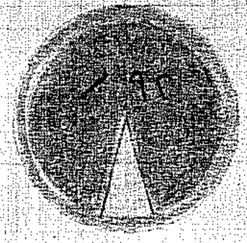




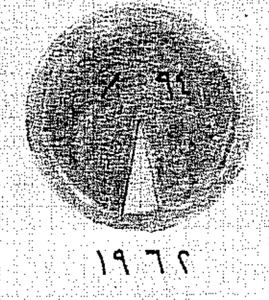
١٩٥٩



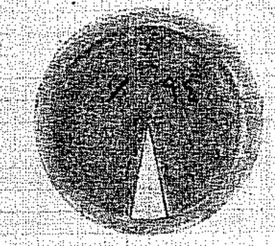
١٩٦٠



١٩٦١



١٩٦٢



١٩٦٢

التزوير والتزييف

قبل البدء في بحث التزييف والتزوير ومكافحتهما لابد لنا من وضع تعريف بسيط يجسم لنا الموضوع من الناحية القانونية ٠

فالتزوير كما ورد في المادة ـ ٤٤٣ من قانون العقوبات السوري هو تحريف مفتعل ـ للحقيقة في الوقائع والبيانات التي يراد اثباتها بصك ومخطوط يمكن ان ينجم عنه ضرر مادي او معنوي او اجتماعي ويعاقب بعقوبة مرتكب التزوير نفسها كل من استعمل المزور وهو عالم بامره (٤٤٤ ـ ٤٤٥ ـ ٤٥١ من قانون العقوبات السوري) وتحدد العقوبات بانواعها ومدتها على الاشخاص والموظفين الذين يرتكبون تزويرا ماديا ٠ وكذلك المواد ٤٢٧ ـ ٤٤٢ من قانون العقوبات السوري ايضا توضح العقوبات ونوعها ومدتها بالنسبة للجرائم التي تتعلق في تقليد خاتم الدولة والعملة والاسناد المالية العامة وتزوير ال سجلات والبيانات الرسمية والمصدقات الكاذبة وانتحال الهوية وتزوير الاوراق الخاصة ٠٠ الخ

اذا امعنا النظر في جميع نواحي التزوير الجنائي وانواعه نرى ان العقوبات المطبقة على هؤلاء المزورين والمزيفين والمروجين تختلف حسب نوع الجرم والمحاولة والاقدام والتنفيذ فنرى ان بعض العقوبات تقتصر على الغرامة المادية البسيطة أو السجن البسيط حتى الاشغال الشاقة الموقته لمدة سبعة سنوات بالاضافة الى الغرامة بجانب هذه العقوبة احيانا وذلك حسب نوع الجرم والخطوة التي توصل اليها المجرم من مرحلة البدء وقبل البدء ٠٠

ـ قسم مكافحة التزييف والتزوير ـ

ـ تعريفه ومهمته وتشكيله ـ

آ ـ **تعريفه** : قسم مكافحة التزييف والتزوير قسم من الاقسام الحساسة في الادارة الجنائية التي هي ادارة من ادارات واقسام المديرية العامة للامن العام ٠

ب ـ **مهمته** : تنحصر كما يلي :

١ ـ ملاحظة ومطاردة العصابات التي تعمل على تزييف وتزوير وترويج العملات من جميع انواعها الورقية والمعدنية سواء كانت وطنية ام اجنبية ٠

٢ ـ تنسيق جميع الجهود بين رجال الشرطة والنيابة والقضاء وجهات اصدار النقد وجميع التحريات الخاصة بالتزييف والتزوير والترويج ٠



النقيب موسى ابو النصر رئيس قسم مكافحة التزوير والتزييف

٣ ـ العمل على منع وقوع جرائم التزييف والتزوير بمختلف الوسائل الوقائية والتحري عن عصابات التزييف والتزوير بعد وقوعها ٠

٤ ـ العمل على اقامة الادلة ضد المتهمين لامكان تقديمهم للمحاكمات لتوقيع العقوبة المنصوص عنها في قانون العقوبات ٠

٥ ـ ملاحظة المحكوم عليهم من المزيفين والمزورين بعد خروجهم من السجون لمعرفة نشاطهم الجديد ومحاولة اصلاحهم وارشادهم الى الطريق السوي حتى لايعودوا الى ارتكاب مثل هذه الجرائم في المستقبل ٠

٦ ـ الاتصال بالمكاتب المركزية في الدول الاجنبية المختلفة للتعاون على مكافحة التزييف والتزوير دوليا ٠

* * *

ـ النقود وطرق التفرقة بين العملة الصحيحة والعملة المزيفة والمزورة ـ

ـ وهي نوعان ـ

١ ـ نقود معدنيـــة

٢ ـ نقود ورقية :

اما طرق التفرقة بين العملة المزيفة والعملة الصحيحة فيكون كالاتي :

١ ـ يكون التفريق بين العملات المزيفة والمزوره وبين العملات الصحيحة صعبا جدا فيما اذا كان التقليد او التزييف متقنا لحد ما عندما يتوافر للمزيف الخبرة الكافية بالاضافة لوجود المال والآلات والادوات اللازمة والايدي العاملة الخبيرة الفنية . ويكون التفريق سهلا بين هذين النوعين من العملات المزيفة والمزورة والصحيحة عندما يلم الانسان الماما تاما بالطرق الصحيحة لتمييز العملة المزيفـة والاحـرى برجال الامن ان يكونوا اول من يلم بهذه النواحي الحساسة والتي تشكل عاملا خطرا على كيان الدولة والوطن مما تسببه من انخفاض قيمة نقدها وفقدها هيبتها وكرامتها لدى الامم الاجنبية عند وجودمثل هذه العصاباتالمزيفة والمزورةالخطيرة.

٢ ـ وعندما يعمد اي انسان لان يفرق بين هذين النوعين من العملات الصحيحة والمزيفة لابد له من اجراء مقارنة تفصيلية وذلك بوضع عملة مزيفة او مزوره من جهـــة بجانب العملة الصحيحة من نفس النوع ويستنتج فيما اذا كانت العملة مزيفــة او صحيحه بالاستناد الى معرفته السابقة عند صناعة العملة ويعرف طريقة تزييفها او تزويرها سواء اكانت معدنية او ورقية ثم يصدر حكمه عليها ، هذا من الناحية الخارجية واذا كان الاتقان ناجحا مئةفيالمئة فلابدمن اجراء التحاليلالكيمائيةعليها.

ويكون التفريق عمليا بطريقتين :

١ ـ بالنظرة الخارجية للعملة الورقية والمعدنية وتسمى الطريقة الطبيعية .

٢ ـ بالطرق الكيمائية .

اما بالنسبة للعملة الورقية يكون التفريق كما يلي :

اللون ـ الزخرفة والنقوش ـ حساسية الورقة وملمسها ـ المساحة ـ السمك ويقاس بجهاز خاص يدعى (ميكروميتر) وهو يعين اقل جزء من المليمتر ـ العلامةالمائية ولها اهميتها ودورها الرئيسي في تفريق العملة المزوره عن الصحيحة ـ الشكل العـام للورقة والحكم عليها منطقيا ان كانت صحيحة او مزوره .

بالنسبة للعملة المعدنية يكون التفريق كما يلي :

اللون الخاص ــ الزخرفه المرسومة ــ الرنه الخاصة والمميزة ــ الوزن القانوني ــ المساحة المحددة قانونيا ــ الاطار وكيفية تخريمه ٠

اما بالنسبة للطريقة الثانية وهي طريقة التحليل الكيميائي ٠ وتقضي هذهالطريقة بتحليل قسم معين من العملة المزورة او المزيفة ومقارنتها مع نظائرها سواء بالمساحة او الوزن او نوع المعدن من العملة الصحيحة سواء اكانت معدنية او ورقية وذلك لدى ادارة الادلة القضائية ٠

طرق تزييف العملة المعدنية

يكون تزييف العملة المعدنية بطريقتين :

١ ــ بطريقة الضغط ٠

٢ ــ بطريقة الصب ٠

اما طريقة الضغط فتكون بصنع خاتم معدني صلب ويحفر فيه اخاديد تكوناساسا للاقسام البارزة من العملة كالرسوم والارقام والكتابات وغير ذلك من الاشكال الواضحة المميزة ثم يعمد لوضع الاقسام المعدنية المقطوعة من السبائك والخلائط وهي لينه وتوضع تحت الختم بواسطة الضغط وتوخذ السبيكة الشكل المرسوم على الختم من الوجه والظهر بالاضافة الى تخريم الاطار حسب ما هو مخرم في الختم نفسه ثم ترفع العملة المضبوطة بهذه الطريقة ويوضع غيرها من القطع السبيكيه وهكذا الخ ٠٠٠

أما طريقة الصب تكون بصورة بسيطة لحد ما وتكون بصنع قوالب من الجبس الطري ثم توضع قطعة العملة الحقيقية او اي اداة معدنية ضمن القالب المؤلف من وجهين وتوضع القطعة شاقوليا بين الوجهين من الجبس ويضغط الوجهان على بعضهما ويشدان شدا محكما حتى يجف الجبس وبعد فترة من الزمن يفصل وجها القالب الجبسي عن بعضهما وترفع قطعة العملة ثم يعاد ضمن وجهي القالب لبعضهما ويصب المعدن المصهور ضمن مدخل ترك قبل جفاف الجبس ويستقر ضمن الفراغ الذي اخذ شكل القطعة الصحيحة فيوضع المعدن المصهور ويأخذ الشكل المطابق للقطعة الاصلية ويترك فترة حتى يتجمد ويكون القالب مؤلفا من عدة فجواة ليسهل العمل مرة واحدة اي يصب ست او عشر قطع من العملة دفعة واحدة ضمن قالب واحد ٠

* * *

ـ ادارة الادلة القضائيـــة ـ

تحال جميع العملات المزيفة والمزورة الى ادارة الادلة القضائية حيث تتولى هـذه الادارة من الناحية القانونية تحليل العملات الورقية والمعدنية بنوعيها وفحصها كيميائيا لمعرفة ما اذا كانت مزورة ام صحيحة ولتقدم للنيابة والقضاء تقريرها الشرعي في القضايا المختلفة المعروضة عليها ـ وبالاضافة الى ذلك تقوم هذه باخراج صور للعملة المزيفـــة والمزورة بالاضافة الى التقارير لتقدمها للنيابة لتكون الدليل القاطع في الاتهام ٠

ـ المعاهدة الدولية لمكافحة التزييف والتزوير ـ

هذه المعاهدة وقعت في جنيف عام ١٩٢٩ وانضمت اليها سورية فيما بعد والغرض منهـا حسب مايبـــدو من الاطلاع عـلى نصوصها ، توحيـــد الجهـود والتعـــاون الدولي على مكافحة جميع جرائم العملة الزائفة دون تفريق بين العملات الاجنبية والعملات الوطنية وذلك بتوقيع عقوبة واحدة على المجرمين باعتبار ان الشرط الرئيسي لانضمام اي دولة من الدول الموقعة على (البروتوكول) ان تعدل قانون العقوبات الخاص بهـــا بما يتفق مع مواد قوانين العقوبات المعمول بها في الدول الموقعة على الميثاق الداخلة ضمن الاتفاقية لتكون موحده لدى الدول جميعا كما ان من بين الشروط لانضمام اي دولة هو انشاء قسم او مكتب مركزي لمكافحة التزييف ضمن الدولة نفسها ٠



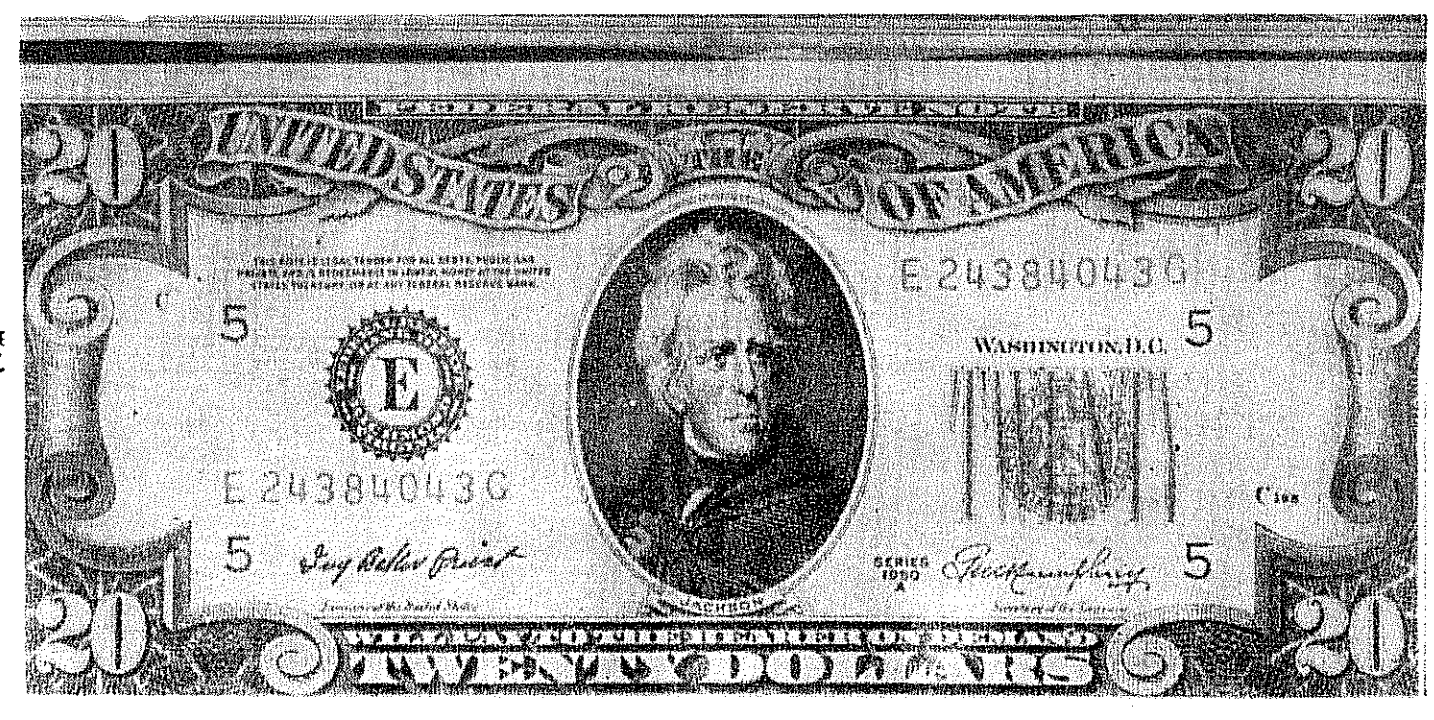


رئيس قسم البوليس الدولي الجنائي الاستاذ بهاء الدين الزعبي يدرس أوضاع معرض التزييف والتزوير في الادارة الجنائية

قطعة نقدية امريكية (دولار) مزيفة وقد قبض على مروجيها



قطعة من ذات المئة ليرة سورية مزورة تزويرا دقيقا وقد قبض على المزورين واودعوا القضاء



قطعة نقدية امريكية مزورة قبض رجال قسم التزوير والتزييف في الادارة الجنائية على مزيفيها ومروجيها

قطعة من ذات الخمسة وعشرين ليرة سورية مزيفة تزييفا رديئا



معرض قسم التزوير والتزييف وهو يحوي العديد من اشكال التزوير



نماذج من تزوير الطوابع الاردنية وقد قبض
على الفاعلين قبل المباشرة بالعملية

الاحداث وحمايتهم من التشرد والجنوح

منع انحراف الاحداث

الحدث :

الحدث لغة هو صغير السن ٠

اما الحدث في نظر القانون فهو الانسان الذي جاوز سن التمييز وأصبح أهلا للمسئولية الكاملة ٠

والحدث أنسان في دور التكوين الاجتماعي لم يتوافر له النضج والادراك الكاملان، فهو في هذه الفترة من العمر انسان لين العود يستقي النجرات من الحياة ويتدرب على كيفية الاندماج في المجتمع والتوافق معه ٠

مراحل نمو الحدث اجتماعيا ونفسيا :

والحدث في هذه الفترة يمر بعدة مراحل تدريبية الى الادراك والتمييز الكاملين ، ويخرج بها من مرحلة الاحداث الى دنيا البالغين الراشدين ويصبح بعد ذلك عضوا في المجتمع مسئولا عن كل تصرفاته وأعماله بدرجة متكافئة مع مسؤولية سائر الاعضاء الراشدين ٠

وهذه المراحل ثلاث هي :

المرحلة الاولى التركيز على الذات :

في هذه الفترة يكون الحدث ملتصقا بنفسه لايعرف سوى شخصه وما تهديه اليه غرائزه من تعبيرات لسد حاجاته الغريزية كالطعام والشراب فهو لايعرف عن الدنيا ومن فيها الا شخصه ورغباته فهو منعدم التمييز والادراك ٠

المرحلة الثانية ــ التركيز على الغير :

وفي هذه المرحلة يبدأ الحدث في ادراك ماحوله فيبدأ في التأثر بالاوضاع الاجتماعية المحيطة به ، وتنمو عنده القدرة على كبح تعبيراته الانفعالية ٠

وفيها أيضا يكون نمو الطفل سريعا ، والتعبيرات الجسمية والنفسية التي تطرأ عليه متلاحقة ، بل انها تشمل فترة المراهقة وهي أخطر المراحل في حياة الحدث ، أو كما يقول البعض : يدخل هذه المرحلة وهو طفل ليخرج منها وهو قادر على انجاب الاطفال ٠

وتطرأ على الطفل في هذه الفترة عدة عوامل نفسية أساسها الصراع بين مرحلة الطفولة ، ومرحلة النضج ، وكذا ماتذكيه في نفسه النزعة الانفرادية التي يؤكد بها ذاته وكيانه ، وماتتطلبه النزعة الاجتماعية من ميل للاجتماع بالناس والتفاعل معهم ثم

لان هناك الصراع الحاد بين ما يشعر به الحدث في هذه الفترة من حب للاستقلال والتفرد بالرأي وبين المعايير الاجتماعية او النواهي القانونيـــة المعروفـة كسلطان الاسـرة او احترام القانون •

و الواقع ان فهم الحدث لقيود المجتمع ونواهيه في هذه الفترة لايكون فهما صحيحا فهو في حاجة الى المران والتدريب لكي يؤمن بها ، ويقتنع بفائدتها وضرورتها ، أي أن يتمرس على الخضوع الاجتماعي •

المرحلة الثالثة ــ النضج الاجتماعي والنفسي :

وهو مايعبر عنه بتكامل الشخصية وتمام الصحة النفسية ، والفرد في هذه المرحلة ينضج جسديا وانفعاليا وسلوكيا وعقليا واجتماعيا ، ليكون قادرا على ضبط النفس أمام مايثير انفعاله ، وتتوافر له القدرة على ممارسة السلوك المتزن ويتجه الى العمل المنتج ، وتتأكد لديه القدرة على التمييز والاختيار ، وتنمو عنده الرغبة في عقد الصلات الاجتماعية الصحيحة مع الناس فيقبل على التعاون وتبادل المنافع والمشاعر الانسانية معهم •

وهذه المرحلة بالنسبة للحدث تعتبر فترة انتقال الى الرشد ، فالحدث في هــذه الفترة راشد صغير •

وهذه المراحل الثلاث متداخلة بعضها في بعض ، ولايمكن تحـديد تاريخ أو سن معينة يمكن أن تبدأ بها كل منها •• فشأن هذه المراحل شأن فصول السنة الاربعـة ، اذ لايمكن القول بأن فصـل الشتاء يبدأ في يوم معلوم يشتد فيه البرد بل ان كل مرحلة في واقعها تحمل بذور المرحلة التي تليها •

وكذلك فان هذه المراحـل تختلف من شخص لآخر تبعا للنمـو العقلي والصحي والبدني للفرد ، فقد يتأخر ظهورهابالنسبة لبعض الافراد تبعا للظروفالتي تحيط بهم •

لذلك كان من المؤكد أنه لايمكن تحديد سن معينة يمكن معها القول بتواجدالحدث في أي من هذه المراحل الثلاث ، وان كان من السهل التأكد من وجود هذه المراحل من طريق ملاحظة توافر المظاهر التي تتميز بها كل منها والتـي يمكن قياسـها بواسـطة النظريات العلمية والنفسية الحديثة •

مراحل نمو الحدث في التشريع :

كان المنطق يقضي بأن تلتزم التشريعات بالتقسيم الاجتماعي والنفسي السـابق للاحداث في جميع القوانين ومن بينها القوانـين الجنائيـــة ، الا أن الملاحظ أن القوانين الجنائية المختلفة وان كانت قد تأثرت بهذا التقسيم الا انها خرجت عـلى هذا المبــدأ وحددت سنا معينة تبتدىء عندها كل من هذه المراحل ، ومن بينها قوانين الجمهورية العربية السورية التي قسمت فترات نمو الحدث الى المراحل الآتية :

١ ـ مرحلة انعدام المسئولية :

وهذه الفترة تبدأ بالميلاد وتنتهي ببلوغ الحدث سن السابعة ، وفي هذه الفترة تنعدم المسئولية الجنائية تأسيسا على انعدام القدرة على الادراك والتمييز ·

٢ ـ مرحلة المسئولية المخففة :

وهذه الفترة تبدأ من السابعة الى الخامسة عشرة ، الا أنه نظرا لطولها ومايطرأ فيها من تغيرات واضحة في قدرة الحدث على الادراك والتمييز فقد قسمها المشرع الى فترتين:

الفترة الاولى : من السابعة الى الثانية عشرة :

وفي هذه الفترة يكون الحدث حديث عهد بالخروج من المرحلة الاولى ، وقوةالادراك والتمييز لديه يسيرة · ولذا فان القانون يوجب اتخاذالاجراءات التقويمية بشأن الحدث المنحرف رعاية له ، ويمنع في هذه الفترة توقيع العقوبات عليه ·

الفترة الثانية : من الثانية عشرة الى الخامسة عشرة :

وفي هذه الفترة يعتبر الحدث أكثر نضوجاً ووعيا من المرحلة السابقة فقد نمت عنده القدرة على ضبط النفس والاختيار ·

ولذلك فان القانون ترك أمر اختيار الاجراء المناسب للقاضي يستظهره من ظروف الحدث والدعوى ، فأجاز للقاضي أن يأمر بالاجراءات التقويمية أو يوقع العقوبات العادية المخففة حسب مايراه ·

٣ ـ مرحلة العقوبة المخففة :

وهذه المرحلة تبدأ من الخامسة عشرة الى السابعة عشرة ، وفي خلالها يكون الحدث على أبواب مرحلة الرشد الكامل · وفي هذه الفترة تتكامل عناصر الاختيار والتمييز لدى الحدث ، الا انه في حاجة الى فترة انتقال يتمرس خلالها على السلوك الاجتماعي والخضوع الاجتماعي والاندماج الكامل في المجتمع وتحمل المسئولية ·

ولذلك نص القانون على وجوب تطبيق العقوبات عليه ، الا انها عقوبات مخففة تتناسب وحداثة اكتمال نموه الاجتماعي والنفسي ·

والواقع أن هذا التقسيم يعيبه أن المشرع عندماقرره كان متأثرا بالمسئوليةالجنائية والعقوبة التي توقع من أجلها ، مع ان الواجب يقضي عند التقنين الجنائي للاحداث أن ينسى المشرع هذه المسئولية الجنائية فهو ليس بصدد جرائم ترتكب أو مخالفات قانونية تقع ، بل انه بصدد مشكلة اجتماعية يريد القضاء على جذورها ومدها بالعلاج الناجع لها · فالحدث الذي امامه ليس مجرما يستأهل العقاب ، بل هو منحرف عن الطريق السوي يحتاج الى الرعاية وحسن التوجيه ·

فالمشرع يجب أن يتقمص شخصية المصلح الاجتماعي والاخصائي النفسي ويجعل من نفسه مصلحا وطبيبا يشخص المشكلات ويضع العلاج للاحداث الذين انحرفوا عن الطريق السوي ، وذلك لان الحدث عندما يرتكب الجريمة او المخالفة القانونية لايعني هذه المخالفة ولا يقصدها ، اذ هو لم يدرب بعد على الخضوع الاجتماعي التدريب الكافي ، وهو ثمرة الظروف السيئة التي حرمته الرعاية الصالحة والتوجيه السليم ، فهو في حاجة الى يد حانية تنتشله من هذه المؤثرات لتعيده الى الحياة الاجتماعية مواطنا صالحا . وهذه هي النظرة التي يجب أن تسود كل التشريعات الخاصة بالاحداث بل كل اللوائح والنظم التي تتناول مكافحة انحرافهم .

* * *

انحراف الاحداث

ان الافراد في طور حداثتهم المبكرة يأتون افعالا منافية للسلوك الطبيعي وقد لاتتفق والقانون او الاخلاق ، وهم حين يأتون هذه الافعال لايدرون ماوراءها او النتيجة المترتبة عليها ، فهي صدى طبيعي لتلك القيود الاجتماعية المفروضة ، بل انها انطلاق وتحرر من هذه القيود كثيرا ما تراود الكبار والراشدين اذا خلوا الى أنفسهم .

واذا كان القانون او التقاليد الاجتماعية تحول بين الراشدين وبين ارتكاب هذه الافعال ، فان الحدث الصغير الذي لم يروض بعد على الخضوع الاجتماعي والتكيف بالمجتمع يأتيها مادام يجد فيها مايرضي غريزته او عاطفته ، فهو يأتيها تلقائيا .

واذا لم يجد هذا الصغير راشدا يرعاه او بالغا يحنو عليه ويحميه من عثرات الانحراف ويقيه شر الجنوح الى مهاوي الرذيلة والفساد ، ويوجه التوجيه الصحيح ، ويدربه على التوافق مع المجتمع والامتثال للقانون ومراعاة السلوك الواجب ويقوده القيادة الخلقية والدينية والاجتماعية الصحيحة ، اذا لم تتوافر للصغير هذه الرعاية والحماية وهذا التوجيه والقيادة استمرأ التصرف على هذا النحو اللا اجتماعي وضعفت عنده القدرة على ضبط عواطفه ومقاومة الاغراءات من حوله ، وسهل عليه الاستجابة لما ينفعل به فيصبح عرضة للانحراف حتى بعد ان تتوافر له القدرات العقلية التي تؤهله للتوافق مع المجتمع .

* * *

خصائصه :

وانحراف الاحداث من الموضوعات الهامة فهو يمثل مشكلة اجتماعية خطيرة ومتى يتسنى لنا الالمام بهذا الموضوع يحسن ان نشير الى خصائصه وهي :

١ ـ ان الانحراف موقف اجتماعي :

اي أن النظرة الى الانحراف يجب أن تشمل الفعل او المظهـــر الــذي ينبىء عن الانحراف كما تشمل موقف الفرد ازاء المؤثرات المختلفة ، أي انه ليمكن القول ، بأن الحدث سارق لابد وان يكون الحدث على استعداد للسرقة كلماتهيأت له الظروف للسرقة .

أما السلوك المنحرف وحده فانه مظهر من مظاهر الانحراف وليس انحرافـا ولان الانحراف موقف اجتماعي فانه لايقتصر على حالات ارتكاب الجرائم بل انه يمتد ليشمل حالات الاحداث الذين يتواجدون في ظروف تؤدي بهم في النهاية الى ارتكاب الجرائم .

٢ ـ ان الانحراف يكتسب ولايورث :

والانحراف موقف اجتماعي فهو أمر متعلق بالحدث قبل كل شيء ولذلك فان الحدث لايرثه عن والديه أو احدهما ، فالاطفال جميعا يولدون أسوياء ذوي نفوس طاهرة خالية من كل رجس أو دنس ، وكلهم في هذا الامر سواء . فابنة القديسة وابنة العاهرة ساعة الوضع سواء ، الا ان ابنة العاهرة سوف تعيش في جو لا أخـلاقي ، وسـتكون محرومة من الرعاية والتوجيه الصحيحين ، فالمؤثرات التـي حولها تزين لهـا الطريق الى الانحراف . اما ابنة القديسة فهي على النقيض من ذلك غير معرضة للانحراف واذا شاءت ظروف ابنة هذه القديسة ان تتولى رعايتها مربية منحرفة ، فان هذه الابنة تصبح عرضة هي الاخرى للانحراف .

٣ ـ انه نتيجة لفقد الرعاية او فساد التوجيه :

ان الطفل يخرج الى الحياة وهو عاجز عن كل شيء ، فهو في حاجة الى من يرعاه بدنيا وصحيا ونفسيا . وفي حاجة الى من يوجهه الى الطريق السوي ويدربه على الحياة الاجتماعية وينبهه الى ضرورة التوافق مع المجتمع ، وفي حاجة الى من يباعد بينه وبين طريق الانحراف ، فاذا توفر له من بين الراشدين الكبار من يأخذ بيده في فترة حداثته وصل الى شاطىء الرشد سليما معافى من كل انحراف . اما اذا قصر الكبار ومن هو في رعايتهم في واجبهم نحو حمايته ومد يد العون له أو اساءوا توجيهه أو تركوه نهبا للظروف أو كانوا قدوة سيئة له في حياته فانهم يقيمون السدود في وجه صلاحه ويكرهونه على الوقوع في هوة الانحراف ، أي ان هؤلاء الكبار هم الذين يصنعون انحراف الاحداث .

* * *

الاحداث المنحرفون :

والمقصود بالانحراف هنا هو الانحراف بمعناه الواسع الذي يتجاوز نطاق الجريمة ليشمل كل مضار السلوك غير المتوافق اجتماعيا .

والحدث المنحرف في نظر القانون هو الحدث الذي مثل أمام القضاء من أجل مخالفة

قانونية ثبت انه أتاها • ومهما كانت المخالفات التي ارتكبها فانه لايعتبر منحرفا ما لم يقدم من اجلها للمحاكمة أو لم يثبت عليه ارتكابها •

وهذه النظرة العتيقة للانحراف تتنافى مع الواقع تماما ، ولذلك فإن علماء النفس والاجتماع يرون بحق أن الحدث المنحرف هو الفرد الذي يأتي سلوكا غير متوافق اجتماعيا ويستوي في هذا أن يكون مظهر هذا السلوك مخالفة قانونية أو غير قانونية ، كما يستوى أن يكون قد مثل من أجلها أمام القضاء أم لا بل انهم يرون أن تعريف الحدث المنحرف يمتد ليشمل الاحداث الذين يوجدون في ظروف أو مواقف اجتماعية من شأنها أن تؤدي الى الجريمة •

وعلى ذلك يمكن القول بأن الاحداث المنحرفين نوعان :

الاول : الحدث المخالف للقانون :

وهو الحدث الذي يكون قد ارتكب من الافعال مايجرمه القانون ، سواء قدم من اجلها امام القاضي أم لم يقدم •

الثاني : الحدث المشكل :

وهو الحدث الذي يأتي من الافعال ماينم عن مشكلات سلوكية اخلاقية ومن قبيل ذلك من يأبى الطاعة والخضوع للنظام ، أو من يهرب من المدرسة أو يتمرد على سلطان الاسرة أو يعمد الى التدخين او تداول المسكرات او المخدرات او من يتعمد الحاق الضرر بنفسه •

وتضيف بعض الدراسات الى هؤلاء نوعا ثالثا تسميه بالحدث المعرض للانحراف وهو من تنبيء ظروفه او تصرفاته باحتمال انحرافه • والواقع ان الحدث المشكل هو الحدث الذي تنبيء تصرفاته عن احتمال انزلاقه الى مخالفة القوانين وهو بعينه الحدث المعرض للانحراف اذا كان الانحراف هو اللفظ البديل للاجرام بالنسبة للكبار •

أما النزول بمستوى انحراف الاحداث الى أدنى من سلوك الهرب في الدراسة والتمرد على الاسرة وأعمال الايذاء اليسيرة ، فانه لاينتج في الواقع الا طائفة من الاطفال « الاشقياء » الذين تسمو طاقتهم الحيوية جسمية وعقلية على سنهم فتضاعف من نشاطهم الصبياني ، وكل مايحتاجونه هو زيادة في الرعاية التي يلقاها مثلهم من قرنائهم الاسوياء•

* * *

تعريف الانحراف :

من الصعب وضع تعريف جامع مانع للانحراف • الا أن الباحثين حاولوا تعريفه من طريق تقسيم الاحداث المنحرفين الى فئات ووضع تعريف خاص لكل فئة • الا أن هذه التقسيمات جاءت قاصرة عن شمول كل الفئات فلكل حدث منحرف ظروف خاصة به ،

ومهما كان التشابه بينها وبين ظروف حدث آخر فلا شك انها مختلفة في الكثير من جزئياتها .

ويعرف بيرت الانحراف بأنه : « حالة اجتماعية أكثر منها نفسية وان الحدث يعتبر منحرفا كلما أظهر ميولا مضادة للمجتمع لدرجة خطيرة تجعله أو يمكن أن تجعله موضوعا لاجراء رسمي » ويلاحظ على هذا التعريف أنه جاء قاصرا عن شمول مظاهر السلوك المنحرف التي لايمكن ان تكون محل مساءلة قانونية كالهرب من المدرسة أو التمرد على سلطة الوالدين .

ويعرف عالم آخر الانحراف بأنه : « الموقف الاجتماعي للحدث الذي ينشأ عن فقد الرعاية أو فساد التوجيه ويؤدي الى السلوك غير المتوافق أو يحتمل ان يؤدي اليه » .

وهذا التعريف هو أكثر التعريفات شمولا وأدقها تفصيلا ، اذ انه يشمل خصائص الانحراف وأسبابه .

* * *

عوامل انحراف الاحداث

العوامل والاسباب :

السبب هو القوة الدافعة التي لولاها لما حدثت النتيجة . وهذه القوة الدافعة نتيجة لتفاعل عدة عوامل مختلفة ، وكل عامل من هذه العوامل المتفاعلة يسهم بنصيب في هذه القوة الدافعة . أي ان السبب يتضمن مجموعة من العوامل أسهم كل منها بقدر في تحقيق النتيجة مثل : الفقر والمرض والجهل والنقص العقلي والعقد النفسية والاصدقاء المنحرفون ... الخ . وان توافر بعض هذه العوامل لاحد الاحداث يكفي لان تقوده الى الانحراف ومهما كان أثر أي من العوامل فلا يمكن الجزم بأنه هو وحده سبب الانحراف .

تقسيم عوامل الانحراف :

واذا حاولنا حصر عوامل الانحراف لما أمكن ذلك ، الا اننا جريا وراء ما رآه الباحثون من تقسيمات . نورد بعضها ، وأهمها تقسيم بيرت وتقسيم تابان ، ويحوي هذان التقسيمان أربع مجموعات من العوامل .

١ ــ العوامل الجسمية .
٢ ــ العوامل البيئية .
٣ ــ العوامل الاجتماعية .
٤ ــ العوامل النفسية .

ويتفرع عن كل من هذه المجموعات عوامل فرعية عديدة سوف نشير الى بعضها .



كتل لحم بشرية تتشرد في الطريق ، وبنوك يتكدس فيها المال والذهب
« الاشتراكية ضرورة لازمة »

أولا ـ العوامل الجسمية

والمقصود بها هو العوامل التي تتصل بنمو الحدث جسميا او عقليا ، وحالتـه الصحية ، وما يكون عليه من نقص أو تشويه أو عجز جزئي وما قد يطرأ عليه من عاهات أو فقد أحد الحواس ، او الاختلال في تأدية بعض اجـزاء الجسم لوظائفها العضويـة ، ومن أمثلتها :

١ ـ اضطرابات النمو :

وهي حالة تنتج عن اضطراب في الوظائف العضوية لبعض القدرات قد تؤدي الى نقص النمو فيصبح الحدث متخلفا عن أقرانه في مثل سنه مما يعرضه لان يكون موضع السخرية من زملائه ٠

واذا أدى هذا الاضطراب الى زيادة غير طبيعية في النمو فانه يأتي بنتيجة عكسية يترتب عليها أن النمو الجسمي للحدث لايتفق ونموه العقلي فيصبح الحدث عاجزا عن التكيف مع من هم في مثل نموه الجسمي ، وهو غير مستطيع أن ينزل الى من هم في مستوى نموه العقلي لافراط نموه الجسمي ٠ فيصبح الحدث في حالة من الضياع يصعب عليه فيها أن يكيف نفسه وسلوكه ٠

٢ ـ العاهات :

والعاهة هي عيب في قدرات الحدث او تكوينه ، ويستوى فيها أن يولد الطفل مصابا بها أو أن تطرأ عليه بعد ذلك ٠

فالعاهة تسبب للحدث احساسا بالنقص قد يدفعه الى تعويضه عن طريق الانحراف ٠

ومن أمثلتها العجز في أحد الحواس كالعمى ، والصمم ، والبكم ، واصـابة بعض الاعضاء كالتشويهات التي تصيب بعض اجزاء الجسم ، أو فقد بعض هـذه الاعضـاء القدرة على مزاولة وظائفها كفقد احدى العينين أو احد الاطراف ٠

٣ ـ الامراض :

للمرض أثر كبير في قدرة الشخص على ضبط النفس وعدم الاستجابة للانفعالات، فالمرض يورث الحدث نقصا في هذه القدرات يجعله أقرب للانحراف من الحدث المعافى ، ويتوقف هذا الاثر على نوع المرض ومدى تأثيره على صحة الحدث ٠ فالامراض المزمنـة كالشلل شبيهة بالعاهات ، اما الامراض الوقتية فهي دونها تأثيرا على قدرات الحدث ٠

٤ ـ الضعف العقلي :

وهي الامراض العقلية التي تؤثر على تفكير الحدث ونموه العقلي فتجعل قدرته على الادراك والتمييز قاصرة عن مجاراة نموه الجسمي فلا يستطيـع ان يصرف شـئونه بالطريقة المناسبة ٠

وهذه الامراض قد تكون مزمنة كما في حالات العته والبله والغباء ، وقد تكون عارضة كما في الامراض المخية كالصرع ·

٥ ـ المراهقة

وهي أخطر المراحل في حياة الحدث ، وقد تؤدي بالحدث الى الانحرافات الجنسية. فالحدث خلالها يكون تحت سيطرة غريزية مفتقرا الى الكثير من القدرة على ضبط النفس حيالها · فاذا افتقد الرعاية الصالحة والتوجيه السليم أصبح عرضة للانحراف ·

ثانيا ـ العوامل البيئية :

وهي تلك العوامل التي تشمل البيئة التي يعيش فيها الطفل داخل المنزل وخارجه. فهي تشمل الاسرة والمدرسة والسكن ، والحالة الاجتماعية التي يعيش فيها والعمل الذي يقوم به ·

فالبيئة الداخلية وهي تتمثل في الاسرة ، حيث يباشر الطفل اولى خطواته الاجتماعية فيما يراه من علاقة الوالدين ببعضهما وعلاقتهما به وبكل فرد من افراد الاسرة وعلاقته باخوته وغيرهم من الخدم · فهذه الصور هي الدرس الاول الذي يتلقاه الطفل في العلاقات الاجتماعية وما يجب أن تكون عليه ·

ولذا فان أي خلل يصيب هذا المجتمع الصغير انما ينعكس أثره على الحدث مباشرة. فالانهيار المادي ينعكس في صورة من سوء السكنى والشعور بالحرمان من اشباع الحاجيات · والانهيار الخلقي يفتح عين الحدث على صورة مشوهة للقيم والمثل الاجتماعية. وفقد الوالدين أو أحدهما قد يترتب عليه اهمال رعاية الحدث وعدم اشباع عواطفه · وأهم هذه العوامل البيئية :

١ ـ الاسرة :

ويؤثر على الحدث في هذا المجال المستوى المعيشي للاسرة والعلاقات الاسرية ومدى اضطرابها أو استقرارها ، والوالدان ومدى رعايتهما له وحظه من هذه الرعاية بالنسبة لباقي أفراد الاسرة والطريقة التي يتبعها الوالدان في توجيهه ·

٢ ـ السكنى :

فالبيت الذي يضيق بأفراد الاسرة العديدين ، والسكن الذي يقع في حي خرب SIUMS تكثر به المخالفات القانونية ، ولا تتوافر للاحداث فيه الرعاية الكاملة· وما يعج به هذا السكن من الفوضى وعدم النظام ، مثل هذه الامور تؤثر في سلوك الحدث ومدى توافقه مع المجتمع ·

٣ ـ الاصدقاء والرفقاء :

والمقصود بهم هم الاشخاص المحيطون بالشخص فهم اخوته والخدم الموجودون

بالمنزل ومن يترددون عليه ، وزملاؤه في الشارع والمدرسة ، هؤلاء وغيرهم هم المجتمع الذي يعيش فيه الحدث ويتأثر بسلوكهم ، وهم غالبا من مستويات وبيئات مختلفة قد تورث الحدث انحرافات تنعكس في صورة سلوك غير سوي ٠

٤ ـ العمل والبطالة :

بعض الاحداث تكرههم ظروفهم الاقتصادية على العمل ليكسبوا قوتهم فاذا لم يتوافر لهم هذا العمل نتيجة لانتشار البطالة أصبح الحدث في فراغ قد يؤدي به الى الانحراف ٠

واذا وجد العمل فانه قد لايتناسب مع قدرات الشخص الذهنية أو الجسمية كما قد لايكفي الاجر لاشباع حاجياته ، كل هذا قد يسير بالحدث الى هجر العمل والاتجاه الى الانحراف ٠

ثالثا ـ العوامل الاجتماعية :

والمقصود بها هي العوامل التي يتم بها تدريب الحدث على السلوك الاجتماعي او هي عوامل التنشئة الاجتماعية Socialization « التي تهدف الى الارتقاء بالفرد البدائي ذي النزعات الهوجاء الى مرحلة النضج Maturitg فيصبح قادرا على أن يوفق بين المقتضيات الاجتماعية والحاجات الفردية ليحقق لنفسه اقصى انتاج في الحياة دون اصطدام بقوانين المجتمع او تحيف على حق الفرد في الراحة والمتعة » ٠

والحدث يتدرب على أصول السلوك الاجتماعي وتتناولهعوامل التنشئة الاجتماعية بالتربية والتهذيب تحت تأثير الظروف الآتية :

١ ـ الاسرة :

فالطريقة التي يمارس بها الاب توجيه الحدث تختلف بين الشدة والغلظة وبين اللين والتدليل ، فالاولى تورثه العقد النفسية العديدة ، والثانية في حقيقتها صورة من صور فساد التوجيه ٠

٢ ـ المدرسة

والمواد التي تدرس ونوعها ومدى مناسبتها لعقل الحدث وقدراته الذهنية وهيئة التدريس ومدى تأهيلها علميا وتربويا والطريقة التي يوجهون بها الحدث والصور السلوكية التي يرسمونها له بتصرفاتهم وعلاقاتهم ، والدين ومدى الاهتمام به ، كل هذا يرسم للحدث صورا من السلوك تنعكس على سلوكه الاجتماعي نحو التمرد او التوافق ٠

٣ ـ الوسائل الترويحية :

ان الحدث مليء بالحياة والحركة وهو في حاجة الى مايشغل به فراغه ٠ وهو يريد ان ينعم بمباهج الحياة فهو في حاجة الى من يوجهه التوجيه السليم نحو الهوايات المفيدة

كالرياضة او الرسم او الفنون المختلفة • واهمال هذا الجانب يترك في الحدث طاقات مدخرة قد يكون تنفسها من طريق الانحراف •

٤ ــ وسائل الاعلام والتثقيف :

وهي تشمل السينما والمسرح والاذاعة والكتب والمجلات والصحافة وهذه الوسائل المختلفة بما تحويه من اخبار وبالطريقة التي تعالج بها بعض الحوادث قد يكون فيها من الاثارة مايستهوي الحدث نحو الانحراف ، اذا لم يجد من يفسر له هذه الامور على حقيقتها والعبرة من ورائها •

رابعا ــ العوامل النفسية :

وهذه العوامل هي اهم عوامل الانحراف ، لان جميع العوامل السابقة مهما كانت قوتها لاتنتج اثرها ولا يتم تفاعلها الا اذا ربط بينها عامل نفسي يبعث فيها الروح لتصبح سببا • يؤدي الى الانحراف ،فاضطرابات النمو لاتصبح عاملا منعوامل الانحراف الا اذا صاحبها احساس الحدث بالضياع او بأنه محل سخرية الاخرين ، وكذا العاهات اذا لم تؤثر في نفس الحدث فيداهمه الشعور بالعجز والضعف فتنشأ عنده الحاجة الى تأكيد ذاته ، والامر كذلك بالنسبة للفقر اذا لم يورث الحدث الشعور بالحرمان ،وايضا الانهيار الخلقي للاسرة اذا لم يصاحبه تقمص الحدث لشخصيتهم اعجابا بهم او محاكاة لهم ، وكذا السلوك غير المتوافق للقائمين على تربية الحدث بالمدرسة لايحدث اثره مالم يكن محل اعجاب من الحدث •

كل هذه الصور المختلفة من العوامل رهن بتحقق العامل النفساني فاذا لم يحدث التفاعل بينهما فلا خطورة ولا انحراف •

واهم هذه العوامل النفسية :

١ ــ التقمص Identification :

وهو انتحال الحدث لصفات شخص آخر يتأثر بسلوكه ، وقد يكون هذا الشخص هو الوالد او الزميل او المدرس او احد الجيران ، وقد يكون شخصا وهميا كما في الروايات السينمائية •

٢ ــ التثبيت :

وهو تخلف النمو العقلي للحدث بدرجة غير متكافئة مع نموه الجسمي حيث يتعذر عليه احداث التلاؤم والتوفيق بين القدرات العقلية والجسمية •

٣ ــ الكبت :

وهو تخلي الطفل عن بعض رغباته ، اما عن خوف أو احساس بعدم توافق اشباعها

مع السلوك السوي • ومن نتيجة هذا كبت الرغبات والميول واذا زادت عوامل الكبت فقد تؤدي الى الانحراف كوسيلة للتنفيس عما يعتمل في نفسه •

٤ ـ العقد النفسية :

وهي مجموعة الافكار والاحساسات والرغبة المكبوتة ، كعقدة زوجة الاب ، او الشعور بالاضطهاد او التخيلات •

٥ ـ الامراض النفسية :

ومنها الاضطرابات النفسية البسيطة كالكذب وعيوب النطق والكلام وكذا الامراض النفسية العصابية كالهستيريا والقلق والنورستانيا •

* * *

الوقاية من انحراف الاحداث

ان منع انحراف الاحداث يشمل مرحلتين : المرحلة الاولى هي مرحلة الوقاية من الانحراف ، والمرحلة الثانية هي علاج الانحراف •

أما عن الوقاية من الانحراف فلكل من الاسرة والمدرسة والدولة دور هام في هذه الوقاية ، ونلخص فيما يلي دور كل منها :

اولا ـ دور الاسرة

ان أي برنامج يوضع لمكافحة انحراف الاحداث يجب ان يبدأ في البيت فالمنزل هو المدرسة الاولى التي يدرب فيها الحدث على مواجهة المعايير المتعارف عليها لسلوك الجماعة ويغذى فيه من الحياة الاجتماعية • أو كما يقول البعض : ان رسالة البيت الكبرى هي فطام الحدث لا من ثدي أمه ؛ بل من الاعتماد على الآخرين •

فالانهيار العاطفي في الاسرة او فقدان الترابط بين افرادها ، وشقاق الزوجين او انفصالهما ، وانعدام القيم الروحية والاخلاقية واختلال المعايير الاجتماعية كل هذه الامور تحرم الطفل من الرعاية الصحيحة ؛ بل انها قد توجهه توجيها فاسدا اذ يشب وليس لديه قيم ومثاليات اجتماعية فينتهي به الامر الى عدم الخضوع الاجتماعي •

فالفقر وانخفاض المستوى الاجتماعي وسوء الحالة الصحية • كل هذه الاسباب وغيرها لن تكفي للاتجاه بالحدث الى الجريمة واذا كان هناك انسجام وتعاطف بين كل من الابوين وبينهما وبين الابناء فيما بينهم فهذا الجو الاسري السليم يشبع الطفل عاطفيا ويوفر للابناء الاحساس بالطمأنينة والحدب والرعاية •

والحق ان دور الاسرة الحقيقي هو رعاية الحدث وتوجيهه الى الطريق السوي

للتكيف بالمجتمع والامتثال لنظامه • ولن يتأتى ذلك ما لم يجد الطفل في من حوله المثل الطيب لما يجب ان يكون عليه السلوك الاجتماعي والذي يمده بالنصيحة والتوجيه الى الطريق الصحيح والاشراف على تنشئته اجتماعيا • ونظرا لهذا الدور الخطير الذي تقوم به الاسرة في التأثير على الحدث فقد تضمنت التشريعات المختلفة قواعد خاصة تقرر مسئولية الوالدين عن بعض المظاهر الانحرافية التي تبدو من ابنائهما • حتى تلزمهم بأن يسلكوا تجاه الطفل السلوك الواجب ، فأي تحسن في سلوك الوالدين يؤدي حتما الى تحسن عريض المدى في سلوك الابناء •

ثانيا ــ دور المدرسة :

يظل الحدث في مجتمعه الصغير ، وهو الاسرة سنوات حياته الاولى حيث يجد الرعاية السليمة والتوجيه الصحيح ، وحيث يشمله والداه بالحنان والعطف الى أن يخرج الى مجتمع أكبر جديد عليه في كل شيء وهو المدرسة •

فيبدأ فطامه الاجتماعي ليعتمد على نفسه في السلوك بين أفراد مجتمعه الجديد ويجد الحدث في هذا المجتمع قواعد ونظما تفرض عليه سلوكا معينا ليس له به علم أو تجربة من قبل وأن عليه أن يتكيف بها وينصاع لها • وكذا تقابله مشكلات في خلق العلاقات الاجتماعية مع زملائه لابد وأن يتصرف حيالها • ويعرض له أنواع من السلوك غريبة عليه نتيجة لاختلاف البيئات والمستويات الاجتماعية والخلقية لزملائه من الطلبة، ويضيف الى مثله التي رآها في والديه مثلا جديدة يراها في مدرسيه ، وهو يحاول تفسير كل ذلك في ضوء • تجربته الاولى في الاسرة وقواعد السلوك التي اكتسبها خلالها •

فالمدرسة بالنسبة للحدث دنيا جديدة عليه ، وهي حقل التجربة الاول الذي يمارس فيه الحدث قدرته على التكيف مع مجتمع يسوده النظام والقواعد الملزمة دون ان يجد سندا من عطف الوالدين وحبهما اللذين اعتادهما •

وكذلك فان المدرسة تستغرق كل مراحل حداثة الفرد تقريبا فهو يدخلها طفلا ينقصه الادراك والتمييز ليخرج منها راشدا ناضج العقل والارادة • كما ان المدرسة تستغرق معظم وقت الحدث اليومي •

ومن كل ذلك تتضح أهمية الدور الذي تقوم به المدرسة في : تشكيل الحدث وبناء شخصيته ، ومده بالخبرة والتجارب ، وتدريبه على الحياة الاجتماعية وكيفية السلوك فيها والتكيف بها •

وينبغي لرسالة المدرسة ألا تقف عند حد التعليم والتثقيف وانما يجب أن تسهم بنصيبها الكبير في بناء شخصية الحدث وتنشئته تنشئة اجتماعية سليمة ولكي يتم ذلك على خير وجه يحسن أن تراعي القواعد الآتية :

١ ـ ان تكون المدرسة دارا للتعليم وكذا للتربية :

فكما ان رسالة المدرسة الاولى هي صقل عقل الطالب وبعث نور العلم فيه وتثقيفه، فان عليها واجبا مماثلا تماما وهو تنمية شخصية الطالب وبناؤها على اساس من الدين والاخلاق واحترام المجتمع والامتثال لنظامه ، وكذلك تدريب الطالب على حياة الجماعة وكيفية ممارستها ، وتنبيهه الى السلوك الخاطىء وتوجهه الى السلوك السوي ·

٢ ـ ان تتناسب المواد الدراسية وقدرة الحدث :

أي أن تكون الدراسة المقررة بالقدر الذي يتفق وقدرات الحدث ، وأن تتفق البرامج مع مراحل تطور الحدث ونموه النفسي والعقلي ، فان ارهاق الطالب بالعلوم الكثيرة التي لايمكنه استيعابها يبعث في نفسه كراهية للدراسة قد تؤدي الى اخفاقه فيها أو أن يسلك سلوكا غير متوافق · ولعله من الامور التي تستحق التقدير ان تنشأ مدارس خاصة للمتخلفين عقليا او ذوي القدرات الذهنية المحدودة والاغبياء ·

٣ ـ الاهتمام بالناحية الدينية والخلقية :

ان الحدث في حاجة الى مبادىء تعيش معه وتظل في عونه كلما اعترضته مشكلات سلوكية مختلفة والدراسات الدينية تمد الحدث بالمبادىء الاساسية السليمة التي تساعده على السلوك الاجتماعي الصحيح · ثم ان هذه المبادىء تقوي فيه المثاليات والقيم الخلقية التي تحول دون تسرب عدوى الانحراف اليه ، وتنمي فيه القدرة على مقاومة العواطف وضبطها · والذي لاشك فيه ان التربية الدينية والاخلاقية اقوى عاصم للحدث من مغريات الانحراف ·

٤ ـ الاهتمام بالناحية الرياضية والترفيهية :

ان أخطر ما في حياة الحدث هو أوقات الفراغ ، والطريقة المثلى لملء هذا الفراغ هو تنمية الهوايات لدى الحدث ليستغل فيها وقت فراغه استغلالا منتجا يباعد بينه وبين الانحراف ، كهواية الرسم ، وجمع طوابع البريد ، واستنبات الزهور فان في هذه الهوايات تنفيسا لطاقات الحدث تبعده عن الفراغ ونتائجه السيئة ·

وكذلك الرياضة فأساسها التعاون ونكران الذات وخلق مجال المنافسة الشريفة ، وهي فرصة يكشف فيها الحدث عن كفايته · كل هذه الامور تدريب له على السلوك الاجتماعي الصحيح ·

٥ ـ الاهتمام بالمعلم وتأهيله تربويا :

ليست رسالة المدرس هي حشو رأس الطالب بالعلوم الكثيرة ، بل ان مهمته الاولى ان يعلمه آداب السلوك وكيفية الانصياع لنظم المجتمع ، كما أن من بين مهامه الاساسية ملاحظة تلاميذه وكشف اعراض الانحراف فيهم وتنبيه المسئولين الى ذلك حتى

يمكن تدارك الامر قبل استفحاله ، فالمدرس مسئول عن رعاية الطالب في الفصل اثناء الدراسة • والاخصائي الاجتماعي مسئول عنه في فترات الراحة التي تتخلل الدراسة ، والاسرة مسئولة عنه خارج المدرسة ، وبذا تتوافر الرعاية للحدث طوال الوقت•

ثالثا ـ دور الدولة :

ينقسم الاحداث وهم في كنف الدولة الى ثلاث فئات :

١ ـ أحداث في رعاية الاسرة والمدرسة
٢ ـ احداث عاملون •
٣ ـ احداث عاطلون ولا عائل لهم •

والاسرة والمدرسة مسئولتان عن رعاية الاحداث الموجودين في كنفها الا انمسئولية كل منها محدودة بالامكانات التي تتوافر لها •

فالاسرة يمكنها ان توفر للحدث الجو الاسري الصالح • الا أن امكاناتها قد تعجز عن اشباع حاجاته المادية او الصحية او التعليمية نتيجة لانخفاض المستوى المعيشي لها•

والمدرسة يمكنها أن ترعى الحدث بالقدر الذي يسمح به المستوى العلمي والتربوي للمعلمين بها والامكانات المادية التي تتوافر لديها لارضاء هوايات الحدث وتنمية الروح الرياضية فيه •

وكل ماتعجز الاسرة او المدرسة تحقيقه أو تحول الامكانات المادية او البشرية دون توافره يقع على عاتق الدولة •

والاحداث العاملون وهم عادة ممن لم يتوافر لهم مستوى معيشي يكفي لاشباع رغباتهم ، وكذلك من لا عائل لهم فلجئوا الى العمل ليكسبوا قوتهم هؤلاء الاحداث في حاجة الى من يرعاهم ولا أحد لهم غير الدولة •

والاحداث المشردون الذين فقدوا عائلهم ، او لم يطيقوا الانهيار الخلقي او العاطفي في الاسرة ، هؤلاء يخرجون الى الحياة ولا حيلة لهم ، فهم مشردون وعلى الدولة انترعاهم•

والدولة حين تمارس دورها في رعاية الاحداث انما تلجأ اليـــه بوسائل عـديدة من بينها :

١ ـ محاربة الفقر والمرض والجهل بشتى صورها • وذلك على أساس تخطيط قومي سليم حتى تخلق المواطن الصالح لان يكون رب أسرة تهيء للحدث بيئة داخلية سليمة•

٢ ـ القيام ببرنامج واسع للتوعية لتبصير المواطنين بالدور الذي يقوم به كل منهـم حيال الحدث ، وتشجيع المنظمات الاجتماعيـة المختلفـة التي من شـأنها رعايـة الحدث أو محاربة عوامل الانحراف ، ونشر الوعي بين المواطنين حتى يقبلوا على الاسهام فيها •

٣ ـ بحث مشكلات أوقات الفراغ لدى الاحداث والعمل على القضاء عليها من طريق نشر الاندية الرياضية والاجتماعية وتزويدها بالامكانات المادية والفنية ·

٤ ـ الاهتمام بالاحداث العاملين وحمايتهم من جشع اصحاب العمل ؛ حتى لايسيئوا تشغيلهم أو يستغلونهم الاستغلال الذي يؤثر عليهم صحيا ونفسيا مما يعرضهم للانحراف ، وكذلك تأمين هؤلاء العمال ضد مخاطر العمل ·

٥ ـ حماية الاحداث الذين لاعائل لهم بسبب فقد الوالدين أو عدم صلاحيتهما لرعايته وذلك من طريق نظام الاسر البديلة او التوسع في اقامة المؤسسات الخاصة بايوائهم ·

٦ ـ انشاء جهاز لشرطة الاحداث يكون على مستوى عال من الكفاية وحسن التدريب ، ليتولى منع انحراف الاحداث ، وحمايتهم اذا انحرفوا ·

٧ ـ وضع المبادىء والقوانين التشريعية الكفيلة بتحقيق هذه الرعاية والتي تتلاءم مع مبادىء الاصلاح الاجتماعي ، والتأكد من انتظام العمل بها ·

* * *

علاج انحراف الاحداث

قدمنا ان الانحراف ظاهرة اجتماعية تبدو على بعض الاحداث ممن فقدوا الرعاية وحسن التوجيه ، فالاحداث المنحرفون ليسوا الا صغارا ذوي مشكلات تحتاج الى علاج ، فخروجهم على الانماط الاجتماعية وتنكبهم طريق السلوك الاجتماعي وارتكابهم المخالفات القانونية لايعتبر ارتكابا لجرائم يحتاج الى عقاب ؛ وانما هو سلوك لا اجتماعي يحتاج الى التقويم ·

والمقصود بالانحراف هنا هو الانحراف بمعناه الواسع ، أي انه يشمل الحالات التي عرضت على القاضي أو التي لم تعرض عليه · كما انه يشمل انحراف الجرائم وانحراف المتشرد وكل حالة خطرة يتواجد فيها الحدث ويرجح معها ان تدفع به الى الجريمة ·

الاساس الشخصي للعلاج :

وحتى يكون العلاج ناجعا يجب أن يبني على أساس شخصي ، أي ان تكون شخصية الحدث هي الدائرة التي تدور فيها عملية العلاج فلا تخرج منها الى دائرة الجريمة أو المجتمع فمصلحة الحدث فوق كل اعتبار ·

وهذا الاساس الشخصي يتطلب الايمان بفردية العلاج ، أي ان لكل حدث من الشخصية المستقلة مايجعل اجراء بعينه هو خير علاج له · في حين لايتفق هذا العلاج

كم يستوي طفل وكلب في التفكير بقطعة عظمة عليها آثار من لحم بينما (بعضهم) يتضخم بالمال ... الاشتراكية مبدأ الكفاية والعدل

مع حدث آخر له نفس المشكلة ؛ فمهما كان التشابه واضحا بين الحالات فانه يخفي وراءه اختلافات جزئية قد تكون ذات أثر حيوي بالنسبة لكل حالة على حدة ، فواقع الشخص هو الذي يحدد وسيلة العلاج اللازمة ·

كما ان منطق الاساس الشخصي للعلاج يقتضي النظر الى الحدث ، دون تأثر بمظاهر سلوكه المنحرف أو مدى خطر هذا السلوك أو الاهتمام بالقضاء على العوامل التي أدت الى الانحراف دون العمل على التأثير في مقومات شخصيته تأثيرا فعالا ·

مكان العلاج :

الاصل ان خير مكان للعلاج هو الاسرة وأن أقدر الناس على التأثير في نفسية الحدث المنحرف هما الوالدان ؛ لان الحدث تربطه بهما صلة وثيقة من الحب والعطف قدلاتتوافر في آخرين · والقاضي لايلجأ لغير الاسرة في علاج الحدث المنحرف ، الا اذا وجد ان هذه الاسرة هي السبب في ذلك وان حالته قد بلغت حدا من الخطورة ينبىء بعدم صلاحية الاسرة للعلاج ·

وسبب التمسك بالاسرة باعتبارها المكان الامثل للعلاج هو أنها توفر للحدث المنحرف الحرية التي يحتاجها والتي قد يؤثر كثيرا في نفسيته الحرمان منها · كما أن تواجد الحدث حرا يعطي له الفرصة للبقاء في المجتمع والتمرس على السلوك السوي فيه ومقاومة الشرور والآثام التي تواجهه ؛ فيكتسب مناعة ضدها وتدريبا على عدم الخضوع لاغرائها ·

مدة العلاج :

ان القاضي عندما يقرر وسيلة معينة لعلاج الحدث انما يرى انها أجدى الوسائل الى تقويمه · الا انه لايمكنه تحديد المدة اللازمة للعلاج · فهذه المدة تختلف من حدث الى آخر ، فلا يصح أن يوضع لها حد أدنى أو أقصى ، غير انه يمكن القول بأن أقصى مدة للعلاج هي بلوغ الحدث سن الرشد حسب مايقرره القانون · ففي هذه الحالة يفترض القانون توافرالادراك والتمييزوالارادة الحرةالكاملة له والتيتؤهله لحماية نفسهبنفسه ·

القائمون على العلاج :

من الناحية الشكلية نجد ان القاضي هو الذي يقرر وسيلة العلاج وهو الذي يشرف على تنفيذها وهو الذي يقرر فيما بعد ما اذا كان الحدث المنحرف قد عاد سويا أم أنه لازال في حاجة الى العلاج ·

والقاضي بمفرده لايستطيع أن يقوم بهذه الاعباء كلها · فهو يحتاج الى معاونة قوم آخرين يساعدونه في التعرف على الاحداث المنحرفين ودراستهم اجتماعيا ونفسيا وصحيا واقتراح العلاج اللازم ، كما انه في حاجة الى هؤلاء الاخصائيين يمدونه بالتقارير عن

سير العلاج ومدى تأثيره في الحدث ومناسبته له بل انهم أقدر على تشخيص حالة الحدث وتقرير ما اذا كان قد شفي من مرضه أم لايزال في حاجة الى مدة اخرى للعلاج ·

وعلى ذلك يمكن القول بأن العلاج هو نتيجة لبحوث اجتماعية ونفسية وطبية يقوم بها خبراء متخصصون في هذه النواحي ، والجهود التي يبذلونها في شفاء الحدث المنحرف يسبغ عليها القاضي الصفة الرسمية بما يصدره في شأنها من قرارات ·

مقدمات العـلاج :

ان علاج الانحراف يقتضينا البحث عن الاحداث المنحرفين ، فاذا وجدناهم أصبح على الخبراء الاجتماعيين والنفسيين والصحيين والعقليين واجب دراستهم ومعرفة اسباب انحرافهم ووسائل علاجهم ؛ ثم يأتي بعد ذلك دور القاضي لتقرير العلاج ·

فمقدمات علاج الانحراف اذن هي :

١ ـ التعرف على الاحداث المنحرفين :

والمقصود هو الاهتداء الى الاحداث المنحرفين اينما وجدوا ،والبحث عنهم لاصلاحهم قبل أن تتفاقم حالتهم ويستعصى تقويمهم ، فالواجب والمصلحة العامة يستدعيان الا ننتظر الابلاغ بالانحراف او تقدم المنحرفين وحدهم للعلاج ، فالمشاهد عملا ان كثيرا من حالات الانحراف لايبلغ بها ، اما نتيجة لاهمال او تستر أولي الأمر أو عدم علمهم بها ·

ولذلك نرى أن يوكل أمر كشف الاحداث المنحرفين وتقديمهم للعلاج الى جهـــاز شرطة الأحداث ·

٢ ـ دراسة الحدث المنحرف :

والمقصود هنا هو تشخيص حالة الانحراف من طريق دراسة الحدث والغور الى ابعاده النفسية المختلفة ومدى تأثره بالعوامل والظروف المحيطة به وكل ما من شـــأنه أن يؤثر على شخصيته والوسيلة المثلى لاعادة بنائها · فعلاج الحدث في حاجة الى فهـم واع لحقيقة مشكلته والمؤثرات الضارة التي أحاطت بشخصيته ·

وتتم هذه العملية من طريق الحصول على أكبر قـدر من المعلـومات عن الحدث وظروفه · ثم تفسير هذه المعلومات تفسيرا علميا بمعرفة الخبراء والاخصائيين ورسم الخطة العملية لعلاجه ·

وهذه المرحلة دقيقة وتتطلب اهتماما خاصا يحول دون الخطأ في التشخيص هـذا الخطأ الذي قد يؤدي الى تفاقم حالة الانحراف ، ولذا فانه يجب ان يتم بمعرفـة خبراء واخصائيين على مستوى عال من الكفاية والتدريب يحول بينهم وبين الخطأ ·

★ ★ ★

وسائل العلاج :

وتطبيقا للتفصيل السابق ايضاحه عند الحديث عن مكان العلاج نجد ان التشريعات تجعل الاسرة هي المكان الاول للعلاج ثم تتدرج بذلك حتى الايـداع وأهم طرق العـلاج المعمول بها هي :

١ ـ التسليم :

وهو تسليم الحدث لوالديه أو لمن له حق الولاية على أن يكون مسئولا عن حسن سيره في المستقبل ٠

٢ ـ التوبيخ :

وهو تأنيب القاضي للحدث وحثه على اتخاذ السلوك السوي ، وهذا الاجراء من نتيجته عودة الحدث الى بيئته الاصلية وهي الاسرة ٠

٣ ـ الاختبار القضائي Probstian :

ويرى البعض ان يطلق عليه الاشراف الاجتماعي أو المراقبة الاجتماعية وهو خطوة أولية مع الحدث تقضي باعادته الى أسرته على أن يوكل أمر ملاحظته الى مشرف اجتماعي يقدم له من الخدمات الاجتماعية ما يصلح من أمره ويقوم من عوجه ٠

٤ ـ الايداع في المؤسسات :

والمقصود بهذه الوسيلة هو ابعاد الحدث المنحرف عن بيئته الاصلية اذا لم تثمر معه وسائل العلاج السابقة ، واتضح من خطورة حالته مايستدعي هذا الاجراء كوسيلة ضرورية لاعادة بناء شخصيته ٠

وقد وجه الى هذه الوسيلة نقد مر من كثير من الباحثين ؛ الا أن هذا النقد نظري ولايتفق مع الواقع ، ومعظمه قائم على التخوف من أن تساء معاملة الاحداث في هـذه المؤسسات ؛ الا أن كل هذه الامور يمكن علاجها من طريق اختيـار المشرفين عـلى هـذه المؤسسات من بين المؤهلين تربويا وتدريبهم التدريب الذي يكفل حسن قيامهم بواجبهم، وأن يبيح لهم نظام المؤسسة منح الاحداث اجازات يقضونها خارج المؤسسة او القيام بالرحلات والزيارات التي يعيشون خلالها في المجتمع ويتدربون على السلوك بين أفراده٠

٥ ـ نظام الاسرة البديلة :

ومن بين صوره : التبني ، أو ايواء الحدث بأجر أو غير أجر ويمتاز هذا النظام بأنه لايبعد الحدث عن واقع المجتمع ، ثم انه يكبد الدولة أقل النفقات ٠

على انه تجب ملاحظة أن هذه الوسائل لايلزم القاضي بتطبيق اي منها في حالات معينة دون الاخرى ٠ بل ان الامر متروك له ليختار الوسيلة التي تناسب علاج الحدث ذاته دون نظر الى الفعل الاجرامي او ماسببه من ايذاء لشعور الجماعة ٠

كما أن المصلحة العامة تقتضي تتبع الحدث بعد علاجه وأن يظل في فترة نقاهة يكون خلالها محل عناية الاخصائيين حتى نتأكد من شفائه وتكيفه مع المجتمع ٠

* * *



الفريق محمد أمين الحافظ ...

الحكم وسيلة لخدمة الشعب ...

جمعية حماية الاحداث بدمشق

ليس في سورية العربية (تشرد وجنوح) بالمعنى المألوف بالنسبة لباقي الدول المجاورة او الدول الغربية ، التي تفاخر بمدنيتها وحضارتها وتقدمها . ومرد ذلك الى أننا عرب كرام المحتد ، لنا من شيمنا العربية الاصيلة ، واخلاقنا الاسلامية التي اوجبت في اموالنا (الحق المعلوم للسائل والمحروم) . والتي اقرت الاشتراكية البناءة الخيرة ، العادلة ، لنا من كل ذلك مايدفع كرام القوم فينا الى العطف على فقرائنا ، ومعوزينا ، مدعومين من قبل الدولة ، التي اقرت الاشتراكية عقيدة ومذهبا ، ومنهجا سياسيا ، والتي لا هدف ولا طريق لسيرها الا نصرة العامل والفلاح ، ورعاية الفقير واليتيم ، والعاجز ، والمريض .

وعلى هذا الاساس تنادى في دمشق ، وفي كافة المحافظات السورية ، عدد من المواطنين الطيبين الى تأسيس جمعية باسم (حماية الاحداث ومكافحة الجنوح والتشرد) وذلك في عام (١٥٩١) ، وقد اتخذت هذه الجمعية مقرين لها في دمشق الاول للذكور ، والثاني للاناث ، وجهزا بشكل مدرستين صناعيتين مغلقتين ، تشرف الدولة بشكل مباشر على أوضاعهما .

فوزارة العدل تقدم قاضيا خاصا بالاحداث ، كما تقدم الخدمة الاجتماعية . ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية تقدم المعونات المادية والخدمات الاجتماعية ووزارة التربية والتعليم تقدم الاساتذة والمعلمات والمشرفات . ووزارة الداخلية تقدم رجال الامن لحفظ النظام والحراسة . وللعمل على مكافحة الجنوح والتشرد مكافحة عملية .

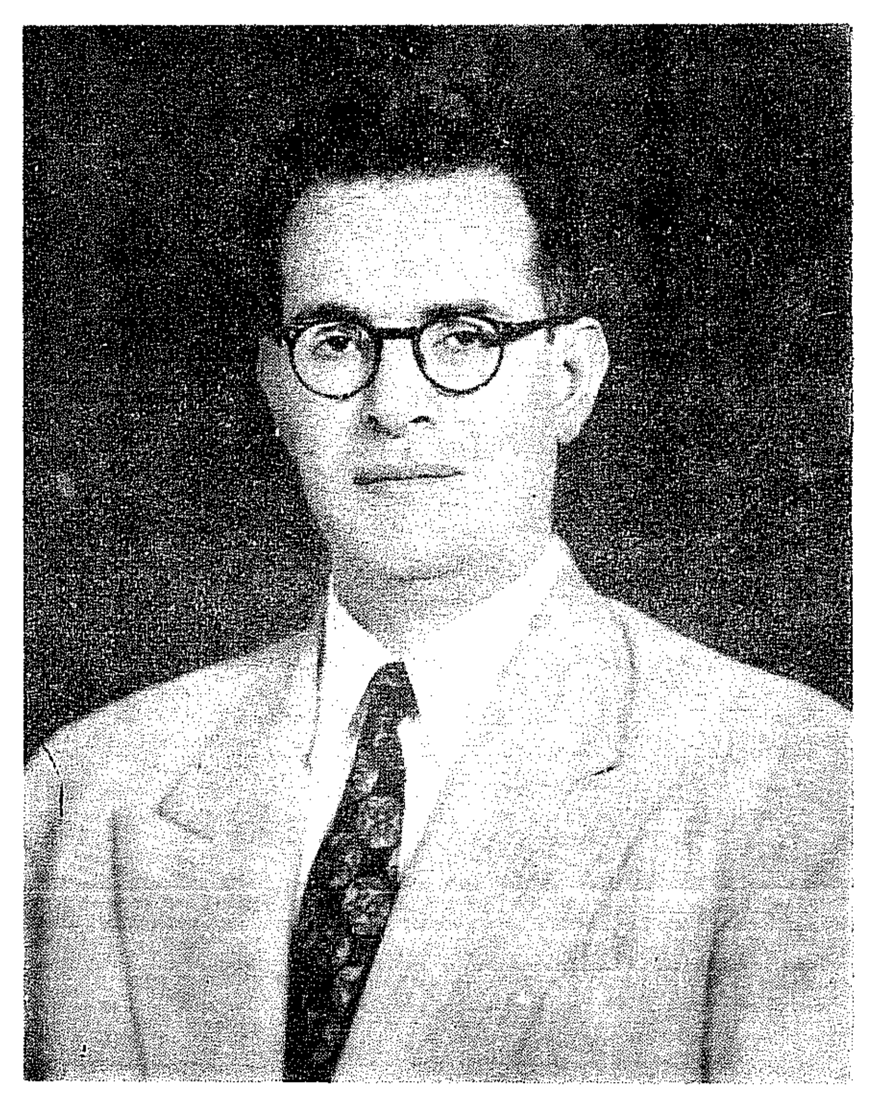
يضاف الى كل هذا العطف السامي الكريم الذي يبديه رئيس مجلس الرئاسة الفريق محمد أمين الحافظ ، بما يقدم من معونات مادية ومعنوية وعطف شخصي ، يشعر هذه الفئات التي قسا عليها القدر ، بأن في سورية قلبا كبيرا رحيما عادلا مؤمنا، يحنو عليها ، ويعتبرها منه واليه ، وبذلك يؤكد هذا القائد العظيم ، بأن الحكم وسيلة لخدمة الشعب ، لا غاية للاستعلاء والتحكم والتسلط .

اما الفئات التي تتألف منها جمعية حماية الاحداث فهم السادة :

أنور الشلاح ، محمد علي يعقوب ، الدكتور عدنان الخطيب ، انور كحال ، الفة عمر باشا الادلبي ، سمية الحكيم ، الدكتور واصل القتابي ، الدكتور احسان الجوخدار، الدكتور فؤاد دهمان ، علي حباب ، الدكتور نعيم الانطاكي ، السيدة سنية الايوبي ، فائزة الاستاذ ، ملك كبارة ، رياض الميداني ، خيري الصواف ، الدكتور حسن الحفار .

* * *

لقد اندفعت هذه العناصر المؤمنة النبيلة، فأسست جمعية حماية الاحداث، وهيأت



الاستاذ أنور الشلاح رئيس جمعيــة الاحداث

لها الامكانيات المادية والمعنوية ، وسارت بها مخلصة في طريق الخير ، تحدوها الرغبة في ايجاد مجتمع خير صالح ، لا جنوح في احداثه ونشئه الجديد ، ولا تشرد لايتامه ، بل الخلق كلهم عيال الله ،والمواطنون كلهم ابناء هذا الوطن العظيم ، ولهم كامل الحق في حياة أفضل يسودها الاستقرار والرفاه ، فلهذه الفئات شكر الامة ، وجزاء الله الاوفى ٠

★ ★ ★

جريمة قتل على طريقة (الكاوبوي)

قبل أن أسترسل في سرد « قصتي هـــذه » أستميح القارئ عذراً بالحديث عن عنصرين رئيسيين أراهما من الاسباب المباشرة للانحراف الخلقي ، والانزلاق في مهاوي الجريمة والفساد :

الاول : هو السينما وما تحويه من أفلام (الكاوبوي) • تلك التي تقوم على اسلوب اللصوصية ، والقتل ، والسحل • والهمجية البربرية ، البعيدة عن الاخلاق ، والشيم التي درج العرب الاحرار عليها ، والتي توضح حقيقة الانهيار الاجتماعـــي الذي يجتاح أمريكا وأوروبا مدعيتا المدنية في القرن العشرين •

والثاني : تقصير المدرســة الاولى (التي هي البيت) في رعايــة الطفل ، وتنشئته النشأة الصالحة ، المستقيمة ، التي توضح له اسلوب الحياة على قواعد خلقية ، قوامها ، الشرف ، والعفة ، والكرامة ، والبعد عن الرذيلة ، والايمان بالمثل العليا •

وان اهمال (المدرسة الاولى) للولد أو الابنة ، يجلب دون شك أو ريب الكثير من المتاعب الكبرى والمشاكل المعقدة للام والاب على السواء •

* * *

والقصة التي أنا في صددها الآن ، هي عبارة عن قصة شابين وجدا الحرمان والجفاء والاعراض من أبويهما ، وتعلما (القرصنة من دور السينما) فاندفعا يمثلان انطباعاتهما على مسرح الواقع ، فكانت النتيجة أن ارتكبا جرم قتـــل مع ضحية بريئــة وانتهيا الى السجن حيث ضجت دمشق بأكبر فضيحة ، دفع الاهل ثمنها غاليا •

أما القصة فهي كما يلي :

في صباح يوم (جمعة) كنت أتطلع فيه الى الهدوء والراحة ، وردتني مخابرة هاتفية الى داري تشعرني باقدام شخصين مجهولين مقنعين على دخول دار المغدور (أحمد) بقصد السرقة ثم اطلاقهما عيارين ناريين عليه من مسدس حربي أردياه قتيلا •

* * *

انطلقت على الفور الى المكان الذي حددتـــه لي (المخابرة) فشاهدت جثــة وسط « بركة من الدم » لا حراك فيهـــا ، كما شاهدت زوجتـــه مصابة بعدة جروح في رأسها

وجسمها • دمها ينزف ، ودموعها تنهمر مدرارا على والد أطفالها ، الذي اغتيل ، غدراً وظلماً وبهتاناً ، دون ذنب اقترفه ، أو جرم ارتكبه • وكيف لاتبكي زوجها (أحمد) وهو الرجل المثالي العصامي ، الذي ماعرف طوال حياته سوى طاعة الله ، والكد المتواصل من أجل لقمة عيش شريفة طاهرة •

* * *

سألت الزوجة عن كيفية وقوع الجريمة ، فقالت :

طرق بابنا في ساعة متأخرة من الليل ، وكنا نائمين في فراشنا ، فنهضت الخادمة ، وفتحت الباب ، فاذا بها أمام شابين مقنعين مسلحين ، يسألان عن (زوجي) ، فذعلت لهول مارأت ، وعقد الخوف لسانها ، ودلتهما على مكان وجوده في الغرفة التي ننام بها • فدخلا علينا وطلب أحدهما (وهو شاهر مسدسه) مفاتيح الدكان ، فتحرك زوجي ليعطيهما ما طلباه ، واذا بطلقين ناريين يخرجان من المسدس المسلط ليستقرا في جسمه وليقتلانه على الفور ، عندها طاش صوابي ، واندفعت للمقاومة ، فنالني مانالني من جروح كما تشاهدون • وقد فر الجناة على أصوات صراخي وعويل الاطفال المذعورين •

* * *

طلبت من الزوجة أن تذهب فوراً الى المستشفى لتضميد جراحها ، وبدأت أفتش الدار أملا في العثور على أثر للجناة ، وبعد تحريات دقيقة عثرت باحدى الزوايا على محفظة جلدية لكتب مدرسية تحتوي على صباط رجالي بلون أسود ، وحبلين من المرس الجديد غير المستعمل ، ولدى فحص المحفظة عثرت في طرفها على اسم يدل على صاحبها هو (فاضل العبوس) •

حملت الحقيبة الجلدية ، وعدت الى مكتبي ، وأخذت أفتش عن هذا الاسم في كل أنحاء دمشق ، وبعد جهد متواصل عثرت عليه ، فوجدته فتى في الثانية عشرة من عمره لاتنطبق أوصافه على أحد المجرمين اللذين روت أوصافهما زوجة القتيل • فسألت الطفل عما اذا كان له اخوة ، فأفاد ان له أخ كبير هو في وظيفة خارج دمشق ، وله أخ ثان يدعى (سعيد) عمره ١٩ سنة • فطلبت من محدثي الطفل ، أن يروي لي أوصاف أخيه ، وما أن رواها حتى وجدتها مطابقة تمام المطابقة للاوصاف التي تحدد هيكل أحد الجناة ، فاتجهت للبحث الفوري عن (سعيد) فعلمت انه سافر الى الزبداني صباح هذا اليوم • أخذت أتعمق في دراسة أوضاع من حصرت به شبهتي بعد أن حصلت على كامل اسمه وصورته فعلمت أنه سيىء الاخلاق والسمعة ، يتردد على المقاهي والاماكن المشبوهة ، يتعاطى الخمر والميسر • وفيما أنا غارق في دراستي جاءتني احدى الدوريات المكلفة بالبحث عن (سعيد) لتقول لي أنه شوهد يقود سيارة خاصة فولكسفاكن ذات الرقم ٨٤٣٥ ويتجول في شوارع دمشق منذ الصباح الباكر •



شارب الخمر يقوده الشيطان من انفه الى حتفه

جهزت على الفور ، ثلاث سيارات ، ووضعت في كل منها عددا من رجالي الذين أثق بخبرتهم وكلفتهم بالتجول في شوارع دمشق ، والذهـــاب الى الزبداني ، للقبض على (سعيد) ·

وفي الساعة الرابعة عشرة تقريبا بينما كانت احدى الدوريات تجتاز شارع القوتلي شاهدت السيارة رقم (٨٤٣٥) يقودها شاب بسرعة جنونية ، متجهة نحو قصر الضيافة ، فتبعتها ولكنها أضاعتها لسرعتها ، ولسوء حظ الجاني ، تعطلت به السيارة قرب السبع بحرات في اللحظة التي كانت تمر الدورية الثانية ، فشاهدته وقبضت عليه ، وجاءت به وبالسيارة الى الادارة الجنائية ·

دخل سعيد مكتبي ، وهو رابط الجأش غير هياب من الموقف ، كأن يديه الآثمتين لم تهدرا دماً بريئاً ، ولم تدخلا اليتم والثكل الى عش هادىء شريف ·

* * *

سألته عن السيارة وسبب استئجارها فقال :

ــ لقد استأجرتها مع صديق من عرنوس ، وذهبنا الى بلودان ثم رجعنا ·

ــ قلت له :

هذه الحقيبة وما فيها ··· انظرها وتفحصها ، وقل لي لمن هي ؟!

ــ فقال : لا أدري ، وليست لي علاقة بها ··· (وفيما هو يتحدث امتقع لونه وتغيرت ملامح وجهه وأخذت الرعشة تظهر في أطرافه) ·

تأكدت بأن سعيد هو القاتل ، ولكني تظاهرت بقلة الفهم ، واتجهت الى عملية حرب أعصاب من نوع جديد · حيث وضعت المشتبه به في سيارتي وأخذته الى بستان يقع خلف دار المغدور ، وكنت أراقب حركاته ، وما ان مررنا أمام دار الضحية ، حتى التفت سعيد اليها بسرعة ثم أشاح وجهه عنهـــا وأخذ يعالج انفعالاتـــه التي بدأت تظهر على قسماته بشكل جلي · نزلنا البستان ، ووقفنا لوحدنا نتبادل النظرات · وفيما نحن في صمت عميق ، بادرت الى الحديث المكشوف ، ولجـــأت الى اسلوب الصراحـــة مشفوعة بالنصح والارشاد ··· (الى أن قلت للجاني أن المجني عليه لازال عـــلى قيد الحياة ، وسيشفى من جراحه عما قريب ، وقد يعفو ويصفح) ·

في هذه اللحظة قطع حديثي سعيد وقال :

ــ أنا شريك القاتل ، أنا شريك المجرم ، وأخذ يسرد لي تفاصيل ارتكابه الجريمة مع شريك له يدعى (أبو حميد) ·

* * *



النقيب هيثم شوري معاون مدير الادارة الجنائية
كان لنشاطه الفعال الاثر الكبير في القبض على الجناة

اتصلت بالنيابة العامة واستدعيت ممثلها لتدوين أقوال (الجاني) بينما أوفدت النقيب هيثم شوري والمساعد الاول فوزي النشواتي لتفتيش داره ، ففتشاها بسرعة وعادا ومعهما المسدس الـــذي استعمل في الحادثـــة مع حبل مرس (جديـــد) عليه آثار الدماء ٠

بعد أن توصلنا الى هذه المرحلة ٠ وجدت أن التحقيق ناقصاً ، وان الطرف الاول في الجريمة يدعي الاشتراك ولا يعترف بالقتل ، بل يلقي التبعة على رفيقه ، فكان لابد لي من اعادة التحقيق مع (سعيد) الذي كان مصراً كل الاصرار على أقواله الاولية ، ومع ذلك كنت أسلك معه العديد من الاساليب في التحقيق (دون عنف أو شدة) لاني مؤمن أن شريكه هو غير (أبو حميد) الشخصية الوهمية التي ساقها سعيد للتخلص من الجريمة٠ وما أن قاربت الساعة الثانية بعد منتصف الليل حتى خارت أعصاب الجاني ودلنا من جديد على شريكه واسمه (فاضل عباس) ، فأوفدت على الفور النقيب هيثم شوري الى

داره فقبض عليه وجاءني به على عجل · وهنا أعدت التحقيق وأجريت المقابلات اللازمة بين الاثنين فاعترف كل منهما بدوره ·

لقد اعترف الاثنان بسلسلة من قصص المراهقة والفجور بين علب الليل والمحلات المشبوهة ، والتي تحتاج الى المال ··· والحاجة الى المال لتمويل عمليات الفسق والفجور تدفع صاحبها الى ركوب المراكب الخشنة اللاأخلاقية ، والتي لايقرها ضمير أو وجدان أو منطق سليم ·

لقد اعترف الاثنان أنهما شاهدا المغدور في متجره يعد الليرات الذهبية ، وقد تحرك الطمع فيهما · فأخذا يحومان حول (الدكان) لسرقة ما يمكن سرقته ، ولما لم يستطيعا فكرا في الاستيلاء على المفاتيح بشتى الاساليب ، فترصداه العديد من المرات أمام متجره وأمام مدخل داره ، فلم تتح لهما الفرصة ان ينفردا به ليسلباه المفاتيح على (الطريقة الامريكية) اذ كان في كل مرة يدخل داره وبجواره رفيق او عابر سبيل ، ولما يئسا صمما على اقتحام الدار فكان دور الاول الاستيلاء على المفاتيح ، بينما دور الثاني البقاء في الدار شاهرا السلاح في وجه أهلها مدة من الزمن الى أن يصل من سلب المفاتيح الى الدكان ويفتحها ويسرق ما فيها ، ولكن عدم الخبرة ، والخوف دفعت سعيد لاطلاق النار ، من مسدسه ، الذي لا يجيد استعماله ، اذ كان يحرك مدخر المسدس بعد كل طلقة مما جعل عدداً من الخراطيش الملىء ترتمي على الارض· ووجودها بهذا الشكل أوضح لي أن مرتكب الجريمة ليس محترفاً ولا عريقاً بالاجرام بل هو في سن المراهقة ·

* * *

قبل أن أختتم سرد هذه القصة أعود فأقول أن المدرسة الاولى ، التي هي البيت وهي المسؤولة أدبيا عن جريمة الاولاد ·



اللص الديبلوماسى

الوحدة بين مصر وسورية في بدايتها ، والحكم في تلك الحقبة اتسم بالحزم والصرامة والعنف ٠٠ كان ذلك عام ١٩٥٩ تقريباً ، واذا بالرئيس عبد الناصر يتلقى من دمشق كتابا وقعه كافة رجال السلك الدبلوماسي والقنصلي العربي والاجنبي ، يبلغون فيه رئيس الجمهورية اضطراب حبل الامن في دمشق ، لان لصوصا مجهولي الهوية سطوا بشكل اجمالي على دورهم ومكاتبهم وسرقوها ٠

لقد صيغت العريضة بلهجة احتجاج ، وبشكل دبلوماسي لبق ، يشعر الرئيس القابع في القاهرة ، ان بعض المسؤولين في دمشق هم وراء هذه الحوادث المفتعلة ، ولم يكتفي رجال السلك الدبلوماسي بدمشق بتقديم هذه المذكرة الجماعية للقاهرة ، بل ابلغوا حكوماتهم بواقع الحال ، لتتخذ الاجراءات على الصعيد الدولي ، لأن تعدد السرقات لدور ومكاتب الدبلوماسيين لاتوحي بأن الجناة هم من اللصوص ، انما هم لصوص شكليون من نوع آخر ٠

* * *

استدعى رئيس الجمهورية ، وزير الداخلية ، وسلمه « المذكرة الدبلوماسية » وقال له :

ــ اذا كان بطل هذه الحوادث مسؤولا من قبلكم فلسوف يكون حسابه عسيراً، واذا كان لصاً حقيقياً ، فيجب ان يقبض عليه ، وان ينال جزاءه ٠٠٠ استنفروا كافة قوى الامن والاجهزة الاخرى للبحث عنه ٠

* * *

عاد وزير الداخلية لدمشق ، وكان اول عمل قام به **ان استدعاني لمكتبه بحضور رؤسائي** واجرى معي المحاورة التالية :

ــ هل بلغك احد نبأ سرقة دور القناصل والشخصيات الدبلوماسية ؟!

ــ قلت له : نعم سيدي ، ونحن جادون في دراسة الملابسات ، وتعقيب الجاني ٠

ــ قال : وحتى الآن ٠٠٠ ألم تصلوا الى نتيجة ؟!

ــ قلت : نحن نبذل قصارى جهدنا ، نحن نعمل عشرين ساعة في اليوم ، ولو أن جميع الاجهزة تتعاون معنا ، وتعمل بالشكل الذي نعمل به ، لجاءت النتائج محققة للغاية بأسرع وقت ، واقصر طريق ٠

ـ قال : انت وحدك المسؤول عن هذه الجرائم ، ويجب ان تخلق السارق ، كما خلقك ربك ، ان الموضوع يتوقف عليه سمعة الدولة ، لقد اتهمت اجهزتنا اتهامة ظالمة بما حدث ، ويجب أن نضع النقاط على الحروف ٠

ـ قلت : انت تظلمني ياسيادة الوزير ، انا لست شريكا للسارق حتى آتي بــه بطرفة عين ، انني سأبذل جهدي ٠٠٠ لقد مضى علي خمسة وعشرين سنة وأنا أعمل باخلاص لمبدأ مقدس ، هو صيانة الامن والنظام ، والسهر على راحة المواطنين ، وتحقيق سيادة القانون والعدالة ، واحمد الله ، الذي لم يخجلني في كشف جريمة ، ولم يزل قدمي في تعقيب مجرم ٠

ـ قال : كلمة وغطاها ٠٠٠ لديك مهلة ٢٤ ساعة للقبض على السارق ٠٠٠ واذا لم توفق فان لي اجراءات خاصة معك بالذات ٠

* * *

خرجت من مكتب وزير الداخلية ، ورفعت يدي الى السماء ، وخاطبت ربي بقلب ملؤه الايمان بعدالة السماء ٠٠٠ وقلت « عونك يارب » ٠

* * *

وصلت مكتبي ، وباشرت بتجهيــز الدوريات اللازمــة ، وزودتهــا بالتعليمــات والتوجيهات ، ثم رحت استعرض اوضاع اللصوص والنشالين ومحترفي الاجرام ٠٠٠ وفيما أنا غارق في دراساتي ، وفي الهواتف التي اتلقاها من الدوريات والمخبرين ،دخلت علي (الدورية الاولى) التي ارسلتها الى (شارع المرحوم عدنان المالكي) ، وبصحبتها شاب يدعى (أحمد مراد) وباشر رئيس الدورية يقص علي قصته ٠٠٠ قال :

ـ سيدي بينما كنا نجتاز شارع ـ المالكي ـ شاهدنا هذا الشاب مسرعاً يريد اللحاق بسيارة الباص ، فلم يتمكن ، ولقد تلفت من حوله فشاهدنا وعرفنا، ولاذ بالفرار لاول وهلة تقع فيها نظره علينا ٠

لقد اشتبهنا بأمره ، فلحقنا به واعتقلناه ، ثم فتشناه فوجدنا معه **(ساعة يد ذهبية وحلى ومجوهرات وقطع نقود من ذات المئة) ٠**

أجلست **(أحمد مراد)** بجانبي وبدأت احقق معه ٠٠٠

لم يكن صعب المراس ٠٠٠ بل كان سريع الاعتراف ٠٠٠

لقد اعترف لي بأنه سرق (٣٥) داراً بين قنصلية ومكتب ملحق عسكري او تجاري ، او ماشابه ذلك ٠٠٠ وقال لي :

ان دور القناصل دور اغنياء ، وهي ملأى بالمجوهرات والاشياء الثمينة ، ففكرت بغزوها أملا في أن (ألطش) ما اوفق اليه ، واصبح بعدها من كبار الاغنياء ٠

* * *

تركت غرفة التحقيق ، وخرجت الى الحديقة ، وبدأت اناجي ربي ، بالشكر والثناء لانه (جلت قدرته) كان معي في كل مرة امتحن بها ٠

عدت الى مكتبي ـ بعد أداء صلاة الشكر ـ **واتصلت بالسيد وزير الداخلية اعلمه القبض على (السارق الدبلوماسي) ففرح وشكرني، وبادر بدوره لابلاغ رئيس الجمهورية بواقع الحال ٠**

* * *

دعوت السارق لتمثيل جرائمه ٠٠٠ فكان اول دار دخلناها دار السفارة الالمانية حيث ادهشنا السارق في سرعته وخفته في تسلق الجدران بشكل يعجز أكبر رياضي في العالم القيام به ٠

وقد قال لنا (اللص) انه عندما وصل الى غرفة القنصل وجده نائماً مع زوجته في فراش واحد ، وكانا بدون غطاء ، فخشى ان يصيبهما (البرد) فأسدل عليهما اللحاف دون ان يشعرا به ٠

* * *

اما الدار الثانية فكانت دار السفارة الصينية ٠٠٠

لقد اعلمنا اللص انه دخلها فوجد في باحتها (بسكليت للاولاد) فركبها ، ثم وجد قطعاً حديدية لحمل الاثقال فتمرن بها دون ان يشعر به أحد ، ولما وصل الى الغرفة وجد عدداً من رجال السفارة نياماً ففتش جيوبهم ، وسرق مافيها دون ان يستيقظ منهم أحد٠

* * *

وهكذا تابع اللص الظريف تمثيل جرائمه في البيوت الدبلوماسية ، وكان يروي لنا في كل دار قصة مضحكة حدثت معه ٠

ولما انتهينا من تمثيل الجرائم ، باشرنا بالبحث عن المسروقات ، فوجدناها عند امرأة في الاربعين من عمرها (صاحبة بانسيون) يهيم بها (اللص المراهق الصغير) وان هيامه بها هو الذي دفعه لارتكاب السرقات ٠

* * *

جمعنا كافة المسروقات واعدناها لاصحابها ، وسطرنا الضبط اللازم بالسارق و (المدفرة) ـ الامرأة المتصابية ـ وأودعناهما القضاء وقد حكم على السارق بخمسة عشر عاماً بالسجن وعلى (المدفرة) بثلاث سنوات ٠

* * *

الملاحظة الهامة التي اسجلها بهذه المناسبة هي انه ليس من جريمة سرقة وظلت غامضة في بلدنا ٠ لقد اثبتت قوى الامن في سورية ، بفضل تضامنها ، وايمانها بحق الشعب في الحياة المثلى ، انها اقوى هيئة بوليسية في الشرق ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ٠٠٠ ان نسبة الجرائم وخاصة السرقات في سورية ضئيلة جداً لايمكن ان تقارن بجرائم السرقات التي تقع في لبنان او الاردن او مصر ٠



اللص الدبلوماسي احمد صالح مراد جالس عـلى كرسي الاعتراف

سرقة كنوز مروان بن عبد الملك

الجريمة الاولى التي استحوذت على اهتمام كبـــار المسؤولين في الدولة هــي سرقة (متحف دمشق الوطني) لانها استهدفت أثمن كنز في العالم ، هو نقود الخليفة الاموي مروان بن عبد الملك ، التي اكتشفت في الحفريات التي قامت بها مديرية الآثار في منطقة الحريقة بدمشق •

وحسبي الآن وأنا أروي جريمة سرقة الكنز الاموي أن أروي للقراء تفاصيل هذه **القصة من أولها لآخرها •**

* * *

بعد انتهاء شهر معرض دمشق الدولي ١٩٥٩ ، وفي صباح يوم من الايام ، هتف لي زميل الدراسة الدكتور سليم عادل عبد الحق المدير العام لدائرة الآثارات والمتاحف ، ليقول لي •••

ـ يا أبو عبدو ••• انتهكت حرمتنا •

ـ فقلت له •• معاذ الله •• ان يحدث ذلك •• وهل من يجتـــرؤ على اصابتكـم بأذى ••؟!

ـ قال : والله حصل •• والله حصل •••

ـ قلت : وما الذي حصل يادكتور ••• هل تعرضت الحرمات لاذى •

ـ قال : **لقد سرق الكنز الاموي من المتحف ، إنه من أغلى وأثمن كنوز العالم ، انه دليل الحضارة الاموية العربية •• لقد فقد (٢٨٠ قطعـة ذهبيـــة اسـمها الدينـار العربي الاموي) •**

وهي مسكوكة أيام حكم الخليفة الاموي مروان بن عبد الملك•

ـ قلت : سأكون الى جانبكم بعد دقائق أبحث الموضوع بنفسي بشكل مباشر •

* * *

وتوجهت ـ على رأس قوة من رجالي الذين أعتز بكفاءتهم ومقدرتهم ـ الى دار المتحف الوطني وأخذت أطوف مع المدير العام والمسؤولين في الجناح المسروق ، لاطلع على كيفية وقوع الجرم •

جرت بيني وبين المدير العام للآثار مناقشة حول (السارق) فكان رأي الجميع ان السرقة داخلية لان المتحف محروس حراســـة شديدة ، ولان الغرف الحاوية للتحف الثمينة يقوم عليها حارس يفتشها كل نصف ساعة ويسجل ذلك بموجب ساعة كهربائية•

* * *

نظرت الى وجوه الحرس وموظفي المتحف فلم أجدها وجوها تنم عن جريمة، وجدتها بخبرتي ، وجوها بريئة ، متألمة لما حدث ... فقلت ... ان السرقة خارجية ، وان السارق دخل من النافذة العليا ذات القضبان الحديدية، وانه من ذوي الاجسام الصغيرة.

لم يقتنع مدير الآثار من تشخيصي لواقع الحال ، وظن أنني أدافع عن صغار الموظفين ولكنه كان لبقا في عدم تصديقي . فودعته ، بعد أن قطعت وعدا أمامه وأمام الله « القاهر فوق عباده » بأن لا تمضي أيام حتى يكون السارق في قبضة العدالة .

* * *

مضى اليوم الاول على وقوع الجريمة ، واستقبلت صباح اليوم الثاني ، **لاجد الخبر منشورا بحروف بارزة على صفحات الجرائد** ، ومذاعا من أكثر من محطة اذاعية في العالم . وحوالي الساعة العاشرة ، **استدعاني وزير الداخلية** بحضور قائد قوى الامن الداخلي ، والمدير العام للامن العام ، وقال لي :

- لقد سرق أثمن كنز في العالم ، ويظهر ان عصابة دولية أخذت في الآونة الاخيرة تسطو على المتاحف في العالم ، **هذه العصابة تسللت الى متحف فينا في النمسا وسرقت منه سجادة السيدة مريم العذراء وهي أقدم أثر في تاريخ الكنيسة المسيحية ، كذلك سطت هذه العصابة أو غيرها على متحف القاهرة في مصر فسرقت عصاة (توت عنخ آمون) . وهاهي الآن تغزو دمشق وتسرق منها أثمن وأغلى مافيها .**

لذلك أطلب منك ان تدرس أوضاع كافة الاجانب الذين دخلوا دمشق منذ شهر تقريبا ، وان تباشر التحقيق مع من تقع الشبهة عليه .

قلت للسيد وزير الداخلية :

سيادة الوزير ... ان جمع الاجانب والتحقيق معهم يسيء الى سمعة سورية ، ويضرب موسمها السياحي في الصميم . وانني أتصور ان السارق ليس أجنبيا ، لذلك ، اذا كنت تريد السارق فلسوف نحضره باذن الله ، واذا كان القصد الاساءة الى الناس ، فهذا ليس سبيلي .

فرد علي السيد الوزير بقوله :

المهم عندي هو القبض على السارق ، واستعادة المسروقات ، ان هذا العمل انتقاص لهيبة الدولة ، وللحكم الذي أتربع (أنا على قمته) ولن أسمح لانسان في الدنيا ان يمثل هذا الدور .

* * *

ودعت السيد الوزير وعدت الى مكتبي ، لاقوم بالواجب المعتاد ، فأبرقت بتفاصيل الحادث الى المحافظات ومخافر الحدود ، كما أبلغت دوائر الامن في لبنان وعمان ، ولكن

كل هذه الاجراءات لم تكن سبيلي للنجاح بمهمتي ، لاني كنت متأكدا من أن السارق في دمشق ، وانه لن يفلت من يدنا ٠

* * *

جلست مليا أفكر بموضوع السرقة ، فخطر ببالي أن أقوم بأول عمل ايجابي ، هو الاجتماع بتجار وصناع سوق الصاغة ، وتحذيرهم من الانغماس بأي عمل يؤدي الىاخفاء سرقة المتحف ، فتوجهت فورا لسوق الصاغـــة ، وجمعت من حولي رجالهـــا وصناعها وعمالها وبدأت أحدثهم عن جريمة السرقة ، وعن قيمة الكنز المسروق من الناحية المادية والمعنوية ، وأنهيت حديثي بتحذير باسم السلطة ، بأن كل من صهر ، أو ذوب ، أو حول أو سك ، أو اشترى ، أو باع أو أخفى أي معلومات ، فلسوف يكون عقابه صارما ٠

وفيما أنا أتحدث ، وأنذر ، وأتوعد ، كنت أدرس الوجوه ، وأتفحص حركاتالعيون فوجدت شابا صغيرا ، تبدو عليه حركات غير طبيعية ، وكأنه يريد ان يعكر صفو حديثي٠
صرخت بالشاب بأعلى صوتي ، وأمرت باعتقاله ووضعه في السيارة فنفذ أمري فورا ، وباشر رجالي بتفتيشه ، بينما عدت الى الحديث مع من حولي وما هـي الا لحظات حتى صرخ الشرطي (رافع نصر) بقوله :

ـ سيدي عثرت على قطع سبائك ذهبية مع الشاب « هذا » ٠

ـ استدعيت الشاب الى دكان صائغ ، وبدأت مع خبراء الصاغة أتفحص سبائك الذهب فوجدتها سبائك مصهورة وقد ظهر من جانب أحدها طرف (دينار) ٠ فحللت ذهبها فوجدته عياره ٢٤ ٠

اصطحبت الشاب وسبائكه وعدت الى مكتبي بالادارة ٠٠٠ وباشرت التحقيق معه ٠

* * *

سألته من اين لك هذا ٠٠٠٠
قال : لن اتكلم الا بيني وبينك ٠

* * *

اخرجت كل من بالغرفة ٠ وجلست لوحدي مع الشاب اسمع حديثه ٠٠٠ فقال :
ـ سافرت الى النبك ، ورحت اسرح بين جبال القلمون ووديانها ، وكانت اشعة الشمس ترسل بريقها على الارض ، فيحدث بريقاً وهاجاً يدل على وجود معادن ثمينة ٠ اخذت كمية من التراب والاحجار ، وصهرتها فاذا هي ذهب ٠

ـ قلت له ٠٠٠ وهل تدلني على الارض لنخبر الحكومة فتكون انت شريكها في أكبر منجم للذهب ٠
ـ فقال ٠٠٠ لا ٠٠٠ لن أدلك ٠٠٠ هذا عطية الله لي ٠

* * *

لقد وجدت نفسي أدوز في حلقة مفرغة مع شاب مراهق ، تصور ان كذبه ينطلي على رجل خبر المجرمين والجرائم حوالي ثلاثين عاماً ۰۰۰ لذلك لم أجد بدأ من سلوك اسلوب جديد في التحقيق ۰۰۰ فغيرت ملامح وجهي ، وهممت ان اعطيه درساً عملياً في عاقبة السرقة والكذب ۰

الا أن الشاب تملكه الخوف ، وخارت قواه ، وبدأ يعترف بالحقيقة فاعترف بتفاصيل سرقة المتحف ، وكيفية ارتكابه الجرم ۰۰۰ فسطرنا الضبط اللازم ودعوناه لتمثيل جريمته ، فمثلها كاملة ۰

بادرت لأخبار السيد وزير الداخلية بالنتائج التي توصلنا اليها ، الا أن السيد الوزير ، لم يجد مجالا لشكرنا على الجهد الذي بذلناه ، لأننا لم نمنع السارق من صهر النقود ، وكأنه كان يتصور أننا من جن سليمان الذين اعتادوا حراسة الكنوز ، لذلك كان علينا ان نكشف حجب الغيب ونصل الى السارق في ظلمات الليل ، ونوجه اليه النصح اللازم ليبقي الكنز على حاله بدون صهر ۰

* * *

هذا وقد زار السارق صحفي اجنبي واجرى معه الحديث التالي :

س ــ كيف خطر لك فكرة سرقة المتحف ۰

ج ــ في احدى زياراتي لمعرض دمشق الدولي زرت المتحف الوطني وكان يوم جمعة، كان وضعي المادي سيء جدا ۰ وانا بحاجة الى حوائج مدرسية حيث المدارس قد فتحت أبوابها للطلاب ووالدي كان سيئا بمعاملته ولا يقدم لي اي معونة مادية تساعدني على اتمام دراستي خاصة وانني أصبحت في الصف العاشر ۰ ولم يعد بالامكان التراجع عن المدرسة ، فكانت زيارتي للمتحف ومشاهدة الذهب وبصورة خاصة هذه الكمية التي سرقتها من الدوافع التي شجعتني على التفكير في الحصول عليها ۰

س ــ كيف حالة والدك المادية ۰

ج ــ انه بحالة لابأس بها ولكن كان لايقدم لي أي عون لاتمام دراستي وتسجيلي وهو سائق سيارة ويملك بستانا ۰

س ــ لما خطر ببالك سرقة المتحف ۰ هل وضعت خطة مرسومة ۰

ج ــ في يوم الجمعة الذي سبق الحادث كنت بحاجة ماسة الى المال فتذكرت الذهب المعروض في المتحف وقلت في نفسي اذا تمكنت من الحصول عليه استطيع تأمين حاجاتي المدرسية من قسط وشراء ثياب و ۰۰۰ مرة واحدة ۰ فدخلت المتحف في اليوم المذكور ، وتفقدت المكان وفحصت الطاولة وعينت النافذة وهي النافذة الاخيرة ، وبهذه الطريقة صممت على الحصول على الذهب ۰

س ـ الا تعلم ان مثل هذاالعمل هو جريمة وأن القانون يعاقب عليها الفاعل .

ج ـ كنت بحالة نفسية سيئة وكنت أعلم ان الحصول على هذا الكنز هو جريمة وكنت متضايقاً جدا منفعلتي التي سأقدم عليها وقمت بالعمل وليس هناك خطةمرسومة.

س ـ هل أحدثت ضجة .

ج ـ نعم لقد حصل بعض الاصوات عندما كنت أنزع زجاج النافذة وكذلك عند خلع الغال وكنت أنتظر في كل لحظة أن يأتي أحد ويقبض علي ولم أكن أتوقع أنني سأنجح في سرقتي .

س ـ لما كنت على السطح قبل الجريمة هل سمعت أقدام الحراس في الداخل .

ج ـ لم أسمع شيئا .

س ـ هل شاهدتهم عند اتيانهم غرفة الكنز للحراسة .

ج ـ لم أشاهد أحد .

س ـ بأي ساعة أتيت الى المتحف .

ج ـ بين الساعة ٢ ـ ٣ .

س ـ عندما أصبحت بجانب الطاولة كيف عرفت القفل ومكانه .

ج ـ كنت قد درست وضعه في زيارتي نهار الجمعة السابق للحادثة .

س ـ قلت أنك درست مكان السرقة .

ج ـ ما في دراسة ، انما شاهدت مكانه بشكل بسيط وسريع ولاحظت الشريط فظننت انه شريط انذار او كهرباء ولقد تأثرت بالافلام وكنت أعرف اشياء كثيرة منها فقطعت الشريط خوفا منه .

س ـ ماهي الادوات التي استعملتها .

ج ـ مقص وبانسة ومفك وقطعة حديد .

س ـ أين وضعت النقود الذهبية .

ج ـ في جيوبي .

س ـ هل أحدثوا ضجة .

ج ـ كلا .

س ـ لماذا أخذت الاوراق معهم .

ج ـ اخذتهم بدون هدف معين .

س ـ هل تعلم ساعة خروجك.

ج ـ حوالي الخامسة لا اذكر بالضبط .

س ـ كم استغرقت عملية السرقة .

ج ـ ثلاثة أرباع الساعة ، حوالي الساعة .

س ـ كم من الوقت بقيت حول الخزانة

ج ـ ٣/٤ الساعة تقريبا .

س ـ هل شاهدت الحراس ؟

ج ـ كلا .

س ـ عندما كنت تنتظر على السطح قبل الحادثة هل شعرت بأحد ؟

ج ـ كلا .

س ـ من أين رجعت ؟

ج ـ من نفس الطريق الذي أتيت منه .

س ـ أين قضيت الوقت قبل دخول المتحف ؟

ج ـ قضيته في ساحة الامويين وكنت أتمشى واتيت الى المتحف من شارع بيروت وأنا أتنزه .

س ـ هل كان معك ساعة ؟

ج ـ نعم .

س ـ بعد خروجك من المتحف ، أين ذهبت ؟

ج ـ ذهبت الى ساحة محطة الحجاز محل وقوف جنود قطنا وانتظرت أكثر من ساعة وربع أترقب سيارة قطنا أو سيارة الشرطة . وقد شعرت بمصيبتي لما حصلت على النقود واصبح الأمر سيان لدي بوصولي الى قطنا أم بوصول الشرطة وأخذي الى السجن .

س ـ هل ذهبت رأسا بعد السرقة وخرجت من المتحف ؟

ج ـ نعم لم أمكث على السطح أبداً بعد الحادث بل توجهت من حيث آتيت .

س ـ بأي صف وفرع انت في المدرسة . وهل رسبت في دراستك ؟

ج ـ في العاشر ولقد رسبت سنتان اثناء الدراسة .

س ـ هل تعلم أهمية الثروة الاثرية والكنوز ومالها من قيمة وطنية وهل تعلم أنها ملك الامة وحاجة الوطن اليها ؟

ج ـ نعم كنت أعلم قيمتها . والذي اغراني هي كميتها ووجودها في مكان واحد ثم سوء حالتي المادية آنذاك .

س ـ أنا متأسف لكونك تلميذ وتعرف كل هذه الامور وما عقاب السارق و ..

ج ـ ياسيدي ما العمل . وقد وقعت الواقعة وانا الآن في حالة الندم وكنت اعلمأنه سوف تظهر الجريمة ، ولكن انظروا الى ظروفي .

س ـ هل زرت المتحف الوطني ؟

ج ـ نعم منذ اكثر من سنتين وكنت برفقة زملائي الطلاب واستاذالمدرسةوقد أتينا لمشاهدة احدى المعارض الفنية .

س ــ هل هنــــاك من شخص آخر اثر عليـــك واغراك وهل هنـاك من شخص اشترك معك •

ج ــ انها الحاجة وليس معي أي شخص أبدا •

س ــ كم أخ لك •

ج ــ أربع أخوة وبنت وأنا الابن الاكبر في العائلة •

س ــ ماهو وضع والدك •

ج ــ ان والدي قاس وشديد ويعاملنا بشدة ويضربنا وما في أحد يراجعه في أعماله وأفعاله • ولا يهتم بأمور أولاده وتربيتهم ولا يعطيهم نقود أو خرجية •

س ــ هل لك سابقة قبل هذه السرقة •

ج ــ كلا •

س ــ متى اكتشفت موهبة رشاقتك وخفتك •

ج ــ هذه عملية لاتحتاج الى خفة ورشاقة والمتحف مثل الدرج ، هذا الذي صار ، ياريتني ماشفتو • والعمل الذي قمت فيه ليس معقد ابدا وهو بسيط •

س ــ هل تزاول الرياضة •

ج ــ كلا •

س ــ شو متأمل بالنقود يعملو لك •

ج ــ أخرج من الضائقة الماليــة واكمل دراستي ، فلما أتيت لبيعهم صباحا كنت أعلم أن هناك انذارات من أجل السرقة ولكن أنا مضطر وأما ان انجح واما أن اتوجه الى السجن • لقد أخذت قطعة واخذت ٥٠ ليرة من أمي مع القطعة ولكن لم أكن واعياً لما أقدم عليه لانني افكر بأن المدرسة فتحت منذ اكثر من ١٦ يوما • وانا في خصام مع والدي فلم يلب لي طلباتي فلما اخذت الـ ٥٠ ليرة من والدتي لم أهتم بها فهي لاتكفي لحوائجي طلبت ١٠٠ ليرة من والدي فلم يستجب ولو أعطاني الـ ١٠٠ لـيرة لما عرضت القطعــة للبيع ، ولذلك قررت المجازفة ونزلت لدمشق لبيع القطعة الذهبية •

س ــ متى فكرت بصهرهم •

ج ــ بعد ثلاثة أيام •

س ــ أين خبأتهم •

ج ــ في السقف الداخلي في البيت •

س ــ كيف فكرت بصهرهم•

ج ــ فكرت بالاستفادة منهم فصهرتهم بواسطة الاوكسجين وتصورت ان الشرطة لن تعرفهم بعد الصهر •

س ـ الحداد بيعرف تفاصيل العمل الذي اقدمت عليه ٠

ج ـ كلا ٠

س ـ هل تعرف العمل على الاوكسجين ٠

ج ـ كلا ولكن تعلمت وهو عمل بسيط وقد أخذ الحداد على صهر كل كيلو ليرة سوري ٠

س ـ كم عمرك ٠

ج ـ حوالي ١٦ ـ ١٧ سنة من مواليد ١٩٤٣ ٠

س ـ مادام لديك رغبة في اتمام الدراسة هل حاولت بطريق شريف الحصول على المصاريف ٠

ج ـ لجأت لابي وهو أقرب الناس واعلم أن معه مصاري وله بستان اجره بألف ليرة والمبلغ موجود معه منذ اكثر من ستة اشهر بالصندوق فالتجأت اليه فلم يعطيني وكان يقول لي أنت لاتصلح لشيء انت روح موت ومن هل الكلام ٠

* * *

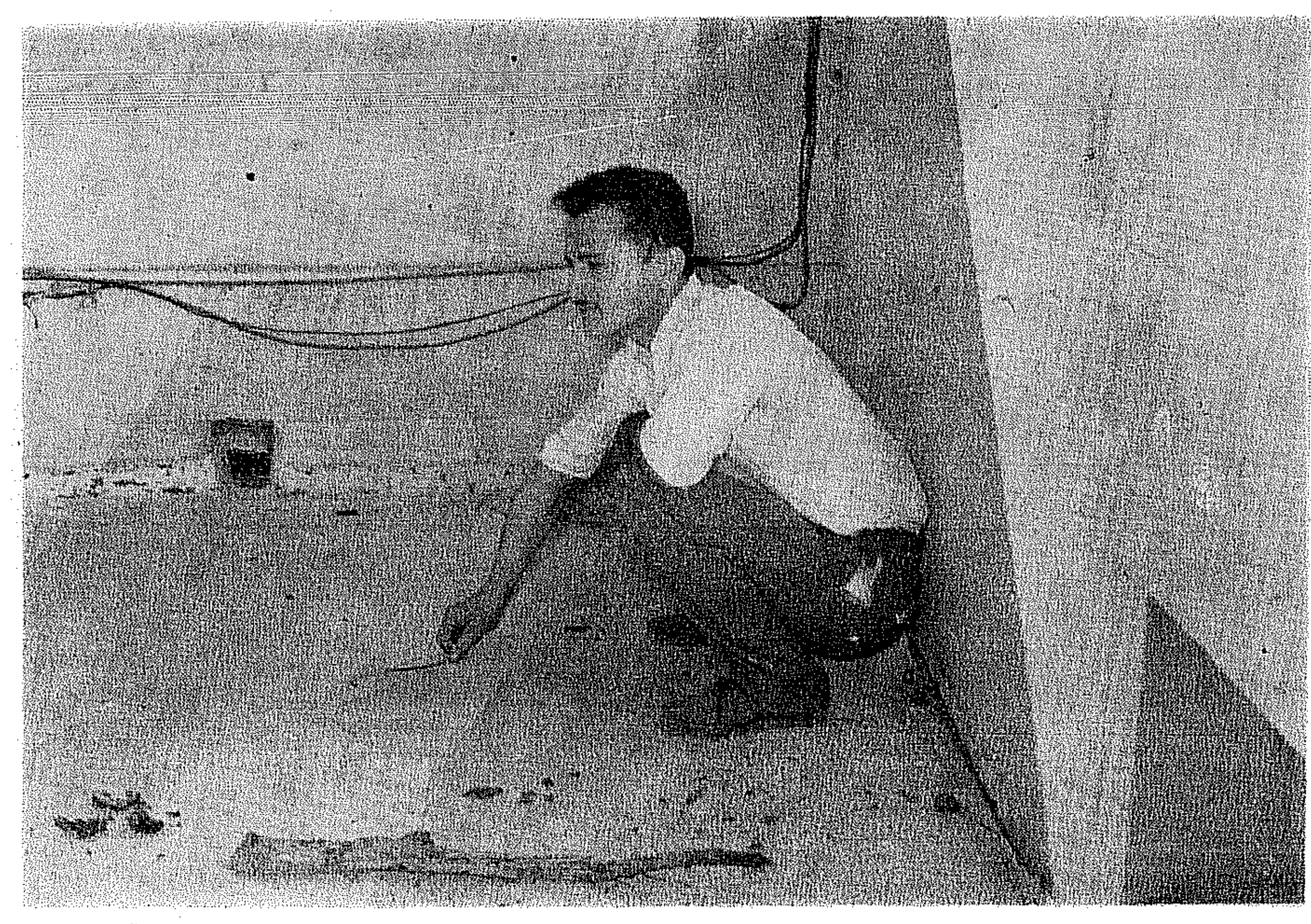
ملاحظة : لقد قدم السارق الى محكمة الجنايات بدمشق فحوكم وحكم عليه بالسجن عشر سنوات ٠



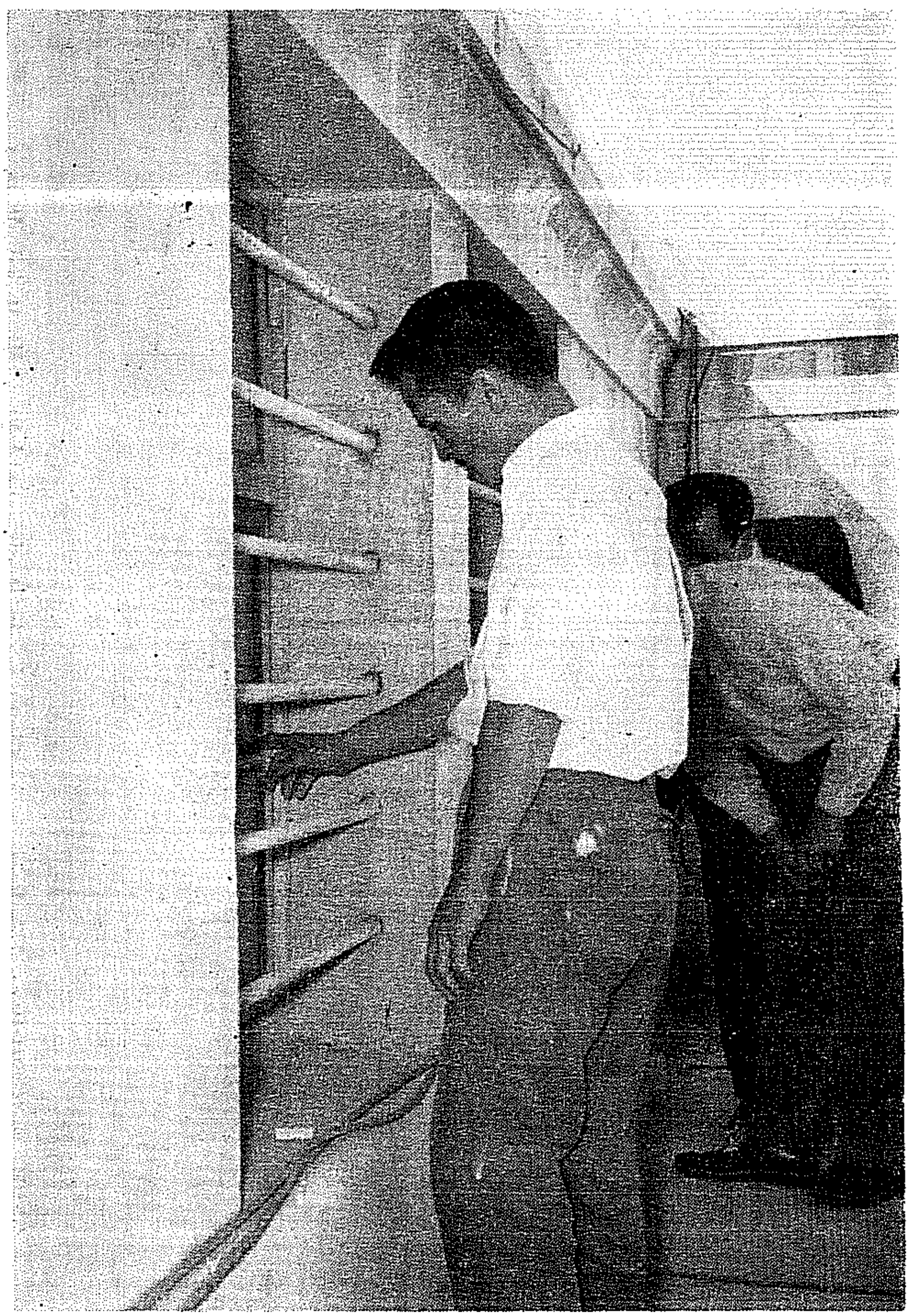


سـارق المتحف في طريقـه لتمثيل الجريمة وقد احاط به رجال الامن

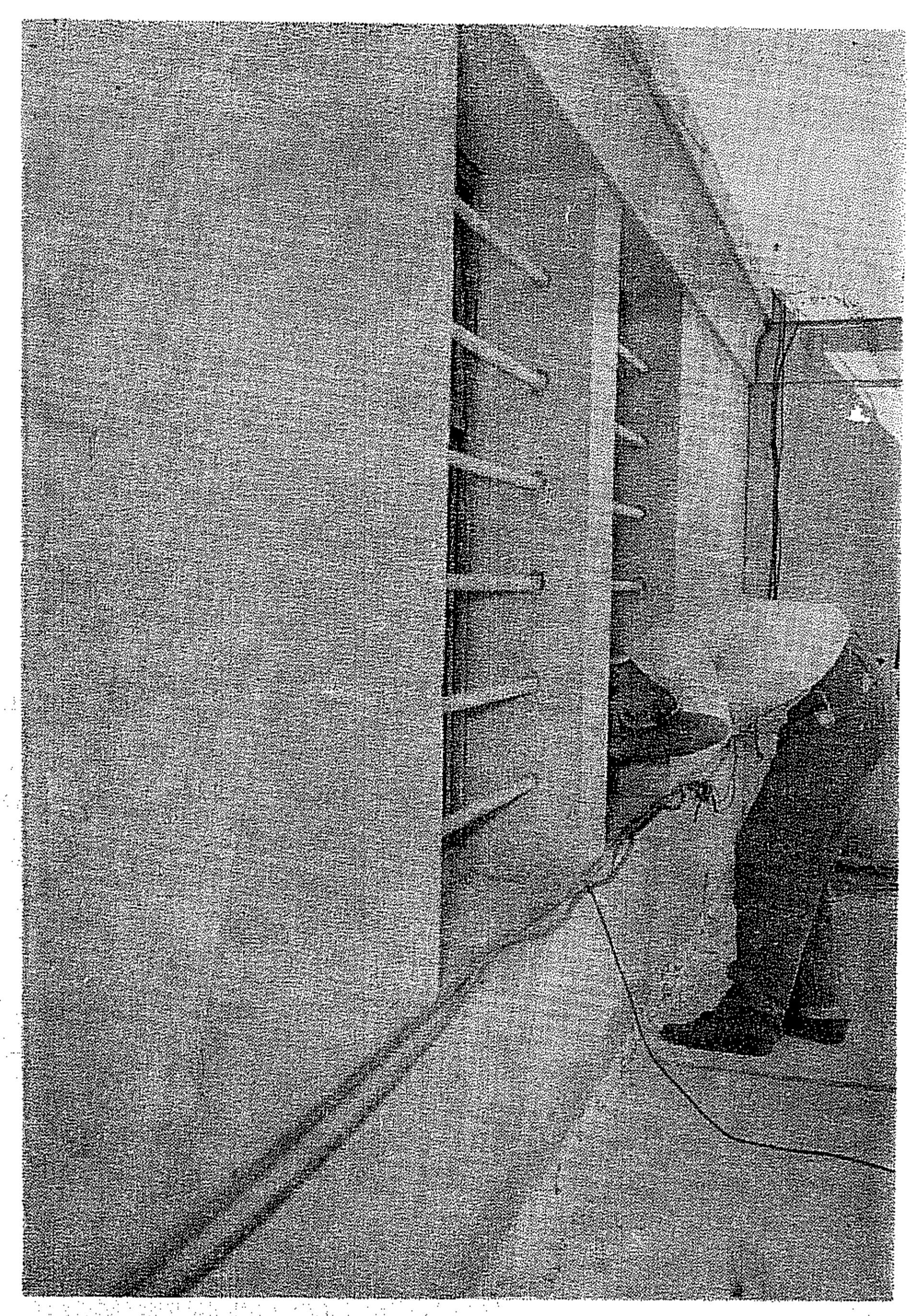
سارق المتحف يباشر بتمثيل جريمته امام رجال المباحث ، فهو بجانب المتحف يفكر في التسلق على الجدار



صعد السارق الى القسم الاول من سطح المتحف وبدأ يفكر في طريقة الدخول من النافذة الحديدية



اتجه السارق لفحص النافذة الحديدية ليجد السبيل الى الدخول



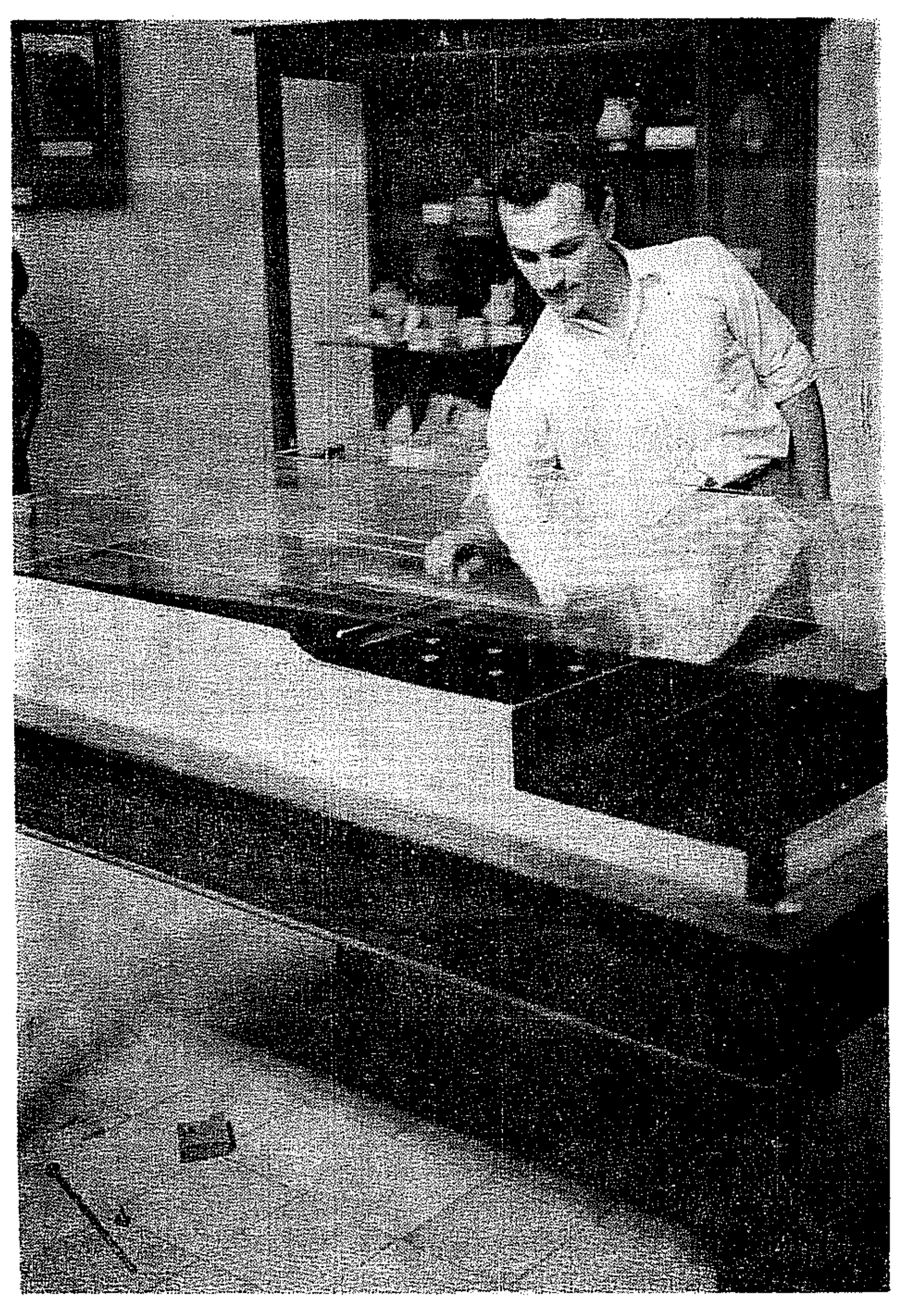
مد رأسه من خلال القضبان ثم ادخل جسمه النحيل
وانحدر منها الى داخل الغرفة



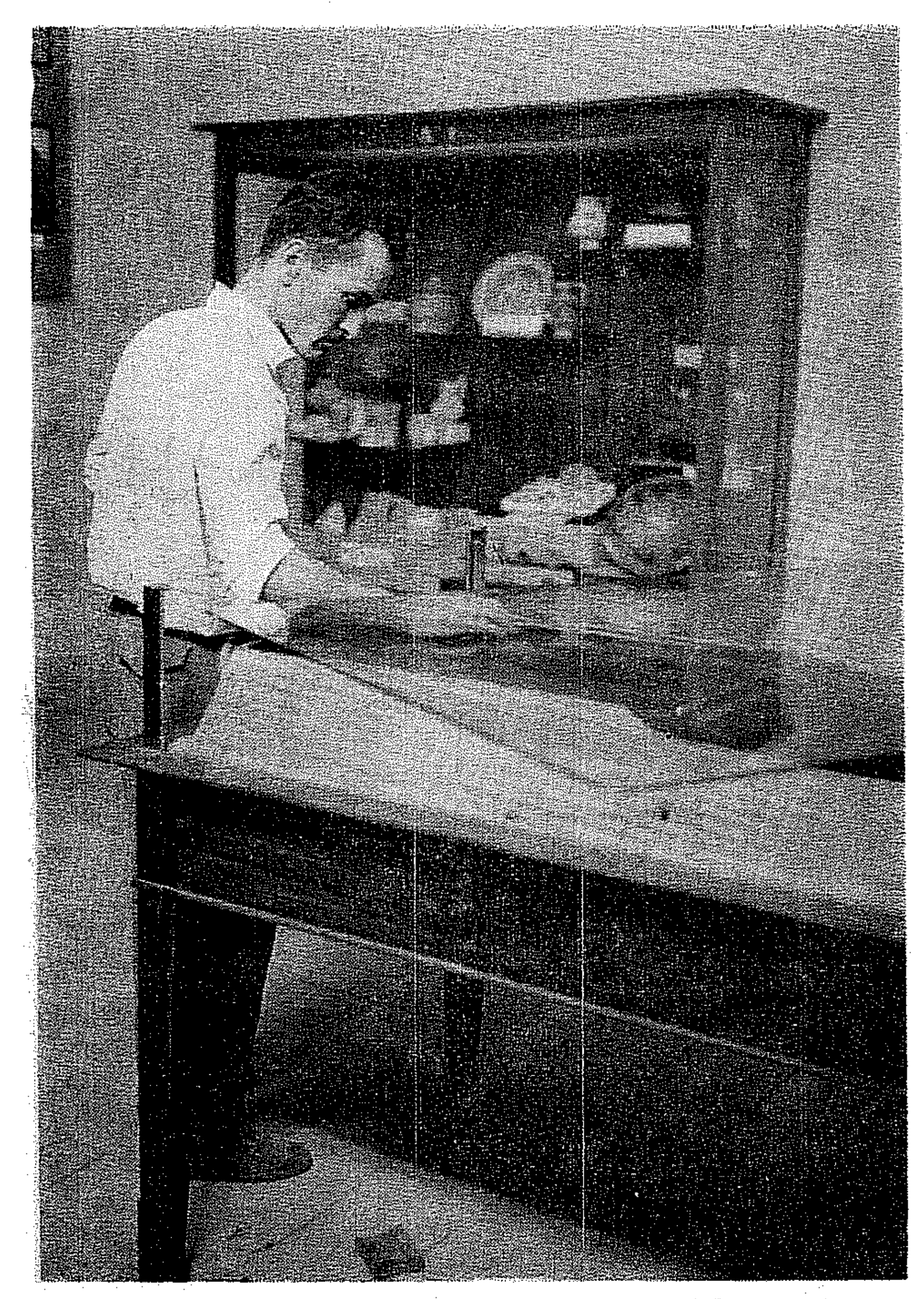
هاهو السارق يهبط بكل رباطة جأش الى غرفة الكنز الاثري



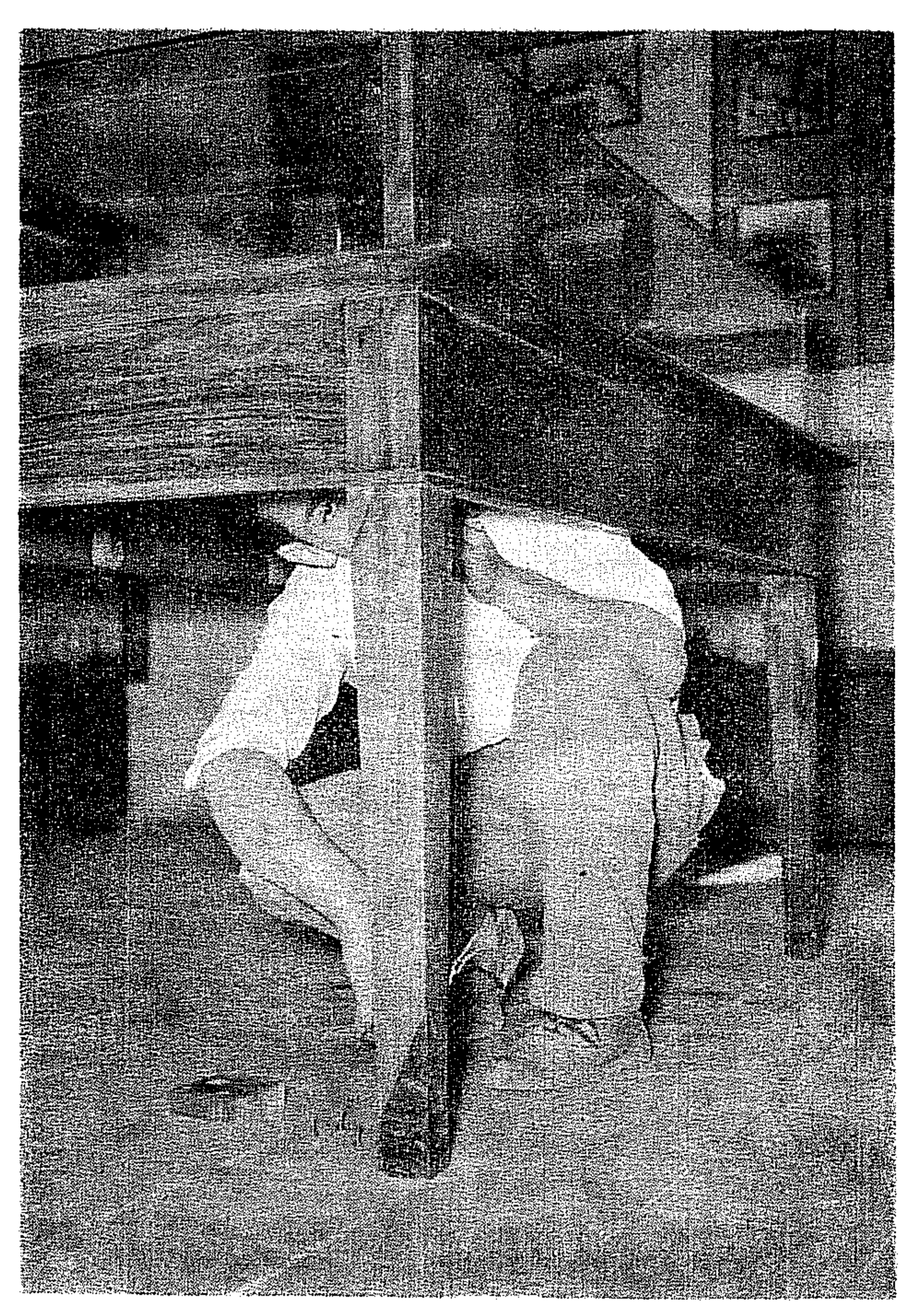
بدأ السارق يفحص الخزانة الزجاجية ليصل الى طريقــة تمكنــه من خلع اللوح الزجــاجي



بعد أن فتح السارق خزانة الكنز البلورية مد يده الى اثمن كنز في الدنيا
فعبث به دون ان يلتفت الى انه يطعن الامة في اغلى ماتملكه



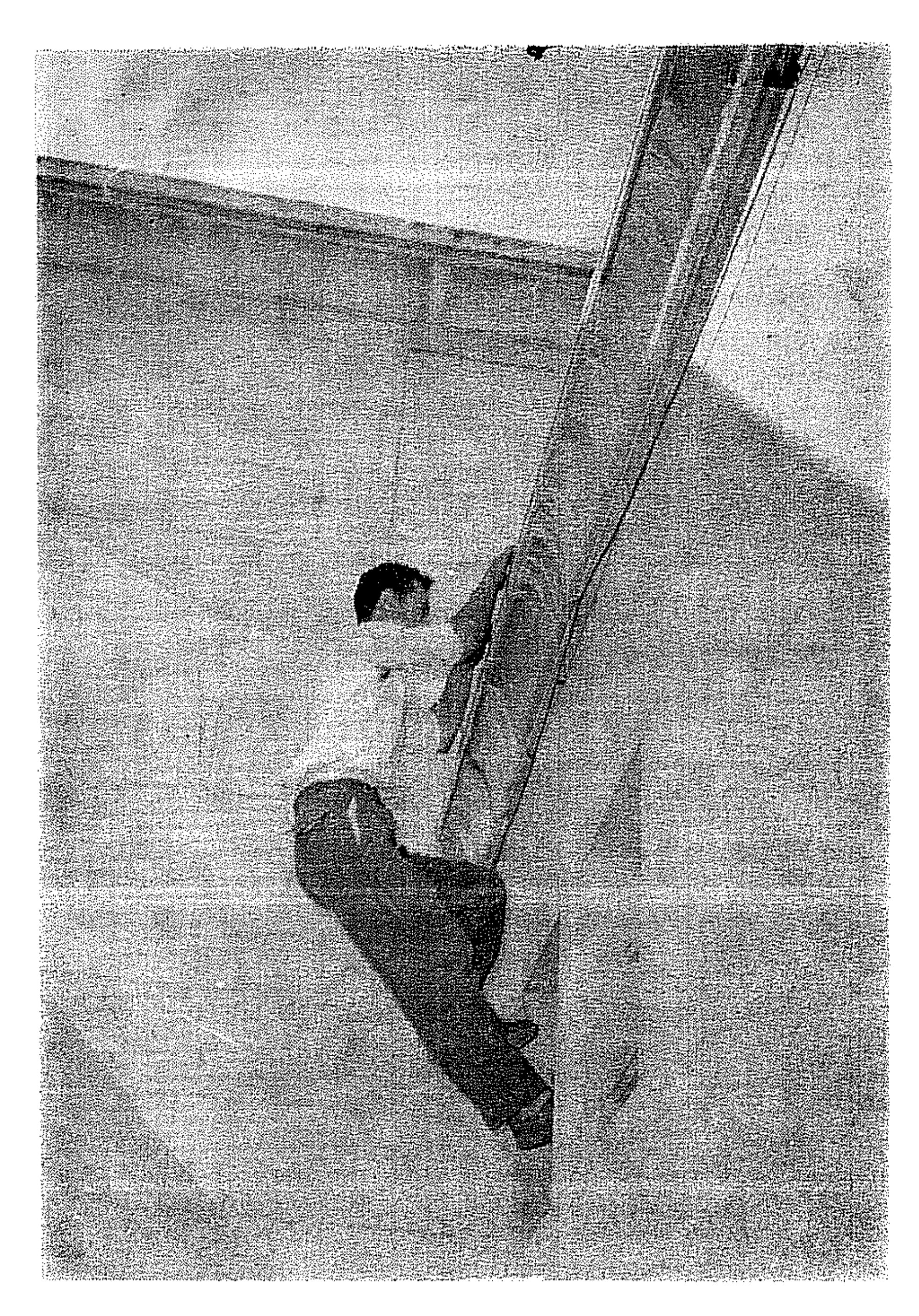
السارق وقد نزع اللوح الزجاجي وبدأ يضع النقود في جيبه



بينما كان يجمع النقود الذهبية دخل الحارس فاختبىء السارق تحت الخزانة



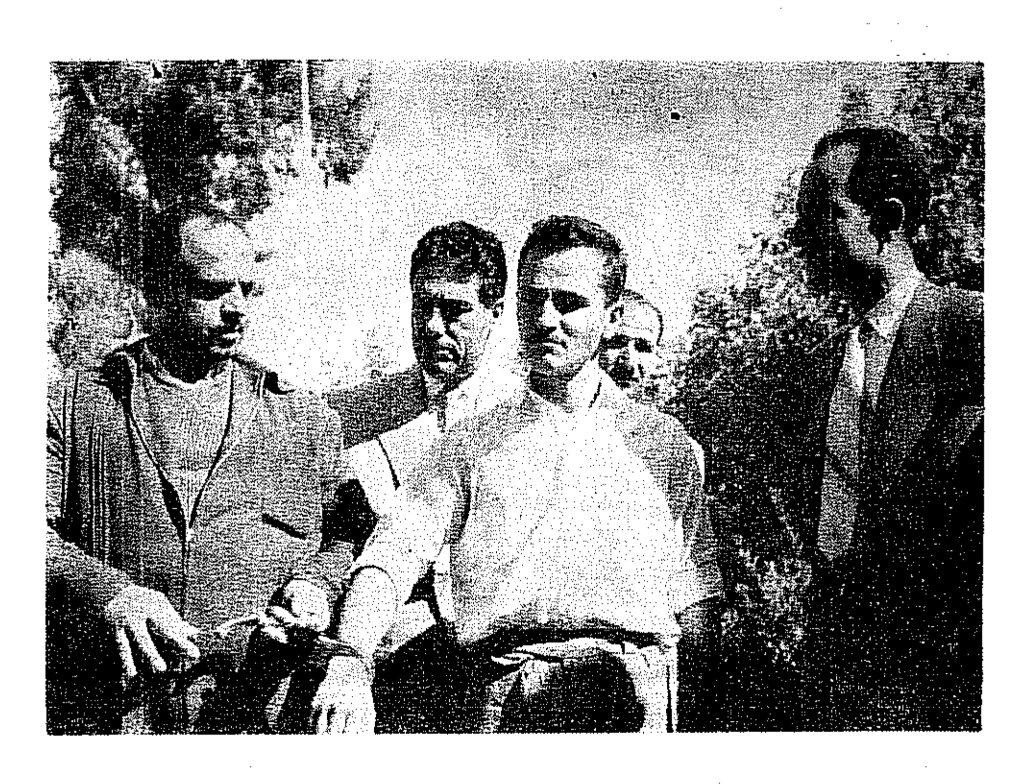
لقد احتفظ بالكنز الثمين في جيبه وبدأ يتسلق الجدار استعدادا للهرب



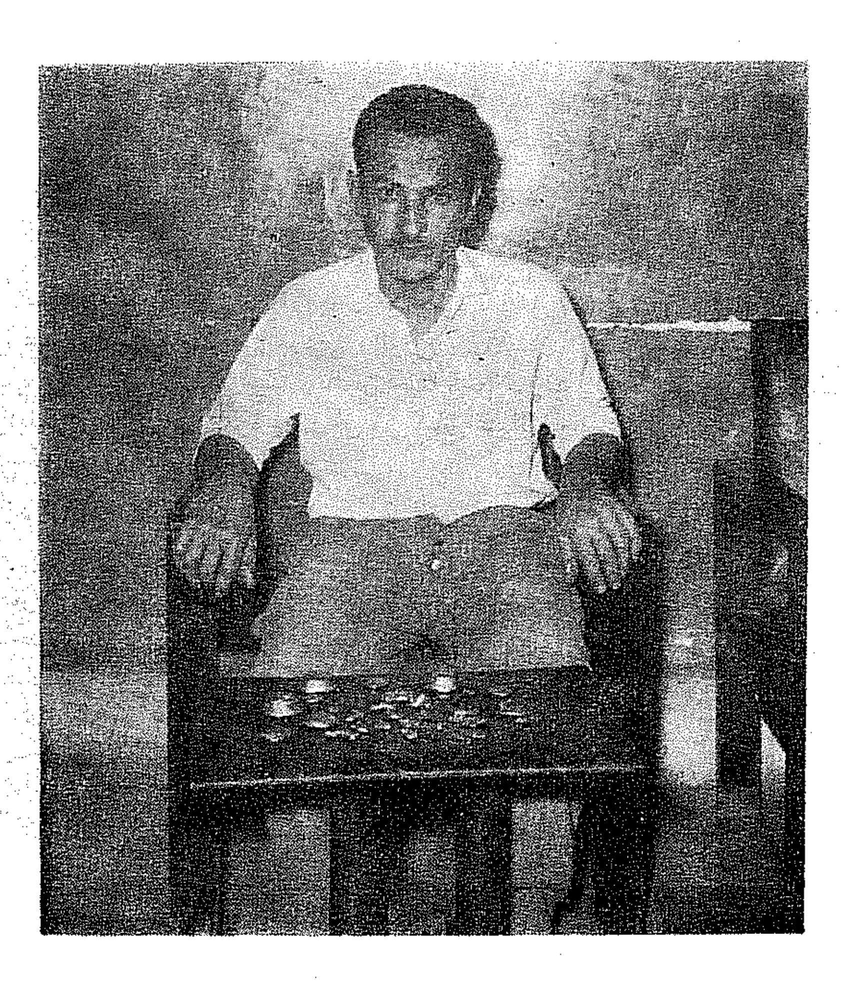
بهذه الخفة والرشاقة كان اللص يتسلق حائط المتحف



بعد أن انتهى السارق من تمثيل جريمته وقف امام المدير العام للآثار
الدكتور سليم عادل عبد الحق ليجيب على اسئلته



بعد أن انتهى السارق من تمثيل جريمته وضع رجل الامن الحديد في يده واقتاده الى التحقيق



السارق في غرفة التحقيق أمام النقود الاثرية
التي ذوبها وحولها الى سبائك

مندوب ملك الجـــان

عام ١٩٥٢ كنت رئيساً للادارة الجنائية في حلب ، وفي حينها وردتني برقية مطولة من رئيس شعبة التحري في بيروت تقص علينا القصة التالية :

* * *

عبدو حلوم ، رجل في الأربعين من عمره ، دخل مدينة طرابلس في لبنان ، متسماً بزي علماء الدين ، متظاهراً بالتقى والورع ، والايمان العميق بالله ، مستطلعاً شـؤون الغيب ، متصلا بالملائكة حينا وبالجن حينا آخر ، وقد ذاع صيتـه في اوساط معينـة بطرابلس ، حتى انطلى امره على رجل من كبار اغنيائها ، فدعاه الى داره ، وأكرم وفادته ، وفتح له صدره بشكل اخوي ٠

وما ان استقر المكان بالشيخ عبدو حلوم ، حتى زعم ان في دار مضيفه كنز ثمين يقدر بمئات الملايين من الليرات ، وان هذا الكنـز يحرسه سـلطان الجان (السلطان الاحمر) ٠ الذي اتصل به في احدى الليالي واخبره انه عـلى استعداد ليقـدم الكنز لصاحب الدار اكراما لحسن صنيعه مع الضيف الذي ماعرف في حيـــاته الا الصـوم والصلاة ، والعبادة الخالصة لوجه الله ٠

لقد صدق الرواية صاحب الدار (**ابو الفضل**) وضاعف ترحيبه واكرامه بضيفه التقي النقي (**عبدو حلوم**) واخذ يصغي لطلباته ٠

ـ لقد طلب البخور فأحضره له ٠٠

ـ لقد طلب كافة لوازم عدة الشغل لاستحضار الارواح وتحضير الجن للحصول على الكنز ، فلبى صاحب الدار طلبه ٠

ودخل عبدو حلوم في دوامة من الرياضات الروحية ، وصاحب الدار يرقبه الى أن حان الميعاد ٠٠٠ حان ميعاد ظهور الكنز ٠٠٠ فطلب الشيخ من اصحاب الدار ان يتجردوا من أدران المادة ، ويبتعدوا عن ما له صلة بها ، وان يضعوها جملة في مكان عال مرتفع عن الارض حتى لاينزعج (**شمهورش**) سلطان الجان الاحمر ، ويتعرض بالأذى لاصحاب الدار ٠

صدق المساكين حديث (**الشيخ عبدو حلوم**) وجمعوا مايملكونه من اموال تقدر باربعين الف ليرة لبنانية ، مع (**الحلى والمجوهرات**) ووضعوها في علبـه من خشب في

زاوية من نافذة الغرفة التي (يتربض) بها (**شيخنا جليل القدر**) • وغادروا الدار ، حتى يتمكن الشيخ من استقبال صديقه (**ملك الجن**) وحاشيته دون ان يراهم أحد •

* * *

وفي منتصف الليل ، خلع الشيخ عبدو حلوم (**عمامته**) وحلق ذقنه ، وحمل علبة الدراهم والمجوهرات ، وغادر الدار الى مكان مجهول يمكن ان يكون قرية الدانا التابعة لمحافظة حلب •

عاد أصحاب الدار الى دارهم فلم يجدوا الشيخ ، ولم يجدوا علبـــة الدراهم بل وجدوا (**العمامة**) وشعر الذقن ، فأدركوا الفخ الذي وقعوا به ، واعلموا دوائر الامن بموجب شكوى رسمية •

وعلى اعتبار ان (**الخبر بتمامه**) أو بتعبير أدق ، أبت النفس الخبيثة الا أن تسيء الى من احسن اليها ، فقد طرق ساعي البريد باب العائلة التي ذهبت ضحية الاحتيال المروع ، وسلمها علبة حلوى صنع (**المستت بحلب**) جاءت بالبريد المضمون •

الا أن رب العائلة ، **حمل علبة الحلوى فوجد وزنها غير طبيعي ، فاخبر دوائر الامن** حيث جرى فحصها بشكل فني ، فاذا بها تحوى **اصابع ديناميت مع ساعة توقيت جاهزة للانفجار ساعة فتح العبة** • وكأن المحتال الخبيث لم يكتف بسرقة الاموال والمجوهرات ، **بل رغب في قتل العائلة بكاملها كيلا يجد فيها من يحاسبه على جريمته** •

* * *

هذه هي المعلومات التي وردتني من رئيس التحري في لبنان ومعها صورة المحتال عبده حلوم •

* * *

لقد قمت بواجبي الوظيفي على الوجه الاكمل ، فعممت الصورة على كافة قوى الامن والمخافر املا في اعتقال المحتال الخطـير وتسليمه الى القضاء اللبناني لمحاسبته واصدار الحكم الذي يفرضه القانون •

* * *

ويمر شهر ونيف على هذه الحادثة ، وتقضي الظروفوالمناسبات ان اسافر بمهمة رسمية الى دير الزور ، وعند عودتي تعطلت ســـيارتي في (**ناحية ابي هريرة**) فنزلت لاصلاحها ••• وفيما انا منهمك، لمحت شخصا يتصدر دكانا امامي، تنطبق عليه اوصاف المحتال الذي يطلبه القضاء اللبناني ••• فتقدمت اليه ، **وســألته عن اسمه ، فأعطاني اسما مستعارا ، فقلت له ألست عبدو حلوم ، قال نعم ــ بلهجة جافة ــ ثم اردف يقول: ماذا تريد مني ومن انت** •

قلت له : انا رئيس المباحث الجنائية بحلب ، وانت مطلوب لنا ، فأنكر وحاول الهرب ، الا اني قبضت عليه ، واقتدته الى حلب ، وبعد التحقيق معه وتسجيل الضبط اللازم احيل الى القضاء اللبناني عن طريق النيابة العامة بحلب ، ومن بيروت جرت محاكمته وحكم عليه وغابت اخباره عني ٠

* * *

مضى على الحادث قرابة سبع سنوات ٠٠٠ وقد اصبحت (انا) مديرا للادارة الجنائية بدمشق ٠

وفي يوم من الايام ، دخل علي رجل طاعن في السن من اهالي قطنا ٠ وقد اعترته حالة عصبية تركته منهار الاعصاب ، وقص علي القصة التالية :

* * *

ومنذ اسبوع بعت سيارة باص املكها بمبلغ **٢٥ الف ليرة سورية**، واحتفظت بالمبلغ للقيام بعملية تجارية ، وهذا المبلغ هو جناية نضال العمر بأكمله ، أنا وأولادي وقد تعلق بنا شيخ محتال ، ومثل علينا مسرحية لم نشهدها من قبل ، وتمكن من سرقة اموالنا والهرب بها ٠٠٠

* * *

قلت له : أفصح ايها الرجل ٠٠٠ واذكر قصتك بشكل مفصل حتى اعرف من اعتدى عليك ، وأتمكن رد ظلامتك ٠

* * *

قال : لا تعجل علي ياولدي أنا منكوب ، أنا مستجير بالله وبرجال الامن ٠

قلت : نحن هنا في خدمتك وخدمة كل مواطن ، لن ننام قبل ان نرد اليك حقك ٠٠٠ قل ٠٠٠ تكلم ٠٠٠

قال : منذ اسبوع تقريبا وصل الى قطنا شيخ تبدو عليه سيماء التقى والورع والصلاح ، اجتمعت به دون ميعاد في المسجد ، سمعت حديثه الندي الطلي ، فأحببته ، سألته عن حاله فوجدته فقير الحال ، لاهدف له في الدنيا سوى عبادة الله ، لوجه الله ، لا يبغي جزاءا ولا شكورا ، فأحببت التقرب الى (الله عز وجل) عن طريقه ، لان الفقراء والمساكين هم السبيل الى السماء ، فدعوته الى داري ، وفتحت له صدري ، وأكرمت وفادته ، وكنت اقول له :

ياضيفنا لو زرتنا لوجدتنا   نحن الضيوف وانت رب المنزل

* * *

وبعد ثلاثة ايام من كرم الضيافة ، وحسن الوفادة ، أحب الشيخ « التقي الورع »

أن يرد لنا الجميل بأحسن منه ، وان يفتح لنا الكنوز المغلقة في وجوهنا ، ليجعل منا ملوك المال ، لاننا نستحق منه كل مكرمة ، فقال لنا :

« ان الله كشف الغطاء عن بصري وبصيرتي ، فهيأ لي الاسباب للوصول الى الجن والشياطين ومكنني بقدرته من السيطرة عليها ، ومعرفة اسرار كنوز الارض عن طريقها ، ولما كنت زاهدا في الحياة ، عزوفاً عن المال ، محبا للفقر لانه تاج الانبياء ، فقد تخليت عن عروض الجن ، واهملت كل الاخباريات التي نقلوها لي عن مكان وجود الكنوز الارضية • اما الان وقد جاءني الوحي الالهي يدفعني لخدمتكم فأحببت ان اقول لكم ان بداركم كنزاً ثميناً عبارة عن ثلاث (**جرار من الذهب التبر**) موضوعة تحت تصرف (**شمهورش**) سلطان الجن الاحمر ، وقد ابدى استعداده للتخلي عنها وتقديمها اليكم •

* * *

صدقت هذه الرواية ، لان وجه راويها ليس وجه محتال ، ولأني اؤمن أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي ، ولا يعقل ان يلجأ لاساليب الاحتيال والمراوغة انسان يؤمن بالله ويقوم بشعائر الدين على أكمل وجه •

فقلت له :

وكيف يمكن الوصول الى هذا الكنز الثمين •••؟!

قال : هذا اسلوب عملي ••• وهذا عطاء ربي الى ، انه من الاسرار ، ولايمكنني اباحتها خوفا من غضب ربي ، وسخط اصدقائي سلاطين الجن •

ان نشر اسرار الجن على الناس تحدث اهتزازاً في طبيعة المنطقة ، قد تسبب اضرارا لسكانها ولكم بالذات ••• لذلك أنا حريص ، وانا كل همي أن ارد جميلكم بشكل يرضى (**زملائي**) •

قلت له :

نحن تحت تصرفك « **ياشيخنا** » منك الامر والنهي ومنا التنفيذ •

قال :

اريد عشرة دراهم بخور ، وموقد نار ، واريد اخلاء الدار •

قلت له :

سمعاً وطاعة ، ونفذنا أوامره بحذافيرها •

* * *

امضى شيخنا يومين وهو معتكف في الدار يحرق البخور ، ويناجي سلاطين الجن، ويتحدث الى الشياطين ، ويرصدهم ••• وفي اليوم الثالث ، دعانا لمشاهدة الكنز فماذا رأينا •

* * *

لقد دخلنا الى الدار ليلا ، وفيما نحن نتكلم معه سمعنا بجانب جسمه **دويا يشبه**

هدير الشلالات ، وشاهدناه يتكلم بلغة لم نفهم منها الا كلمات **(شمهورش، دمنهورش، هنتريشس ، بربيش)** • فتملكنا الرعب ،ويشهد الله انني شعرت ان طاسات ماء بارد تنسكب على جسمي ••• وهكذا شهدنا الفصل الاول من المسرحية ••

اما الفصل الثاني فكان ان طلب منا الابتعاد الى نهاية صحن الدار وقال لنا : **هناك بيضتان** ، اذا وجدتم انها تتحرك وتمشي ، فمعنى ذلك ان الجان قد ظهروا ، وانهم يدلونا على مكان وجود الكنز •

لقد نفذنا امر (**شيخنا**) ووقفنا في نهاية صحن الدار فوجدنا **بيضتين تتدحرجان وتقتربان من الشيخ ، فتملكنا المزيد من الرعب** ، وهربنا الى خارج الدار ، لاننا لانطيق الوقوف مع الجن •

لكن الشيخ استدعانا وقال : **لاتخافوا ، فان لي حرمة على زملائي الجن** ،ولن يمسوكم بأذى ، فدخلنا ليبدأ الفصل الثالث من المسرحية •

اما الفصل الثالث فكان أن ادخلنا الى الغرفة التي يجلس هو فيها فاذا بنا نشاهد **بريقاً غريباً يلمع في كل ارجائها** ، فذهلنا ، واعترتنا الدهشة ، وهنا قال لنا :

لاتخافوا ان الجن قد احضروا الكنوز وهاهي امامكم في **(الخوابي)** •

تطلعنا ملياً فاذا **بثلاث (جرار كبار) مليئة بالذهب الاصفر الوهاج** ، فازداد ايماننا ويقيننا ، ورحنا نتصور السعادة ، ونغيب بين طيات الاحلام ، وفيما نحن غارقون في صمتنا وذهولنا ••• صرخ شيخنا بأعلى صوته ، وبدأ يرغي ويزبد •

فقلنا له مالك ياسيدنا •••

قال :

هل لديكم اموال ••••؟! هل لديكم ذهب ؟!

قلنا له :

نعم •••

قال :

ــ ضعوها هنا ، لان وجودها معكم اليوم يسبب اختفاء الكنز ، وقد يدفع سلطان الجن لحرقكم ، لانه اعطاكم اثمن كنوز الارض ، ولا يريد ان يراكم تتمسكون بالتوافه•

* * *

اسرعنا فورا واحضرنا مبلغ الخمسة وعشرين الف ليرة سورية ووضعناها في النافذة داخل الغرفة ••• وغادرنا الدار بناء على أمر الشيخ ، بداعي انه لايمكن مس الكنز قبل ان يمضي عليه اربع وعشرون ساعة •

* * *

مضت المدة المحددة ، ودخلنا الدار ، ودخلنا الغرفة ، فماذا وجدنا •

* * *

ــ لم نجد الشيخ ، بل وجدنا عمامته ••••!!

ـ لم نجد اموالنا التي هي عبارة عن خمسة وعشرين الف ليرة سورية ، بل وجدنا ثلاث جرار ملأى بالاحجار ، وعلى فوهتها (**غوازي نحاسية مطلية بلون اصفر**) يستعملها نساء البدو في الزينة ٠

* * *

لقد صفعنا الواقع الاليم ، فلم نجد من ملاذ نلجأ اليه الا (**آبو عبدو**) فهو بنظرنا حلال المشاكل ٠

* * *

ضحكت في سري كثيراً ، ولكني اشفقت على الضحايا البريئة ، ضحايا الاحتيال والشعوذة ٠٠٠ وبدأت استفسر عن اشكال (**المحتال**) ٠

وفيما أنا اسمع الوصف من اصحاب العلاقة ، تصور في مخيلتي (**المحتال عبدو حلوم**) بطل حادثة طرابلس ، التي مضى عليها قرانة ثماني سنوات ، فنهضت على الفور، واحضرت صور المحتالين وبدأت اعرضها على (**المشتكى**) ٠ وما ان رأى صورة (**عبدو حلوم**) حتى صاح بأعلى صوته :

ـ هو ٠٠٠ هو ٠٠٠ بعينه ٠٠٠ الله يخرب بيته ٠!

* * *

لقد حمدت الله الذي اتاح لي معرفة المحتال ، ثم اخذت افكر في المكان الذي سأعثر به عليه ٠

قلت في نفسي :

ـ هذا من قرية الدانا في حلب ، ولابد الا أن يكون قد سافر الى هناك فلأرسل دورية تلحق به على عجل قبل ان يتصرف بالمال ٠٠٠ وهكذا فعلت ، وتوجهت الدورية الى حلب ، وما ان وصلت الى ساحة باب الفرج حتى التقت فورا ، وبدون عناء (**بالمحتال عبدو حلوم**) وقبضت عليه حيث وجدت بحوزته **١٠ آلاف ليرة سورية** ، كما وجدت انه اشترى دارا بحلب بمبلغ **١٠ آلاف ليرة سورية** وتصرف بمبلغ (**٥ آلاف ليرة سورية**)٠

* * *

اتصلت بي الدورية من حلب واعلمتني بواقع الحال ، فطلبت منها استرداد كافة الاموال واحضارها لدمشق مع المحتال ٠٠٠ وهكذا تم ٠٠٠ واستردت الاموال واعيدت لصاحبها ونظم الضبط اللازم بحق المحتال وقدم الى القضاء ٠

* * *

وقبل ان اودع المحتال في السجن ، دعوته لتمثيل جريمته ، فمثلها على الشكل المبين في الصور :

* * *

وقد سألته اثناء تمثيله الجريمة عدة اسئلة اجاب عليها بما يلي :

١ ــ سألته عن الصوت الذي كان ينبعث من حوله اثناء مرحلة الدجل الاولى ،فقال:
(انه جهاز يعمل على البطارية وله مكبر صوت وضعته في جيبي ، وشغلته لحظة دخول صاحب الدار فتوهم ان الشياطين هي التي تحدث هذا الهدير والضجيج) ٠

* * *

٢ ــ سألته عن قصة تدحرج البيضتين فقال :

(لقد ثقبت البيضتين بابرة ومصصت ما في داخلها ، وربطتها بخيط نايلون لايرى في الليل ، ووضعت الخيط في فمي ، وبدأت اسحبه فتتدحرج البيضتان ، وقد خيل لاصحاب الدار ان الجن تدحرجها) ٠

* * *

٣ ــ سألته عن سر البريق الذي كان في الغرفة فقال :

(اشتريت كمية من ــ الفوسفور ــ ونشرتها على الجدران٠ فظهرت في الظلمةوكأنها نور يبرق) ٠

* * *

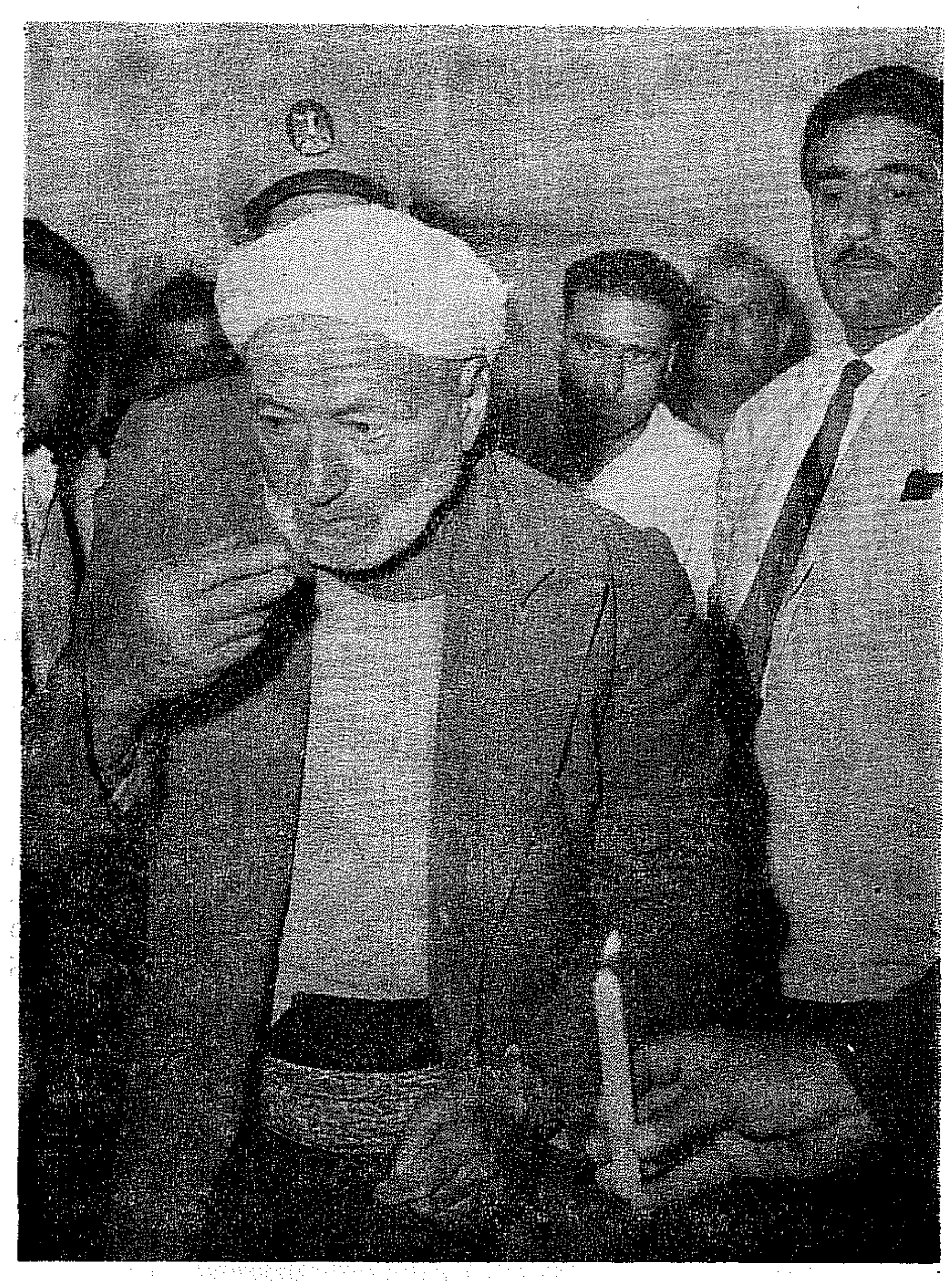
٤ ــ سألته عن (الجرار) ومافيها من (غوازي نحاسية) فقال :

(لقد ذهبت ليلا واشتريت (الجرار) من دمشق وملأتها احجارا وكان بحوزتي الغوازي النحاسية مطلية خصيصا لهذه الغاية ، فرتبتها ، خلال اليومين اللذين كنت بهما في خلوة ٠٠٠ وهذا ما حصل) ٠

* * *

وبالمناسبة قبل ان انهي هذه القصة ، كان بودي ان اسرد الكثير من امثالها لولا اعتبارات خلقية قد تجرح فئات بريئة ، ولكني اقول ، انني وجدت في حياتي العملية عددا غير قليل من محترفي الدجل والشعوذة ، وقد كشفت امرهم وقدمتهم الى القضاء متلبسين بجرائمهم وقد حكم عليهم بالعقوبات العادلة التي يستحقونها ٠

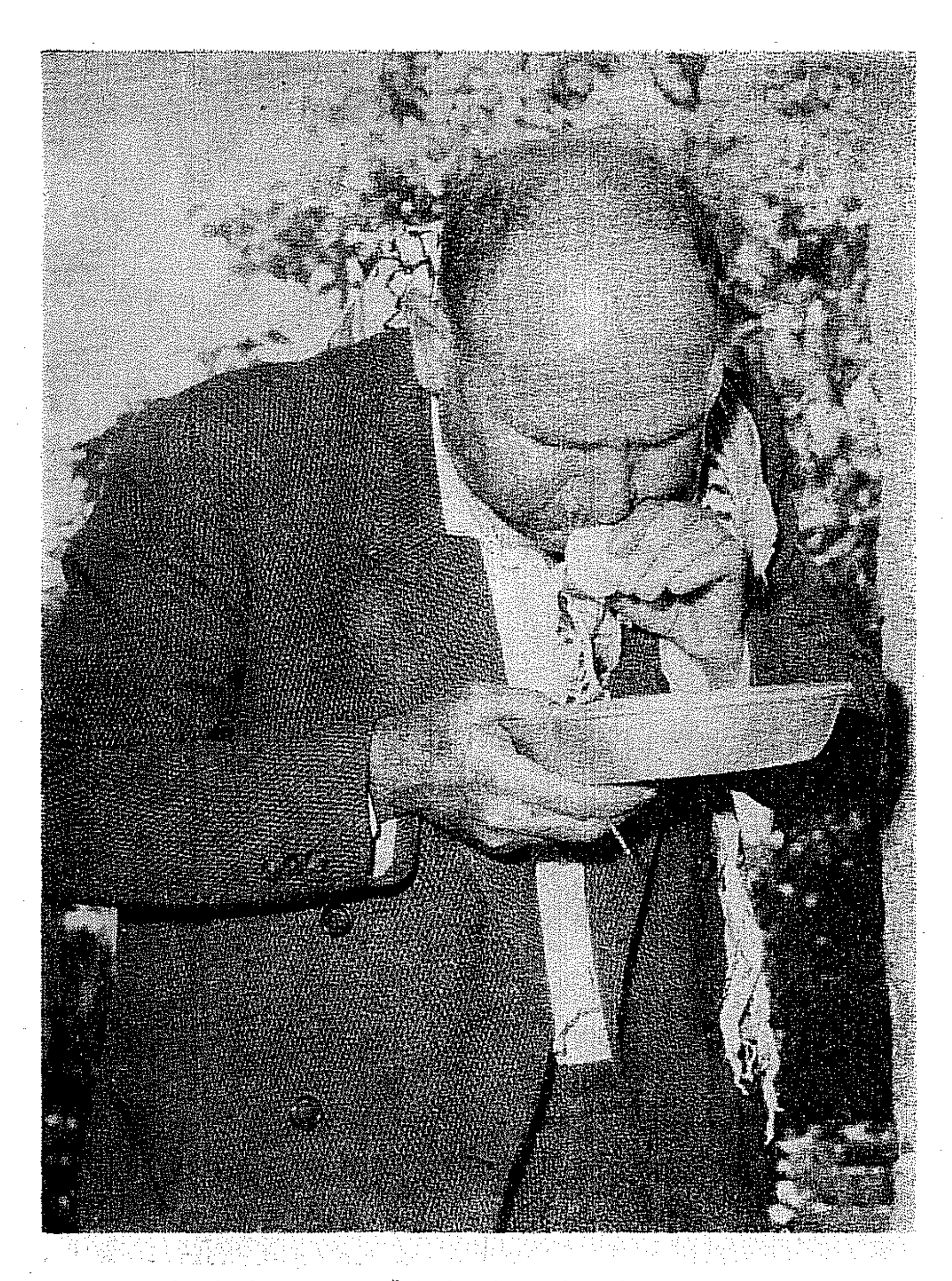
* * *



صاحب الدار الذي أوقع به المحتال عبدو حلوم يروي قصته



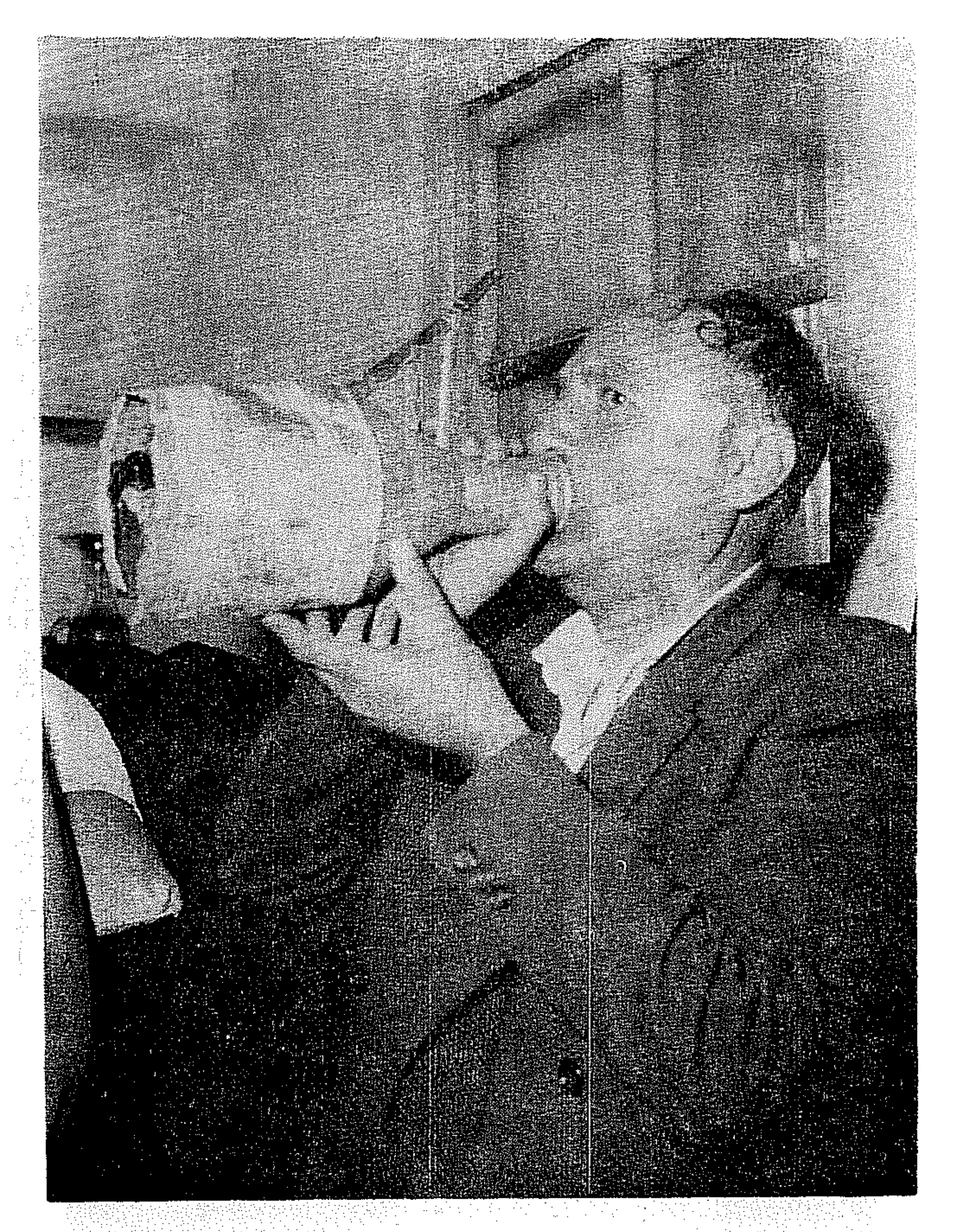
عبلو حلوم وقد قبض عليه رجال الامن يستعد لتمثيل مجمل جريمته



عبدو حلوم يمتص المواد التي داخل البيضة تمهيدا لادخال الخيط بها



خيط نايلون يضعه عبدو حلوم داخل البيضه ليسحبها به



المحتال عبدو حلوم يصرخ لزملائه جنود سلطان الجن



بعد ان استحضر عبدو حلوم أرواح الجان بدأ يوزع الاوامر عليهـــم



الوجوه الكرتونية التي وضعها عبدو حلوم في الظلام
ليوهم الناس انهـا وجوه الجن



الذهب المزيف الذي وضعه عبـدو حلوم في (الجرار)
ليوهم اصحـاب الدار بأنـه اخرج الكنـز



الجرار التي ملأها عبدو حلوم بالغوازي وقال لاصحاب الدار هذا هو الكنز



عبدو حلوم يقول لرجال الصحافة (ابو عبدو طالعلي باليانصيب)



عبدو حلوم وقد وضع الحطة على عنقه يستعد للاعتراف
للمحقق الذي سينظم الضبط

المجرم لن يفلت من يــد العدالة

تمشيا مع المقررات والتنظيمات التي سلكتها (الامم المتحدة) في ايجاد تعاون دولي لمكافحة الجريمة والمجرمين ، فقد انشأت وزارة الداخلية ، فرعا خاصا في الادارة الجنائية ، هو بمثابة همزة وصل (ضابط اتصال) بين منظمـــات البوليس الدولي (الانتربول) الموزعة في انحاء العالم ، وبين الادارة الجنائية في سورية • وقد عهــد برئاسته الى الاستاذ بهاء الدين الزعبي ، الذي هو من خيرة رجال الامن علما وكفاءة وخبرة ومقدرة •

* * *

اما مهمة هذا القسم فهي تنحصر بالامور التالية :

* * *

١ ــ عندما تقع جريمة في سورية ويفر الجناة الى خارج ســورية ، يقوم قســم البوليس الدولي في الادارة الجنائية بابلاغ زملائه في العالم ، مبيناً لهم الاسم الكامل المفصل للمجرم واشكاله وان أمكن صورته ، ونوع جريمته ، ويطلب اليهم القبض عليه واعلام السلطات في سورية •

* * *

٢ ــ يتلقى البرقيات من كافة منظمات البوليس الدولي عن الجناة الاجانب الفارين من بلادهم والذين قد يدخلون سورية ، ثم يعمد الى تنظيم نشرات بأسمائهم واشكالهم وصورهم ، لترصد قدومهم والقبض عليهم ، تمشيا مع سياسة التعاون الدولي التي نص عليها ميثاق الامم المتحدة •

* * *

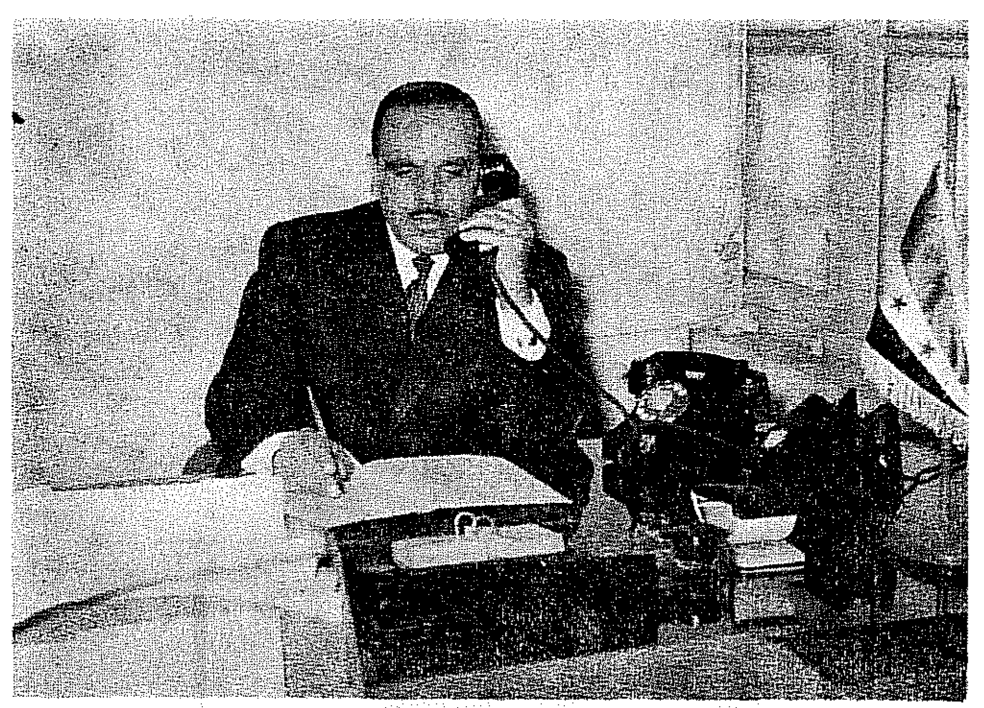
٣ ــ يتبادل قسم البوليس الدولي في الادارة الجنائية ، مع كافة المنظمات العالمية، المعلومات عن تجارة المخدرات وتجارها ، وعن المزورين ، والمحتالين ، واللصوص ،وينظم بذلك اضابير ترسل الى الاقسام المختصة لملاحقتها •

* * *

وعلى سبيل المثال نروى حادثة عن نشاط البوليس الدولي في الادارة الجنائية :

* * *

في حلب ••• وبتاريخ (١٥ شباط ١٩٦٣) اقدم محاسب في احدى الدوائر الرسمية على اختلاس رواتب الموظفين والامانات المالية المودعة لديه ، والتي قدرت قيمتها بمليون ليرة سورية ، حملها بعد ان صفى اوضاعه ، واستحصل على جواز سفر رسمي بشكل مسبق ، وسافر الى تركيا حيث غابت اخباره بشكل نهائي •



الاستاذ بهاء الدين الزعبي رئيس قسم البوليس الدولي في الادارة الجنائيـة

ورد الاخبار الرسمي الى الادارة الجنائية،فكلفت قسم البوليس الدولي بالمباشرة قورا بتعقيب المختلس ، وقد قام بمهمته فأبلغ تفاصيل الموضوع لمنظمات البوليس الدولي في العالم ، وبعد سنة كاملة من المراسلات والمكاتبات التي كانت تشعر بتنقل المختلس من انقرة الى اليونان الى سويسرا ثم فرنسا ، ثم ألمانيا ، وصلنا الى نتيجة ٠

وقد ساهمت اجهزتنا الخاصة السرية الى جانب قسم البوليس الدولي في تعقيب اثر المختلس وحصرت مكان وجوده وعنوانه ، عندها جرت المراسلات عـلى مسـتوى وزارة الخارجية ، وقبض في (بون) على المختلس وزملائه ، واخبرنا بذلك ، فهيئنا بواسطة النيابة العامة اضبارة استرداد وسافرنا الى بون واستعدنا المختلس ومعظم الاموال وقدمناه الى القضاء ٠

* * *

كان بودي ان اتوسع بالموضوع ولكني ارى ان عمل البوليس الـدولي نوع من الاسرار الدولية لايصح الجهر بالحديث عنها،لذلك اكتفى بهذهاللمحة الخاطفة وقصدي منها أن انبه المجرمين بأنهم لن يفلتوا من يد العدالة ولو سافروا الى اقاصي المعمورة ٠



مشهد تمثيلي كامل لجريمة سرقة منذ البدية حتى يحمله
قيد العدالة الى السجن



وانا نهدف من نشر هذا المشهد الكامل الى تحذير المواطنين لاعادة النظر في اوضاع ابواب دورهم

الحظ والصدفة كثيرا ماتخدم رجل الامن

قالوا تقدم العلم ·· وبتقدمه واتساعه ، تطورت أساليب الشرطة العملية ، وبدأ البحث عن المجرمين يأخذ شكلا علميا يوصل الى نتائج حتمية ·

وأقول بعد تجربة ثلاثين عاما ، وبعد الاطلاع على كافة الانظمـــــة والاساليب التي يتبعها رجال الامن في معظم أنحاء العالم ، وخاصة في أمريكا ، وبريطانيا ، والمانيا ، وفرنسا ، وايطاليا ··· أقول ان العلم يخدم مكتشف الجرائم بنسبة عشرة بالمئة ، بينما يخدم الحظ ، والصدفة ، رجل الامن بنسبة تسعين بالمئة · واذا كنت صريحا في هذا التحديد ، فانني أقول ان النجاح لن يأتي بشكل مركز ومحكم ، مالم يكن صاحب الحظ ذكيا ، بارعا ، متمرسا ·

* * *

وقالوا أيضا أن اكتشاف الجرائم في عصرنا الحاضر ، أخذ يسلك اسلوبا قوامه الآلة ، وانني أقول ان هذا وهم يجب ان يزول ·

فعندما اخترعت آلة اكتشاف الكذب ، التي هي عبارة عن ساعة ذات أحزمة وابر ممغنطة ، توضع في يد المتهم فاذا تحركت الابر كان المتهم في حالة اضطراب ، لان البرىء لاتثور نفسه ، ولا تضطرب أعصابه ، وان التجارب والتحقيقات العملية ، ولغة الارقام جعلت العلماء يحكمون على فشل هذه الآلة ويمنعون استعمالها في دوائر التحقيق ، لان كثيرا من الابرياء اضطربوا ، واهتزت أعصابهم لمجرد دخولهم دوائر البوليس ، ولان كثيرا من الابرياء هم مرضى بأعصابهم · ولان كثيرا وكثيرا جدا من محترفي الاجرام ، الذين لهم نفوس هادئة ، وطبائع خاصة لا تتحرك أعصابهم ، ولا تضطرب نفوسهم مهما وضعت آلات على أجسامهم ·

* * *

وما يقال عن آلات كشف الكذب ، يقال عن الجهد المبذول في سبيل تحقيق البصمات ، فها هي دوائر الامن ملىء ببصمات المجرمين ، وحتى هـــذا اليـــوم لم يكتشف مجـــرم من بصمته المحفوظة في الاضابير ·

* * *

اذن أستطيع ان أقرر عن خبرة وكثرة تجارب ، ان رجل الامن قد توصله الخبرة والمران ، ومعرفة المجرمين ، وأسلوبهم ، بالاضافة الى تطبيق الدروس العلمية الى كشف جريمة ما ، ولكن الحظ والصدفة ، وارادة الله في هتك سر المجرم ، هي التي تلعب الدور الرئيسي والاول في ايصال الجـــاني الى قبضة العدالة · هـــذا بالاضافة الى أدوار المخبرين والمرشدين ·

القصة الاولى

خاتم زوجة السفير

في يوم من الايام ، كنت منهمكا في تحقيق يدور حول جرم جنائي تعدد فيه المتهمون والشهود وفيما أنا أقوم بواجبي ، دخل علي الشرطي (رافع نصر) المكلف بمراقبة سوق الصاغة بدمشق ، وقدم الي خاتما من البلاتين ، تتوسطه حجرة الماس تقدر قيمتها بمبلغ (٣٥ الف ليرة سورية) وقال لي ، انه شاهد رجلا من الفلاحين يعرضه للبيع على أحد الصياغ ، الذي دفع به (١٥ قرشا سوريا) فصادره منه ، واقتاد بائعه للتحقيق ٠

أخذت الخاتم ووضعته في جيبي ، وأمرت بوضع الفلاح الذي كان يعرضه للبيع في النظارة ، ريثما أنتهي من التحقيق ، فأباشر التحقيق معه املا في التعرف الى سرقةجديدة٠

وضع الفلاح في النظارة ، وعدت الى عملي ، واذا بالمدير العام للشرطة والامن العام الاستاذ احسان القواص يطلب مني الحضور لغرفته ٠

امتثلت للامر فورا ، ودخلت مكتب المدير العام ، فوجدت عنده سفيراً وبرفقته زوجته ٠

قال لي المدير العام :

اسمع يا أبو عبدو ٠٠٠ زوجة السفير تدعي أنها كانت مع زوجها مساء البارحة في حفلة كوكتيل أقيمت لوداع أحد السفراء ، وفي نهاية الحفلة عادت لدارها ، وخلعت ملابسها ومجوهراتها ونامت ٠ وفي الصباح نهضت لترتب أغراضها ، فوجدت ان خاتما ماسيا تقدر قيمته (ب ٣٥ الف ليرة سورية) قد فقد ، رغم أنها متأكدة أنها خلعته من يدها بعد عودتها ، ووضعته على (الفترينا) وهي تشك في أن لصاً دخل دارها وسرقها وهي تريد البحث عنه واستعادة الخاتم ٠

وقال لي المدير العام أيضا :

يا أبو عبدو ٠٠٠ أريد ان تبذل قصارى جهدك ، لاننا حريصون على سمعة بلدنا، ولا نريد ان تأخذ هذه السرقة صبغة سياسية ٠

* * *

أطرقت مليا بعد حديث المدير العام ثم طلبت من زوجة السفير ان تصف لي اشكال واوصاف الخاتم ، ففعلت ، ولما وجدت انها تنطبق على اوصاف الخاتم الموجود بجيبي مددت يدي ببطء ، واخرجت الخاتم ٠ وقلت للمدير العام :

ـ هذا هو الخاتم ٠٠٠

ـ نظرت زوجة السفير الى الخاتم ، وأطلقت صيحة هستيرية ، وقالت :

ـ هو ٠٠ هو بعينه ٠٠٠!

والجدير بالذكر ان السفير وزوجته اعترتهما حالة من الذهول من عمق المفاجأة التي قلبت اليأس الى أمل وحقيقة واقعة ٠

وهنا بدأ السفير يبدي اعجابه برجال الامن في سورية ويؤكد انهم أشطر وأقدر بألف مرة من غيرهم ٠

وقـال :

لو ان هذه الحادثة جرت في اي بلد من بلدان العالم المتمدن فلن يكشف السارق قبل شهرين أو ثلاث ، والغريب ، بل المدهش والمذهل ، ان الحادثة لم يمض عليها أربع ساعات الا وكانت مكشوفة من قبلكم ٠

— هل أستطيع أن أعرف السارق ؟ !

— هل أستطيع ان أعرف تفاصيل قبضكم على اللص ٠؟!

قلت :

هذا سر المهنة ، هذا خاتمكم ، وليس لنا ان نقدم لكم أية معلومات عن القضية ٠

غادر السفير مكتب المدير العام ، وبعد أسبوع كانت الحادثة منشورة في كبريات الصحف العالمية ، كما ان الحكومة التي ينتمي اليها السفير بعثت الى وزارة الخارجيـة السورية بكتاب شكر وتقدير لمدير الادارة الجنائية ٠

* * *

أما حقيقة القصة ، فهي أن زوجة السفير عندما كانت تغادر الدار التي أقيمت فيها حفلة الكوكتيل ، وتهم بركوب سيارتها سقط الخاتم من يدها ولم تشعر بسقوطه ، وعندما وصلت دارها وخلعت مجوهراتها لم تنتبه من شدة السكر للخاتم الضائع ٠ وفي الصباح افتقدته وتصورت ان لصا قد سطا على دارها وسرقه ٠

والواقع ان الفلاح المسكين رآه في الطريق عند الصباح فحمله وذهب ليبيعه في سوق الصاغة ، فقبض عليه الشرطي المكلف بمراقبتها ، وجاءني به ٠

* * *

هذه قصة لعب الحظ فيها الدور الرئيسي ، ولكن الذي يراها من بعيد يتصور أن العلم والآلات ، والكلاب البوليسية ، هي التي جعلتنا أشطر من اعظم شرطة في العالم ٠

وبالمناسبة أقول :

ان المران والخبرة التي يتمتع بها رجال الادارة الجنائية في سورية ، ومقدرتهم على معرفة كافة المجرمين واسلوب طريقتهم الجرمية ، يضاف الى ذلك اخلاصهم لواجبهم ، وايمانهم المطلق بضرورة الحفاظ على الامن ، يجعل اكتشاف الجرائم بالنسبة لهم ولكافة زملائهم أمرا عاديا ومألوفا ٠

وحسبي أن أقرر هنا بملء الفخر والاعتزاز انه لم ولن تمضي على أية جريمة مهما كانت غامضة مدة أربعة وعشرين ساعة الا ويكون الجناة في قبضة العـدالة ٠ ولعل ماضينا وحاضرنا هو أكبر مصداق على صدق قولي ٠

القصة الثانية

سرقته في دمشق وقبض عليها في ازرع

عسلية أمرأة في العقد الرابع من عمرها ، مات زوجها ، وبعد سنة لحقه وحيدها الذي لايتجاوز الخامسة من عمره ، فكان تتابع المصاب الاليم سببا في توليد عقد نفسية في ضمير الامرأة الثاكل ، هذه العقد دفعتها لتهبط دمشق من بلدها ازرع . وتجوب في حي باب توما والقصاع الى ان تعثر على طفل في الخامسة من عمره أشقر الشعر أزرق العينين ، فتخطفه وتفر به الى بلدها .

* * *

أما أهل الطفل فقد جن جنونهم ، وأخبروا دوائر الامن ، ونشروا صورة الطفل المفقود في الصحف ، وعملوا كل مستحيل في سبيل العثور على ولدهم فلم يصلوا الى نتيجة .

أما نحن رجال الادارة الجنائية ، فقد أعيانا البحث، فلم نترك اسلوبا الا وسلكناه، ولم ندع طريقا الا وركبناه فلم نعثر على أثر للطفل .

* * *

وفي يوم من الايام ، توجهت الى السويداء لاجراء بعض التحريات والتعقبات عن مجرم هارب .

ولقد وصلت السويداء وقمت بواجبي على أكمل وجه ، وقفلت راجعاً ليلة ذهابي، فوصلت ازرع حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، ولدى وصولي الى أمام بيت من بيوتها – ثقب دولاب السيارة – فوقفنا لاصلاحه ، فوجدنا أمامنا امرأة تجلس أمام باب دارها تسهر على ضوء القمر ...

حييناها وطلبنا منها جرعة ماء ، فدخلت لتلبي طلبنا ، ودخل الشرطي المرافق لي السيد نسيم الخوري وراءها ... فالتفت اليه وقالت له ...

– انتظرني خارج الدار حتى أعود لك (بشربة ماء) .

– وقف الشرطي نسيم الخوري في أرضه وسط الدار . فسمع بكاء طفل ، فتقدم الى مكان الصوت ، فشهد طفلا يبكي عليه سيماء أبناء المدينة ، فعاد الي راكضا يخبرني بما شاهد ، وهنا نهضت بسرعة ودخلت الدار وسحبت الطفل منها واذا هو الطفل الذي فقد في حي باب توما منذ شهر .

* * *

حملنا الطفل والمرأة في سيارتنا وعدنا الى دمشق ، وباشرنا التحقيق واذا بالامرأة تعترف بسرقة الطفل ، فاستدعينا أهله الذين تعرفوا عليه لاول وهله ، ونظمنا الضبط اللازم وأودعنا القضية الى القضاء .

القصة الثالثة

قاتل وقع بالفخ خطأ

منذ عشرين سنة على وجه التقريب ، كنت أجلس في مقهى (القطة السوداء) لاراقب الذين يرتادون علب الليل ويصرفون الدراهم فيها بدون حساب أملا في أن أعثر على سارق يبــدد أموال جنايتــه . واذا بهاتف يطلبني من الادارة الجنائيـــة ، ويقول لي ، ان رئيس التحري المفوض أديب الكلسلي (أبو فايز) يطلب منك ان تلتحق فورا بالميدان فقد وقع فيها جرم قتل .

* * *

صدعت للامر فورا ، وذهبت على رأس (دوريتي) الى الميدان عن طريق (الحلبوني- الفحامة) وكانت البساتين تغطي جوانب هذا الطريق ، ولم يكن فيه أثر للبناء .

وفيما أنا ورفاقي نجتاز الشارع عند مفرق باب السريجة ، شاهدنا رجلا يقفز من فوق حائط البساتين وبيده بندقية ، انكليزية ، فأسرعنا اليه ، وقبضنا عليه ، وعدنا به الى الادارة حيث أودعناه النظارة رهن التحقيق ، وسلمنا سلاحه للشرطي المناوب ثم قفلنا راجعين الى حي الميدان ...

* * *

وصلنا الى مكان الجريمة ، فشاهدنا الناس متجمهرين ، والشرطة في حالة اضطراب من الحادث لان الضحية من عائلة مرموقة في الحي المذكور .

* * *

باشرنا التحقيق والاستطلاع ، فاذا المدير العام للشرطة والامن الدكتور عبد الكريم العائدي يتصدر التحقيق ، وبجانبه (مفرض التحري) ، واذا بكليهما ينهمران علينــا بوابل من قوارص الكلام زعما منهما اننا كنا نتلهى في الملاهي ساعة وقوع الجريمة ،وان القاتل قد هرب خارج دمشق .

* * *

ابتسمت بهدوء ، وتحدثت بلغة المنتصر الواثق ، وقلت لسيادة المدير العام ... القاتل وسلاحه في قبضتنا ... وما كان لي أن أجزم بهذا الشكل ، لو لم أكن قد علمت من الناس أوصاف القاتل وشكله ونوع السلاح الذي ارتكب به الجرم .

* * *

دهش المدير العام لهذه المفاجأة ، وبدل لغة العنف والشدة والزجر ، بكلمات الشكر والثناء ، وقفل راجعا معنا الى النظارة ليشاهد القاتل مودوعاً فيها .

* * *

القصة الرابعة :

خطفت الطفل مـن الحمام

في عام ١٩٥٢ كنت رئيسا للادارة الجنائية بحلب ··· وفي يوم من الايام دخل مكتبي رجل في العقد الثالث من عمره ليقص علي القصة التالية :

* * *

تزوجت منذ عشر سنوات ، ولم يرزقني الله طفلا أفرح به ، وقــد مارسنا كل العلاجات الطبية فلم نفلح في الوصول الى غايتنا ·

ومنذ تسعة أشهر قدر الله أن تحمل زوجتي وتضع بعدها غلاما كان بالنسبة لنا بسمة الحياة ، وخيط الامل والرجاء ·

* * *

لقد احتفلنا بمولده ، وأقمنا سبعة أيام ، كما تقام في عالم الاساطير ، وفي اليوم الثامن استأجرنا لزوجتي حماما من بابها لتغتسل بها ، ودعونا الاهل والاصدقاء اليها ·

ذهبت زوجتي الى الحمام وعلى يدهـا وليدها وحبيبهـا ، فغسلته وأخرجته الى (المصطبة) ثم عادت لتغسل جسمها ··· وبعد مضي نصف ساعة در الحليب من ثدييها، فأدركت ان طفلها جائع فخرجت لترضعه ، وما ان وصلت المكان الذي أودعته فيه حتى وجدته مفقودا فأغمي عليها ، وهب كل من في الحمام يبحث عن الطفل المفقود دون جدوى وها نحن قد جئناك نلتمس ان تضع كل الامكانيات في سبيل رد وحيدنا الينا ·

* * *

قلت له : توكل على الله ··· والتمس لنا منه العون ··· فوالله لن يضيع ولدك ·

* * *

ارتدت روح الاب اليه ، وتنفس الصعداء ، بينما كانت دموعه تنهمر بغزارة حتى لتكاد تفقده الوعي ·

* * *

لقد ابتدأت التحقيق من الحمام ، فذهبت لهناك واستجوبت مديرة الحمام (القيمة) فقالت لي ، انها شاهدت امرأة بدوية تدخل الحمام ، ولا تدري اذا كانت هي قد سرقت الطفل أم غيرها ، لانها كانت مشغولة بتلبية حاجة الزبائن ·

* * *

أرسلت عدة دوريات تتحرى عن الطفل في القرى وبين مضارب البدو ، فلم نعثر له على أثر ·

دفعت المخبرين ووعدتهم بجوائز ، فكانت تردنا بين الفينة والفينة أخباريات عن امرأة عاقر وقد وجد معها طفل او قيل أنها ولدت الطفل ، فكنا نحضرها ونحضره ونعرضه على أهل الطفل المفقود فيقولون انه ليس ولدهم ·

* * *

مضى سبعة أيام ، ونحن ندور في حلقة مفرغة ، والاهل المفجوعين في حالة من اليأس القـــاتل ·

وفي يوم من الايام ، خطر ببالي ان أوزع رجالي أمام دور الاطباء المختصين بالاطفال، وأمام دور القابلات ، لاني كنت أتصور أن هذا الطفل سيمرض ، لانه فقد حليب أمه ، ولان الذين سرقوه ، كانوا مدفوعين لجريمتهم عن حاجة في نفوسهم ، لذلك فلا بد لهم من الاعتناء بالطفل · وهكذا فعلت ··· ووزعت رجالي منـــذ الصبـــاح على أبواب بعض الاطباء والقابلات ·

وأمام القابلة (خديجة ···) شاهد أحد رجالنا فلاحا وفلاحة يحملان طفلا صغيرا نحيلا تبدو عليه علامات المرض ·

اقترب الشرطي (التحري) من الفلاح وزوجته ، وقال لهما :

ـ ماذا تنتظران ·

ـ قالوا له : ان ولدنا مريض وقد مضى عليه سبعة أيام لم يشرب الحليب ، فرغبنا أن نعرضه على القابلة التي استولدته ·

* * *

نظر الشرطي الى الطفل ، فلم ير فيه (أن هذا الطين من هـــذا العجين) فقال في نفسه لقد أصبت الهدف ··· والتفتت الى الابوين وقال لهما :

ـ هل أدلكما على طبيب ماهر يداويه مجانا ···

ـ فقال الاب ··· الله يدلك على الخير يابن الحلال ··· والله ان شفي ولدنا وقبل رضاعة الحليب سوف نهديك كبشا وثلاث دجاجات ·

* * *

تظاهر الشرطي بطيب القلب ، واقتاد الاب والام الى (الطبيب أبو عبدو) في عيادته في الادارة الجنائية ·

* * *

دخل الثلاثة مكتبي ٠٠دون كلمة ينبسون بها،وقد فهمت واجبي بدون مشروحات٠ أرسلت على الفور أستدعي أهل الطفل المفقود ، وشرعت بالتحقيق ٠

سألت البدوية عن الطفل فقالت :

ـ انه ابني وقد ولدته منذ خمسة عشر يوما وان القابلة التي استولدتني هي (خديجة) وهذه ورقة رسمية منها (وأبرزت البدوية ورقة القابلة) ٠

* * *

أخذت ورقة القابلة ، وبدأت أتفحصها ، وأتفحص الطفل ، فلم أصدق أنه ابن البدوية اذ لم أجد في ملامحه ما يشير الى أمه أو أبيه ٠

سألت البدوية :

ـ ألم يدر الحليب من ثدييك ٠

قالت :

كلا ٠٠٠

فتأكدت لحينها أنها تكذب ، وان الطفل هو المفقود بعينه ٠

* * *

وصل أهل الطفل المفقود ، ولست هنا بحاجة لان أصف للقارىء نفسية الاهل ساعة دخولهم مكتبي ٠٠٠

ـ لقد تفحصت الام الثكلى طفلها ٠٠٠ فقالت ليس ولدي

ـ قلت لها ٠٠٠ افحصيه جيدا ٠

ـ قالت ٠٠ ان بجسمه علامة هي حجاب قلدته اياه ساعة وضعته فان كل موجودا فهو ولدي ٠

* * *

طلبت من الام المزيفة ان تخلع الطفل ملابسه ، ففعلت فاذا بالحجاب على جسمه ، واذا بالام الحقيقية تهجم على ولدها وتعانقه بين الصراخ والعويل ٠

* * *

في هذه الفترة لم أشهد الا الفلاح ينقض على زوجته في مكتبي ويضربها ضربا مبرحا، ويقول لها :

ـ والله يابنت الكلب قلت لك ان هذا الولد ليس مني ، لان قلبي لم يلهف اليه ٠ يا خائنة ٠٠٠

* * *

نظرت لهذا المشهد الجديد فتصورت لاول وهلة ان (الزوج) يريد ان يتملص من جريمة زوجته ، ويسعى ليحملها المسؤولية كاملة ، ولكنني سرعان ما أدركت الحقيقة بعد أن انفجرت المجرمة الخاطفة بالاعترافات التالية :

* * *

قالت :

تزوجت (مسطو) منذ ثلاث سنوات ، وكنت أعيش معه بين التهديد بالقتل ، والتهديد بالطلاق اذا لم أنجب له طفلا . وفي العام الماضي ارتكب (مسطو) جريمة أدت الى دخوله السجن بحكم مدته سنة ، وقد كان يقول لي وهو في سجنه انه اذا خرج ولم يجد له طفلا فلسوف يطلقني ، وما ان مضى عليه شهر في السجن حتى فكرت في حيلة أتخلص بها من الطلاق والتهديد وهي ان أدعي امامه انني حاملة منه قبل دخوله السجن، واتماما لهذه اللعبة ، كنت أضع (قماشـا) على بطني وأزيده كل مدة لاظهـر أمامـه (بالمرأة الحاملة) .

ومنذ شهر ، قرب موعد خروجه من السجن ، فذهبت لعند القابلـة (خديجة) وقصصت قصتي عليها ، ومنيتها بالمال ان ساعدتني . فقبلت وقالت لي اذهبي واخطفي ولد (ابن نفاس) من احدى الحمامات وأنا أقدم لك شهادة ميلاد تشعر ان هذا الولد هو منك ، وأنا التي استولدتك .

ومنذ اسبوع ، دخلت على حمام السلطان فشاهدت هـذا الطفل عـلى (مصاطب الحمام) فحملته دون أن يراني أحد وهربت به ، وقد ذهبت لعند القابلة حيث حصلت على الشهادة المطلوبة بعد ان نقدتها (٣٠٠ ل.س) . ولما خرج زوجي (مسطو) من السجن قلت له انني خلفت له طفلا ، وأظهرت له شهادة القابلة .

* * *

وهنا استلم الكلام زوجها وقال :

عندما خرجت من السجن وعدت الى داري قدمت لي زوجتي الطفل وقالت هذا ولدك وهذا منك ، فنظرت اليه فلم أجد قلبي يخفق له ، ووجدت ملامحه لا تشابهني فشككت بالامر ، ولما وجدت ان الطفل بدأ يمرض ، رغبت ان أرى القابلة التي استولدته لاتبين الحقيقة منها بنفسي ، فحملت الطفل وأمه المزيفة وذهبنا الى القابلة ، واذا (بالتحري) يتطوع ليدلنا على طبيب ، فقادنا الى (دائرة التحري) وها نحن أمامكم .

* * *

بعد هذا العرض لواقـع الحال ، سلمت الطفل لاهلـه ، ونظمت ضبطـا بعملية (الامرأة) وقدمتها الى القضاء حيث حكم عليها بالسجن مدة عشر سنوات .

* * *

جريمة قتـل عـلى طريق جوبر

منذ عشرين سنة كان الناس في دمشق يخرجون جماعات الى الغوطة في يوم الجمعة، وينتشرون على (خط الترام) من القصاع حتى جوبر ، أما نحن (رجال التحري) كما كان اسمنا في السابق ، كنا ننتشـر بين المتنزهين ، لنحول دون وقوع جريمـة ، أو ما يعكر صفو الامن ٠

* * *

وصلنا في بدء دوريتنا الى (برج الروس) وفيما نحن نهم بركوب (حافلة الترام) الموصلة الى دوما ، ظهر أمامنا رجل مسرع وعلى يديه وثيابه آثار دماء ، وامتطى احدى (العربيات) الواقفة وقال للحوذي :

ـ أسرع الى باب السريجة ٠

* * *

نظرنا الى الرجل نظرة ريبة ، فأسرعنا وركبنا معه في (العربة) وعلى الفور تحريناه فوجدنا معه سكينا ملوثة بالدم ، فاقتدناه فورا الى دائرة الشرطة ٠٠٠ وفيما نحن في الطريق اليها اعترف لنا بأنه ارتكب جرم قتل رفيقه لخلاف طارىء نجم فجأة بينهما ٠

* * *

وضعنا القاتل في النظارة ، وعدنا الى القصاع ومنها سرنا مشيا على الاقـدام ، فشاهدنا الناس متجمهرين يتحدثون عن جريمة قتل وقعت منذ ساعة وفر القاتل ٠

كما شاهدنا قوى الامن والشرطة مستنفرة تبحث عن المجرم الفار في بسـاتين الغوطة الشرقية ٠

* * *

عدنا الى الدائرة ، فشاهدنا المدير العام ورئيس التحري السيد أديب الكلسلي يرقباننا ، ليطلبا منا البحث عن القاتل ٠ وما ان أصدرا أوامر التكليف حتى أعلمناهما ان القاتل هو في النظارة فكانت مفاجأة كبرى دفعت المدير العام لمكافأتنا وترفيعنا ٠

* * *

من دنيـا الحظ الى عالم المفاجآت

في صباح يوم من عام ١٩٦١ · استدعاني قائد قوى الامن الداخلي ، وقال لي بلهجة المعاتب والموبخ :

يا أبو عبدو السرقات كثرت في البلد ، والشكاوى بدأت تردني من كل جانب ، وكان آخرها أن حضر لمكتبي شخص من (بيت الشمعة) وقال ان لصا سطا عليه ، وسرق من داره نقودا تقدر قيمتها بـ (٥٠٠ الف ليرة سورية) ومجوهرات بنفس القيمة ،يعني ان قيمة ما سرق يقدر بمليون ليرة سورية · وان الشخص المسروق قد أصيب بنزيف دموي من أثر الصدمة ·

* * *

أجبت السيد قائد قوى الامن الداخلي تعقيبا على حديثه بقولي :

* * *

سيدي :

أنا منذ وجدت على رأس عملي ، أنفذ أوامر رؤسائي بحذافيرها ، لاني أعتقد ان من شرف العمل ، الامتثال والطاعة · ولكن لي رأيا أرجو ان أجد له أذنا صاغية ·

ان ازدياد السرقات ليس مصدره ضعف الامن في البلاد بقدر ما هو طرف منأطراف الازمة الاقتصادية التي تجتازها بلدنا ، فالبطالة هي الدافع الاساسي لضعاف النفوس، على اللصوصية ، ومن ناحية ثانية ، ليس بمقدور دوائر الامن ان تضع حارسا على باب كل مواطن ليحفظه من يد لص شاطر ··· هذا بالاضافة الى ان جرائم السرقات تقع بشكل طبيعي في كل زمان ومكان ، ويكثر حدوثها نسبيا في أرقى بلاد العالم ·

* * *

وعلى هذا الاساس فلسنا مسؤولين بشكل مباشر عن وقوع جرائم سرقات ، ولكن نحن مسؤولين ، باسم الواجب ، ان نسهر الليـل ، ونعمل في النهـار ، لتأمين راحـة المواطنين ، وكف أذى المجرمين عنهم · وانني أعدكم ياسيدي ، أن أبذل ورجالي قصارى الجهد ، متمتعين بتشجيعكم ودعمكم · للقبض على كل لص ومجـرم · ولتأمين سيادة القانون ، وعلى كل حال ··· نسأل الله العون والتوفيق ·

* * *

ودعت رئيسي وعدت الى مكتبي ، بأعصاب متوترة ، ونفس ثائرة على كل من يحاول تعكير الامن أو العبث بمصالح المواطنين · وقد باشرت عـلى الفور بدراسـة أوضاع

المشبوهين ، ووزعت الدوريات ، وعممت البرقيات ، وبذلت كل ما يبذل من أجل موضوع اللص الذي سرق مليون ليرة من (بيت الشمعة) وأخذت أحدث نفسي على الشكل التالي :

ـ اذا كان اللص قد سرق وهرب خارج دمشق او خارج سورية فلن يقبض عليه الا اذا تعاون معنا زملاؤنا رجال المباحث في الدول العربية ، وقد قمنا بابلاغهم .

* * *

ـ واذا كان اللص قد سرق وبقي في دمشق ، فلابد الا أن يستفيد من الاموال التي سرقها في الترفيه عن نفسه (لان المال الحرام يذهب من حيث أتى) ، لذلك يجب علي أن أقوم بجولة في علب الليل وفي الاندية التي يجري بها لعب الميسر سواء بشكل رسمي أم سري .

* * *

ركبت سيارتي ، وقمت بجولة في الملاهي ودور اللهو ، واستعرضت وجوه روادها فلم أجد بينها من به شبهة ، فتوجهت بين اليأس والامل الى بلودان ، حيث الفندق الكبير ، وجلست بين رواده مدة قصيرة ثم اتجهت الى الغرفة التي يجري بها (لعب البكاراه) ووقفت صامتاً ، وبدون ضجة بين اللاعبين .

بعد دقيقة من وقفتي الصامته ، شاهدت رجلا يمد يده الى رجل آخر يناوله اسوارة ذهبية ، ويستلف منه مبلغ ـ ٢٠٠ ل.س ـ .

* * *

حدقت بمن اخذ (الاسوارة الذهبية وسلف المال) فوجدته واحداً من دلالي سوق الصاغة يدعى (ابو دياب) ، فاستدعيته دون أن يشعر بي احد الى خارج الغرفة ، وسألته عن اسم الشخص الذي اعطاه (اسوارة الذهب) ، فرد علي بقوله :

ـ لا أعلم اسمه انما استطيع ان أقول لك ان هذه رابع قطعة ذهبية يبيعني اياها ويخسر قيمتها على الطاولة .

* * *

عدت الى الغرفة ، واستدعيت الرجل الذي وقعت عليه شبهتي ، وسألته عن اسمه فقال (ابراهيم) . فتحريته فوجدت معه ليرات ذهبية مع عدد اخر من القطع الذهبية .

فسألته عن مصدرها فقال :

ـ هي ملك لي وأنا حر التصرف بها .

ـ سألته :

ـ وأين تنزل في بلودان ؟

ـ قال ۰۰۰ ليس لي مكان معين ، بل لم أتخذ مكانا حتى الان ۰

*　*　*

وفيما أنا أحاور الرجل المشتبه به ، أشار الي (دلال الذهب) اشارة خفية فهمت منها انه ينزل في احد فنادق بلودان قرب الفندق الكبير ۰

*　*　*

اقتدت ابراهيم امامي وتوجهت الى الفندق ، وكانت مشيته غير طبيعية ، لقد دب الرعب في قلبه ، واصفر وجهه ، وتلعثم لسانه ، لكنه بذل الكثير من المحاولات لتضليلي الا أنه لم يفلح ، ووصلت الفندق معه ، فاستقبلني صاحبه وهو رجل أرمني بالترحيب والمزيد من الاحترام ۰

*　*　*

سألت صاحب الفندق عما اذا كان (ابراهيم) من نزلاء فندقه ، فأجاب بالنفي (لان ابراهيم اشار اليه بغمزة من عينه) ۰ ولكني بالطبع لم اصدقه ، وطلبت دفتر النزلاء لابحث عن الاسم ، وما ان فتحت السجل حتى وجدت الاسم الذي ابحث عنه بشكل بارز ، عندها التفت بشكل لاشعوري وقذفت صاحب الفندق صفعة افقدته صوابه ، وكانت له درساً قاسيا ، يحرم عليه وعلى امثاله تضليل رجال الامن ۰

سألت ابراهيم عن الغرفة التي ينزل بها ، فدلني عليها ، ودخلتها برفقته وباشرت (مع الدلال) تفتيش حقيبته ، فوجدت فيها مبلغ عشرة آلاف ليرة سورية ، وعدد آخر من (قطع الحلى الذهبي) ۰

*　*　*

جمعت الاموال والقطع الذهبية ، واقتدت ابراهيم امامي ، وتوجهت الى دمشق عن طريق الزبداني ۰

وفي الطريق خطر لي خاطر هو انه قد يستحيل على اتمام الطريق بين الزبداني ودمشق دون ان يكون معنا ثالث ، لاني اجلست السارق بجانبي ـ بعد أن نبهته ان اي حركة تبدو منه سأطلق عليه النار فأرديه قتيلا ـ ولكن تنبيهي ليس كافيا ، ولامطمئنا ، اذ أني اقود السيارة بنفسي ، ولربما غافلني وحرك المقود ، فسنصبح كلانا بطرفة عين في الوادي ، لذلك استدعيت شخصاً ثالثاً من الزبداني واجلسته في المقعد الخلفي وكلفته بمراقبة حركات السارق ۰

*　*　*

وفيما نحن جادون في السير الى دمشق اعترف لي السارق بسرقة ٢٢ داراً بدمشق• وعدد لي الاسماء والزمان والمكان •

* * *

وصلنا الى مكتبي في الادارة الجنائية ، فكان اول عمل قمت به اخبار رؤوسائي بالسارق الذي روع دمشق ، ثم ارسلت دوريات الى اصحاب الدور المسروقة ليحضروا الى الادارة الجنائية ويتعرفوا على مسروقاتهم ، وعدت للتحقيق مع المجرم •

* * *

سألته عن سرقة المليون ليرة ، التي قيل انه لطشها من دار (الشمعة) فقال لي :

ـ يا أبو عبدو ، لقد اعترفت لك بكل شيء ، اعترفت لك بسرقة (٢٢ داراً) بعد سرقتي (لبيت الشمعة) فلو اني سرقت مليون ليرة من عندهم ، فأي حاجة لي بمتابعة العمل •

ان مبلغ مليون ليرة تكفني عشرات السنين لان اعيش عيشة اللوردات والواقع اني سرقت من دارهم مبلغ ٢٥ ل•س وأربعة أساور ذهب تقدر قيمتها ب (٣٠٠ ل•س)فقط•

* * *

استدعيت الرجل الذي ادعى انه سرق من داره مليون ليرة ، وقلت له أين كنت تضع مبلغ ال (٥٠٠ الف ليرة سورية) والقطع الذهبية التي تقدر ب (٥٠٠ الف ليرة سورية) قال :

* * *

ـ كنت أضعها في قميص لي في الخزانة

ـ قلت له : ان مبلغ (٥٠٠ الف ليرة سورية) يضاف اليه قطع ذهبية بمبلغ (٥٠٠ الف ل•س) تملأ صندوقا كبيرا ، فكيف يمكن وضعها بقميص ، ثم اجريت المقابلة بين السارق والمسروق ، فخجل صاحب الادعاء الكاذب واعترف بالحقيقة •

* * *

بعد هذا المشهد ، سطرت الضبط اللازم بالحادث واستعدت كافة المسروقات ، واعدتها لاصحابها وقدمت السارق للقضاء لينال جزاء ماصنعت يداه •

* * *

دراســة عامــة حول الميسر

تعريف القمار

القمار هو المخاطرة بمال على احدى اللعب التي يكون الربـــح فيهـــا موكولا لحظ اللاعبين أكثر منه لمهارتهم ·

فالعنصر المميز للقمار هو (المخاطرة ؛ أي الاعتماد على الحظ) · ولكن ليست كل مخاطرة بمال مما يعد قمارا ، اذ ان الانسان قد يضطر في كثـير من شئون الحيـاة الى المخاطرة بالمال ، مثل مخاطرته بالبحث عن المعادن واستغلال مصادر الثروة ، ففي مثل هذه الحالات تكون المخاطرة على أمر جدي في شئون الحياة بعكس الحال في القمار فانه يتميز بطابع اللهو واللعب ، ولا تكون المخاطرة فيه على أمر جدي من أمور الحياة ·

ومن ذلك يتضح أن اللعب التي تعتمد على مهارة اللاعبين كالشطرنج وكرة القدم والتنس لا تعتبر قمارا ·

أما لعب الحظ التي تخلو من عنصر المهارة مثل لعب الروليت ، والزهر ، أو اللعب التي يعتمد الربح فيها على الحظ والمهارة معا ، مثـل لعب الورق ، فهي التي تعـد من لعب القمار ·

ولا يقصد بالمال النقود فقط ، وانما كل ما يقوم بها ·

طبيعة القمار :

قام « دافيد ألن » ببحث نظري طويل عن طبيعة القمار من الناحيتينالانثروبولوجية والاجتماعية خلص فيها الى النتائج الآتية :

١ ـ القمار نشاط انساني أساسي ·
٢ ـ القمار ضار ·
٣ ـ القمار قابل للمنع والقمع

* * *

أولا ـ القمار نشاط انساني أساسي :

ليس معنى ذلك أنه نشاط طبيعي أو غريزي ، وانما المعنى أنه نشاط يوجد حيث توجد الجماعة · فما من جماعة وجدت قديما أو حديثا ، وما من جماعة تعيش على الفطرة أو تبلغ حدا كبيرا من المدينة الا وثبت ان القمار يلازم حياتها ·

ولا تفسر هذه العبارة أصل عادة القمار ولا سببها ، وكل ما تكشف عنه أن القمار قد لازم الحياة في الماضي وفي الحاضر · أما المستقبل فمن العسير التكهن به الا اذا وصلنا الى نظرية سليمة للقمار ، وهذا مالم نصل اليه بعد ·

ثانيا ـ القمار نشاط ضار :

لاشك ان القمار نشاط ضار ، والدليل على ذلك هو :

١ ـ ان معظم دول العالم قد وجدت انه من الضروري منعه أو تقييده أو فرض رقابة عليه ·

٢ ـ ان معظم الافراد وكثيرا من الجماعات المنظمة يحاولون منعه ·

٣ ـ أما من وجهة النظر السيكولوجية والاجتماعية ، فانه على الرغم من أن القمار يجلب نوعا من السرور والرضاء للفرد والجماعة ، الا أنه في نفس الوقت يعتبر قوة ممزقة للشمل ولا يمكن أن يتلاءم مع حياة الجماعة · فهو كعامل من عوامل الراحة والبهجة غير مثمر ، اذ ان رد فعله على الاجزاء الاخرى من الجماعة يجعل تكاليفه الاجتماعية باهظة ، فالقمار في كل مكان له أثر مدمر على حياة الجماعة ·

وفي أمريكا يحمل هذا الاثر طابع العنف كالقتل والسرقة ، بل انه غالبا ما تتحد أعمال القمار مع الافعال الاجرامية ويتخذ الاثنان مظهرا اجراميا معقدا ذا صور متشابكة·

وأما من الناحية الفردية فكثيرا ماحطم القمار أفرادا وقضى على أسرهم وأما من الناحية الاجتماعية فكثيرا ما هز أركان المجتمع بما أحدثه من حرب بين العصابات وما أنتجه من جرائم قتل وسرقة ·

* * *

ثالثا ـ القمار قابل للمنع والقمع :

لاشك ان القمار كنشاط انساني اجتماعي يخضع كغيره من أنواع النشاط لعمليات الضبط الاجتماعي سواء كانت تنظيمية أو قمعية ·

ومعظم أنواع القمار لا يمكن أن يعيش في ظل تشريع يجرمها ، وانما لكي يكون لهذا التشريع أثره وجدواه لابد أن يسنده تنفيذ سليم ورأي عام قوي ·

لذلك فان لضمان مكافحة القمار مكافحة جدية لابد من تكوين رأي عام يكره القمار ويناهضه ، ثم سن تشريع يجرمه ، وايجاد جهاز شرطة على مستوى عال من الكفاية لينفذ هذا التشريع ·

جرائم القمار :

تنص التشريعات الجنائية الحالية على تجريم ممارسة لعب القمار في البيوت التي تعد لذلك ، وفي المحال العامة أو الملاهي أو الاندية · وقد أخذت التشريعات في ذلك بالرأي الذي يفضل منع القمار ومكافحته على الترخيص به ومراقبته · ومع ذلك فليست كل أنواع القمار مما يجرمه القانون ، بل ان هناك بعض أنواع مباحة ، في نطاق ضيق على مستوى ماسنفصله فيما بعد ·

وجرائم القمار التي حددها القانون هي :

أولا ـ بيوت القمار :

ادارة بيوت القمار هي عمل من أعمال محترفي القمار ، وهي الوسيلة التقليديةالتي يلجأ اليها محترفو هذا النوع من الاجرام بقصد الكسب الحرام · فيعدون بيوت القمار لاستقبال من يرغب في ممارسة المقامرة ، وذلك مقابل أجر معين يتقاضونه منهم ·

وينص القانون على ما يأتي : « كل من أعد مكانا لالعاب القمار وهيأه لدخول الناس ، يعاقب هو وصيارف المحل المذكور بالحبس والغرامة : وتضبط جميع النقود والامتعة في المحال الجاري فيها الالعاب المذكورة ويحكم بمصادرتها » ·

ويمكن تلخيص أهم أركان هذه الجريمة فيما يلي :

١ ـ تعاقب هذه المادة على اعداد مكان لالعاب القمار وتهيئته لدخول الناس والمقصود بذلك أن يسمح الجاني لعامة الناس بدخوله · كما يمكنهم من ممارسة ألعاب القمار فيه·

وعلى ذلك فان جلوس أفراد أسرة واحدة ، أو اجتماع أصدقاء للعب في مكان خاص هو أمر غير معاقب عليه · أما اذا خرج الامر عن هذا الوضع ، بحيث لم تعد للمكان هذه الصفة الخاصة ، فانه يكون قد أعد لالعاب القمار · وتستبين طبيعة المكان من ظروف الواقعة · كأن يتردد على هذا المكان أشخاص لا تربطهم به روابط مباشرة ، وتباين مستوى الاشخاص الذين يمارسون اللعب فيه ، وكثرة عددهم واختلاف فئاتهم ، وتقاضى صاحبه مبالغ معينة نظير تمكينهم من اللعب ·

٢ ـ لا يشترط ان يكون الجاني قد خصص المكان لهذا الغرض وحده ، فيجوز أن يكون المكان معدا في الاصل كسكن خاص للجاني ، غير أن سماحة لعامة الناس بدخوله في المواعيد التي يختارونها للعب القمار ، يجعل هذا السكن محلا مدارا لالعاب القمار ·

٣ ـ المقصود بألعاب القمار ، هو الالعاب التي يكون الربح فيها موكولا لحظ اللاعبين أكثر من مهارتهم ·

٤ ـ يعاقب القانون مدير المحل وكذلك صيارفته ، وكل من يشترك في ادارته أو يعمل على تسهيل اللعب فيه ولو لم يكن لهم دخل في فتحه وتأسيسه ·

ثانيا ـ القمار في المحال العامة :

لا يجوز في المحال العامة لعب القمار أو مزاولة أية لعبة من الالعاب ذات الخطر على مصالح الجمهور ، وهذه الالعاب يصدر بتعيينها قرار من وزير الداخلية ·

وقد صدر قرار وزير الداخلية · مبينا بعض الالعاب التي تعتبر من ألعاب القمار وهي ألعاب : البوكر · والباكراه · والروليت ، والكونكان، والبرغوثه وغيرها، ولم يأت

هذا القرار بحصر ألعاب القمار وانما ذكر بعضها على سبيل المثـال فتسري أحكامه على ما يشابهها من الالعاب التي لم ينص عليها ٠

ثالثا ـ القمار في الملاهي :

حظر القانون الخاص بالملاهي ممارسة أي نوع من ألعاب القمار في الملاهي وفرض عقوبة الحبس والغرامة ، ومصادرة الادوات والنقود وغيرها في حالة وقوع مايخالف ذلك٠

رابعا ـ القمار في الاندية :

حرم القانون الخاص بالاندية ، ممارسة أي نوع من أنواع المقامرة في الاندية ، وفرض عقوبة الحبس والغرامة المصادرة والغلق ، على كل مخالفة لذلك ٠

* * *

ألعاب القمار المباحة :

لا يتناول القانون جميع ألعاب القمار بالتجريم ، بل ان المشرع أباح في نطاق ضيق بعض ألعاب القمار ، بشرط الحصول على ترخيص بها وهي على سبيل الحصر :

- المراهنة على سباق الخيل ٠
- المراهنة على صيد الحمام والرماية على الاطباق ٠
- اليانصيب ٠
- مزاولة ألعاب القمار في المؤسسات السياحية للاجانب دون غيرهم ٠

مكافحة الشرطة للقمار :

اذا كان عمل الشرطة في مكافحة الجريمة يعد من أشق المهام وأدقها، فان هذا العمل يزداد مشـقة ودقة فيما يختص بجرائم القمار ، نظرا لطبيعة هـذه الجرائم من جهة ، ولتباين أوضاع المقامرين وفئاتهم من جهة أخـرى ٠ فجرائم القمـار ذات طابع خاص يستلزم كثيرا من الاناة والروية في اجراءات المكافحة والتحري والضبط ، حتى لا تضيع الغاية من وراء ذلك هباء ، وحتى لا تنعكس الآية فتصبح اجراءات المكافحة مثارا للتشهير والاساءة الى كرامة الاسر والافراد ٠ أما المقامرون فغالبيتهم الكبرى في واقـع الامر من الضحايا الذين هم في أمس الحاجة الى حماية القانون ورعاية المجتمع ، والاغلبية الضئيلة منهـم هي الفئة المستغلة التي تجني أرباح المقامرة من خسائر الفئة الاولى ، ونفصـل ذلك فيما يلي :

أولا ـ طابع جرائم القمار :

تتسم جرائم القمار بطابع خاص تتميز به عن سائر الجرائم التي يقع عبءمكافحتها على عاتق هيئة الشرطة :

١ – فجرائم القمار ، وان كانت في حقيقتها آفة مقيته تنخر في بناء المجتمع وتهدد كيان الاسر ومستقبل الافراد ، الا أنها في ظاهرها ليست من الجرائم الخطيرةالتي يضطرب لها حبل الامن العام · ولعل مرجع ذلك الى أن مضار القمار ليست من المضار العاجلة المباشرة في فهي تتراكم على الايام حتى ينوء بهـــا كاهل المقامر وأسرته فيهوي بهـــا الى الحضيض ·

٢ – ومن جهة أخرى فان جرائم القمار تجري عادة في الخفاء ، يتكتم أمرها المستغلون كما يتكتم أمرها اللاعبون · ومن ثم فان رجال الشرطة يلزمون جانب الحذر والروية في مكافحة الاجراءات الخاصة بضبط هذه الجرائم ، حفاظا على كرامة الاسر والافراد ، وحتى لايضار برىء في شرفه أو سمعته ، وهذا التبصر والحذر وتلك الاناة والروية من شأنها جميعا ان تطيل اجراءات الضبط ، وأن تفوت في كثير من الاحوال الفرص الملائمة لنجاحها ·

٣ – وأخيرا فان وسائل المقامرة وأساليبها قد تعددت وتنوعت الى مدى بعيد يتعذر حصره أو متابعته الا بالخبرة الواسعة والجهود الضخمة · وقد برع المقامرون في ابتكار أحدث الطرق لممارسة ألعاب القمار في الخفاء وهم يحرصون على انتقاء كل جديد في هذا المضمار متى أصبحت أساليبهم القديمة معروفة لرجال الشرطة ·

ثانيا – تباين فئات المقامرين :

والمقامرون على أنواع ثلاثة ، فمنهم المقامر الهاوي ، ومنهم المقامر المدمن ، ومنهم أخيرا المقامر المحترف ، ولكل نوع من هذه الانواع طابعه وظروفه ، كما ان له أسلوبه في المقامرة وبالتالي فان للشرطة أسلوبها في تقويمه وعلاجه ووقاية المجتمع من شروره ، وفيما يلي بيان ذلك :

١ – المقامر الهاوي :

وهو الذي يمارس القمار بقصد الترويح عن النفس والتسلية وقتل أوقات الفراغ والمقامرون الهواة يمثلون الغالبية العظمى للمقامرين ، الا أنهم من جهة أخرى يشكلون المصدر الاول للخطر في آفة القمار ، ذلك لان المقامر المدمن ما هو الا مقامر هاو غلبته هذه العادة المرذولة على أمره وسيطرت على ارادته ، ومن ثم فلا سبيل الى قطع دابر القمار في المجتمع الا بالقضاء على « هواية المقامرة » خاصة وان المقامر الهاوي هو الفريسة التي يتصيدها دائما محترفو القمار ·

واذا كان المقامر الهاوي لا يتورط في المخاطرة بماله على مدى واسع في بادىء الامر ، الا أن استمرار الكسب والجـري وراء تعويض الخســـارة كثيرا ما ينتهيـــان به الى ادمان القمار ·

ولا شك ان التشخيص الاجتماعي للمقامر الهـــاوي يتلخص في أنه مريض ينبغي علاجه ورعايته والاخذ بيده الى طريق الشفاء والنجاة في هذه الآفة · ومن هنا فان دور

الشرطة بالنسبة لهذه الفئة من المقامرين يقوم أساسا على التوجيه والارشاد المزوجين بالرعاية والحزم ، خاصة بالنسبة للهواة المبتدئين الذين يسهل ردهم عن طريق الغوايه في أول الامر بغير كبير عناء ٠

٢ ـ المقامر المدمن :

وهو المقامر الهاوي الذي يقع فريسة لعادة القمار ، فيقبل على ألعاب القمار بشراهة ونهم واندفاع ، حتى تصبح المقامرة داء عضالا يسري في دمه ويتغلغل في كيانه،والمقامرون المدمنون هم أولى فئات المقامرين بالحماية ، لانهم في الواقع هم الضحايا الحقيقيون لآفة القمار ٠ بل ان أضرار المقامرة لا تقتصر عليهم وحدهم ، وانما تمتد الى أسرهم فتثير فيها الفتن ، والمنازعات وتضرب للابناء أسوأ المثل لسلوك الآباء ، وتوشك في كثير من الاحوال أن تقوض البيوت المطمئنة ، وأن تهدد مستقبل الجيل الناشيء من أبناء الوطن ٠

ومن هنا يتجلى جلالة الرســـالة التي تنهض بها هيئـــة الشرطة في مكافحة جرائم القمار ، والدور الخطير الذي تؤديه لوقاية المجتمع وحماية الاسر والافراد من الانزلاق في هاوية الادمان على المقامرة ٠

واذا كانت سياسة الشرطة حيال المقامر المدمن ، تختلف عنها حيال المقامر الهاوي، فان التفرقة بين الاثنين من أشق المسائل وأدقها من وجهة التطبيق العملي ، فليس ثمة الا خيط رفيع يفصل بين الهواية والادمان ، وتقدير ذلك يتوقف على تحريات رجال المباحث وظروف كل قضية ، وسوابق المقامرين ، وغير ذلك ٠

٣ ـ المقامر المحترف :

أما المقامر المحترف ، فهو ذلك الشخص الذي يكسب عيشه من ألعاب القمار ، سواء مارسه بنفسه بقصد الربح ، أو سهله لغيره من هواة المقامرين ومدمنيها في مقابل أجر والمقامرون المحترفون هم أخطر فئات المقامرين ، وهم ينحدرون في الغالب من فئة المقامرين المدمنين الذين يجرفهم تيار القمار الىالتكسب في المقامرة بسبب تدهور أحوالهمالاجتماعية والمالية ٠ ومن المقامرين المحترفين طائفة ماكرة ، تسهل ممارسة القمار ولا تزاوله،وبذلك يعود عليها الربح ولا تحيق بها الخسارة ٠

والطابع السائد للمقامر المحترف ان يكون من ذوي الســـــيرة السيئة ومن ذوي السوابق وهو يستعين عادة على انعاش تجارته المحرمـــــة بوسائل محظورة أو مريبـــة كالرشوة والاقراض بالربا الفاحش ويسهل الدعارة وممارسة القوادة ، بل وترويـــج المخدرات في بعض الاحوال ٠ وليس أدل على ذلـــك من أن قضايا القمـــار الكبرى كثيرا ما أسفرت في نفس الوقت عن ضبط أوكار الرذيلة والبغاء ٠ ولا غرابة في ذلك فالخمر والنساء في مقدمة وسائل الاغراء في بيوت القمار ٠

ولما كانت هذه الفئة من المقامرين هي أخطر الفئات ، فان أجهزة مكافحة جرائم القمار ، وخاصة شرطة حماية الآداب والاحداث ، توليها أكبر قدر من عنايتها واهتمامها ، وهي لاتتوانى في مطاردتها وتعقبها والضرب على أيدي محترفي القمار حتى تقي المجتمع من شرورهم ٠

وسائل الشرطة في مكافحة القمار !

بعد أن أوضحنا الصعاب التي تكتنف مهمة الشرطة في مكافحة جرائم القمار نتحدث فيما يلي عن خطة الشرطة ازاء هذه الجرائم ، والوسائل التي تنتهجها لمكافحتها ٠ وسوف نتناول هذا الامر من وجهتين : الاولى خاصة بوسائل منع القمار،والاخرى خاصة بأساليب ضبط جرائم القمار ٠

اتفقت الاديان جميعا على تحريم القمار ، وأجمع على ذلك المصلحون وعلماءالاجتماع، ونادى به السواد الاعظم من رجال القانون والامن فالمقامرة عادة مقيتة في نظر الدين والاخلاق والقانون على السواء ٠

على ان عبء وقاية المجتمع من أضرار القمار انما يقع أول ما يقع على عاتق الاسرة والوالد بصفة خاصة ، ثم على عاتق المدارس المنوطة بتربية النشىء والهيئات الاجتماعية المعنية بشئون الاسرة والجيل الصاعد من الشباب وأخيرا على عاتق أجهزة الشرطة التي عهد اليها بحماية الآداب العامة ورعاية الاحداث ووقايتهم من مخاطر الغواية والانزلاق ٠

ولما كانت المقامرة في مبدأ أمرها هواية مثيرة يتعلق بها الشباب للتسلية وشغل أوقات الفراغ ، فان الوسيلة الناجعة لصرف الابناء عن ذلك هو تعويدهم منذ نشأتهم على قضاء أوقات فراغهم في هواية مفيدة ، كالرياضة أو المطالعة ٠ ولا شك أن دور الوالدين في ذلك من الاهمية بمكان ٠

أما المدرسة فهي البوتقة التي تصهر فيها ملكات الطالب وميوله ، وتصاغ فيها اتجاهاته ومطامحه ٠ فاذا لقي النشيء من أساتذته رعاية حسنة وارشادا قويما وتوجيها سديدا ، واذا عني مدرسوه بتبصيره بأخطار القمار ومضاره ، فان ذلك كله يقلل الى حد كبير من احتمالات الانحراف الى هذا السبيل ٠

وكذلك الحال بالنسبة للمؤسسات الاجتماعية التي تهتم بشئون النشىء والاسرة، وقد لوحظ أن المجتمعات التي توجه اهتمامها الى شغل أوقات فراغ الشباب بالهواية المفيدة او الرياضة المحببة الى نفوسهم ، تقل فيها مظاهر انحراف الشباب ، وبالتالي يندر ان يجنح أحدهم الى ممارسة القمار ٠

وأخيرا فان للشرطة دورا فعالا في منع جرائم القمار بما تتخذه من اجراءات تتصل بمراقبة الاشخاص العاطلين ، وذوي السيرة السيئة من مدمني القمار ومحترفيه والتحري

عن أوكار القمار وتعقبها بالضبط والتفتيش حتى ينقطع دابر مستغليها اما بوقوعهم تحت طائلة القانون ، أو بافلاس وسائلهم وانفضاح أمرهم وبوار تجارتهم ٠

ولايفوتنا ان ننوه بأن للشرطة دورا هاما في منع جرائم القمار بمايجب أن تقوم به أجهزة العلاقات العامة والتوجيه المعنوي من حملات لتبصير المواطنين بأضرار القمار وعواقبه الوبيلة ٠ وهي تستخدم في ذلك جميع وسائل الاعلام كالسينما والاذاعة والتليفزيون والصحافة وغيرها من وسائل الاتصال بالجماهير ٠

* * *

اجراءات ضبط جرائم القمار :

قدمنا أن جرائم القمار ذات طابع خاص وحساسية شديدة ، لاتصالها بمستقبل الشباب ، وكرامة الاسر ، وكيان المجتمع وتقاليده ، وأوضحنا أن كل هذه الاعتبارات تفرض على رجال الشرطة التزام جانب التروي والاناة عند اتخاذ اجراءات الضبط الخاصة بهذه الجرائم ٠ وفيما يلي بعض ما عن لنا ايضاحه في هذا المجال ، عسى ان يكون هاديا لرجال الامن عند قيامهم بضبط جرائم القمار :

١ ـ ينبغي ان يشتمل اذن التفتيش على محضر دقيق للتحريات الاولى ، وأن يصاغ في عبارات واضحة تكشف عن حقيقة الوسائل التي اتخذت في التحري والمراقبة ، وان تحدد المدة التي استغرقتها تلك التحريات وما أسفرت عنه من نتائج ، حتى يتسنى للمحكمة الوقوف على جدية الاجراءات ودقتها ٠

٢ ـ يتعين عند اجراء التفتيش مراقبة أبواب الوكر المراد تفتيشه ونوافذه وسائر المنافذ المؤدية اليه ٠ لسد السبيل على من يحاول الهرب او اخفاء المضبوطات٠

كذلك تتعين المبادرة بضبط مدير بيت القمار ومستغله ، وضبط النقود المستعملة في ألعاب القمار ، والادوات الخاصة بها ، كالموائد والمقاعد وأوراق اللعب (والفيش) وغير ذلك ، بمجرد اقتحام وكر القمار المقصود وغني عن البيان أن يمنع اتصال المتهمين باللاعبين واتصال المتهمين أو اللاعبين بعضهم بالبعض ٠

٣ ـ من النواحي الهامة في التحقيق استجلاء الصلة بين المتهمين واللاعبين وايضاح ظروف تواجدهم في بيت القمار وتحديد الاعمال التي يقوم بها المستغل او المدير تحديدا قاطعا يضفي عليه صفته الحقيقية ، حتى يتسنى للمحكمة ان تتثبت من قيام الشرطين الاساسيين اللذين نص عليهما المشرع للتأثيم في جرائم ادارة بيوت القمار ، وأولهما : « تهيئة المكان لدخول كافة الناس فيه دون تمييز » ، وثانيهما : « اعداده لالعاب القمار »٠



مطابع ألف باء الاديب ـ دمشق

٤٧٢ = ٤٥٦ + ١٦